التحليل اللغوي لنهج البلاغة

منهج مادة (الكتاب القديم)
في أقسام اللغة العربية بحسب نظام الفصلين

اسم الكتاب:	التّحليلُ اللغويّ لنهجِ البلاغةِ، منهجُ مادّة (الكتاب القديم) في أقسام اللغة العربيّة بحسب نظام الفصلين
تأليف:	جنان حميد ناظم
التصحيح اللغوي:	الأستاذ زغير عبد الحسين مزعل
الإخراج الفني:	ميثم بحر
الغلاف:	م. نجاح الدجيلي
الطبعة:	الأولى
الكمية:	١٠٠٠ نسخة
الناشر:	ديوان الوقف الشيعي، أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به
سنة الطبع:	١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

مركز هانئ بن عروة للدراسات - الكوفة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لأمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

www. masjed- alkufa. net

التحليل اللغوي لنهج البلاغة

منهج مادة (الكتاب القديم)
في أقسام اللغة العربية بحسب نظام الفصلين

جنان ناظم حميد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الأمانة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين محمّدٍ وآله الطيّبين الطّاهرين...

وبعدُ...

تشكّلُ مادةُ (الكتاب القديم) في أقسامِ اللغةِ العربيةِ ركيزةً رئيسةً من ركائزِ المعرفةِ في علوم اللغةِ العربيةِ وآدابها، لأنَّ هذا الدرسَ يقوم على قراءةِ النصِّ القديمِ والوقوفِ على ما فيه من قضايا لغويةٍ ونحويةٍ وأدبيّةٍ (نثريةٍ وشعريةٍ)، فضلاً عمّا يحيطُ بهذه النصوصِ من حوادث تاريخيّةٍ وظواهر اجتماعيةٍ كانتْ سبباً رئيساً في إنتاجها.

ومن هنا يأتي تبنّي أمانةُ مسجدِ الكوفةِ المعظّمِ إصدار هذا الكتاب (التحليل اللغوي لنهج البلاغة) كونه من الكتب الفائزة في مسابقة مسلم بن عقيل ضمن فعاليات مهرجان السفير الثقافي الذي اعتادت أمانة المسجد على إقامته سنوياً يمثل المنهج لمادة الكتاب القديم في أقسام اللغة العربية بحسب نظام الفصلين) ليكون هادياً للطلبةِ في تلقّي علوم العربيةِ من منبعها الأصيل ـ بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي بيّن ارتباطَ اللغة بأهلِ البيت عليهم السلام بقوله: ((وَإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ)).

لقد نهض هذا الكتابُ على دراسةِ خمسة مستويات تتصل باللغةِ، وهي المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى المعجمي والمستوى البلاغي، وهذه المستويات الخمسةُ تشكّلُ المنافذَ الرئيسةَ التي يمكن أنْ يُدْخَلَ منها إلى كلامِ الإمام أميرِ المؤمنين (عليه السلام) بغية الوقوفِ على مضامينه العاليةِ التي شكّلت عماداً لبناءِ الدولةِ والمجتمع في عصره، وبقيتْ وستبقى ناهضةً بهذه المهمّةِ.

واستناداً إلى ما تقدّم فإنَّ هذه المستوياتِ الخمسةَ ستسهمُ في بناءِ شخصيةِ طالب العلمِ الإجتماعيةِ والمعرفيّةِ من خلالِ المضامين المشار إليها قبل قليلٍ، ومن خلالِ ما تُظهرُهُ من أفانين الكلامِ التي يستعملها الإمام أميرُ المؤمنين (عليه السلام) بما يجعلُ الكلامَ سهلاً ممتنعاً بمقدور كلِّ إنسانٍ (ونخصُّ هنا طلبة أقسام اللغة العربية) أنْ يأخذَ منه على قدر الأدوات المعرفية التي يمتلكها.

وثمّة أمرٌ يستحقُّ الإشارة إليه في هذا التقديم الموجز، وهو اقتصارُ الكتابُ على الخطبةِ الأولى في كتابِ نهج البلاغةِ، وعهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الاشتر واليه على مصر، وهذا سيكون نافعاً للطلبةِ من خلالِ حصرِ جهودهم في مساحةٍ محدّدةٍ من النهجِ كي يلاحقوا الأداء الراقي، ويقفوا على السّمات الفنيّةِ التي تمثّلُ جوهر اللغةِ في منابعها الرئيسةِ، فضلاً عن الحمولات المعرفيّةِ الثرّةِ التي تنهضُ بها والتي تتصلُ بوجوهِ الحياةِ كلّها.

إنَّ الاقتصار على الموضوعات التي أشرنا إليها لا يمنعُ من أن يعودَ الطالبُ إلى ما يشاء من خطبِ الإمام (عليه السلام) وكتبه ورسائلهِ وحكمهِ المتنوّعة على وفقِ ما يراه من تقاربِ بين الموضوعات، أو على وفقِ حاجته المعرفيّةِ التي ستعينه حتماً على استشعار مواطن الجمال في كلامِ الإمامِ (عليه السلام)، فيذهب إلى مواطن الجمالِ الأخرى في غيرِ منهجه المقرّر، ومن هنا نهضتْ هذه الدراسةُ بمهمّةٍ تكميليةٍ لا تقلُّ شأناً عن المهمّةِ الرئيسةِ لها.

بقي أمرٌ آخرُ استعانتْ به هذه الدراسةُ للوصولِ إلى الأهداف التي بسطها الباحثُ الكريمُ في مقدّمةِ الكتاب، وهو الأعتمادُ على أسلوبِ السؤالِ والجوابِ في بسطِ المادة العلميّةِ، وهذا يوفّرُ للأستاذ والطالبِ الوقوفَ على المزايا التي أراد الكتابُ إظهارها، وهي الأكثر شيوعاً في استعمالِ اللغةِ في هذا الزمان، وهذا التحديدُ يكون نافعاً بحقّ لجمعِ تفكيرِ الطلبة في مناطق معلومة، لتكون الفائدةُ أشملَ، فكلام الإمام أمير المؤمنين

(عليه السلام) يغذّي العقلَ بالمضامين العاليةِ من خلالِ الأداء الأرقى في اللغةِ، وعدم الوقوف على مساحة محددة منه في الدراسةِ قد لا تُتيحُ للطالبِ إدراكَ ما يسعى الكتابُ إلى تبصيره به.

وفي الختام نقولُ: إنَّ حسنَ بلاغةِ نهج البلاغةِ يتجلّى في ركنين رئيسين:

الأول: حسن معرفيٌّ ندركه بحواسّنا من القراءة الاولى، أو من قراءة ثانية... فيمسكُ تأثيرُه بنفوسنا، فنشعرُ بجماله.

والثاني: حسنٌ عقلي، وهذا الضربُ من الحسن يبيّنه لنا قراءة ما خلف النصوصِ للوقوفِ على دلالاتها، لأنّ نصَّ النهج حيٌّ يصلحُ للعصورِ كلّها. ولعلَّ مادةَ هذا الكتاب تحقّقُ للدارسين ما أشرنا إليه.

وآخرُ دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

الأستاذ المتمرّس الدكتور

حاكم حبيب عزر الكريطي

الجامعة الإسلامية - النجف الأشرف

غرة ربيع الأوّل ١٤٤٢هجرية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا الكريم محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد.

فقد دأبت أقسام اللغة العربية في جامعات العراق على تدريس كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرّد منهجاً مقرراً لمادّة الكتاب القديم، وهذا الكتاب لا يختلف في محتواه عن الكتاب المقرّر تدريسه لهذه المادّة في المرحلة الثانية، وهو كتاب: البيان والتبيين للجاحظ، فكلاهما يعرض اختيارات متنوعة لكلام السابقين من خطب ورسائل وأشعار وحكم وقصص، وعلى هذه الشاكلة نهجت كتب الأدب العربي القديمة، إذ يُلجأ إلى هذا النوع من التأليف للتسلية والترويح عن القارئ، ولذا نجدها تحمل الغثّ والسمين في طيّاتها، فمنها ما يفيد القارئ ويهذّب النشء والمتعلّمين، ومنها ما لا طائل منه، فضلاً عن كون بعضها باعثاً للسخرية أو مثيراً للغرائز أو مسرحاً للخلافات المذهبية، ومن ثمّ يضطرّ أستاذ المادّة إلى الانتقاء مع الحفاظ على تناول مقدمة المؤلف التي تُعرف بالكتاب فلا بدّ منها. وكتاب المبرد فيه مآخذ كثيرة أبرزها أنّ اختياراته إنْ صلُحت للقرّاء والباحثين المتخصّصين في الأدب العربي فلا تصلُح للطلبة المتعلّمين الذين يطّلعون على كتابٍ قديمٍ في تراثهم يعزِّزُ ثقتهم به، وينقل لهم ما فيه نفعٌ وصلاحٌ وتهذيب وامتثال للأدب العربي الإسلامي والتعاليم القرآنية.

واعتمد المبرّد في اختياراته التراثية على ذوقه الخاص، إذ إنَّه لمّا ألّف كتابه للكلام عن الخوارج - على وفق ما صرح محقّق الكتاب - ظهرت فيه الخلافات العقديّة بين الصحابة وانتقاد بعضهم بعضا، وهذا كثيرٌ. من ذلك

نقله شعراً للحطيئة يذمُّ اختيار الناس أبا بكر، ويذكر ارتداد العرب عن الإسلام بعد وفاة النّبيّ، وفيه ذمّ لعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف. وهنا تظهر اختيارات للمبرد بلا سند موثّق، ككلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف، وكتاب عثمان إلى عليّ (عليه السلام) لّما أُحيط به. ومن ذلك عنايته بخطب الحجّاج التي يتوّعد فيها العراقيين بالقتل أو الخنوع له. مع الالتفات إلى تنصُّله عن ذكر خطب أمير المؤمنين الشائعة، إذ اكتفى وهو ينقل خطب الحجّاج كاملةً بإيراده سطرين من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الزهد.

وكذا يعرض من النصوص التاريخية ما يحطّ من قدر أهل البيت (عليهم السلام)، كتعليقه على كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم يطلب منه أن يخطب له أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، فيصف الحسين (عليه السلام) بالغدر لما خطبها لابن عمها القاسم، ورفض خطبة مروان بن الحكم.

ومن ذلك ما رواه عن تحزّب أهل البيت (عليهم السلام) إلى أسامة بن زيد دون أبيه. واستئناسه باختيار أبيات شعرية في تفضيل بني العباس على الحسن بن علي (عليهما السلام). وفي جملةٍ من اختياراته كلامٌ مكذوب على أهل البيت وآخر يمسّ الحياء، ولا يصلح للعرض أمام الطلاب، كالمثل العربي: أسرع من نكاح أم خارجة. والكتاب مليء باختياراتٍ تخالف النهج الإسلامي والثقافة التربوية العظمية للشريعة الإسلامية، فبينما هو يهتم بإيراد الشعر العربي وأقوال العرب في ذم القِصَر ومدح الطول لا يذكّر بالنهي الإلهي عن السخرية من الآخرين كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} ﴿الحجرات: ١١﴾. وفي اختيارات المبرّد إيغالٌ في موضوعات تُدخل الطالب في أمورٍ لا طائل منها، ولا تعود بنفع أو فائدة

عليه، كسرده أخبار المغنّين والقيان وأشعارهم، والتشبيب بالنساء شعراً، والنقائض الشعرية وما فيها من فُحش القول.

إنّ النهج الذي اختطّه المبرد في (الكامل في اللغة والأدب) هو عينه الذي تسير عليه كتب الأدب القديمة كالبيان والتبيين للجاحظ وزهر الآداب للحصري وأدب الكاتب لابن قتيبة والأمالي لأبي علي القالي، وهي أصول الأدب كما يذكر ابن خلدون، لكن هذه الكتب تحشد النصوص الأدبية والروايات التاريخية دون غربلة وتمييز بين الجيد والرديء، فمنها ما هو مناسبٌ للطالب ومنها ما هو غير مناسب فيثير إشكالًا أخلاقيًا أو عقديًا، حتى إن كتاب زهر الآداب ـ مع ادّعاء مؤلفه الابتعاد عن المجون ـ لم يخلُ منه.

وقد عُني الكُتّاب بدءاً من القرن الرابع عنايةً كبيرةً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى في خواطرهم، ولم يكن الوصف عندهم ممّا يأتي عفواً في المناسبات الطارئة كما كان الحال في أوائل العصر الإسلامي بل تعمّدوا استقصاء الموضوعات الوصفية، فأطالوا الحديث عن الأزهار والرياض والنبات والنسيم والرياح والليل والنجوم والجداول والغدران ومنازل اللهو ومجالس الشراب والنساء والغلمان والقيان وآلات الطرب ومحاسن الشباب والأفاعي والثعابين ونحو ذلك.

وأطنبوا في وصف المعاني الوجدانية كما أطنبوا في وصف المرئيات، فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعاتها فوصفوا الحقد والبغض والكرم والبخل، وعرضوا لما يقع لأهل المِهن وللرؤساء من الهنات والعورات وهذا المذهب حملهم على التكلف والإسراف.

والصنعة التي عُرف بها كُتّاب القرن الرابع لها وجهان: وجهٌ جميل يدلّ على حذقهم وبراعتهم، ووجه آخر يدلّ على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح، إذ كان الإغراق في الصنعة بابًا من الغموض، وهو غموض لا يرقى بالكُتّاب إلى مستوى عرضه على الطلبة ليكون محلًا للدراسة، ولا يوصِل ثقافةً نافعة إلى الطالب. ولذا يقع على أستاذ المادّة انتقاء الصالح منها للتدريس ونبذ

الكثير غيره، لكنّ المختار الذي يصلح للتدريس هو من المكرَّر على أسماع الطلبة، فالروايات التاريخية ذات العبرة أو الطُّرف المفيدة والأمثال الأصيلة النافعة هي مما تعرَّفه الطالب في دراسته المتوسطة والإعدادية في مادتي المطالعة والأدب والنصوص أو سيق ضمن مفردات الأدب العربي المقرَّرة للدراسة في أقسام اللغة العربية شعرًا أو نثرًا.

ولّما كانت الغاية من مادّة الكتاب القديم هي إيقاف دارس العربيّة على كتابٍ تراثيٍ يتابع نصوصه متابعة لغويّة متكاملة، وتمتزج فيه علوم العربيّة كلّها أدبًا ولغة وبلاغة، ويشدّ انتباه الطالب إلى قضايا النصّ الصوتيّة والصرفيّة واللغويّة والنحويّة والمعجميّة والعروضيّة وينبّه على إتقان القراءة ومراعاة أصوات العربيّة وصفاتها عند النطق ومراعاة تجاور الأصوات في اللفظة فضلًا عن تطورات المعنى فيها، تظهر الحاجة كبيرةً إلى نصٍّ محكمٍ عالي البلاغة، ألفاظه فصيحة لا ركاكة فيها ويكون محتواه تثقيفيًا للطالب يغذّي فيه أدب القرآن وتعاليم الدين، ويرسخ القيم الاجتماعيّة الإنسانيّة في ذهنه، فلا بدّ للطالب الجامعيّ في عصرنا الحاضر من دراسة كتاب قديم يوصل إليه المعلومة اللغويّة متكاملةً وذات فائدة خُلُقيّة وأدبيّة. وليس في تراثنا ما يسدّ هذه الثلمة أفضل من كتاب نهج البلاغة للإمام عليّ (عليه السلام) الذي جمع فيه الشريف الرضيّ خطب ورسائل وحكم الإمام (عليه السلام).

وقد اتجهت وزارة التعليم العالي إلى تطبيق نظام الفصلين الدراسيّين المنفصلين (الكورسين) في الأقسام الإنسانية؛ ولذا رأينا أن يكون الكتاب من جزأين، خصّصنا الأول منها لتحليل الخطبة الأولى من النهج المبارك، على حين خصصنا الجزء الثاني بتحليل عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر. وفي كلا الجزأين حللنا كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) على وفق المستويات اللغوية كلّها، بدءًا بأصغر وحدةٍ في التحليل اللغويّ وانتهاء بأكبرها، بأسلوبٍ يغلب عليه السؤال والجواب؛ لإثارة أذهان الطلبة في توظيف علوم العربيّة للإجابة عمّا يوصل إلى فهم المراد من الكلام بدقّةٍ إن شاء الله تعالى. وربما

تركنا الإجابة عن طائفةٍ من الأسئلة ليجتهد الطلبة في الإجابة عنها سواء في المحاضرة نفسها أو في المحاضرة اللاحقة. ويسبق ذلك مختصر للمعنى العامّ لكل مقطعٍ. أمّا المستويات اللغويّة الخمسة فهي:

١- المستوى الصوتي، وفيه تُنشَّط ذاكرة الطلبة أوّلًا حول قواعد تجاور الأصوات وما يحدث بسببها من ظواهر صوتيّة سبق درسُها في موادّ التطبيقات اللغوية والصرف وعلم اللغة، من إدغامٍ وإقلابٍ وإظهار أو تفخيم وترقيق لبعض الأصوات، أو نطق للّام القمرية دون الشمسيّة، مع لفت انتباه الطلاب إلى مراعاة علامات الترقيم، وطريقة قراءة النصّ اللغويّ من حيث التنغيم؛ أي رفع الصوت وخفضه حسب المراد من استفهامٍ أو تعجّبٍ أو تقريرٍ أو تحسّر، أو الوقف والابتداء، والزمن الذي يستغرقه قارئ النصّ عند نهاية العبارة أو الوقفة الطويلة، أو القصيرة في ما عداها. ويعدّ حسن القراءة وصحّتها ومراعاة علامات الترقيم من أوّليات هذه المادّة التي لا مناص عن سؤالهم عنها في الاختبارات المخصّصة لها.

٢- المستوى الصرفيّ، وفيه يدرَّب الطلبة على تلمُّس دلالة الصيغ الصرفيّة المبرّزة وأثر تلك الدلالة في المعنى العامّ للعبارة أو المقطع.

٣- المستوى النحويّ، وفيه تُعرَض القضايا النحويّة ذات الوجوه الإعرابيّة المتعدّدة، مع حثّ الطالب على توجيه تلك الاحتمالات توجيهًا يلائم مراد الإمام (عليه السلام) على وفق الاستعمالات اللغويّة الواردة في الموضوع ذاته. فضلًا عن التنبيه على دلالات بعض الأدوات النحوية، والمواقع الإعرابيّة للجمل والمفردات المبرّزة في النصّ.

٤- المستوى المعجميّ، ويُدرَّس فيه الطالب الدلالة الدقيقة للألفاظ اعتمادًا على المعجمات اللغويّة، مع التركيز على الظواهر اللغوية كالترادف والمشترك اللفظي والتضادّ، فضلًا عن التطور الدلالي للفظة من حيث: تخصيص الدلالة أو تعميمها أو هبوط المعنى أو رقيّه.

٥- المستوى البلاغيّ ويعرض لفنون علم البلاغة الثلاثة، وهي: علم البيان، وعلم المعاني وعلم البديع، ولكلّ قسم مجاله الخاصّ؛ لذا ينبّه الطالب على أبرز الجوانب البلاغيّة في كلام الإمام عليه السلام، مع التركيز على المواءمة بين نهج البلاغة والتعبير القرآني والاستئناس بأقوال الأئمة المعصومين في الموضوع نفسه.

ونقترح أن تكون مادّة الكتاب القديم من المواد التي يُمتحن فيها الطالب تحريريًّا أسوة بسائر المواد حتى لا يُتعامل معها تعاملًا رخوًا غير جادٍّ؛ لأن هذه المادّة من المواد المهمة التي تنماز من غيرها بأنّها جامعةٌ لفنون اللغة كلها فتجعل من النصوص مسرحًا تطبيقيًّا لما يدرسه الطالب.

والجانب الشفهي فيها والمتمثل بسلامة نطق الطالب محرَزٌ من السعي السنوي للطالب، أي الدرجة اليومية له إلى جانب الامتحان التحريري الذي سيركز على تحريك المقطع المنتخب لاستلال الأسئلة منه.

والمأمول من تأليفنا هذا الكتاب أنْ يتدرب الطالب على قراءة قبس من نهج البلاغة وتحليله لغويًا وصولًا إلى حفظه كي يتسلح بخزينٍ لغوي رصين يستقي منه الحكمة والتأثير في المتلقّين فضلًا عن التطبيق العملي الصحيح لقواعد العربية التي تلقاها تنظيرًا وشرحًا من أساتيذه في النحو والصرف والبلاغة وعلم اللغة؛ لأن الذي يرسخ المادّة العلمية في ذهن الطالب هو تطبيقها عمليًّا بعد تلقيها نظريًّا.

واعتمدنا في نقل المادّة اللغوية على عدة كتب أبرزها الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ومعجمات اللغة كالصحاح ومقاييس اللغة والمفردات، فضلًا عن شروح نهج البلاغة كشرح ابن أبي الحديد وشرح ابن ميثم البحراني وشرح الميرزا الخوئي المسمّى (منهاج البراعة) وشرح محمد جواد مغنية (في ظلال نهج البلاغة) وغيرها من الشروح فضلًا عن التفاسير الروائية المتقدّمة وكتب الحديث المبرّزة.

والأمل معقود على الزملاء الأفاضل الذين سينهضون بتدريس مادّة الكتاب القديم في أقسام اللغة العربية لموافاتنا بملحوظاتهم السديدة وتصويباتهم القيمة ومقترحاتهم النافعة كي نرأب بها ما انصدع من تحليلنا هذا فيأخذ طريقه في الاستدراك والتنقيح في الطبعات القادمة مع تسجيل اسم الأستاذ المتفضِّل علينا بملحوظاته في قائمة الشكر والتقدير التي آثرنا حجبها عن الطبعة الأولى للكتاب. والله ولي التوفيق.

التَّمهيدُ
نَهْجُ البلاغةِ بينَ أنصارهِ ومُعارضيهِ

١- نَهْجُ البلاغةِ، ما هو؟

نهج البلاغة اسمٌ وضعه الشريف الرضيّ لكتابٍ جَمَعَ بأسلوب فريد روايات منتقاةً من خُطب الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ورسائله وحكمه، بلغ المختار المجموع منها مئتين واثنتين وأربعين خطبة أو كلامًا وثمانية وسبعين كتابًا أو رسالة، وأربع مئة وثمانٍ وتسعين حكمة. ثم أضحى النهج لدى الناس علمًا مبلّغًا عن الإمام وفكره، فكلامه بين أيديهم يحكي عبقريّة رجل لم يعرفْهُ إلا الله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وآله)[١]. اذ تعجز العقول وإنْ قويتْ فطنتها عن سبر غور علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي جمع من الفضائل والمناقب ما تمنّى الصحابة (رضي الله عنهم) أنْ يظفروا بإحداها ليكون ذلك خيرًا لهم ممّا طلعت عليه الشمس أو خيرًا لهم من حمُر النعم[٢]، ورحم الله المتنبي إذ قال[٣]:

وَتَركْتُ مَدْحِي للْوَصِيِّ تَعَمُّدًا   إِذْ كَانَ نُورًا مُسْتَطِيْلا شَامِلا
وإذا اسْتَطالَ الشَّيْءُ قام بِنَفْسِه   وَصِفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ بَاطِلا

فماذا يقول الباحث " في رجلٍ سبقَ الناس إلى الهُدى وآمن بالله وعبده وكلٌّ مَنْ على الأرض يعبدُ الحجرَ ويجحد الخالق؟ لم يسبقْه أحدٌ إلى التوحيد إلا السابق إلى كلِّ خيرٍ: محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) "[٤] وماذا يقول " في رجلٍ أقرّ له أعداؤه وخصومُه بالفضل، ولم يُمْكِنْهم جحدُ مناقبه ولا كتمان فضله؟ فقد اجتهد بنو أميّة في إطفاء نوره ولعنوه على جميع المنابر،

---

(١) ينظر: كنز العمال ١٥٦/٦.

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٧٤٢-٧٤٤ وصحيح مسلم ١٠١٩-١٠٢٢.

(٣) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ٥٤٦/٢.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣٠/١.

وحبسوا مادحيه وقتلوهم ومنعوا من رواية كلّ حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكرًا حتّى حظروا أنْ يسمّى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعة وسموًّا. وكان كالمسك كلّما سُتِر انتشرَ عَرَفُه، وتضوّعَ نشرُه. وكالشّمس لا تُستر بالرّاح. وكضوء النهار إنْ حُجب عن عينٍ واحدةٍ أدركته عيونٌ كثيرة. وماذا يقول في رجلٍ تُعْزى إليه كلُّ فضيلةٍ وتنتهي إليه كلُّ فرقةٍ وتتجاذبُهُ كلُّ طائفةٍ؟ "[١].

ولا يملك الباحث في سيرة عليّ (عليه السلام) إلا أنْ يقول: " سبحان الله مَن منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة؟ أنْ يكون غلامٌ من أبناء عرب مكة، ينشأ بين أهله، لم يخالط الحكماء، وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من إفلاطون وأرسطو. ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية، لأنَّ قُريشًا لم يكن أحد منهم مشهورًا بمثل ذلك، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط. ولم يربِّ بين الشجعان؛ لأن أهل مكة كانوا ذَوي تجارة، ولم يكونوا ذوي حرب، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض... وخرج أفصح من سحبان وقُسّ، ولم تكن قريش بأفصح العرب، قالوا: أفصح العرب جُرهم وإن لم تكن لهم نباهة. وخرج أزهد الناس في الدنيا، وأعفّهم، مع أن قريشًا ذوو حرص ومحبة للدنيا، ولا غرو فيمن كان محمد صلى الله عليه وآله مربّيه ومخرِّجه، والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان "[٢].

وإزاء تراكم غبار الظلم صرف مبغضو عليّ (عليه السلام) ما نزل بحقّه من قرآن، وحرّفوا ما قيل في فضله من حديث، وراموا هَدْم ما شيّده هو لنفسه من مجد تليد بجهاده وعلمه وعبادته. ثمّ شاء الله - وحمدًا على مشيئته - أن يصل إلينا نهج البلاغة وفيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد. وفيه أقام ابن أبي طالب براهين التوحيد ودلائل الصنعة وأسرار الخليقة وتنزيه الله

(١) نفسه ١/١٧.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦/ ١٤٥.

سبحانه وتعالى عن شبهة الخلق. وفيه تهذيب النفس وسياسة المدن وحكمة التشريع والعظات البليغة والحجج الدامغة وإنارة العقول وطهارة النفوس وينابيع الحكمة. وفيه وصْف الخلق عمومًا وتمثيل الجنة والنار عيانًا. وفيه قوانين الحرب وسَوق الجيوش وتعبئة العساكر. وفيه وصْف الطاووس والخفاش والذرّة والنملة وصفًا يستوعب ما في هذه الكائنات من عجائب التكوين وبدائع القدرة. وفيه حقوق الإخوان والرعية والوالدين والأبناء والناس أجمعين. ثم فيه خبر ما سيأتي نقلًا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). وفي كل ذلك ارتفع أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفصاحة العربية عن أن تنصبّ في التوافه، فتكون مسوقةً لبيان صفة فرس أو بعير أو حمار وحشيّ أو امرأة أو بِرْكة ماء أو قصرٍ أو معركة، وسما بها لتتلخص في نوازع البشر المخلوق من الطين. إذ لم يعهد العرب فصيحًا يسوق الكلام في توحيد الله تعالى، ولم يألفوا فصيحًا يصف خلق الكون من أرضٍ وسماوات وماء وجبال وصخور وسحاب وهواء وإنْس وجنّ وملائكة. فحقٌّ لأهل البلاغة أن يدهشوا ويعجبوا برجُل هو أعرف بطُرُق السماوات منه بطرق الأرض[1]. لكن العجب سيزول حين يعي المرء أنّ هذا المتكلّم هو مِن رسول الله بمنزلة هارون من موسى، وأنه الأُذُن الواعية التي صبّ فيها رسول الله بأمر ربّه العلم صبًّا[2] فحقّ لها أنْ تعيَ وتحفظَ ثم تبلّغ على رغم أنف الناكثين والمارقين والقاسطين والنواصب.

لقد وصل إلينا كتاب نهج البلاغة وفيه من خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما هو قبس من نور الكلام الإلهي وشمسٌ تضيء بفصاحة المنطق النبوي، والنظر فيه يورث الشجاعة والشهامة والمروءة وعظمة

(١) قال الإمام (عليه السلام): (أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض). ينظر: نهج البلاغة: الخطبة ٢٣١، ص: ٢٣٨.

(٢) ينظر: صحيح مسلم ١٠١٩ ومجمع البيان ١٠/٢٩ /١٠٧.

النفس؛ لأنه من روح قهّار واجه المصاعب بعزائم الأُسود[1]. وهو كتابٌ ضمّ بين دفّتيه عيون البلاغة وفنونها وتهيأت به - للناظر فيه - أسباب الفصاحة ودنا منه قطافها؛ إذ كان من كلامِ أفصح الخلق بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) منطقًا وأشدهم اقتدارًا وأبرعهم حجة وأملكهم للّغة يديرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه، والخطيب الذي يملأ القلب سحر بيانه، والعالم الذي تهيأ له من خلال الرسول (صلى الله عليه وآله) وكتابة الوحي والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته ما لم يتهيأ لأحد سواه[2].

ومن حق المرء أن " يطيلَ التعجُّب من رجل يخطب في الحرب بكلامٍ يدلّ على أنّ طبعَه مناسب لطباع الأُسود والنمور وأمثالها من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه- إذا أراد الموعظة- بكلامٍ يدل على أن طبعه مُشاكلٌ لطباع الرهبان لابسي المسوح الذين لم يأكلوا لحمًا ولم يريقوا دمًا..."[3]. ومهما أطال ذوو الصنعة النظر في نهج البلاغة والتأمل في ألفاظه وتراكيبه لن يجدوا في أنفسهم نفورًا ولا صدودًا بل إن هواجسهم تجرهم إليه بعد حين جرًا فيقبلوا عليه مجددًا كأنْ لم يقرؤوه بالأمس، وفي كل يوم لهم فيه جديد فيظفرون منه بالمزيد، وهذا حال أحد ذوي الصنعة مع النهج إذ قرأ خطبة للإمام يصف فيها الأموات والبرزخ أكثر من ألف مرة وفي كل مرة تترك أثرًا جديدًا في نفسه عجزت كل طرق البلاغة عن محاكاة بعضه فقال: " اقسم بمن تقسم الأمم كلها به. لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة، ما قرأتها قط إلا وأحدثتْ عندي روعة وخوفًا وعظة وأثّرت في قلبي وجيبًا، وفي أعضائي رعدة، ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودّي، وخيلت في نفسي أني أنا ذلك الشخص الذي

(١) ينظر: شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥٣/١١ وتمام نهج البلاغة ٨٩/١.

(٢) ينظر: مقدمة شرح النهج لمحمد عبده ٢-٣

(٣) ينظر: يتيمة الدهر: ١٣٦/٣ والرجال ٣٩٨ وتاريخ بغداد ٦٤٦/٢ وعمدة الطالب ٢٠٧ شذرات الذهب١٨٢/٣ وروضات الجنات ٥٤٦.

وصف عليه السلام حاله. وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى وكم وقفت على ما قالوه وتكرّر وقوفي عليه فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي"[١].

لقد اقترن نهج البلاغة باسم الإمام علي (عليه السلام) اقترانًا يُذكِّر الملأ باسم جامعه الشريف الرضيّ المولود في بغداد سنة ٣٥٩ هـ والمتوفى فيها سنة ٤٠٦ هـ (رحمه الله)، وهو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وينتهي نسبه إلى الإمام عليّ (عليه السلام)، ومن الحفيد إلى جده اثنا عشر علماً[٢].

وقد عكف الرضيّ على جمْع النهج منذ عام ٣٨٢ هـ حتى سنة ٤٠٠ هـ، فكان زمن جمع النهج سبعة عشر عاماً[٣]. ثم غلبت شهرة الشريف الرضيّ - الذي لم يجاوز عمره العقد الخامس- الآفاق بعد جمعه النهج، إذ فشا عمله هذا بين الناس معرِّفًا به ومشيرًا إليه ومغطيًا على جهده الآخر في الأدب واللغة والحديث والذي زخر بمسائل العقيدة والفقه والأصول[٤]؛ ولذا فاقت شهرة الرضيّ شهرة أخيه الأكبر الشريف المرتضى المولود سنة ٣٥٥ هـ، والمتوفى سنة ٤٣٦ هـ عن عمر نافَ على الثمانين. ولكن الرضيّ جمع النهج فسما بسموِّه، ولو أتى بالنهج وحده لكان الظفر له في ساحة المقايسة بالكتب.

لقد عاش الرضيّ عصاميًا عظيمًا في نفسه حاملًا رسالته الدينية والأدبية بأحسن وجه فأمضى العمر زاهدًا عالمًا مؤلفا في القرآن الكريم والسُّنة النبويّة والبلاغة العلوية في سلسلة منتظمة مترابطة من البحوث النافعة التي أنارت

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد١١/١٥٣.

(٢) نفسه ١١/١٥٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة (خاتمة الرضيّ) ٦٩٧ ودراسة حول النهج ١٤.

(٤) ينظر: الرجال ٢٧٠-٢٧١ والمنتظم ٧/٢٧٦.

الطريق للأجيال، فكان الفارس الوثّاب الذي جرى خفيفًا إلى العلا بخطىً راسخة، فحقّ له القول إذ يصف نفسه[1]:

حذَفتُ فُضُولَ العَيشِ حتّى رَددتُها إلى دُونِ ما يَرْضَى بِهِ المُتَعَفِّفُ
وَأمّلْتُ أنْ أجرِي خَفيفاً إلى العُلَى إذا شِئتُمُ أنْ تَلحَقُوا فتَخَفّفُوا
حلفت برب البدن تدمى نحورها وبالنفر الأطوار لبّوا وعرّفوا
لأبتذلنَّ النفس حتى أصونها وغيريَ في قيدٍ من الذل يرشُف
فقد طالما ضيّعت في العيش فرصة وهل ينفع الملهوف ما يتلهّف
وإن قوافي الشعر ما لم أكنْ لها مُسَفسَفَةٌ، فيها عَتيقٌ وَمُقرِفُ
أنَا الفَارِسُ الوَثّابُ في صَهَوَاتِهَا وكل مجيد جاء بعديَ مردفُ

وقد تولى الرضيّ عدة مناصب معظمها دينيّة وترك في المكتبة العربية كتبا قيمة اذ كان " نقيب النقباء وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة كانت له هيبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة للأهل والعشيرة. ولِي نقابة الطالبيين مراراً، وكانت إليه إمارة الحاج والمظالم، كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثم تولى ذلك بعد وفاته مستقلًّا وحج بالناس مرات، وهو أول طالبيٍّ جعل عليه السواد، وكان أحد علماء عصره، قرأ على أجلّاء الأفاضل وله من التصانيف: كتاب المتشابه في القرآن وكتاب مجازات الآثار النبوية وكتاب نهج البلاغة وكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن وكتاب الخصائص" [2] وغيرها.

وفي يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وأربعمئة توفي الشريف الرضيّ، ورثاه جمع غفير من الشعراء أبرزهم تلميذه مهيار الديلمي (ت٤٢٨هـ) من قصيدة طويلة يقول فيها[3]:

أبْكيكَ للدُّنيا التي طلَّقتَها وقد اصطفتك شبابَها وعرامَها

---

(١) ديوان الشريف الرضيّ ٢/٢١.

(٢) عمدة الطالب ٢٠٧.

(٣) ديوانه ٣/٣٦٦-٣٧٠.

ورميتَ غادتَها بفضلةِ معرضٍ زهدًا وقدْ ألقتْ إليكَ زمامَها

لقد وثق الرضيّ في تقديمه للنهج مسيرته المباركة في جمع هذا السفر الجليل، فقال: " إني كنت في عنفوان السِّنّ وغضاضة الغصن. ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم... فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب؛ دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعةٌ من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجّبين من نواصعه. وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالمًا بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر"[1].

ونهج البلاغة فيض من خطب أمير المؤمنين ورسائله ووصاياه وحكمه مما قدر للرضي أنْ يجمعه وقد صرح الرضيّ بأنّ ما جمعه بعض من كلام الإمام (عليه السلام)، فقال: " ولا أدعي - مع ذلك – أني أحيط بأقطار جميع كلامه (عليه السلام) حتى لا يشذّ عني شاذّ ولا يندّ نادٌّ بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي، وما عليّ إلا بذل الجهد وبلاغ الوسع.. "[2] ثم سمّى الرضيّ ما جمعه بنهج البلاغة وبين وجه التسمية بأنّ نهج البلاغة " يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرب عليه طلابها"[3]. وقد قسم الرضيّ كتابه على ثلاثة أبواب بعد أنْ رأى " كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب والأوامر. وثانيها الكتب

(1) نهج البلاغة (مقدمة الرضيّ) ١١.

(٢) نفسه ١٤.

(٣) نفسه ١٤.

والرسائل. وثالثها الحكم والمواعظ "[1] والفرق بين الخطب والأوامر هو أنّ الخطبة كلامٌ منتظم يتضمن محاسن البلاغة ويراعي حفظ الأوزان والفواصل. وأما الأوامر فهي الأحكام والتكاليف المتعلقة بأفعال المكلفين لما فيه صلاحهم في الدين والدنيا. والفرق بين الكتب والرسائل هو أنّ المراد بالكتب الكلام المكتوب الصادر منه (عليه السلام) إلى الناس من ولاةٍ وخصوم وأصحاب وأبناء. والرسائل كتب صغيرة في مقام بعث السفراء والرسل أو ما كان جوابًا لهم. وأما الفرق بين الحِكَم والمواعظ فهو أنّ الحِكَم كلمات قصار ترفع الإنسان عن فعل القبيح، والمواعظ هي وصايا بالتقوى والحث على الطاعات[2].

وأبواب النهج الثلاثة التي أقرّها الرضيّ هي: الأول: وهو المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة[3].

الثاني: وهو المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عمّاله ووصاياه لأهله وأصحابه[4].

الثالث: وهو المختار من حِكَم أمير المؤمنين (عليه السلام) ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه[5].

ووضّح الرضيّ منهجه في الجمع فقال: ابتدأت " باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحِكَم والأدب مفرِدًا لكلّ صنفٍ بابًا ومفصّلًا فيه

---

(١) نفسه ١٢.

(٢) ينظر: منهاج البراعة للخوئي ٢٨١/١.

(٣) نهج البلاغة ١٥.

(٤) نفسه ٤٥٧.

(٥) نفسه ٥٩٧.

أوراقًا لتكون مقدمةً لاستدراك ما عساه يشذّ عني عاجلًا ويقع إليّ آجلًا. وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض - في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررتُ القاعدة عليها - نسَبتُه إلى أليَق الأبواب به وأشدها ملاءمة لغرضه. وربما جاء في ما أختارُه من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة، لأني أوردت النكت واللمَع، ولا أقصد التتالي والنسق "[1] ونوّه على ما في النهج من كلام مكرّر فقال: " ربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردَّد والمعنى المكرر. والعذر في ذلك أنّ روايات كلامه تختلف اختلافًا شديدًا. فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وُجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعًا غير موضعه الأول إما بزيادة مختارة أو لفظ أحسن عبارةً، فتقتضي الحال أنْ يعاد استظهارًا للاختيار، وغيرةً على عقائل الكلام، وربما بعُد العهد بما اختير أولًا فأعيد بعضه سهوًا أو نسيانًا، لا قصدًا واعتمادًا "[2].

٢- معارضو النهج وشبُهاتهم.

بعد أنْ حظي نهج البلاغة بإقبال العلماء في القرنين الخامس والسادس الهجريين ظهرت بواكير التشكيك في القرن السابع، ثم توالت الشكوك مع مر الزمن لعدة بواعث: بعضها مذهبي وأكثرها سياسي؛ ولذا شقّ نهج البلاغة طريقه بدءًا من منتصف القرن السابع بين فريقين: الأول له، والآخر عليه. وإنما انطلق أكثر المشكّكين من باعث سياسي في التشكيك بمضمون النهج؛ لأنّه يحدد مفهوم السلطة تحديدًا دقيقًا، ويشيع الحقوق العامة، ويحثّ على الحريّة والعدالة الاجتماعيّة، وهذه المفاهيم لم يرتضِها الحُكّام بعد عصر الراشدين (رض) إلى الآن، فشجّعوا ثقافة الطعن بعليّ (عليه السلام) أولًا حتّى سُبّ

(١) نهج البلاغة (مقدمة الرضيّ)١٢.

(٢) نفسه ١٤.

على المنابر ثمانين حولًا. ولّما جمع النهج بعد حقبةٍ من الزمن بادر الحُكّام وقضاتهم إلى إبطال نسبة الكِتاب إلى علي (عليه السلام) بغية إبعاد الناس عن مفاهيمه التي تزلزل حكم الجبابرة والطواغيت(١).

ويمكن تقسيم المشكِّكين على قسمين: قدماء ومحدثين. وأول القدماء هو قاضي قضاة دمشق في زمانه ابن خلكان (ت ٦٨٦هـ) الذي عرض شكه في النهج لما وقف على ترجمة الشريف المرتضى، فقال: " اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب (رض) هل هو جمعه أم هو جمْع أخيه الرضيّ؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام عليّ، ونما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه والله أعلم "(٢).

ثم شايع ابنَ خلكان فريقٌ من القدماء منهم الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) الذي رأى أنّ النهج مكذوب على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لما فيه من السبِّ الصُّراح والحطِّ على الصحابة والتناقض والركاكة(٣). وكرّر ابن أيْبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ما قاله ابن خلِّكان والذهبي لا سيما شبهة الرضيّ والمرتضى(٤). والأمر نفسه يلحظ لدى اليافعي (ت٧٦٨ هـ)، وابن كثير (ت٧٧٤هـ)، والعسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، وابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)(٥).

وأما المحدَثون فأبرز المشكِّكين في النهج منهم: أحمد أمين (ت ١٩٥٤م)، وملخص شكوكه في النهج أن فيه سجعًا منمقًا، وصناعة لفظية لا تعرف في ذلك العصر، وفيه تعبيرات فلسفية لم يألفها العرب إلا بعد أنْ نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، وبعد تدوين العلوم، وفيه أوصاف دقيقة منمَّقة بأسلوب

(١) ينظر: صوت الإمام في نهج البلاغة١/٦٨.
(٢) وفيات الأعيان ٣/٣١٣.
(٣) ينظر: ميزان الاعتدال٣/١٢٤ وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٨٩.
(٤) ينظر: الوافي بالوفيات٧/٢١.
(٥) ينظر: مرآة الجنان ٣/٥٥ والبداية والنهاية ١٢/٣٥ وميزان الاعتدال ١/١٠١ ولسان الميزان ٤/٢٢٣ وشذرات الذهب ٣/٢٥٧.

لم يُعرف إلا في العصر العباسي كوصف الخفاش والطاووس[1]. ومنهم شوقي ضيف (ت٢٠٠٥م)، وشكوكه تتلخص بأنّ الكتاب للرضيّ أو لأخيه؟ وفي وجود السجع في متن النهج، وعنده ليس من الطبيعي أن يسجع عليٌّ في خطابته بينما ينهى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) عنه[2]. وشكك محمد كُرْد علي في الخطب الطوال من النهج؛ لأن التطويل في الخطب لم يكن معهودًا آنئذ، ورأى أنّ النهج زِيدتْ فيه زيادات كثيرة قبل عهد الرضيّ وبعده، وأكثره من كلام فصحاء الشيعة وغيرهم بدليل الاختلاف الكبير في نسخه[3]. وجمع أحمد زكي صفوة[4] شكوكًا كثيرة طوّل في سردها كما طوّل في مناقشتها، فرد بعضها وآمن بأكثرها وأهمها، مثل خلوِّ المصادر الأدبية والتاريخية قبل الشريف الرضيّ من كثير مما ورد في نهج البلاغة، وورود الأفكار السامية والأحكام الدقيقة والعلوم المختلفة في نهج البلاغة مع أنها أمورٌ عُرفت في عصور متأخرة. وإطالة الكلام وإشباع القول في طائفة من الخطب كما في عهد الإمام (عليه السلام) إلى الأشتر النخعي الذي جاء مسهبًا مطنبًا مشتملًا على كثير من الحيطة والحذر والتوكيدات والمواثق والنظرات السياسية والقواعد العمرانية التي لم تكن معروفة في عصر الإمام (عليه السلام)، والتعريض ببعض الصحابة وذمهم كما في خطبته المُسمّاة بالشقشقية. وطغيان النزعة الصوفيّة الفلسفية في كثير من خطب النهج مما لم يعرف بين المسلمين إلا في القرن الرابع الهجري، ودقة الوصف وغلبة السجع وتنميق الكلام مما لم يعهد في صدر الإسلام.

ووقف محمد طاهر درويش موقف المشكِّك في قسمٍ من خطب النهج لاسيما تلك التي وردت خالية من بعض الحروف، وغلبت عليها الصبغة

(١) ينظر: فجر الإسلام ١٤٨-١٥١.

(٢) ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ٦٠-٩٣.

(٣) ينظر: أمراء البيان٢٢.

(٤) ينظر: ترجمة عليّ بن أبي طالب ١٢٠-٢٠٨.

الفلسفية والصناعة اللفظية وتلك التي تصف الطاووس والخفاش والزرع والسحاب وصفًا دقيقًا لم يكن معروفًا آنئذ، وتلك التي تصف الملاحم والفتن وتخبر بالغيب من نبوآته بالحَجّاج، وفتنة الزنج، وغارات التّتر، وتلك التي تتناول الخلفاء قبله بما لا يليق بهم[1].

ولخص محمّد محيي الدين عبد الحميد شكوكه في النهج بعدة نقاط منها: التعريض بالصحابة، وادّعاء صاحب النهج علم الغيب، ودقة الوصف، واستفراغ صفات الموصوف، وإحكام الفكرة، وبلوغ النهاية في التدقيق كما في وصف الخُفاش والنحلة والجراد والطاووس، وهذا الوصف لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباءه، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس[2].

وشكّك محمد سيد كيلاني في معظم ما جاء في النهج إن لم يكن كله، وبعض شكوكه جديدة لم يُسبق إليها، وبعضها الآخر تكرار لسابقِيه، فأمّا جديده فهو أنّ متن النهج طويلٌ وواسع يتعذر نقله مشافهة وحفظاً عن علي (رض)؛ إذْ ليس من شكّ في أنّ حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعذَّرة، وفي النهج خطبٌ طويلة جدًا ليس من السهل وعيها وتذكُّر ألفاظها بعد أجيال. وأما الشكوك المردَّدة عن السابقين فأهمها: إنباء خطب النهج بالغيب، واشتمالها على علوم فلسفية وروحانية لم تعرف في المجتمع الإسلامي كدقائق علم التوحيد وأبحاث الرؤية، ودقته في وصف أصناف الطيور والحشرات، والدعوة إلى الرهبنة، والاختلاف الكبير في أساليب الخطب، والطعن على الخلفاء والقضاة والوزراء، والتطويل بالحمدلة في صدر الخطب، وذكر الوصي والوصاية، وهي خرافة لم تظهر إلا بعد قتل عليّ[3].

---

(١) ينظر: الخطابة في صدر الإسلام ١/٣٣٠-٣٣٣.

(٢) ينظر: شرح النهج لمحمد عبده بتحقيق محمد محيي الدين، مقدمة المحقق ٧-٩.

(٣) ينظر: أثر التشيع في الأدب العربي ٥١-٦٧.

٣- أنصار النهج ورد الشبهات

الثابت لدى المعنيّين بالنهج أنّ معظم ما جاء فيه موجودٌ في كتب المتقدمين وإنْ لم يشر الشريف الرضيّ إلى ذلك " ولو لم يعرُ بغداد ما عراها من الدمار على يد التَّتر، ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التي أحرقها الجهلاء لعثرنا على مرجع كل مقولة مندرجة في نهج البلاغة"(١)؛ ولذا تلقف البلغاء المتقدِّمون خطب النهج غير مرتابين من أن عليًّا (عليه السلام) قالها؛ لقوة متونها من حيث جزالة اللفظ، وقوة السبك، وعجيب النظم، وسحر البيان. وهذه أقوى القرائن لدى البلاغيين في الاطمئنان إلى صحة نسبتها إلى الإمام (عليه السلام). ثمّ لا ريب لديهم في صحة سندها، إذ هو منقول عنه (عليه السلام) بالاستفاضة والشياع المفيد للاطمئنان وتواتر جانب كبير منه.

وقد عني فريق من العلماء بتحقيق متن النهج من جانبين(٢):

الأول: إسناد النهج إلى جامعه الشريف الرضيّ.

الآخر: تواتر النهج من الرضيّ إلى الإمام (عليه السلام) فلحظوا أنّ السند إلى الشريف الرضيّ قوي ومعروف من عدة طرق منها تصريح الشريف الرضيّ بعمله الكبير هذا في كتبه الأخرى وأقوال المشايخ المعاصرين للرضي أو المتأخرين عنه ووجود نسخة النهج التي كتبها الرضيّ بخط يده وكثرة النسخ الأخرى التي نسخت على منوالها(٣). فضلًا عن أمانة الرضيّ وتحرره من التعصب المذهبي، إذ خلص الدكتور زكي مبارك إلى " أنّ الشريف الرضيّ كان قليل الرعاية للعصبية المذهبية، وكان حر العقل إلى حد بعيد، فقد كان

---

(١) دراسة حول نهج البلاغة: ٧ وينظر: استناد نهج البلاغة٢٠.

(٢) ينظر: دراسة حول نهج البلاغة ٨-٩.

(٣) ينظر: شرح النهج للكيدريّ ٥٤/١-٥٦ وما هو نهج البلاغة ١٣ودراسة حول نهج البلاغة ١٢٦.

يدرس جميع المذاهب الإسلامية ليمد عقله بالأنوار التي يرسلها اختلاف الفقهاء "[1].

وأما تواتر النهج من الرضيّ إلى الإمام (عليه السلام) فيعضده كثرة المصادر التي نقلت كثيراً من خطب الإمام علي (عليه السلام) قبل أن يُخلق الرضيّ بكثير؛ فنهج البلاغة " قد طبقت معروفيته الشرق والغرب، ونُشر خبره في أسماع الخافقين، وتنوّر من تعليمات النهج جميع أفراد نوع البشر لصدوره عن معدن الوحي الإلهي "[2] والرضيّ يرتبط بجده الإمام علي (عليه السلام) بسند قوي لا مجال للشك فيه والطعن به هو سند الحفَدة عن الأبناء عن الآباء عن الأجداد، وهو السند نفسه الذي أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: " حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ "[3]. وأكثر من عُني بمصادر نهج البلاغة وأسانيده هو عبد الزهراء الخطيب الذي وثق نسبة النهج إلى الإمام علي (عليه السلام) معتمداً على أربعة أنواع من المصادر:

الأول: مصادر أُلفت قبل سنة ٤٠٠ هـ وهي سنة ظهور النهج إلى الملأ ولا تزال تلك الكتب موجودة إلى اليوم.

الثاني: مصادر أُلفت قبل صدور النهج، ولكنها لم تصل إلينا وكثير منها مبثوث في كتب أخرى وصلت الينا.

الثالث: كتبٌ أُلفت بعد الرضيّ دونت كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بإسناد متصل لم يمرّ على الرضيّ ولا على كتابه.

---

(١) عبقرية الشريف الرضيّ ١٢٥/١ والشريف الرضيّ (محمد عبد الغني) ٣٠.

(٢) الذريعة ١/١٤- ٥.

(٣) أصول الكافي ٤١/١، وينظر: مصادر نهج البلاغة ١١٠/١.

الأخير: كتبٌ صدرت بعد الرضيّ ونقلت كلام الإمام (عليه السلام) بصورة تختلف عما ورد في النهج ولم تشر إليه البتة.

وقد أحصى عبد الزهراء الخطيب من المصادر في القسمين الأول والثاني مئة واربعة عشر مصدراً رتبها ترتيباً الفبائيًّا[١] أما المصادر والروايات التي صرح الرضيّ بذكرها فبلغ مجموعها خمسة عشر مصدراً ورواية[٢].

وقد تبين لعبد الزهراء الخطيب أن الشريف الرضيّ لم يكن هو السابق إلى جمع كلام أمير المؤمنين ولا السابق إلى تدوينه؛ إذ عُني الناس به عناية بالغة قبل الرضيّ، فدونوه في عصر الإمام (عليه السلام)، وحفظوه في أيامه، وكتبوه ساعة إلقائه. ودلّل عبد الزهراء الخطيب على ذلك بذكره اثنين وعشرين مصدراً قبل الرضيّ، كلُّها مختصةٌ بخطب أمير المؤمنين ورسائله وحكمه[٣]. ثم عضد ذلك بأربعة وعشرين مصدراً جمعت كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد الرضيّ[٤]. ومن هنا انبرى مناصرو النهج للشبهات التي أثيرت حوله بالرد والتخطئة فأما شبهة الرضيّ أو المرتضى فقد رُدت بأنَّ كُلًا من الشريف الرضيّ والمرتضى كانا ينتسبان إلى السيد إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، فكان الأَخوَان كلاهما يلقَّبان بلقب جدهما (المرتضى) ثم وقع اللبس بين لقب الابن (الرضيّ) ولقب جده (المرتضى)، ولم يزعم أحد أن الشريف المرتضى جمع النهج أو شارك في جمعه. ورأى هبة الدين الشهرستانيّ أنّ الشريف الرضيّ كان يلقَّب بالمرتضى أحيانًا، كما أن أخاه كان يُلقب بذلك، ثم بقي أخوه على هذا اللقب، ولقب

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/٢٩-٤١.

(٢) ينظر: نفسه ١/٤١-٤٢.

(٣) ينظر: نفسه ١/٥١-٦٦.

(٤) ينظر: نفسه ١/٦٦-٨٦

الأول بالرضيّ يوم رضُوه نقيبًا، وكلٌّ من الرضيّ والمرتضى لَقَبان يُتصرَّف بهما في كثيرٍ من المواقف وليسا اسمين ثابتين لهما[١].

وقد وثق الشريف الرضيّ جمْعه للنهج في أكثر من موضع من كتبه؛ إذ ذكر ذلك في حقائق التأويل والمجازات النبوية[٢] وغير ذلك.

وقد رُدّتْ شبهة عدم إمكان رواية الكلام الطويل بأنّ رواية الخطب الطويلة وحفْظها أمر متيسّر لا متعذّر على أرباب الفصاحة والبيان والذوق الأدبي الرفيع، وليست بأعجب من رواية المعلَّقات السبع والقصائد الأخرى التي عرفت بالطِّوال، فضلًا عن أنّ العناية بالحفظ والكتابة كان أمرًا شائعًا في تلك الحقبة.

وقد عُرف بين الصحابة من كان يحفظ المطوّلات لأوّل مرة من سماعها كابن عباس وغيره، والنَّيل من نهج البلاغة بدعوى أن العرب لم يعرفوا الخطب الطوال ما هو إلا قولٌ باهت لا يقوم على دليل، ويأباه العقل والنقل، فأمّا العقل فيؤكد لنا أنّ الخطيب يتكلم بما يملي عليه الجمهور والموقف، فربما قصَّر وربما طوَّل، وأمّا النقل فأَقَرّ خطبًا كثيرة وُصفت بالطويلة ذكرتْها كتب اللغة بعضها أطول من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)[٣]. وربما شعر الرضيّ بفتور همة الناس - في زمانه - عن حفظ المطولات من الخطب والرسائل، فعمد إلى تقطيع بعض الخطب الطويلة في النهج إلى عدة أجزاء، كخطبة (الوسيلة) التي أوردها العلماء تامة لكن الرضيّ أوردها في أجزاء مستقلة في باب الحكم والمواعظ للتسهيل على الحفّاظ والمتلقّين[٤].

أما اتهام الرضيّ بانتحال النهج والكذب على جده أمير المؤمنين (عليه السلام) فمن الاعتساف أنْ يقال مثل هذا في الرضيّ وهو من هو في الأمانة

---

(١) ينظر: ما هو نهج البلاغة ١٨ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٣٩.

(٢) ينظر: حقائق التأويل ٢٨٧/١، ١٦٧/٥ والمجازات النبوية ٤٠، ٦٧، ١٩٩، ٢٥١.

(٣) ينظر: ما هو نهج البلاغة ٥٢-٥٣ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٤٠-٢٤١.

(٤) ينظر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة ١٣.

والصدق والتقوى والورع. ومن درس سيرة الرضيّ وأدرك حقيقته عرف أنه على جانب كبير من الصلاح والتقوى، وهو بعيد عن الكذب والانتحال والتقوّل. وخلص السيد القبانجي إلى " أنه إذا ثبت أنّ كل ما في نهج البلاغة للإمام علي فهو معجزة أدبية، وإذا أراد النافون أنْ ينفوه عنه وينسبوه إلى جامع الكتاب فتكون معجزةُ الإمام أعظمً؛ اذ يستطيع حُبّه أنْ يملي على مُحبّيه أنْ يأتوا بمثل هذه الدرر الغوالي "[1].

٤- شرّاح نهج البلاغة عبر القرون

أقبل ذوو الصنعة عبر القرون إلى نهج البلاغة بين حافظ وناسخ ومترجم إلى غير العربيّة ومجازٍ من المشايخ لتدريسه وروايته وقد توالت شروحهم له وتعليقاتهم عليه، وأخذت تلك الجهود بالاتساع حقبةً بعد أخرى. إذ استحوذ نهج البلاغة على جانب واسع من الجهد العلمي الإنساني قديمًا وحديثًا فنجد المعنّيين به من قوميات شتى كالعرب والفرس والهنود والأتراك والأوزبك سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين.

وقد عُني جمع غفير من علماء العربية بسرد أسماء شرّاح النهج وشروحهم المعروفة أو المفقودة. كما فعل المحدِّث حسين بن محمد النوريّ (ت١٩٢٠م)[2]، والسيد محسن بن عبد الكريم الأمين العامليّ (ت١٩٥٢م)[3]، والمحدِّث آغابزرك الطهرانيّ (ت١٩٧٠م)[4] والشيخ العلامة عبد الحسين بن أحمد الأمينيّ (ت١٩٧١م)[5]. وجمَع السيد عبد الزهراء الخطيب معظم ما

(١) صوت الإمام عليّ ٤٦/١.

(٢) ينظر: مستدرك الوسائل ٥١٣/٣.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة ٢٦٧/٤١.

(٤) ينظر: الذريعة ١١١/١٤-١٦٠.

(٥) ينظر: الغدير ١٨٣/٤-١٩٣.

أُلِّف في نهج البلاغة في مبحث نافع عنوانه (مكتبة نهج البلاغة)[1]، قسَّمه على قسمين رئيسين:

الأول: خصصه بشروح النهج، فجمع منها مئة وشرحًا واحدًا، رتبها ترتيبًا زمنيًّا.

والقسم الثاني: عرض فيه ما أُلف في النهج من ترجمات ونظْمٍ ومصادر واستدراكات وإشعار ودفاع عنه وتآليف على نسقه. وجمع من هذه المؤلفات ثلاثة وثلاثين مؤلفًا. لكن الزمن أتى على كثير من مكتبة نهج البلاغة ففُقد كثير من الشروح وبقيت أسماؤها مدونة في كتب الفهرست والرجال فضلًا عن ورود نُتَف منها في ما وصل إلينا من الشروح المطبوعة. وفي ما يأتي أسماء الشّرّاح من أصحاب الشروح المطبوعة بالعربية، مرتّبين بحسب الزمن:

١- ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقيّ المعروف بفريد خرسان المتوفى٥٦٦هـ (رحمه الله)[2] وشرحه بعنوان: معارج نهج البلاغة.

٣- قطب الدين أبو الحسين محمد بن الحسين الكيدريّ، من علماء القرن السادس الهجري (رحمه الله)[3] وشرحُه على نهج البلاغة بعنوان: حدائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق.

٤- عز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزليّ البغداديّ المتوفّى سنة ٦٥٦ هـ (رحمه الله)[4] شرحه بعنوان: شرح نهج البلاغة، طُبع مرارًا آخرها في عشرين جزءًا وهي أجزاء الكتاب حسب تجزئة مؤلفه.

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٢٠٠/١-٢٧٣.

(٢) ينظر: البداية والنهاية ١٩٨/١٣- ١٩٩وروضات الجنات ٤٠٨-٤٠٩ وفوات الوفيات ٥١٩/١-٥٢٢.

(٣) ينظر: الغدير ١٣/٦ وأعيان الشيعة ٣١٧/٧ ومصادر نهج البلاغة ٢٠٩/١.

(٤) تنظر ترجمته في الذريعة ١١٣/١ والغدير ١٨٧/٤ ومستدرك الوسائل٣٦٣/٣.

٥- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة٦٧٩هـ (رحمه الله)[١]، وله ثلاثة شروح على نهج البلاغة أهمها شرحه الكبير الذي طبع مرارًا آخرها بخمسة مجلّدات في بيروت.

٦- أبو الحسن يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت ٧٤٩هـ)، وشرْحه بعنوان الديباج الوضيّ في الكشف عن اسرار كلام الوصيّ حققه خالد بن قاسم بن محمد المتوكل ونشرته مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية في ستة أجزاء، عام ٢٠٠٣ في اليمن.

٧- الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ (رحمه الله)، من علماء الأزهر ومفتي الديار المصرية في زمانه[٢]، وشرحه بعنوان: شرح نهج البلاغة، طُبع شرح عبده عدة مرات أولها في سنة ١٨٨٥م في بيروت.

٨- السيد حبيب الله بن السيد محمد المعروف بأمين الرعايا الموسوي الخوئي[٣]، له شرح واسع للنهج سماه: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، وهو تكرار لعنوان شرح الراونديّ، وصل فيه إلى منتصف الخطبة (٢٢٨) فتوفي قبل إتمامه ثم طبع عام ١٣٦٥ هـ في سبعة أجزاء وأخرى عام ١٣٧٧ هـ في أربعة عشر جزءًا بعناية السيد إبراهيم الميانجي الذي أتم شرح الخطبة (٢٢٨) إلى آخرها وألحقها بالشرح في ختم الجزء الرابع عشر. ثم قصرت همّة الميانجي عن شرح ما لم يشرحه الخوئي من النهج، فنهض بهذا العمل نجم الدين حسن زادة الآملي وشرح الباقي من خطب الإمام ووصاياه، فزاد ستة أجزاء أخرى على الشرح ليبلغ العشرين، ثم زاد محمد باقر الكمري جزءًا واحدًا هو

(١) ينظر ترجمته في: مستدرك الوسائل ٧٥/٥ والذريعة ١٥٩/٤ ولؤلؤة البحرين ٢٢٦ وروضات الجنات ٤١٣-٤١٤ والغدير ١٨٩/٤ ومصادر نهج البلاغة ٢٢٣/١-٢٢٦.

(٢) ينظر: دراسة حول النهج ١٦٦ ومصادر نهج البلاغة ٢٤٧/١ وشرح النهج لمحمد عبده ١٢/١-١٤.

(٣) تنظر ترجمته في: الذريعة ١٥٧/١٤ ومصادر نهج البلاغة٢٤٩/١-٢٥٠.

الحادي والعشرون، خصصه بشرح الحِكَم، فتمّ الكتاب وطُبع في واحدٍ وعشرين جزءاً في طهران عام ١٤٠٠هـ.

٩- الشيخ محمد جواد مغنيّة المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ(رحمه الله)، وشرْحه بعنوان: في ظلال نهج البلاغة/ محاولةٌ لفهمٍ جديد، طُبع في لبنان في أربعة أجزاء، ثم في ستة أجزاء بعناية سامي الغريري في عام ٢٠٠٥ م.

١٠- الشيخ محمد تقي بن كاظم بن الشيخ محمد علي المولود في النجف عام١٣٢٠هـ المتوفى في بلدة آبائه تستر في إيران سنة ١٤١٥هـ (رحمه الله). له شرح بعنوان: بَهْج الصّياغة في شرح نهج البلاغة مطبوع في أربعة عشر جزءاً.

١١- الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد راشد السامرائي المتوفى سنة ٢٠٠٤م[1] (رحمه الله)، له كتاب: (مع نهج البلاغة /دراسة ومعجم) مطبوع في عمّان عام ١٩٨٧م. دراسته للنهج جاءت على هيأة معجم لألفاظ النهج رُتبت مواده ترتيباً ألفبائيًّا بحسب الحرفين الأول فالثاني، وكان يورد عبارة النهج التي تضطم على اللفظة ثم يعلق بها دراسة موجزة. وينماز كتاب السامرائي هذا بتلمس أثر نهج البلاغة في اللهجات العربية الحاضرة وأقوال المنشئين المعاصرين.

١٢- آية الله العظمى السيد محمد بن المهدي الشيرازي، له: توضيح نهج البلاغة، مطبوع في قم عام ١٤١٠هـ بأربعة أجزاء فرغ من تأليفه عام ١٣٨٥هـ عندما كان مقيماً في مدينة كربلاء.

١٣-آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي صاحب تفسير الأمثل، وشرحُه للنهج بعنوان: نفحات الولاية / شرحٌ عصري جامع لنهج البلاغة.

١٤- السيد أبو علي عباس علي الموسوي الملقب بالخطيب، من علماء لبنان له: شرح نهج البلاغة، مطبوع في لبنان عام ١٤١٨هـ في خمسة أجزاء.

---

(١) ينظر في ترجمته: إبراهيم السامرائي وجهوده اللغوية ٦ -٢٣.

١٥-السيد محمد تقي النقوي، شرحه بعنوان مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة طبع في ثمانية عشر مجلداً في طهران (١٤٣٦هـ /٢٠١٥م).

وشاعت على نحو واضح - في العقد الأخير - حركة التأليف في نهج البلاغة في الجامعات العراقية فكانت المحصلة مئات من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه فضلًا عن عشرات الدراسات الجامعية في الوطن العربي. أما البحوث والدراسات القصيرة فأوسع من أنْ يبلغها الحصر. ولّما تزل حركة التأليف زاخرة في نهج البلاغة لما في متنه من مادّة علمية خصبة يستقي منها أولو النُّهى على اختلاف مشاربهم جيلًا بعد جيل ثم لا تنقضي عجائبه ولا ينضب معينه لأنه قبسٌ من نور القرآن الكريم.

القسم الأول

التحليل اللغويّ للخطبة الأولى

احتوت الخطبة الأولى على موضوعات متنوعة تُثري الطالب ثقافيًا إلى جانب دراسته اللغوية، وفيها اثنا عشر مقطعًا تكلم فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) عن معرفة الله وصفاته التي توصل للدارس أصول التوحيد من منابعه المباركة، ثم يتحدث (عليه السلام) عن خلق العالم وصفة السماء وخلق الرياح، ثم خلق الملائكة وأنواعهم، ثم خلق آدم (عليه السلام)، ثم خلق الانبياء. وفيها حقائق قرآنية تبيّن تنزيه الأنبياء عما لا يليق بهم. ثم يصف (عليه السلام) المبعث النبوي الشريف، ثم يصف القرآن الكريم وبيانه، ثم يصف الحج وسبيله والغاية منه.

وفيها يذكر (عليه السلام) ابتداءَ خلق السماءِ والأرض، وخلق آدم عليه الصلاة والسلام، وفيها ذِكْر الحج، وتحتوي على حمد الله، وخلق العالم، وخلق الملائكة، واختيار الأنبياء، ومبعث النّبيّ، والقرآن، والأحكام الشرعية، وهي قوله عليه السلام:

"الحَمْدُ لله الَّذي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ، وَلا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، ولاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ المجتَهِدُونَ، الَّذي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ، الَّذي لَيْسَ لِصِفَتِه حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الخَلاَئِقَ[1] بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ[2] بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ[3]".

(١) فَطَرَ الخلائقَ: ابتدعها على غير مثال سابق.

(٢) وَتّدَ ـ بالتشديد والتخفيف ـ: ثبّت.

(٣) ميَدان أرضه: تحرّكها بتمايل.

أَوَّلُ الـدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَـالُ مَعْرِفَتِـه التَّصْـدِيقُ بِـه، وَكَمَـالُ التَّصْـدِيق بِـه تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيده الإِخْلاص لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلاص لَه نَفْيُ الصِّفَات عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كلّ صِفَة أَنَّها غَيْرُ المَوْصُوف، وَشَهَادَة كلّ مَوْصُوف أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَة، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَه، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاه، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَد جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْه، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيه فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ: (فِيمَ؟) فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: (عَلامَ؟) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَث(١)، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَم، مَعَ كلّ شَيْء لاَ بِمُقَارَنَة، وَغَيْرُ كلّ شيء لا بِمُزَايَلَة(٢)، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَات وَالآلَة، بَصِيرٌ إِذ لاَ مَنْظُورَ إِلَيه مِنْ خَلْقِه، مُتَوَحِّدٌ إِذ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِه وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِه.

أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّة أَجَالَهَا (٣)، وَلاَ تَجْرِبَة اسْتَفَادَهَا، وَلاَ حَرَكَة أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَة نَفْس(٤) اضْطَرَبَ فِيهَا. أَحَالَ الأَشْيَاءَ لأَوْقَاتِهَا، وَلاءَمَ (٥) بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا(٦)، وَأَلزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا(٧).

ثُمَّ أَنْشَأَ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَتْقَ الأَجْوَاء، وَشَقَّ الأَرْجَاء، وَسَكَائِكَ(٨) الهَوَاء، فَأَجَازَ فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ (٩)، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ (١٠)، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ

---

(١) لاعن حَدَث: لا عن إيجاد موجد.

(٢) المزايلة: المفارقة والمباينة.

(٣) الرَّوِيّة: الفكر، وأجالها: أدارها ورَدّدَها.

(٤) هَمَامَة النفس ـ بفتح الهاء ـ: عنايتها بالأمر وقصدها إليه.

(٥) لاءَمَ: قَرَنَ.

(٦) غَرّزَ غَرائزها: أودع فيها طباعها.

(٧). القرائن ـ هنا ـ: جمع قَرُونة وهي النفس، والأَحْنَاء: جمع حِنْو ـ بالكسر ـ: وهو الجانب.

(٨) السكائك: جمع سُكاكة ـ بالضم ـ: وهي الهواء الملاقي عنان السماء.

(٩) التيّار ـ هنا ـ: الموج.

(١٠) الزّخّار: الشديد الزخر، أي الامتداد والارتفاع.

الْعَاصِفَة، وَالزَّعْزَع[1] الْقَاصِفَة، فَأمرها بِرَدِّه، وَسَلَّطَهَا على شَدِّه، وَقَرنَهَا إلى حَدِّه، الهَوَاءُ من تَحْتها فَتِيقٌ[2]، وَالْماءُ منْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ[3].

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا[4]، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا[5]، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا، فَأَمرَهَا بِتَصْفِيق الْمَاءِ[6] الزَّخَّار، وَإِثَارَة مَوْج البحَار، فَمَخَضَتْهُ[7] مَخْضَ السِّقَاء، وَعَصَفَتْ بِه عَصْفَهَا بِالفَضَاء، تَرُدُّ أَوَّلَهُ على سَاجِيه[8] على مَائره[9]، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَد رُكَامُهُ[10]، فَرَفَعَهُ في هَوَاء مُنْفَتق، وَجَوٍّ مُنْفَهق[11]، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَات، جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً[12]، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْر عَمَد يَدْعَمُهَا، وَلا دسَار[13] يَنْظِمُهَا.

ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَة الكَوَاكب، وَضِيَاء الثَّوَاقب[14]، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً[15]، وَقَمَراً مُنِيراً: في فَلَك دَائِر، وَسَقْف سَائِر، وَرَقِيم[16] مَائِر.

---

(١) الزّعزع: الريح الّتي تزعزع كلّ ثابت.

(٢) الفتيق: المفتوق.

(٣) الدفيق: المدفوق.

(٤) اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا: جعل هبوبها عقيماً، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً.

(٥) مُرَبّها ـ بضم الميم ـ مصدر ميمي من أربّ بالمكان: لازمه، فالمُرَبّ: المُلازَمة.

(٦) تَصْفِيق الماء: تحريكه وتقليبه.

(٧) مَخَضَتْهُ: حرّكته بشدّة كما يُمْخَضُ السّقاء.

(٨) الساجي: الساكن.

(٩) المائر: الذي يذهب ويجيء.

(١٠) رُكامُهُ: ما تراكم منه بعضه على بعض.

(١١) المُنفَهقُ: المفتوح الواسع.

(١٢) المكفوف: الممنوع من السّيَلان.

(١٣) الدِّسَار: واحدُ الدّسُر، وهي المسامير.

(١٤) الثّوَاقب: المنيرة المشرقة.

(١٥) مُسْتَطِيراً: منتشر الضياء، وهو الشمس.

(١٦) الرّقِيمُ: اسم من اسماء الفلك: سُمّي به لأنه مرقوم بالكواكب.

ثُمَّ فتَقَ مَا بَيْنَ السَّموات العُلاَ، فَملأَهُنَّ أَطْواراً منْ مَلائكَته: مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَيَرْكَعُونَ، ورُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ[1] لاَ يتَزَايَلُونَ[2]، وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ، لاَ يغْشَاهُمْ نَوْمُ العُيُون، ولاَ سَهْوُ العُقُول، ولاَ فَتْرَةُ الاَبْدَان، ولاَ غَفْلَةُ النِّسْيَان. وَمنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِه، وأَلْسنَةٌ إِلَى رُسُله، وَمُخْتَلفُونَ بقَضَائه وَأَمْره. وَمِنْهُمُ الحَفَظَةُ لعبَاده، وَالسَّدَنَةُ[3] لأَبْوَاب جنَانه. وَمنْهُمُ الثَّابِتَةُ في الأَرَضينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالمَارقَةُ منَ السَّماء العُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، والخَارجَةُ منَ الأَقْطَار أَرْكَانُهُمْ، وَالمُنَاسبَةُ لقَوائِم العَرْش أَكْتَافُهُمْ، نَاكسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ[4] تَحْتَهُ بأَجْنحَتهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ العِزَّة، وَأَسْتَارُ القُدْرَة، لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بالتَّصْوِير، وَلاَ يُجْرُونَ عَلَيْه صِفَاتِ المَصْنُوعِينَ، وَلاَ يَحُدُّونَهُ بالأَماكن، وَلاَ يُشيرُونَ إِلَيْه بالنَّظَائر.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ[5] الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[6]، تُرْبَةً سَنَّهَا بالمَاءِ[7] حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا[8] بالبَلَّة[9] حَتَّى لَزَبَتْ[10]، فَجَبَلَ منْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ[11] وَوُصُول، وَأَعْضَاء وَفُصُول: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا[12]

(١) صَافّونَ: قائمون صفوفاً.

(٢) لا يَتَزَايَلُونَ: لا يتفارقون.

(٣) السَّدَنَة: جمع سَادن وهو الخادم.

(٤) مُتَلَفّعون: من تلفّع بالثوب إذا التحف به.

(٥) حَزْنُ الأرض: وَعْرُها.

(٦) سَبَخُ الأرض: ما ملح منها.

(٧) سَنّ الماء: صبّه.

(٨) لاطَها: خلَطَها وعَجنَها.

(٩) البلَة ـ بالفتح ـ: من البَلَل.

(١٠) لَزَبَ: من باب نصر، بمعنى التصق وثبت واشتد.

(١١) الأَحْنَاء: جمع حِنْو ـ بالكسر ـ وهو الجانب من البدن.

(١٢) أصْلَدَها: جعلها صُلْبَةً ملساء متينة.

حَتَّى صَلْصَلَتْ[1]، لِوَقْت مَعْدُود، وَأجَل مَعْلُوم، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ[2] إنساناً ذَا أَذْهَان يُجيلُهَا، وَفِكَر يَتصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِح يَخْتَدِمُهَا[3]، وَأَدوَات يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَة يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالاْذْوَاقِ وَالمشَامِّ، وَالألْوَانِ وَالأجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الألْوَانِ المُخْتَلِفَةِ، وَالأشْبَاهِ المُؤْتَلِفَةِ، وَالأضْدَادِ المُتَعَادِيَةِ، وَالأخْلاطِ المُتَبَايِنَةِ، مِنَ الحَرِّ وَالبَرْدِ، وَالبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ.

وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ المَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ[4] لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الاْذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِل: اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْماماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: {إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}.

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ[5] عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ[6] وَجَلاً[7]، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً. ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ.

---

(١). صَلْصَلَتْ: يَبِسَتْ حتى كانت تُسمع لها صَلْصَلَةٌ إذا هَبّت عليها الرياح.

(٢) مَثُلَ ـ ككرُم وفَتَح ـ: قام مُنْتَصِباً.

(٣) يَخْتَدِمُها: يجعلها في خدمة مآربه.

(٤) اسْتَأْدَى الله سبحانه الملائكةَ وديعَتَهُ: طالبهم بأدائها.

(٥) اغْتَرّ آدم عدوّهُ الشيطانُ: أي انْتَهز منه غِرّة فأغواه.

(٦) الجَذَل ـ بالتحريك ـ: الفرح.

(٧) الوَجَل: الخوف.

وَاصْطَفى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِه أَنْبِياءَ أَخَذَ عَلى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ[١]، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ[٢] مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ[٣] الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ[٤] مِيثَاقَ فِطْرَتِه، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ[٥] تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ[٦] قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ.

عَلَى ذْلِكَ نَسَلَتِ[٧] الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لإِنْجَازِ عِدَتِه[٨] وَتَمَامِ نُبُوَّتِه، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ[٩]، كَرِيماً مِيلادُهُ. وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ،

---

(١) ميثاقهم: عهدهم.

(٢) الأَنْدَادُ: الأَمْثَال، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى.

(٣) اجْتَالَتْهُمْ ـ بالجيم ـ: صرفتهم عن قصدهم.

(٤) وَاتَرَ إليهم أنبياءهُ: أرسلهم وبين كلّ نبيّ ومَن بعده فترة، وقوله (لِيَسْتَأْدُوهُمْ): ليطلبوا الأداء.

(٥) الأَوْصَاب: المتاعب.

(٦) المَحَجّة: الطريق القويمة الواضحة.

(٧) نَسَلَتْ ـ بالبناء للفاعل ـ: مضت متتابعةً.

(٨) الضمير في)عدَته) لله تعالى، والمراد وعد الله بإرسال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على لسان أنبيائه السابقين.

(٩) سِمَاتُهُ: علاماته التي ذُكِرَتْ في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به.

بَيْنَ مُشَبِّه لله بخَلْقِه، أو مُلْحد[1] في اسْمِهِ، أو مُشِير إلى غَيْرِه، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاَلَة، وأَنْقَذَهُمْ بمكانه منَ الجَهالَة.

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لمُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ البَلْوَى، فَقَبَضَهُ إليه كَرِيماً.

وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إذ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلاَ عَلَمٍ [2] قَائِمٍ. كِتَابَ رَبِّكُمْ ﴿فِيكُمْ: ﴾ مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ[3]، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ[4]، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ[5]، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ[6]، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ.

بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى العِبَادِ فِي جَهْلِهِ[7]، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّه نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِي الكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أو صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، وَمُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيأْلَهُونَ إِلَيْهِ[8] وُلُوهَ الحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إليه دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ،

---

(١) المُلْحدُ في اسم الله: الذي يميل به عن حقيقة مسمّاه.

(٢) العَلَمُ ـ بفتحتين ـ: ما يوضع ليُهتدى به.

(٣) ناسخُهُ ومنسوخه: أحكامه الشرعية التي رفع بعضها بعضاً.

٣ رُخَصَهُ: ما تُرُخّصَ فيه، عكسها عزائمُهُ.

(٥) المُرْسَلُ: المُطْلَقُ، المحدود: المقيّد.

(٦) المُحْكَمُ: كآيات الأحكام والأخبار الصريحة في معانيها، والمتشابه كقوله: (يَدُ اللهِ فوقَ أيديهم).

(٧) المُوَسعُ على العباد في جهله: كالحروف المفتتحة بها السور نحو ألم وألر.

(٨) يَأْلَهُونَ إليه: يَلُوذُون به ويَعكفون عليه.

وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِه، وَتَشَبَّهُوا بِمَلائِكَتِه المُطِيفِينَ بِعَرْشِه، يُحْرِزُونَ الأرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِه، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِه. جَعَلَه سُبْحَانَه لِلإِسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّه، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ[1] فَقَالَ سُبْحَانَهُ:) {وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيه سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ} ".

المقطع الأوّل: الحمد لله

وهو قوله (عليه السلام): "الحَمْدُ لله الَّذِي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ، وَلا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، ولاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ المُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ".

المعنى العام

ركّز المقطع الأول من الخطبة الأولى على حقيقة إلهيّة مهمّة مُفادها أنّه لا يمكن معرفة الخالق سبحانه، فالعبارات تؤكّد العجز عن إمكان تصوّره ولو بالأوهام أو الخيالات؛ لأنّه لو عُرف الخالق لم يبقَ فرقٌ بينه وبين مخلوقاته، فلا يمكن أن يكون خالقًا. قال الإمام السجّاد (عليه السلام) كما في الصحيفة السجادية: "انحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقًا إلى معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك"[2].

---

(١) الوِفَادَة: الزيارة.

(٢) المناجاة (١٢).

المستوى الصوتيّ

س: استعمل أمير المؤمنين لفظ (الميدان) لوصف حركة الأرض ولم يستعمل (المور) فما الفرق بين (ماد ومار) في وصف حركة الأرض.

المَوْر: الجَرَيان السَّريع. يقال: مَارَ يَمُورُ مَوْراً.، والمَوْرُ: التُّراب المتردِّد به الرِّيح، وناقة تَمُورُ في سيرها، فهي مَوَّارَةٌ[1]. واستُعمل (المور) للسماء وما تشتمل عليه في مشاهد يوم القيامة فقال تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً} ﴿الطور: ٩﴾. و{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} ﴿الملك: ١٦﴾. للدلالة على التحرّك السريع الخاطف غير المنتظم للسماء كأنّها تنكفئ على ما فيها. فالمور هو الانكفاء والدوران التام حول المحور، والراء يناسب الدلالة على الحركة المستمرة حول المحور؛ لأنّه صوتٌ مرفرفٌ مكرّر يلفُّ اللسان نحو سقف الحنك الأعلى، ومور السماء بمعنى دورانها المستمرّ وهو يلائم حالها في قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} ﴿الأنبياء: ١٠٤﴾.

أما الميد فيعني الاضطراب نحو الجانبين، يقال: مَادَتِ الأغصان تميد، ومنه المائدَةُ: الطَّبَق الذي عليه الطّعام؛ لأن الآدب يميد به أي يميل نحو الجانبين[2]. فالميد حركة الأرض المضطربة نحو الجانبين إذ تميل نحو جانب معيَّن أثناء جريانها ثم نحو الجانب المعاكس له لعدم التوازن في كرويّتها، فجعل الله الجبال في الجهة لم تنظم فيها كروية الأرض ليحصل التوازن الطبيعي في الكتلة الأرضية بين جانبيها فيكون جريانها منتظمًا، وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين بقوله (وَوَتَّدَ بالصُخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ). وهو مقتبس من قوله تعالى: {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} ﴿النبأ: ٧﴾.

---

(١) ينظر: المفردات (مور).

(٢) ينظر: المفردات (ميد).

وقريب من هذين اللفظين لفظ (الميل) الذي يكون للحركة نحو جهة واحدة. وصفة الميل، هذه الصفة في الحركة يلائمها صوت اللام الذي يخرج من جانب اللسان. أي إن (المور والميد والميل) تشترك بأنها ألفاظ دالة على حركة معينة لا يتضح معناها الدقيق إلا بالحرف الثالث. ويبدو أنّ معنى التمايل والتحرك ذهابًا وإيابًا قد اكتمل في (الميم والحرف المعتل) وتثليث هذين الحرفين يمنح التشكيل دلالة مستقلة نحو (الميلان) لحركة واحدة نحو جهة واحدة؛ إذ اللام بطبيعته صوت جانبي أمّا (الميدان) للحركة بالتعاقب نحو الجانبين، إذ الدال يصنّف ضِمن حروف القلقلة. و(الموج) لحركة الماء بالتعاقب نحو جهة واحدة، والجيم صوت مركب يبدأ شديداً وينتهي رخواً وهذا حال الموج، و(المور) للحركة المستمرة حول المحور.

المستوى الصرفيّ

س: لفظ الجلالة (الله) جامد أم مشتقّ؟

نقل عن الإمام العسكري (عليه السلام): أنّ الله هو الّذي يُتألّه إليه عند الحوائج والشدائد[1]، وهذا يعني أن لفظ التألّه مشتقّ من لفظ الجلالة كما يشتقّ الارتجال من (الرجل) والتنمّر من (النمر)، ومن ثم يكون لفظ الجلالة جامداً لا اشتقاق له بل الاشتقاق منه، وهذا مذهب جملة من النحويين القدماء أولهم المازني (ت ٢٤٩هـ) إذ قال الزجاجي (ت ٣٤٨هـ): " قال أبو إسحاق الزجاج، حدّثني المبرّد عن أبي عثمان المازني قال: سألني الرياشي فقال لي: ما أنكرت أن يكون أصل (الله) الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية كما أجزت في الناس أن يكون تخفيف الأناس ثمّ أُدغم؟ قال: فقلت له: من قبل أنّ الناس على معنى الأناس وكذلك كل شيء

(١) ينظر: تفسير الإمام العسكري ٢٢/١ وتفسير نور الثقلين ١٢/١.

خُفّف من الهمزة فهو على معناه مخفّفاً، وأنت إذا قلت الإله فلم تُعلِم اللهَ جلّ جلاله على معنى إله، فلو كان الله مخفّفًا من إله لبقي على معناه "[1].

والدليل على أنّ لفظ الجلالة مرتجلٌ وليس مشتقًّا أنّه شائع في اللغات الساميّة بلفظٍ مقارب للعربية، عِمادُه الهمزة واللام والهاء، وهذا يعني أنه لفظ ساميٌّ قديم شاع في اللغات الجزريّة بالمادّة اللغوية نفسها ولكن العربية لما كانت لغة اشتقاقية تصريفية اشتقّت من لفظ الجلالة أفعالًا وأسماء على الجذر (ألَه) ومنها لفظ (الإله) ذو الدلالة القريبة من لفظ الجلالة، ولكن التعبير القرآني استعمل (الله) أخصّ من (الإله) لأنّ الإله من ألَه بالفتح، إلاهة، أي: عبدَ عبادةً، و(إلاه) فِعال بمعنى مفعول، أي: معبود، كقولنا: إمام على فِعال بمعنى مفعول، لأنّه مؤتمّ به. وقد كان المشركون وهم من أهل اللّغة يطلقون (الإله) على الأوثان، ولا يطلقون لفظة (الله) إلّا على موجد العالم، قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} ﴿العنكبوت: ٦١﴾.

س: ما الدلالة الصرفية للفظة (مَيَدَان) في قوله (عليه السلام): (ووتّد بالصخور ميدان أرضه).

المَيَدان مصدر بزنة فَعَلان من ماد يميد، أي: تحرّك يمينًا وشمالًا، وفي الأرض هو ميلانها يمينًا وشمالًا، وهذا دليل على كرويّتها؛ لأن الشكل الكرويّ إذا تحرّك يتّخذ حركتين: الأولى دائرية حول محوره، والأخرى جانبية نحو اليمين والشمال. ولكي تنتظم حركة الأرض فلا تتمايل بأهلها جعل الله تعالى في أوّل نشأتها الجبال الصخريّة التي تثقّل من حركتها وتحوْل دون تأرجحها، وهو ما عبّر عنه الإمام (عليه السلام) بالفعل (وتّد) المشتقّ من الوَتِد، وهو الواحد من أوتادِ الخيمة، ومنه قوله (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية يوم الجمل: "تدْ في الأرض قدمك"[2] أي: ثبّتها ولا تنفر من القتال،

---

(٢) اشتقاق أسماء الله ٣٦-٣٧ ومجالس العلماء ٦٩.

(٢) الخطبة (١١).

ولكن لا يطلق على التوتيد لفظ التثبيت؛ لأنّه يُلحظ فيه الانتقال في الحركة، فالجبال تعمل على تنظيم حركة تمايل الأرض دون أنْ يشعر بها ساكنوها؛ ولذا لا فرق بين تعبير الإمام عن الأوتاد بلفظ الصخور وبين التعبير القرآني عنها بلفظ الجبال في قوله تعالى {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} ﴿النبأ: ٧﴾ لأن الجبال في حقيقتها هي سلسلة صخرية شامخة وممتدة على مسار معيّن، ولكن ثمة فرق بين الجبال والرواسي {وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} ﴿النازعات: ٣٢﴾، فالتعبير القرآني استعمل لفظ الرواسي دالًّا على قوى مغناطيسية خارجية تؤثر على الأرض من فوقها فتنظم حركتها في السماء حول نفسها تارةً وحول الشمس تارةً أخرى فقال تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} ﴿لقمان: ١٠﴾. وقال تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} ﴿فصلت: ١٠﴾.

س: زنة مفعول الواردة في قوله (عليه السلام): (الذي ليس لصفته حدّ محدود)، قيل: إنها عُدِل بها إلى صيغة (فاعل) ليكون المعنى: الذي ليس لصفته حدٌّ حادٌّ، على نحو ما نجد لدى بعض شُرّاح النهج متابعةً منهم لكلام الصرفيين في دلالات صيغة (مفعول)، فما رأيك في هذه النيابة الصرفية؟

أجاز اللغويون مجيء صيغة مفعول بمعنى فاعل في موارد كثيرة[1]، من ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} ﴿الإسراء: ٤٥﴾. والحقيقة أنّ صيغة مفعول تنصرف للدلالة على من وقع عليه الفعل، على حين تختصّ صيغة فاعل بالدلالة على من قام بالفعل، والقول بالعدول الصرفيّ فيه إخراج للكلام عن ظاهره، وهو تضمين لمعنى آخر لا يقوم به دليل لغويّ. والالتزام بالظاهر أولى من التأويل، ويدرك السامع لكلام الإمام (عليه السلام) أنّه قصد بالمحدود وصف الحدّ

(١) ينظر: الصاحبي٢٢١ والمخصص١٧/١٥ والكليات٣١٩/٣ و١٩٢/٤.

المرتبط بصفات الله تعالى، إذ نفى وجود الحدّ لصفته سبحانه من خلال وصف الحدّ بالمحدود ليكون المعنى أنّه لا حدّ يمكن أنْ يدرك ويقيّد الصفة الإلهيّة، لا أنّ الحدّ يتصف بأنّه حادٌّ ومقيِّد للصفة؛ إذ ليس من شأن الحدّ أنْ يقوم بالتحديد وإنّما التحديد يقع عليه. وكذلك القول في (حجابًا مستورًا) إذ الحجاب هنا يؤدي دلالة فاعل، أيْ يقوم بالحجْب، على حين دلّت صيغة مفعول في مستور على كون هذا الحجاب مستورًا عن الأعين؛ ولذا يكون وصف الحدّ بالمحدود من باب المبالغة والتّأكيد من قبيل: شعرٌ شاعرٌ، وحجْرًا محجورًا، ونسيًا منسيًّا ونحو ذلك، وليس من قبيل كون المفعول بمعنى الفاعل. والمراد بصفته: الصّفات الذّاتية، وهي العلم والحياة والقدرة والاختيار وأمثالها، والمراد بالحدّ: الغاية والنّهاية، يقال: هذا حدّ الأرض، أي غايتها ومنتهاها، والمحدود مِن حدَّ الشّيء عن الشّيء إذا عيّنه، فالمعنى أنّه ليس لصفاته غايةٌ معينة، ونهاية مميّزة.

س: صيغة (فِعلة) الواردة في قوله (عليه السلام): (الذي لا يبلغ مِدحته القائلون)، لماذا جاءت بكسر الفاء دون فتحها؟

هذه الصيغة تدلّ على هيأة الحدث لا على وروده مرّة واحدة كما في صيغة فَعلة بالفتح، يقال: جلس جَلسة، للدلالة على حصول الجلوس مرّة واحدة، على حين يقال: جلس جِلسة بالكسر للدلالة على هيأة الجلوس، ولم تُستعمل صيغة المرّة؛ لأنّها قد تثبت وقوع المدح للخالق بالتعدّد، أي لا يبلغ القائلون مدحةً واحدة بل مدحتين أو ثلاثاً أو... وهذا المعنى غير مطلوب، بل المراد من قول الإمام (عليه السلام) أن ينفي القدرة على مدحه سبحانه، فاستعمل مصدر الهيأة ليدلّ على نفى القدرة على المِدحة وهي الهيأة اللازمة للمادح مع خالقه، فكيف بالمدح نفسه؟!

المستوى النحويّ

س: لِمَ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحمد لله) ولم يقل (أحمد الله) وهل تجد فرقًا دلاليًا بين التعبيرين؟

(الحمد لله) جملة اسمية دالة على الثبوت واللزوم، وهذا التعبير يدلّ على أنه (عليه السلام) حمد الله تعالى، وأنّه ثابت عليه مدّة حياته، وأَمر غيره في فحوى كلامه أنْ يحمدوه أيضًا ثابتين على ذلك، ولو كان عبّر بلفظ (أحمد الله) لم يُفهم منه جميع ذلك؛ لأن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث[1].

س: ما نوع (أل) الواردة في لفظتي: الحمد، والقائلون في قوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون)؟

أل التعريف في العربيّة على نوعين رئيسين[2]:

الأول: (أل) العهديّة التي تدلّ على معهود مذكور في الكلام أو حاضر في الذهن، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ﴿المزمل: ١٥-١٦﴾ ونحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿الفتح: ١٨﴾، وهي الشجرة المعهودة في أذهان السامعين.

والآخر: (أل) الجنسيّة، وهي التي تدخل على الألفاظ التي تحتمل المفرد والجمع في دلالتها، نحو لفظة (الإنسان) الدالّة على جنس البشر أو على إنسان واحد، فتصرف (أل) الجنسيّة الدلالة إلى العموم دون الإفراد في اللفظة. و(أل) في لفظة (الحمد) هي الجنسيّة؛ لأنّ حمد الله تعالى قد يكون لحالة معيّنة أو في كلّ الأحوال؛ لذا تفيد هذه اللام الإحاطة بأنواع المحامد كلّها دون المستقل منها بنقطة معينة. والإمام (عليه السلام) نبّه بذلك المعنى على أنّ

---

(١) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب ١/١٩١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ١/٧١-٧٨.

الخالق تعالى هو السبب وراء كلّ ما يستحقّ الحمد وإنْ لم يكن السبب المباشر. أيْ أنَّ تعريف الحمد باللام الجنسية يفيد الدلالة على الدوام والاستمرار، وأنّه تعالى مستحقٌّ للحمد من كلّ حامد، فكما حمده هو (عليه السلام) يجب أنْ يحمده كلّ مخلوقٍ مثله.

ورُوي عن الباقر (عليه السلام) أنه فقد بغلةً له، فقال: لئن ردّها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها، فما لبث أنْ أُتي بها بسرجها ولجامها، فلمّا استوى عليها وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، فقال: الحمد لله فلم يزِد. ثمّ قال: ما تركت ولا أبقيت شيئًا، جعلت كلّ أنواع المحامد لله عز وجل، فما مِن حمدٍ إلاّ وهو داخل في ما قلت[1]. وقد صدق (عليه السلام) وبرّ بقسمه، فإنّ الألف واللام في قوله تعالى: (الحمد لله) لاستغراق جنس الحمد.

أمّا أل في لفظة (القائلون) فهي (أل) العهدية التي تدلّ على صنف المتوجهين إلى الله تعالى من البشر دون غيرهم من الغافلين عن حمده سبحانه.

س: ما نوع الإضافة في قوله (عليه السلام): (الذي لا يدركه بعد الهِمم، ولا غوص الفطن)؟ ولماذا عبر الإمام (عليه السلام) بالمصدر دون الصفة المشبهة؟

تأتي الإضافة [2] على تقدير اللام، نحو: غلام زيد، أي: يعود لزيد. أو تدلّ على (من) نحو: خاتم حديد، أي: مصنوع من حديد. وفي قوله (عليه السلام) السابق أفادت الإضافة معنى اللام، أي: بعدٌ للهِمم، إذ إنَّ لكلّ همّة بعدًا تصل إليه حسب مقدرة صاحبها. واستبداله بتركيب آخر نحو: الهمم البعيدة يغيّر المراد، فالصفة المشبهة (بعيدة) تفيد تحديد الهمم بما هذه صفتها، وهذا يقتضي وجود همم بصفات أخرى يمكن أن يحصل بها الإدراك، على حين أنّ التعبير بالمصدر (بُعد) يفيد مطلق الهمم؛ لأنّ من شأن الهمّة أنْ يكون لها بعدٌ، فلما نفى البعد نفى مطلق الهمم.

---

(١) ينظر: كشف الغمة ٢: ١١٨ والبيان في تفسير القرآن ١/٣٠٩.

(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ١٧٣ ومعاني النحو ٣/١١٣-١١٨.

س: ما إعراب: (ولا نعت موجود) في قوله (عليه السلام): (الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود)؟

هذه الجمل صفات للفظ الجلالة المذكور ابتداء في (الحمد لله...) كما تقول: زيد العالم الشاعر الشجاع، و(نعت) معطوف على اسم ليس (حد) و(لا) هي التي يسميها النحويون بالزائدة للتوكيد، والمعنى: ليس حدٌّ ولا نعتٌ لصفته تعالى؟ والمعنى: لا رسمَ موجودٌ يُرسم به قياسًا على الأشياء المرسومة بلوازمها وأوصافها، وبخلاف هذا تكون الذّات محلًّا للأعراض والأوصاف، وهو منزّه (سبحانه) عن ذلك. والله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: {وَمَا قَدَرُوا الله حَقّ قَدْرِه وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عمَّا يُشْرِكُونَ} ﴿الزمر: ٦٧﴾ فلا يُوصف بقدرٍ إلّا كان أعظم من ذلك، وعن عليّ بن الحسين (عليهما السّلام)، قال: "لو اجتمع أهل السّماء والأرض أنْ يصفوا الله بعظمته لم يقدروا"(١).

المستوى المعجميّ

س: وردت لفظتا (الحمد والمدح) في عبارة واحدة هي: (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون) فهل اللفظتان مترادفتان أم ثمّة فرق بينهما؟

القول بالترادف التامّ أمر بعيد عن واقع المفردات العربيّة؛ إذ لكلِّ تعاقبٍ صوتيّ للفظةٍ ما دلالته التي ينمازُ بها عن غيره من الألفاظ، وإن كان المعنى العام لهما يوحي بالتطابق. فالحمد والمدح كلاهما ذِكرٌ للمحمود والممدوح على جهة التعظيم، غير أنّ الحمد لا يكون إلّا لما يصدر من المحمود من فعلٍ خارجيٍّ نحو الحامد، وهو في حقّ العباد من بعضهم لبعضٍ لا يكون إلا على نعمة تصدر من المحمود، أمّا في حقّه تعالى فيعمّ النعمة وغير النعمة، أي يَحمد العبدُ ربّه على نعمة أو شدّة؛ لأنّها تكون في نطاق الابتلاء الإلهيّ الذي من

(١) الكافي ١٠٢/١ (باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه) حديث رقم ٤.

شأنه إيجاب المغفرة والرضوان إن صبر العبد على ذلك، فالمؤمن مبتلى، لذلك قلنا: إن اللام في (الحمد) جنسيّة، أي تشمل كلّ ما يُذكر به الخالق على سبيل الرضا سواء في العُسر واليُسر، على حين تختصّ لفظة المدح بالنعمة الصادرة من الممدوح نحو المادح، وتشمل هذه اللفظة ـ فضلًا على الفعل الصادر من الممدوح وهو الانعام ـ الوصف الذاتي للممدوح دون أنْ يكون له أثر واصل إلى المادح، أي يجوز مدح الإنسان بطول القامة أو حسن الوجه أو بغزارة العلم أو بصفات الكرم أو الشجاعة فهي أمور لا يلحظ فيها وصول نفع للمادح وإنّما تختصّ بصاحبها.

وثمّة لفظة تشترك مع هاتين في دلالتها العامة وهي (الشكر)، إذ جاء في الأثر قول النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "ما قال العبد: الحمد لله على نعمة، إلّا أدّى شكرها". فكيف ذلك والإمام (عليه السلام) يقول: لا يبلغ مدحته القائلون؟.

والإجابة عن هذا الإشكال تتضح من الوقوف على المعنى الدقيق للألفاظ، فالشكر هو ذكر للمشكور ـ أيضاً ـ بصفات التعظيم غير أنه لا يكون إلا على سبيل الاعتراف بالنعمة، فهو بمنزلة قضاء الدين، ولا يكون إلا على النعمة وحدها؛ لذلك يمكن للعبد أن يشكر ربّه معترفًا بفضلِه ومنّهِ دون أن يصل إلى مدحه؛ لأنّ المدح ذكرٌ للممدوح بما يليق بمقامه، وهو متعذّر مع خالق الخلق عزّ وجلّ[1].

س: ثمّة فرق بين العدّ والإحصاء، كيف تدلّل عليه؟

العدّ واضح في الماديّات المتمثلة للعيان ممّا يجري عليه الحساب لشخوصه أمام العين الباصرة. أمّا الإحصاء فهو حصر ذلك المعدود والإحاطة به؛ وذلك لاقتراب جذر هذه اللفظة وهو (حصى) صوتيًا من (حصر) التي تفيد الإلمام بالشيء المحصور؛ ولذا استعمل الإحصاء في المعنويات كما في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب ١/١٩٠-١٩١.

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} ﴿الكهف: ٤٩﴾، و{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ﴿المجادلة: ٦﴾، فمع الإحصاء لا يفلت شيء من أعمال الخلائق[1].

وعُطفت اللفظتان في الاستعمال القرآني للتأكيد على مغايرتهما لبعضهما قال تعالى: {لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا} ﴿مريم: ٩٤﴾، إذ لا ترادف تامّ بين الألفاظ المتقاربة المعاني؛ ولذا تختلف عنهما لفظتا (الحساب) و(الحسبان) المشتركتان في الجذر (حسب) في كونهما دالّتين على العدّ والإحصاء معًا، فاستعمل الحساب للزمن كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ﴿يونس: ٥﴾ وكذا الحسبان في {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} ﴿الأنعام: ٩٦﴾.

س: اقترنت لفظتا الصفة والنعت بواو العطف في قوله (عليه السلام): (الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعتُ موجود) فما الفرق الدلاليّ بينهما؟.

ذكر العسكري " أَن النَّعْت هُوَ مَا يظْهر من الصِّفَات ويشتهر؛ وَلِهَذَا قَالُوا: هَذَا نعت الْخَلِيفَة كَمثل قَوْلهم: الْأمين والمأمون والرشيد، وَقَالُوا: أول من ذكر نَعته على الْمِنْبَر الْأمين وَلم يَقُولُوا صفته وَإِن كَانَ قَوْلهم: الْأمين صفة لَهُ عِنْدهم لِأَن النَّعْت يُفِيد من الْمعَانِي الَّتِي ذكرنَاهَا مَا لَا تفيده الصّفة ثمَّ قد تتداخل الصّفة والنعت فَيَقَع كل وَاحِد مِنْهُمَا موضع الآخر لتقارب معنييهما، وَيجوز أَن يُقَال: الصّفة لُغَة والنعت لُغَة أُخْرَى وَلَا فرق بَينهمَا فِي الْمَعْنى

---

(١) ينظر: المفردات (عدد، حصي).

وَالدَّلِيل على ذَلك أَنّ أهل الْبَصْرَة من النُّحَاة يَقُولُونَ الصّفة، وَأهل الْكُوفَة يَقُولُونَ النَّعْت وَلَا يفرقون بَينهمَا"(١).

س: اقترنت لفظتا الوقت والأجل في قوله (عليه السلام): (ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود)؟

الوقت مرتبطٌ بحركة الأفلاك فهو على أقسام: الصبح والضحى والظهر والعصر والأصيل والمغرب والليل إلخ، على حين يرتبط الأجل بالموجودات نفسها، فهو وقت انقضاء الشيء، فلا يقال: أجل العصر؛ لأنّه يعني انعدام الحياة؛ ولذا قيّد الإمام (عليه السلام) الوقت بالعدد؛ لأنّهما ممّا يتجزّأ إلى الأقسام الزمنيّة السالفة الذكر، وقيّد الأجل بالمدّة؛ لأنّه وقت مقدّر لانتهاء الشيء الذي ينظر فيه إلى تغيير هذا الموعد المحدّد بالمدّ فيه وفي الحديث الذي رواه ابن أبي داود وغيره أنّ النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا" والخالق سبحانه لا يوصف بزمنٍ فهو أزليّ أبديّ خالق للوقت والأجل لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء لبقائه سبحانه.

المستوى البلاغيّ

س: ختمت الجمل الثلاث في قوله (عليه السلام): (فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان أرضه) بصوتٍ واحد هو الهاء المهتوت، وهذه التقفية تعرف بالسجع وهو من المحسِّنات اللفظيّة، فهل تحرّى الإمام (عليه السلام) هذه الفواصل المتشابهة على حساب المعنى؛ إذ اختلفت الجملة الثانية عن الأوليَين بتقديم الجارّ والمجرور، أم جاءت منساقة مع المعنى المراد؟

(١) الفروق اللغوية ٣٠.

في كلام المعصومين ـ تبعًا لكلام الخالق ـ لا تُقصد الفواصل لذاتها، وإنّما تتبع الفاصلة المعنى خلافًا لكلام غيرهم من الفصحاء والخطباء. وقد تقدّمت شبه الجملة (بالصخور) مراعاةً للسامع على ما يقرّه علم المعاني، إذ خاطب الإمام (عليه السلام) أناسًا لم يسبق لهم أنْ سمعوا بحقيقة تكوين الأرض وأنها ذات ميَدان؛ لذا قدّم لهم (عليه السلام) الظاهرة الأرضيّة التي يلاحظونها بأعينهم، وهي وجود الصخور الجبليّة ثم علل لها بتثبيت الأرض بما لها من ثقل.

س: في قول الإمام (عليه السلام): (الذي لا يبلغ مدحته القائلون) عدول عن أسلوب الجناس غير التام مع إمكانه وهو استعمالُ لفظة المادحين بدل القائلين، علّلْ لذلك مع تعريفٍ موجز بالطباق؟

ج: لم يَستعمل (عليه السلام) الجناس فلم يقل: لا يبلغ مدحته المادحون، تحرّيًا للمعنى، وذلك أنّه (عليه السلام) نفى القدرة على مدح الذات الإلهيّة بهيأة من هيآتها، وهذا يستلزم عدم وجود القادر على المدح، لذا لم يُسمَّ قائلُ المدح مادحًا؛ لأنّه عند ذلك سيثبت وجود مادحين للذات الإلهيّة غير قادرين على الوصول لهيأة المدح، وهو (عليه السلام) أراد نفي الاثنين معًا.

س: قوله (عليه السلام) (لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ) مقتبس اقتباسًا معنويًا من القرآن الكريم، أين تجد ذلك؟.

قول أمير المؤمنين هذا هو تفسير لقوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} ﴿الأنعام: ١٠٣﴾. وسأل أبو هاشم الجعفري الإمام الجواد (عليه السلام) عن معنى الآية فقال (عليه السلام): "يا أبا هاشم أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السّند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك. وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟"(١).

---

(١) ينظر: الكافي ١/ ٩٩، ح ١١ وبحار الأنوار ٣/٢٠٨، ح ٣.

المقطع الثاني: صفات الله تعالى وكيفيّة توحيده

وهو قوله: "أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُهُ، وكَمَالُ تَوْحِيدِه الإخلاص لَهُ، وَكَمَالُ الإخلاص لَهُ نَفْيُ الصِّفَات عَنْهُ، لِشَهَادَة كلّ صفَة أَنَّها غَيْرُ المَوْصُوف، وَشَهَادَة كلّ مَوْصُوف أَنَّه غَيْرُ الصِّفَة، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَه فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَه فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْه، وَمَنْ أَشَارَ إِليه فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ: (فِيمَ؟) فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: (علاَمَ؟) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَث، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَم، مَعَ كلّ شَيْء لاَ بِمُقَارَنَة، وَغَيْرُ كلّ شيء لا بِمُزَايَلَة، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَات وَالآلَة، بَصيرٌ إذ لاَ مَنْظُورَ إليه مِنْ خَلْقِه، مُتَوَحِّدٌ إذ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِه وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِه. "

المعنى العام

في المقطع بيان لنوعين من الصفات الإلهيّة: صفات ثابتة له سبحانه إلّا أنّها لا حدّ لها يمكن أن تقف عنده أو تدرك، ونوع آخر هو الصفات المنتفية في حقّه تعالى، والنوع الأوّل لصفات الخالق هو الصفات التي تبيّن العلاقة بينه تعالى وبين المخلوق، وهي صفات ثابتة له إلا أنّها لا تنتهي ولا يمكن وصفها بمقدار أو وقت؛ لأنّه سبحانه خارج المكان والزمان فهو تعالى رحيم ورحمن وعليم وقادر. أمّا الصفات المنفيّة فهي تلك التي تصف ذاته المقدّسة، وهذه لا وجود لها؛ لأنّها لو توهّمت عليه سبحانه ستجعله مخلوقًا لا خالقًا؛لأنّ الموصوف إنْ وُصف فقد حُدّ وصارت له حقيقة مُدركة فهو إذن مخلوق.

والإمام (عليه السلام) يسدّ على العقل البشري طريق التقوّل على الخالق بما لا يجوز، فقد ابتليت الفلسفة الإسلاميّة بهذا المنحى، فأثبت المتكلّمون من علماء المسلمين نفي الصفات عنه تعالى بطريقة خاطئة؛ إذ أثبتوا لله سبحانه يداً، ولكنّها ليست مثل يد البشر، وأثبتوا له عينًا ليست مثل عين البشر،

وأثبتوا له ساقًا ليست مثل ساق البشر. وأكّدوا أنّ له كلامًا بأصوات ليست مثل أصوات البشر، مع أنّه سبحانه يقول {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ﴿الشورى: ١١﴾، وهذا انطلاقًا من التفاسير العقلية للآيات القرآنيّة نحو قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ﴿النساء: ١٦٤﴾ و{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} ﴿القلم: ٤٢﴾ و{يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} ﴿الفتح: ١٠﴾ و{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ﴿القيامة: ٢٢ - ٢٣﴾ و{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ﴿طه: ٥﴾ دون الرجوع إلى العترة الطاهرة التي أوضحت المراد من هذه الآيات بما ينفي التجسيم بكل أشكاله؛ إذ قال أمير المؤمنين: " مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كلّ مَعْرُوف بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ. فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَابِ آلَة، مُقَدِّرٌ لاَ بِجَوْلِ فِكْرَة، غَنِيٌّ لاَ بِاسْتِفَادَة. لاَ تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ، وَلاَ تَرْفِدُهُ الأَدَوَاتُ، سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالابْتِدَاءَ أَزَلُهُ.... يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ، يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلاَ يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّة، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة"(١).

والساق في كلام العرب هي كناية عن شدّة الأمر(٢)، واليد دالةٌ على القدرة **ومعنى (يد الله فوق أيديهم)، قوّة الله فوق قوّتهم في نصرة رسوله صلّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم**(٣)، والنظر إلى الربّ هو الانتظار للرحمة، كما في قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ

---

(١) في الخطبة ١٨٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٣/٥٥٤.

(٣) جامع البيان ٢٢/٢١٠.

} ﴿الحديد: ١٣﴾ أي: انتظرونا، وفي خبر ملكة سبأ {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} ﴿النمل: ٣٥﴾ أي: منتظرة[1].

وأمّا تأكيده (عليه السلام) على معرفة الله تعالى وأنها من أولويّات الدين فهي المعرفة بما أقرّه سبحانه وأراده للبشر أن يعرفوه وهو أنّه واحد لا شريك له، وأنّه حقّ مطلق، يدعو الخلق إلى شريعةٍ حقّة توجب عليهم عبادته والإذعان لأوامره. وأنّه لا بدّ من الإقرار لله تعالى بلا شريك ولا نقص التصديق به. وقد سأل أحدهم أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ هل رأيت ربّك؟ قال: ويلك! كيف أعبد ربًّا لم أره!، فقيل له: وكيف رأيته؟ فقال: ويلك! لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان[2].

المستوى الصوتي

س: في المقطع حذفٌ لألف (ما) الاستفهامية مع حرفي الجر (فيم، وعلام) إذ الأصل: (فيما؟ وعلاما؟). فما التعليل الصّوتيّ لحذف هذا الصائت الطويل؟

يدخل حرف الجرّ على (ما) الاستفهاميّة، و(ما) الموصولة، وللتفريق بينهما تحذف الألف تخفيفًا في أسلوب الاستفهام بـ(ما)، وتثبت في الخبر بالاسم الموصول (ما)، وبهذا جاء رسم المصحف كقوله تعالى: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} ﴿النازعات: ٤٣﴾ وقال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ﴿النور: ١٤﴾ ومسوّغ ذلك أنّ الاستفهام يؤدّى بالتنغيم الصوتي وليس مقصورًا على أداة الاستفهام وحدها، فجاز للمستفهِم التصرف بالأداة بأنْ حذَف الألف منها اعتمادًا على نغمة الاستفهام الشاملة للجملة كلّها.

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٥٨٨/٢.

(٢) أصول الكافي ٩٩/١.

المستوى الصرفيّ

س: ما دلالة همزة القطع في الفعل (أخلى)، والتضعيف في الأفعال: (جزّأه، ثنّاه، ضمّنه)، والهمزة والسين والتاء في الفعلين: (يستأنس، يستوحش)؟

دلّت همزة القطع في الفعل (أخلى) على التعدية، إذ المجرد منه لازم، فيقال: خلا المكان من أهله، والمعنى أنّه لو صحّ السؤال عنه تعالى بـ(علام؟)، لثبت له الفوقيّة دون الجهات الأخرى، وثبت كونه محمولًا على شيء يمسكهن، أي إخلاء الجهات والأماكن عنه عدا الفوقيّة، وهذا لا يجوز في حقّه تعالى؛ لأنّه لا يخلو مكان منه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿الحديد: ٤﴾.

أمّا التضعيف في الأفعال المذكورة فأفاد الجعل، فمعنى (جزّأه): جعله أجزاء، ومعنى (ثنّاه): جعله اثنين، ومعنى (ضمّنه) جعله ضمن محيط.

أمّا همزة الوصل والسين والتاء فقد أفادت الطلب في (يستأنس)، فلفظة السكن في (إذ لا سكن) مصدر، والمراد: لا يطلب الخالق سكنًا لذاته المقدّسة؛ لأنّه منزّه عن الاحتياج إلى شيء، وأمّا في (يستوحش) فالمراد الصيرورة؛ لأنّ السكن مصدرٌ يطلق على ما يتحصّل به السكون النفسيّ، فلا سكن له سبحانه من الموجودات التي يسبب فقدها الوحشة.

س: وردت لفظة التوحيد في كلامه (عليه السلام) وهي مصدر من وحّد، ولفظة (متوحّد)، وهي اسم فاعل من توحّد، فما الفرق في الدلالة الصرفية بين مشتقات الفعلين (وحّد وتوحّد)؟

إنّ مادّة (وحد) تدلّ على الانفراد، فبناء فعّل بتضعيف العين يفيد الجعل بملحظ التعدية، أي: صيّره واحدًا لا يعبد غيره ولا يشرك به شيئًا. والواحد يطلق ويراد به الانفراد من وجوه ثلاثة: الأوّل: أنّ الواحد يطلق لأوّل العدد، فالواحد أوّلًا وبعده (اثنان) الذي يتكوّن من اجتماع الواحد مع واحد آخر وهكذا. وكذلك يراد به الذي لا نظير له، يقال: هو واحد قبيلته، إذا لم يكن

فيهم مثله. ومن جهة ثالثة يختصّ بالخالق تعالى، فإنّه يراد بالواحد: الذي لا يتجزّأ ولا يتكثّر.

وممّا سبق نجد أنّ بناء (توحّد) على تفعّل يراد به وجوده سبحانه وتعالى على هذه الصفة (الوحدانيّة) من التفرّد وعدم النظير في امتناع احتياجه تعالى لشيء من زوج أو شريك أو ولد أو غير ذلك. أمّا دلالة هذا البناء في المخلوقين فهو يراد به الصيرورة، أي: صار الشخص منعزلًا عن الآخرين وحده بلا ملحظ التعدية، أي من تلقاء نفسه.

س: هل يمكن استبدال لفظة (ناظر) بزنة اسم الفاعل بلفظة (منظور) على زنة اسم المفعول في قوله (عليه السلام): (بصير إذ لا منظور إليه من خلقه)، ولماذا؟.

لا يمكن ذلك؛ لأنّ المعنى يتغيّر، إذ المراد من (لا منظور إليه)، بصيغة اسم المفعول أنّ الله تعالى بصير قبل أن يخلق مخلوقًا من شأنه أنْ يبصر، إذ نقل الكليني وغيره قول الإمام الصادق (عليه السلام): " لم يزل الله تعالى ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مُبصر، والقدرة ذاتها ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور"[1]. فلفظة (منظور) هنا مستعملة بمعنى الاسميّة لا الوصفية، أي اسمًا للمخلوق عمومًا، كأنّ المعنى: أنّه سبحانه بصير في وقت لا يوجد فيه مخلوق يمكن أن يُرى ويُنظر إليه، فضلًا عن وجود مخلوق له عينان ينظر بهما. ولا يجوز استعمال اسم الفاعل هنا؛ لأنّ المعنى سيشير إلى وجود مخلوقات تنظر وأخرى لا تنظر، فينفي التي تنظر ويثبت المخلوقات التي لا تنظر، وهذا غير مراد؛ إذ المعنى نفي كلّ المخلوقات لأنه يتكلّم عمّا قبل الخلق. وبهذه الصيغة (منظور) جمع الإمام (عليه السلام) نفي المخلوقات الناظرة والمنظورة معًا

---

(١) أصول الكافي ١٥٥/١ وبحار الأنوار ١٦١/٦٤.

بدلالة استعمال شبه الجملة (عليه) فالهاء تعود على المنظور (المخلوق) المستعمل اسماً.

المستوى النحويّ

س: قيل: إنّ حرف الجرّ اللام في (وكمال توحيده الإخلاص له): إنّه زائد على معنى جعله تعالى خالصًا من النقائص، وقيل: إنّها للتعليل على معنى إخلاص العمل له سبحانه، فما رأيك؟

كثرت معاني حرف الجر اللام عند النحويين؛ إذ زادت على الثلاثين معنى[1]، والتدقيق في هذه المعاني يبيّن أنّ تشعّب معاني اللام مردّه إلى نوع الفعل الذي يتعلّق به، فضلًا عن التركيب اللغويّ المنساق فيه. أمّا المعنى العامّ للام فهو دلالتها على المآل والغاية. وفي قوله (عليه السلام) نجد أنّ معنى (خلص) يفيد التنقية للشيء ممّا يشوبه، وبزيادة همزة القطع أريد التعدية، أي: القيام بتنقية الشيء من شوائبه، ولمّا كان محور كلامه (عليه السلام) عن الدين (أوّل الدين)، فالمعنى تنقية العبد الموحّد لدينه من الشوائب والعقائد الفاسدة، وهذا يعني:

أ- نفي إشراك أحدٍ معه سبحانه.

ب ـ نفي تشبيهه تعالى بالأجسام الأخرى.

ج ـ نفي النقائص عنه من جهل أو ضعف وغيرها.

دـ إثبات كون الأعمال ابتغاء رضاه وليس مراءً لأحد.

وهذه التنقية للعقيدة المفهومة من الفعل (أخلص) تنسجم مع الدلالة العامّة للام على المآل، فالإخلاص في الدين مآله لله تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} ﴿الأعراف: ٢٩﴾. أمّا التعلّق بأحد صور التنقية فيجعل

---

(١) ينظر: كتاب اللامات للزجاجي.

الشارحين لكلامه (عليه السلام) يخرجون اللام عن معناها العامّ، فمن أراد من الإخلاص سلب النقائص عنه تعالى أي جعله خالصًا منها ذهب إلى أنّ اللام زائدةٌ، بتقدير: أخلصه سبحانه من النقائص، وهنا تكون التعدية مباشرة، وهذا لا يجوز في حقّه تعالى، ومن أمثلة دلالة اللام على المآل والمنتهى قوله تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} ﴿البروج: ١٦﴾ و{نَزَّاعَةً لِلشَّوَى} ﴿المعارج ١٦﴾، مع أنه لا زيادة للام في الكلام وإنّما هي تدلّ على المآل؛ إذ إنَّ التقدير: (فعّال ما يريد)، يختلف عن (فعّال لما يريد)، فالأولى بمعنى: كن فيكون، والثانية بمعنى تهيئة الأسباب لها لا أنّه سبحانه يفعلها بنفسه فيبطل الثواب والعقاب، وكذا (نزّاعة الشوى) التي تقوم بنزعه بعد إحراقه بها، على حين (نزّاعة للشوى) يراد بها أنّها تقصد هذا الشوى لتحرقه ثم تنتزعه، وهنا الصورة أكثر ترهيبًا؛ لأنّ النار تقصد للشوى ومآلها طلب إحراقه ونزعه لا أنّه احترق بها ونزعته.

ومع حصر معنى الإخلاص بأنّ العمل لا مراءاة فيه رجّح معنى التعليل في اللام دون المآل، مع كون التعليل مفهومًا من مآل الشيء، أي نتيجته التي هي علّة للفعل. وإنّما استظهروا دلالة اللام على التعليل حملًا على قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} ﴿البينة: ٥﴾ فكأنّ الإخلاص علّة للأمر بالعبادة وهو الأمر المذكور في التركيب نفسه من الآية، مع أنّ ظاهر الآية يجعل الإخلاص مبيِّنًا لكيفية العبادة، أي: أُمروا بالعبادة على صفةٍ واحدة هي الإخلاص، وهذا الإخلاص مآله إلى الله، أي إخلاص الدين لله سبحانه، وهو إخلاصٌ للدين من الرياء والعقائد الفاسدة، فمعنى اللام يجعلها تعمّ كلّ صور الإخلاص والتنقية، والمعاني الفرعية تحدّد الإخلاص بصورة دون غيرها.

س: ذكر فريق من الشراح[1] أنّ حرف الجرّ (عن) في قوله (عليه السلام) (كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم) بمعنى (من) منظّرين له بقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} ﴿الشورى: ٢٥﴾ فما معنى (عن) أصالة؟ وهل يجوز التضمين في معاني الحروف؟

إنّ إخراج الأداة عن معناها الثابت لها بالاستقراء اللغويّ يحتاج إلى دليل، فضلًا عن عدم جوازه في كلام الخالق تعالى، و(عن) حرف جرّ يفيد الدلالة على المجاوزة كما في قوله تعالى: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} ﴿الأعراف: ١٥٧﴾ وهو كذلك في (يقبل التوبة عن عباده)؛ لأنّهم تابوا بعد خطإٍ ارتكبوه، لذا فسبحانه يقبل التوبة منهم متجاوزًا عن هذا الخط، ولو كان يقبل التوبة منهم لكان راضيًا بأخطائهم. وكذا هو معنى (عن) في قوله (عليه السلام) المذكور آنفًا، فهو سبحانه كائن في الأزل بلا حدث سبّب تكوينه، وكينونته تتجاوز تصوّر الأسباب في أحداثها، ولو كان التقدير: كائن لا من حدث، لفُهم أنّه سبحانه كائن من شيء آخر غير الحدث؛ لأنّ (من) تفيد ابتداء الغاية.

س: تكرّر استعمال (لا) في كلامه (عليه السلام)، فهل كلّها بمعنى واحد؟ ولماذا؟

لا، فهي في الجمل الخمس الأُوَل نافية، وفي الجملة السادسة لنفي الجنس، وذلك لدخولها على لفظة تفيد العموم، وهي: سكن. وأمّا في (ولا يستوحش) فمنهم من عدّ (لا) زائدة كزيادتها في قوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} ﴿الأعراف: ١٢﴾، والواو عاطفة، ليكون التقدير: إذ لا سكن يستأنس به ويستوحش لفقده. ومنهم من عدّها نافيةً، والكلام مستأنف وليس معطوفًا[2]

(١) ينظر: منهاج البراعة للخوئي ١٧٩/٢.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ٣٤٤/٢.

على نحو: {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ﴿العنكبوت: ١٩﴾، والأَولى أنْ تكون الواو عاطفة و(لا) هي النافية للجنس كسابقتها التي عُطفت عليها، وإنّما لم يذكر اسمها معها هنا لذكره السابق مع الخبر الأول وهو (يستأنس به). وكذا لا يصح القول بالاستئناف؛ لعود الضمير في الجملة الجديدة على الظاهر قبلها، ولأنّ العطف بالجملة الجديدة يغاير تركيب الجملة السابقة، مع أنّ الاستغناء عن إعادة اسم لا وهو (سكن) مفهوم من ذكره أوّلًا، والقول بزيادة (لا) تلاعبٌ بالتركيب اللغويّ، فهي نافية معطوفة على ما قبلها وإن لم يكرّر المنفيّ لتقدّمه (سكن) وإضماره في الفعل المنفيّ (يستوحش)، وتكرار (لا) هنا يفيد نفي كلّ من الاستئناس والاستيحاش على حدة، وهذا يعني نفي الحاجة لكلّ سكن يحصل بوجوده أنس أو وحشة أي نفي النوعين من السكن، ولو لم تتكرّر (لا) لفهم نفي نوع واحد من السكن، وهو السكن الذي يأنس له ويستوحش لفقده، أمّا السكن الذي لا يستوحش لفقده فلم ينفه؛ إذ الإنسان ربّما يأنس بالآخر دون أن يستوحش لفقده.

وأمّا قوله تعالى في تقريع إبليس (ما منعك ألا تسجد) فـ(لا) هنا ليست زائدة، لأنّ الآية تخبر عن أنّ إبليس امتنع عن السجود لآدم بنيّة مسبقة، لا أنّه امتنع عن السجود بعلّة الترفع، أيْ أنَّ (لا) أفادت الدلالة على إصرار كامن في إبليس على الامتناع عن السجود، وهذا المورد للآية في سياقها القرآني يسرد قصة خلق آدم مع التركيز على إغواء إبليس وتحدّيه للخالق سبحانه.

المستوى المعجميّ

هل يمكن استبدال لفظة (العلم) بلفظة (المعرفة) في قوله (عليه السلام): (أوّل الدين معرفته) لأنّهما مترادفتان أم لا؟

لا يمكن ذلك؛ لأنّ الألفاظ لا تترادف، وإن كان معناها العام واحداً، فثمّة فرق بين العلم والمعرفة[1]، إذ إنَّ العلم أعمق من المعرفة، ويراد به حقيقة الشيء المعروف، وهذا يستحيل مع الخالق تعالى؛ ولذا يجيء (علِم) من الباب الرابع الدالّ على الامتلاء، أي امتلاء المعرفة بالمعلوم، على حين يأتي (عرف) من الباب الثاني، ولذا يصحّ الخطأ في الأمور المتعارف عليها لا المعلومة، فقيل: المعرفة إدراك الجزئيّات، والعلم إدراك الكلّيّات. والمعرفة من عُرْف الديك وهو أعلاه فكأنّ العارف بالشيء يعلم ظاهره لا باطنه، أما العِلم فأصله من العَلَم والجبل، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} ﴿الشورى: ٣٢﴾ فكأنّ العالم بالشيء يحيط بكل أبعاده وليس أعلاه فالمعرفة إذن أقل رتبة من العلم. والإمام (عليه السلام) ذكر أدنى مراتب إدراك الخالق وهو المعرفة ومن لوازمها توحيد الله وعدم الإشراك به في سائر المعارف التي ذكرها (عليه السلام) في خطبته؛ لأن الإدراك الكلي المعبَّر عنه بلفظ العلم متعذَّر على البشر في حقّ الباري عز وجل.

س: ما العلاقة الاشتقاقيّة بين لفظ (أوّل) في قوله (عليه السلام): (أوّل الدين معرفته)، ولفظة (الآلة) في قوله (عليه السلام): (فاعل لا بمعنى الحركات والآلة)؟

كلا اللفظين من الأصل (أول)[2]، فالأوّل -في أرجح الأقوال- على أفعل التفضيل وأصله (أأول) وهو مبتدأ الشيء، وقد يكون له ثانٍ كما في صفات المخلوقين، أو لا يكون له ثان فيكون مختصًّا به تعالى الذي لم يسبقه شيء في الوجود ولم يوجد له نظير يثنّيه. أمّا الآلة فهي من الجذر نفسه بزنة (فَعَلة)، وهي الأداة التي تستعمل في عمل الأشياء وتصييرها إلى حالة كانت متصوّرة لها أوّلًا. وكأنّ الآلة هي الشيء الذي يَرجع بالأشياء إلى صورتها الذهنيّة قبل أنْ تعمل وتظهر بصورتها الأخيرة.

---

(١) الفروق اللغوية ٨٠.

(٢) ينظرك لسان العرب (أول).

المستوى البلاغيّ

س: أسلوب التقديم والتأخير في قوله (عليه السلام): (أوّل الدين معرفته) يصنَّف ضمن أيِّ علم من علوم البلاغة؟ وما الغرض منه؟ وهل ثمّة أسلوب آخر يبرز في كلامه (عليه السلام) ضمن هذا العلم؟

يصنّف التقديم والتأخير ضمن علم المعاني، والغرض منه إثبات أمرٍ أولى بالاهتمام لتقريره في نفس السامع، وهذا العلم يراعى فيه مطابقة الكلام لحال السامع؛ لأنه خالي الذهن من المعرفة بالأمر أو منكرٌ له[1]. والترتيب الأوّل للكلام: معرفة الله تعالى أوّل الدين، فابتدأ (عليه السلام) بأوّل الدين لينبّه أذهان المخاطبين على أهمّية ما سيقوله فهو أصل الدين ومفتاح كلّ عمل عباديّ.

ومن هذا العلم أسلوب الشرط: (فمن وصف الله سبحانه فقد...) إذ استعمل (عليه السلام) هذا الأسلوب ليوضّح فيه ما أقرّه من نفي الصفات عن الخالق، وكأنّ المخاطب لم يدرك تمامًا هذه الحقيقة، وشابهُ نوعٌ من الإنكار لها فجاء الشرط ليعلّل له هذا النفي ويؤكّد حقيقته في نفسه.

---

(١) ينظر: دلائل الاعجاز ١٠٦/١.

المقطع الثالث: بدء خلق الكون

وهو قوله (عليه السلام): "أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّة أَجَالَهَا، وَلاَ تَجْرِبَة اسْتَفَادَهَا، وَلاَ حَرَكَة أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَة نَفْس اضْطَرَبَ فِيهَا. أَحَالَ الأَشْيَاءَ لأَوْقَاتِهَا، وَلاَءَم بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غَرائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا".

المعنى العام

بعد كلامه (عليه السلام) عن صفات الله سبحانه وكيفيّة توحيده أردف ذلك بالكلام عن أكبر مخلوقات الله تعالى وهو خلق السموات والأرض؛ إذ قال تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ﴿غافر: ٥٧﴾ ففصّل الإمام (عليه السلام) في كيفيّة خلق الله تعالى للسموات ليثير دلائل توحيده سبحانه فقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} ﴿الأنبياء: ١٦﴾ و{قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ} ﴿الأنبياء: ٥٥﴾ و{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} ﴿الدخان: ٣٨﴾. ولم يذكر (عليه السلام) في هذه الخطبة خلق الأرض تفصيلًا، وذكر ذلك في خُطب أخرى منها الخطبة الحادية والتسعون، ربّما لأنّ الأرض متكونة بالطريقة نفسها التي خلقت بها السماوات، وهذا ما تدلّ عليه روايات أهل البيت (عليهم السلام)[1].

المستوى الصوتيّ

س: في لفظة (اضطرب) لماذا أُبدلت التاء طاء؟

---

(١) ينظر: منهاج البراعة للراوندي ٢٦/١ وفي ظلال نهج البلاغة ٢٨/١.

بحكم التجاور الصوتيّ؛ لأنّ التاء مهموس مرقَّق، وصوت الضاد مجهور مفخّم، فيصعب الانتقال من التاء إلى الضاد في الموضع نفسه مع تنافر بين صفاتهما؛ لذلك يؤتى بصوت الطاء وهو منزلة بين التاء والضاد؛ إذ هو من مخرجهما ولكنه مهموسٌ كالتاء ومفخّم كالضاد.

المستوى الصرفيّ

س: زن الألفاظ الآتية، وبيّن معانيها الصّرفيّة؟ رويّة، تجربة، همامة، لاءم، عزّز، قرائن.

(الرويّة) اسم على فعيلة من (رأى) مخفّف الهمز، ذلك أنّ الرأي لما يراه الإنسان في الأمر ببصيرته، ومنهم من جعلها فعيلة من (روى)، لأنّ الراوي هو من يأتي بخبرٍ من شأنه أن يروي أهله من العلم به. ومراد الإمام (عليه السلام) أن ينفي عن الله سبحانه أن يكون له رأي يتفكّر به ويقلّبه على وجوهه حتى يقرّر بعده إنشاء الخلق؛ لأنّه سبحانه لا يحتاج إلى صفات كالتي عند البشر، فهو عالم بالموجودات يقول للشيء كن فيكون. ويمكن أنْ يكون من (روّأ) في الأمر: نظر فيه ولم يعجل، ثم ترك همزها تخفيفًا.

(تجربة) مصدر مرّة من فعّل بمعنى اختبر مرّة بعد مرّة حتى وصل إلى هذا الخلق، أي لم يخلق قبل ذلك أجسامًا فحصلت له تجربة أعانته على إيجاد الخلق. والمصدر الأصلي هو (التجريب) ولكن لّما لحقته هاء المرّة حذف المدّ (الياء) منه تخفيفًا، ومثله التبصرة في قوله تعالى: {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} ﴿ق: ٨﴾ إذ الأصل (تبصير) لأنه مصدر (بصّر) ثم لحقته هاء المرّة فاستغني عن ياء المدّ.

(همامة) مصدر همّه الأمر إذا أحزنه، لأنّ الأمر المحزن هو الذي يذيب صاحبه من كثرة انشغاله به. وهمّ: أصل يدلّ على ذوبان ماديّ هو ذوبان الشحم ثم استعمل فيما يحدث حزنًا وقلقًا من الأمور. وهذا محال على الخالق تعالى؛ لأنّه سبحانه فعّالٌ لما يريد وهو المقدّر الجبّار. وقيل إنّ الهمامة مصطلح

مجوسيّ يراد به ما تكوّن من اقتطاع جزء الشّرّ مع جزء الخير بعد غزو كلّ منهما للآخر، ومن هذا الاقتطاع نشأ الكون[1].

(لاءم) فاعَلَ دالّ على المشاركة بين الأشياء المخلوقة بملحظ المبالغة في اشتراك الأشياء المخلوقة - وهي لا حصر لها- بعضها مع بعض في التناسب، فطبيعة الأشياء مجبولةٌ فيها من حرّ وبرد ورطوبة، وكذا طبيعة الإنسان مهيّأةٌ للقيام بتكاليفه الشرعيّة.

(غرّز) فعّل من الغَرز، والتضعيف يفيد المبالغة، ليدلّ على أنّ الأشياء مجبولةٌ على طبيعتها التي غرزت فيها كما تغرز الإبرة فيدخل الخيط في القماش ويصبح جزءًا منه. ومن ذلك سُمِّيت الغريزة لما طبع عليه المخلوق؛ لأنّه لا ينفكّ عنه.

(قرائن) جمع قرينة، وهي اسم لكلّ ما يجتمع مع غيره، فالنفس تجتمع مع بدن الإنسان، والزوج مع زوجه، وقرن الثور مع نظيره، والنبات بالماء والتربة، والحيوانات الصحراويّة مع بيئتها الحارّة، والسهول مع الأنهار، وهكذا. وربّما كانت جمع قرونة بمعنى النفس الإنسانيّة، أمّا القرن من الزمان فلاجتماع أهله في تلك الحقبة، أي أهل زمان واحد.

المستوى النحويّ

س: ما نوع (لا) في قوله (عليه السلام): (بلا رويّة أجالها) وما بعدها؟

تأتي (لا) في الكلام على ثلاثة أنواع: ناهية؛ وهي التي تدخل على الأفعال المضارعة، ونافية عاملة عمل ليس، ونافية غير عاملة. وهي التي تدخل على الجمل أو الصفات. أمّا التي يدخل عليها الجارّ فقد اختلف فيها، فالكوفيّون يعدّونها بمعنى (غير) وأنّ الاسم بعدها مجرور بحرف الجرّ. والبصريّون يعدّونها زائدة تفيد النفي، وإنّما زيدت لتوسّطها بين الجارّ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٨١.

والمجرور، كقولهم: جئت بلا زاد. وهي في قول الإمام (عليه السلام) متوسّطة بين الجارّ والمجرور.

س: ما دلالة اللام في (أحال الأشياء لأوقاتها)؟

من نظر إلى المعنى المعجميّ (الماديّ) جعل اللام بمعنى (على)؛ لأنّها من قولك: حال في متن فرسه، أي: وثب، وأحاله غيره، أي: أوثبه على متن الفرس، على نحو: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} ﴿الصافات: ١٠٣﴾. ومن نظر للمعنى العامّ جعل (اللام) بمعنى (في) على نحو: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} ﴿الأنبياء: ٤٧﴾، والمعنى أنّه سبحانه لّما أقرّ الأشياء في أوقاتها صار كمن أحال غيره على فرسه. والصواب أنّ (اللام) وكلّ حرف لا بدّ أن يبقى على معناه المخصّص له بلا تأويل أو تضمين لمعنى حرف آخر، فإحالة الأشياء تركها تمضي وتتحرك على ما خلقها الله تعالى له لتحوّل بإرادة الخالق، أي ترجع إلى أوّل نشأتها من العدم، فاللام للمآل، أي تتحرك متّجهة نحو مآلها وهو وقتها الذي خصّص لها {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ﴿القصص: ٨٨﴾. واللام في (تلّه للجبين) تجعل (التلّ) وهو الصرع والكبّ يؤول إلى جهة الوجه الذي عبّر عنه بالجبين؛ لأنّه محلّ استقرار الوجه، ولو استعمل (على) لفهم أنّ الجبين شيء منفصل كالحجر وشبهه وأنّ الجسد استقرّ عليه لأن (على) للاستعلاء.

وكذا لو كانت اللام بمعنى (في) كما قيل في تأويل: (ونضع الموازين ليوم القيامة) لكان المعنى أنّ يوم القيامة ظرف زمانيّ لوضع الموازين التي ليس لها وجود قبله، على أنّ استعمال اللام يفيد أنّ الوضع للموازين منذ الخلق وانتهاء بيوم القيامة، وفيه تعظيم وترهيب أعظم من أنْ يكون الوضع مقتصراً على ذلك اليوم فقط. وكلامه (عليه السلام) يفيد هذا التوقيت للأشياء التي ذكر (عليه السلام) أنّ الله سبحانه أنشأها وابتدأها لوقت تحول فيه وترجع إلى انعدامها.

المستوى المعجميّ

س: هل الإنشاء والابتداء مترادفان، أم لا ترادف بينهما لمجيئهما متعاطفتين؟

الخلق مصدر سمّي به كلّ ما خلقه الله تعالى وقدّره، والإمام (عليه السلام) يتكلّم عن إيجاد الله تعالى لهذا الخلق، فذكر الإنشاء والابتداء، ليدلّ بالأوّل على المخلوقات المنتصبة في خلقها أي الماثلة أمام العيان، لأنّ الإنشاء هو ارتفاع الشيء وظهوره، قال تعالى: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} ﴿الرحمن: ٢٤﴾ أي السفن المرتفعة كالجبال، وكذا {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} ﴿المزمل: ٦﴾ وهي ساعاته التي ينتصب المصلّون فيها للصلاة، و{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} ﴿الواقعة: ٣٥﴾ أي: جعلناهن على هذه الصفات الجميلة الظاهرة في الرفعة والعلوّ في الحسن. ومن هنا نجد أنه (عليه السلام) لّما أراد الكون الماثل أمام المخاطبين استعمل الإنشاء، وعطف عليه الابتداء، وهو لفظ يفيد تحديد أوّليّة الصنع، أيْ إنَّ هذا الخلق أظهره الله تعالى للوجود ولم يتقدّم عليه خلق يماثله، فهو السابق في الإيجاد، وإنشاؤه على هذه الصورة وليس قبله مماثل له[1].

المستوى البلاغيّ

س: ما أبرز الفنون البلاغيّة في النّصّ المتقدّم؟

يلحظ في النصّ أنّ الفاصلة من رويٍ واحد وهو صوت الهاء، وهو لون من فنون علم البديع يسمى بالسجع في النثر، ويؤتى بها على رويّ واحد لتحسين الأداء الكلامي ولا يكون ذلك على حساب المعنى، والفاصلة في كلامه (عليه السلام) منساقة مع المعنى لما يضفيه هذا الصوت الخفي الهشّ من

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١٣٤.

إيحاءات للنفس الإنسانية عن غموض هذا العالم الكبير وأسراره الدقيقة التي لا يعلمها الّا خالق الكون سبحانه.

ويلحظ أيضًا في هذا النّصّ أسلوب ذِكر الخاصّ بعد العامّ، في ذكره (عليه السلام) للمعرفة بعد العلم (عالمًا بها قبل ابتدائها، محيطًا بحدودها وانتهائها، عارفًا بقرائنها وأحنائها)، فالمعرفة خاصّة، والعلم عامّ إذ يشمل المعرفة وأكثر منها كما ذكرنا سابقًا، ولّما أثبت (عليه السلام) علم الخالق ابتداء بالأشياء، ساغ ذكر معرفته بلوازم هذه الأشياء من القرائن والأحناء التي تُدركُ ظاهرةً للمخلوقين، أيْ إنَّه سبحانه يعرف المخفيّ والظاهر لما خَلق. وهذا أسلوبٌ بلاغيٌّ له نظائر قرآنيةٌ من ذلك {ثمَانيَةَ أَزْوَاجٍ منَ الضَّأْن اثْنَيْنِ وَمنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ علَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ﴿الأنعام: ١٤٣﴾.

المقطع الرابع: خلق السماء

ثُمَّ أَنْشَأَ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الهَوَاءِ، فأجازَ فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَراكِماً زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ العَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ القَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إلى حَدِّهِ، الهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَالماءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ المَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ البِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمواتٍ، جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلاَ دِسَارٍ يَنْظِمُهَا. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ.

المعنى العامّ(1)

يعدّ أصل خلق الكون من الأمور غير المحسومة علميًا، وفيه نظريّات كثيرة تتحدث عن انفجار وتفاعلات حدثت صدفة نشأ عنها الكون، والإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة يفصّل نشأة الكون تفصيلًا تعلّمًا من ذي علم، بأنّ الأصل فيه ومصدر تكوّنه هو (الماء). ويسبق الماء خلق الهواء الذي يحمل هذا الماء، ثمّ تأتي الريح بنوعيها لتقوم الأولى بشدّ الماء والسيطرة عليه، وتقوم الثانية بمخض الماء وإخراج الزبد منه، ومن هذا الزبد خلقت السماوات السبع.

---

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٨٣-٨٤ ومنهاج البراعة للخوئي ٢/٣٧٣-٣٧٥.

وربّ سائل عن قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أو كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} ﴿فصلت: ١١﴾ إذ لم يرد ذكر مرحلة الدخان في كلامه عليه السلام، والحقيقة أنّ الدخان هو مجموعة الغازات المتكاثفة المتصاعدة، يقال: دخن الغبار: ارتفع، أيْ إنَّه قد يكون الدخان من غير نار، ولذا فالدخان في كلامه (عليه السلام) هو نفسه في قوله: (ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبع سموات) أيْ إنَّ المراد بالدخان هو الزبد الذي نشأ من مخض الماء المتلاطم، إذ يرتفع الزبد على شكل غازات ليتكاثف ويكوّن السموات، والزبد في اللغة ما دلّ على تولّد شيء عن شيء، من ذلك زبد الماء وزبد الحليب. أمّا الزبد في قوله تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أو مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} ﴿الرعد: ١٧﴾ فهو ما نشأ من اختلاط حطام النباتات وغيرها بماء السماء، والزبد في كلامه (عليه السلام) هو ما نشأ من مخض الماء لإخراج الصفو منه الذي من شأنه تكوين السماء، وفي المرويات تأكيد لهذه الحقيقة، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): (فلمّا أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحار حتى أزبدتها، فخرج عن ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء) أيْ إنَّ الزبد وهو مادّة هلاميّة رُفع ليتكاثف ويتجانس ويكوّن الدخان الذي نمّى قوّة الجذب في مكوّناتها بسبب تكاثفه فاستقطب الجزيئيّات إلى بعضها على شكل دوّامات ليشتدّ ظلامها كما قال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أم السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} ﴿النازعات: ٢٧ -٣٠﴾، وشدّة التجاذب هذه أسفرت عن تحرّر طاقة وضوء لتكوّن الشمس، بينما كوّنت الدّوامات الأبعد الكواكب، والشمس تجذب الدّوامات حول محورها لتولّد قوى طرد مركزيّ تسبب تفلطح الأرض وهو

الدّحو. والأرض خُلقت من عذب الماء الذي هو على الهواء، وقد ضربت الريح الماء حتى أزبد فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلًا من زبد ثم دحا الأرض من تحته.

ثمّ تكلّم (عليه السلام) عن السماء الدنيا، ووصفها بما وصفت به في القرآن الكريم من الحفظ والارتفاع بغير عمد، والتزيين بالكواكب والشهب والشمس والقمر، غير أنّنا نجد تخصيص السماء الدنيا بلفظ (علياهن) والمستعمل في القرآن (الدنيا)، وأثبتت الدراسات الحديثة أنّ الاتّجاهات تحدّد حسب النظريّة النسبيّة، أي بالنسبة إلى نقطة ما؛ لأنّ الكون كلّه متحرّك لا ثابت فما يكون أعلى الآن يصير بعد زمن ما أسفل. وربّما عنى الإمام بـ(علياهن) نسبة السماء الدنيا إلى الأرض؛ لأنّها تعلو الأرض فهي سقف لها. على حين عنى بـ(سفلاهنّ) نسبةً إلى الكون، فنحن بمجرّتنا الشمسيّة نقع في الطرف الأقصى لذيل من ذيول مجرّة درب التّبانة.

ومن الجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم أخبر بحقائق عن الكون لم تكن معروفة في وقت نزوله، إذ كان العالم آنذاك يؤمن بنظريّة بطليموس وهي أنّ الكون قبّة فلكيّة علّقت فيها النجوم كما تعلّق المصابيح، وهي تدور حول الأرض ووجدوا أربعة كواكب مرئيّة بالعين تغيّر مواضعها فسمّوها بالدراري، على حين أخبرهم القرآن الكريم بوجود سبع سموات ومن الأرض مثلهن، وأنّ الكون في توسّع مستمرّ {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} ﴿الذاريات: ٤٧﴾، وأنّ الأرض متحرّكة والسموات كذلك ولها أجل وأعمار {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} ﴿الروم: ٨﴾، وبعد أن توالت الاكتشافات جاءت مطابقة لما أخبر به القرآن ابتداء.

المستوى الصوتيّ

س: هل يُوجِد التعاقبُ الصّوتيّ في فاء اللفظتين (عصف وقصف) فرقًا بين صنفي الريح في قوله (عليه السلام): (حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة)؟

نعم، إذ إنَّ صوت العين الناصع الذي يخرج من أقصى الحلق وهو من الأصوات المائعة التي لا عائق أمامها لكنه صوت شديد الجهر فيحاكي سرعة الريح، على حين يكسب صوت القاف الشديد (الانفجاريّ) المفخّم (المستعلي) هذه الريح شدة أكثر فاقترن القصف بلفظة (زعزع) التي تومئ بمقطعها المكرّر إلى شدّة التحريك.

المستوى الصرفيّ

س: في المقطع المتقدّم ألفاظ لها وزن صرفيّ واحد، استخرجها وبيّن دلالاتها الصرفيّة؟

١- (زخّار، تيّار) على وزن (فعّال)، وهو بناء يدلّ على المبالغة، وزخّار من زخر بمعنى امتلأ، يقال: زخر الوادي إذا امتدّ وارتفع. أمّا (التيّار) فليس على وزن (فعّال) لعدم سماع جذر في العربية أجوف يائي من هذه المادّة و"التِّير الحاجز بين الحائطين فارسي معرّب"[١] ولذا قال ابن الأثير: "هو موج البحر ولُجَّتُه والتَّيَّار فَيْعالٌ من تار يتور مثل القيّام من قام يقوم غير أن فعله مُماتٌ، ويقال: قطعَ عرْقاً تَيَّاراً أي سريع الجَرْيَةِ وفَعَلَ ذلك تارَةً بعد تارة أي مرة بعد مرة"[٢] وذكر الفيروزآبادي من مشتقات الجذر الممات (تور) "التَّوْرُ: الجَرَيانُ، والرَّسولُ بين القَوْمِ، وإِناءٌ يُشْرَبُ فيه"[٣]. فعلى هذا يكون أصل

(١) لسان العرب (تير).

(٢) النهاية في غريب الحديث (تير).

(٣) القاموس المحيط (تور).

التيّار هو (التيْوار) فقلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون الأصلي.

٢ـ (متراكم ومتلاطم)، وهما صيغتان لاسم الفاعل من (تفاعل) على زنة متفاعل للدلالة على اشتراك أمواج البحر في التلاطم والتراكم بعضها مع بعض.

٣ـ (فتيق ودفيق ورقيم) على زنة (فعيل)، وقيل إنّها تدلّ على مفعول، أي: مفتوق ومدفوق ومرقوم لأنّه أي الفلك، يشبه الثوب المنقوش لرقمه بالكواكب، أو تشبيهًا باللوح لأنّه مسطّح.

والصواب أنّها صفات مشبهة دالة على ثبوت الوصف للماء لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت، لا على افتراق الوصف على ما هو عليه من دلالة صيغة مفعول الدالة على المضيّ.

٤ـ (مهبّها ومربّها ومجراها ومنشأها)، هذه الألفاظ على زنة (مَفعل) وهي صيغة تشترك بين المصدر الميميّ واسمي الزمان والمكان من حيث الاشتقاق، والسياق هو الذي يحدّد دلالتها. وفي هذا السياق الألفاظ الثلاثة الأُول تفيد المصدريّة؛ إذ ليس المراد هو وصف عمل الريح بأنّها (عقيم) في هبوبها، أي لا تلقّح وإنّما المراد منها تصفيق الماء وإثارته، وكذا فهي دائمة المربّ، أي اللزوم، من: أربّت السحابة بهذه البلدة: إذا دامت، فهي لم تكن مؤقّتة، وإنّما أخذت وقتًا طويلًا حتى أتمّت مخض الماء وأخرجت زبده وعبّت عبابه، وكذا وصفت الريح بأنّ جريانها كان عاصفًا أي شديدًا. على حين تحتمل اللفظة الأخيرة (منشأها) أن تدلّ على المصدريّة واسم المكان بدلالة فعلها (أبعد) إذ البعد من لوازم المسافات، أي: يكون مكان نشوئها بعيدًا فلا تعرف له زيادة في إظهار قوّة هذه الريح.

٥ـ (عُباب ورُكام) في قوله (عليه السلام): (حتى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه) صيغة (فُعال) ذات معان صرفيّة متعددة، إذ تأتي صفة مشبّهة نحو: شُجاع وفُرات، وتأتي مصدرًا دالًّا على صوت أو داء نحو: صُراخ

وزُكام، وتأتي اسمًا دالًّا على تفتت الشيء ثم اجتماعه في نقطة ما، نحو: الحُطام والرّفات، وهي بهذا المعنى في قول الإمام عليه السلام، فالعباب يراد به معظم السيل الذي يجمع بعد أنْ عبّ أي ارتفع بفعل الريح العاصفة، وكذا الرّكام: ما تجمّع بعضه على بعض من هذا المرتفع، وكأنّه باجتماعه على بعضه انفصل عن أصله ولثقل كتلته المجتمعة طُرح الزبد الناتج من المخضّ؛ لأنّ الركم هو إلقاء بعض الشيء على بعض، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} ﴿النور: ٤٣﴾ والبناء فُعال دالٌّ على اسم الذات، فإذا أريد وصف الحدث المتجدّد قيل مركوم {وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ} ﴿الطور: ٤٤﴾.

٦ـ (سِقاء ودِسار وسِراج) على صيغة فِعال، وهذه الثلاثة دالّة على الآلة، فالسقاء آلة يوضع فيها الماء أو الحليب تستعمل للسقي. وكذا الدسار هو المسمار وجمعه دُسُر. والسراج آلة للإضاءة بفتيلة ودُهن.

المستوى النحويّ

س: ما دلالة (ثم) في قوله (عليه السلام): (ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء).

الدلالة الرئيسة لـ(ثم) هي التشريك في الحكم مع التراخي والترتيب، جاء زيد ثم عمرو. وقد تأتي بلا ترتيب كما في قوله تعالى: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} ﴿الزمر: ٦﴾ ففي الآية قدم خلق الأبناء وأخّر خلق أمهم (حواء) فلم تفد (ثم) ترتيبًا هنا. ووجهت الآية بأنّ (ثم) باقية على دلالتها في الترتيب وهي هنا لترتيب الأخبار، فنقول: أعجبني ما صنعت اليوم

ثم ما صنعت أمس، وقيل: إنّها تأتي بمعنى الواو، أي للجمع المطلق كما قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} ﴿طه: ٨٢﴾[1].

فمن ذهب إلى أنّ دلالة (ثم) في هذا النصّ يراد بها الترتيب والتراخي يجعل الكلام معطوفًا على قوله (عليه السلام): (فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتّد بالصخور ميدان أرضه، وهذا يعني أنّ خلق الأرض سابق لخلق السموات، وربّما استدلوا به على تفسير قوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ﴿فصلت: ٩﴾ و{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} ﴿فصلت: ١٠﴾ و{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} ﴿فصلت: ١١﴾ و{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} ﴿فصلت: ١٢﴾. ويرى الشارح ابن أبي الحديد المعتزليّ أنّ الكلام على تقدير أنّ التعقيب والتراخي لا في مخلوقات الباري سبحانه بل في كلامه (عليه السلام)، كأنّه يقول: ثم أقول الآن بعد قولي المتقدّم. ومن جعل (ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم الذي جعل السماء مخلوقة قبل الأرض، وكذا إذا عدّت (ثم) تفيد الجمع المطلق كالواو[2].

والصواب أنّ (ثم) تفيد الترتيب والتراخي إذا كان العامل واحدًا، فإنْ تعدّدت الأحداث (الأفعال) تكون حسب مراد المتكلّم. فـ(ثمّ) هنا للترتيب الذكري؛ إذ العوامل مختلفة: (أنشأ وفطر) وهو المعنى الذي ساقه الشارح المعتزلي من دون حذف في سياق القول.

وفي كلامه (عليه السلام) تفصيل لخلق السماوات بعد إجمال في ذكر المخلوقات عمومًا دون ذكر لخلق الأرض، وإنّما بيّن وجهًا من أوجه تكوينها

---

(١) ينظر: الجنى الداني ١/٤٢٦-٤٣٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٤/٢ ومنهاج البراعة للخوئي ٣٧٥/٢.

وهو تثبيت ميَدانها دون تفاصيل خلق الأرض. وفي آية فصّلت لا دليل على خلق الأرض قبل السماء؛ لأنّه سبحانه ذكر الاستواء إلى السماء فهي -أي السماء- موجودة بصورة دخان، وقبلها لم يشر إلى تقدّم خلق الأرض على السماء، وإنّما ذكر المدّة التي حدّدها لخلق الأرض وتقدير الأقوات. وهذا المذكور تفصّله سورة النازعات {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أم السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} ﴿النازعات: ٢٧ -٣٠﴾ أيْ إنَّ الأرض بعد بناء السماوات دحاها ربّ العزّة وجعل فيها أسباب الحياة. وفي سورة فصّلت الكلام في شأن الأرض كان مقتصرًا على بيان مدّة اكتمال خلقها لا على أسبقيّتها، فالعطف بين الأفعال لا بين الأزمان، أي عطف الخلق، والتقدير للأرض على الاستواء للسماء لا أنه عطف زمن خلق الأرض على زمن خلق السماء، كما تقول: استضفت فلانًا في ساعتين وأعطيته كتابًا يقرأه في ستّة أيّام، فالفعلان في آن واحدٍ والأزمنة مختلفة.

س: ما نوع الإضافة في (فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء)، (ثم زيّنها بزينة الكواكب وضياء الثواقب)؟

الإضافة على نوعين[1]؛ الأوّل: إضافة محضة وهي بتقدير حروف الجرّ: من، في، اللام، نحو: خاتم حديد، مكر الليل، كتاب زيد. والآخر: الإضافة غير المحضة وهي من إضافة الصفة إلى الموصوف أو المشتقات إلى معمولها، نحو: قتيل العبرة وقاتل زيد.

والإضافة في (فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء) يجوز فيها أن تكون محضة بمعنى اللام، أي: فتق للأجواء، وشقّ للأرجاء، وسكائك للهواء، ويجوز أن تكون من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الأجواء الفاتقة، والأرجاء الشاقّة، والهواء المسكوك.

---

(١) ينظر: اللمع في العربية ٨٠ والمفصل ١١٥.

وأسلوب الإضافة يوجّه المعنى وجهة أخرى تختلف عمّا لو دخلت اللام أو وصف الشيء بصفة ما، إذ لو قال: فتقٌ للأجواء لفهم منه عدم شمول الفتق للأجواء كلّها، وكذا لو قيل: إنشاء الأجواء الفتيقة، لفُهم منه اتصاف الأجواء بهذه الصفة ابتداء دون تدخّل محدِثٍ في فتقها، والمراد إحداث عملية الفتق للأجواء كلّها التي خلقها سبحانه وتعالى بلا استثناء، لتكون الأجواء متباعدة عن بعضها منفصلة، والأرجاء وهي النواحي والجوانب منشقّة أي منبسطة، وكذا الهواء في سكيكة أي: في طريقة منتظمة مصطفّة ممّا يهيّئ مساحة واسعة لتلقّي الماء المتلاطم.

أمّا الإضافة في (ثم زيّنها بزينة الكواكب) فهي معتمدة على لفظة (زينة)، فإذا أريد بها المصدر مثل (حلية) مصدر للهيأة، تكون الإضافة على وجهين: أولهما إضافة المصدر إلى فاعله، والتقدير: زيّنت الكواكب السماء بضوئها. والآخر إضافة المصدر إلى مفعوله، والتقدير: زيّن الله الكواكب فجعلها مشرقة. وإذا أريد بالزينة الاسميّة مثل (لِحية) فالإضافة على وجهين: أولهما للبيان أي بمعنى (من)، من باب إضافة العامّ إلى الخاصّ، والتقدير: زينة من الكواكب. والآخر: بمعنى اللام، أي: ما زيّنت به الكواكب، والتقدير: بزينة للكواكب.

وورد هذا التركيب في الاستعمال القرآنيّ منوّنًا في قوله تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} ﴿الصافات: ٦﴾ على بدليّة الكواكب من الزينة، فالكواكب هي التي تزيّن السماء، وهذا يرجّح أنْ تكون الإضافة في قول الإمام دالةً على البيان، أي بمعنى (من) لأنّه (عليه السلام) ذكر نوعًا آخر من الزينة معطوفًا على الكواكب وهو ضياء الثواقب.

س: ما المحلّ الإعرابيّ لجملة: في فلك دائر، في قوله (عليه السلام): (وأجرى فيها سراجًا مستطيرًا، وقمرًا منيرًا، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر)؟

جوّز الشراح أنْ تقع شبه الجملة المتعلّقة بمحذوف (في فلك دائر) صفة ثانية للسراج والقمر، أو أن تكون، بدلًا من الضمير في (فيها)، أي: السماء العليا، فيكون على هذا بدلَ كلٍ من كلّ، فالسماء العليا هي الفلك الدائر والرقيم المائر. وجوّزوا أنْ تعرَب ظرفًا متعلّقًا بـ(منيرًا)، وعلى هذا تكون الشمس والقمر جزءًا من الفلك الدائر، وربّما يكون هذا الوجه هو الأصحّ للحظ الاستعمال القرآني، لكنّ المتعلّق به هو المذكورات كلّها من السماء السفلى والسماء العليا وكواكبها والثواقب والسراج والقمر لتكون كلُّها جاريةً في (الفلك الدائر والسقف السائر والرقيم المائر) وهذا ما يخبرنا به القرآن الكريم: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كلٌ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} ﴿الأنبياء: ٣٣﴾ و{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} ﴿يس: ٤٠﴾ وجوّزوا أنْ تعرَب (في فلك) في موضع حالٍ من (سراجًا وقمرًا).

المستوى المعجميّ

س: ذكر الإمام (عليه السلام) الفتق والشقّ، فهل ثمّة فرق بينهما أم أنّ معناهما المعجميّ واحد؟

كلاهما يدلّ على إبعاد في شيء، غير أنّ الفتق إبعادٌ وفصلٌ لما هو ملتحم أجزاؤه بحسب ما ذُكر سابقًا، يقال: فتقت الثوب، أي: فصلت أجزاءه بعضها عن بعض، أي الكمّ عن الأردان عن الصدر عن الظهر، ولذا هو ضدّ الرتق أي الالتحام {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} ﴿الأنبياء: ٣٠﴾ على حين يكون الشقّ خرمًا في الشيء الواحد غير المجزّأ يؤدي إلى ظهور المستور به، نحو: {ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا} ﴿عبس: ٢٦﴾ ليخرج منها النبات، {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} ﴿الفرقان: ٢٥﴾، {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} ﴿ق: ٤٤﴾، {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ

مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ﴿البقرة: ٧٤﴾، ولذا استعمل الشقّ للأرجاء وهي النواحي والجوانب، والفتق للأجواء، وهي ما حوت على شيء في داخلها، أي: باعد بين الأجواء الممتلئة وفتح الجوانب المحيطة بها ليمتدّ الهواء في طريق منتظمة ليحمل الماء المسلّط عليه كأنّه كوّن أرضية لحمل الماء. وأسند الشقّ إلى الأرض قرآنيًا لأنّها كتلة واحدة، وكذا إلى سماء واحدة {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} ﴿الانشقاق: ١﴾ لا إلى كلّها. وإنّما وصفت السبع بالانفطار دون الانشقاق {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} ﴿مريم: ٩٠﴾، فالانفطار يرد للجسم الواحد {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} ﴿الانفطار: ١﴾ وللمجموع، أمّا الانشقاق فلا يكون إلّا للجسم الواحد.

س: يفرّق كثيرٌ من المعجميين بين الريح والرياح[1] على أنّ الأولى للعذاب للعذاب والثانية للخير، فكيف توجّه استعمال الريح في خلق السماوات في قول أمير المؤمنين؟

ليست الريح خاصّة للعذاب، فقد استعملت في مواضع الرحمة في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} ﴿يونس: ٢٢﴾، فالريح مستعملة في الخير والعذاب، والعلاقة بين الريح والرياح علاقة المفرد بجمعه؛ إذ الرياح هي جمع للريح، نحو: ريم وريام. وفي التعبير القرآني أن الرياح ترسل مبشرات بالرحمة، ومنها لواقح، ومنها التي تثير السحاب، وتذرو الهشيم. وأمّا الريح فهي على أنواع: منها رياح العذاب وهي التي فيها صرّ، والريح العاصف والريح القاصف، والريح

---

(١) ينظر: المفردات (ريح) والكشاف١/٣٢٦.

العقيم، والريح الصرصر، والريح العاتية، ومنها ريح الرحمة: ريح طيبة، وريح رخاء، وريح عاصفة، وهاتان الأخريان هما ممّا سخّره الله سبحانه لسليمان {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} ﴿الأنبياء: ٨١﴾، {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} ﴿ص: ٣٦﴾. وإنّما لحقت التاء بناء (فاعل) في الريح العاصفة؛ لأنّ هذه الريح مأمورة أي مطيعة لسليمان فهي تقصف متى أراد منها ذلك، وتكون رخاء متى أراد ولو كانت عاصفاً لما استطاع التحكم بها، لأنّ (عاصف) فاعل يتصف بالفعل لا قائمٌ به فالعصف طبْعٌ فيها أي إن العاصف بمنزلة الصفة المشبهة التي ترد على زنة اسم الفاعل نحو (طاهر وحامض وغيرها).

وكذا الريح القاصف هي التي تتّصف بالقصف (وهي تكسّر ما تقع عليه) على وجه الثبوت فلا يوقفها أحد إلّا الخالق تعالى فالقصف طبع لها ثابت. والريح في كلام الإمام (عليه السلام) على نوعين: الأولى هي التي حملت الماء ووصفها (عليه السلام) بالعاصفة والزعزع القاصفة، أي الشديدة المتحركة بشدّة وتكسير، وهي تتحكم بالماء الذي تحمله، ولذا دخلتها التاء.

والنوع الثاني هي الريح التي تقوم بتصفيق هذا الماء وتمخيضه لتخرج زبده، ووصفها (عليه السلام) بالعقيم.

س: استعمل الإمام (عليه السلام) في وصف البحر لفظة (الساجي) مقابل المائر، وهو الذي يدور ويتحرّك، قائلًا: "تردّ أوّله على آخره، وساجيه على مائره"، فهل الساجي يدلّ على الساكن أو ثمّة فرق بينهما؟.

في هذا النّصّ متضادات، أحدهما يقابل الآخر، والساجي يقابل المائر، ولمعرفة الساجي لا بدّ من معرفة نقيضه وهو المائر، والمور حركة مضطربة متكرّرة سريعة، يقال: ناقة تمور في سيرها فهي موّارة أي سريعة، والمور الطريق؛ لأنّ الناس يمورون فيه، أي: يتردّدون، {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} ﴿الطور: ٩﴾ أي: تتكفّأ، ومار الجنين في بطن أمّه، أي تحرّك في كلّ اتّجاه،

ولم يتحرّك بشكل دائري أو مائل نحو يمين أو يسار، وإنّما تقلّب في كلّ اتّجاه[1]. ومن هنا نستطيع القول إنّ الساجي هو المتحرّك حركة منتظمة، ولشدّة انتظامها كأنّها مستقرّة دائمة؛ ولذا وصف بها الليل في {وَاللَّيْلِ إذا سَجَى} ﴿الضحى: ٢﴾، وقد ذكر المفسرون أنّ (سجا الليل) معناه سكونه[2]. وسجا الليل " سكن وركد ظلامه. وقيل: ليلة ساجية ساكنة الريح. وقيل معناه: سكون الناس والأصوات فيه. وسجا البحر: سكنت أمواجه. وطرف ساج: ساكن فاتر"[3]، وبقرينة المقابلة بين المور والسجى يمكن أن يقال: إنّ المراد بالساجي هو المتحرك حركة منتظمة لأن الليل متحرّك في القرآن الكريم كما في الآيات: {وَاللَّيْلِ إذ أَدْبَرَ} ﴿المدثر: ٣٣﴾ و{وَاللَّيْلِ إذا عسْعَسَ} ﴿التكوير: ١٧﴾ و {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ} ﴿الانشقاق: ١٧﴾، {وَاللَّيْلِ إذا يَسْرِ} ﴿الفجر: ٤﴾ و{وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَاهَا} ﴿الشمس: ٤﴾ و{وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَى} ﴿الليل: ١﴾، {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ} ﴿الأنعام: ٧٦﴾ و{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} ﴿النور: ٤٤﴾ أي إن الليل الساجي معنى المتحرّك، والسكون هو توقّف الحركة؛ لذا فالمراد من (يردّ ساجيه على مائره) أي أمواجه الهادئة على المضطربة، والموج لا يوصف بالسكون بل تتحرك الموجات حركة اهتزازيّة في موقعها.

المستوى البلاغيّ

س: اشتمل المقطع المتقدّم على فنون بلاغيّة متعدّدة، اذكر أبرزها؟

١-(فأجرى فيها ماء متلاطمًا تيّاره). (متلاطمًا تيّاره) يجوز أنْ يكون كناية عن كثرة الماء، وأصل اللطم: الضرب على الوجه بباطن الكفّ[4]، وتلاطم

(١) ينظر: الصحاح (مور) والمفردات (مور) ولسان العرب (مور).

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٠/٥.

(٣) الكشاف ٧٧٠/٤.

(٤) ينظر: الصحاح (لطم).

الأمواج ضرب بعضها بعضًا كأنه يلطمه. ويجوز أن تكون استعارة مكنية إذ شبه الأمواج المتلاطمة بأشخاص يلطم بعضهم بعضًا ثم حذف المشبه به وأبقى لازمةً من لوازمه وهي التلاطم.

٢-(حمله على متن الريح العاصفة... فأمرها بردّه) مجاز في الأمر بردّ الماء؛ لأنّ الحكيم لا يأمر الجماد، أو هو أمر تكويني فالخالق يأمر الجمادات وتستجيب له كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إذا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ﴿يس: ٨٢﴾.

٣-(ثم أنشأ سبحانه ريحًا اعتقم مهبّها) استعارة مكنيّة، إذ شبّه هبوب الريح بالمرأة العقيم التي لا تُنجب، ثم حذف المشبّه به وأبقى لازمًا من لوازمه وهو العقم. والريح العقيم خلاف اللاقح وهي التي لا تثير سحابًا ولا تلقّح شجرًا.

٤-(فمخضته مخض السقاء) تشبيه حُذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه فهو تشبيه بليغ، أي مثل السقاء الذي يمخَض فيه اللبن ليخرج ما فيه من الزبد، والتشبيه للإشارة إلى شدّة التحريك.

٥-(فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً)، فيه تشبيه بليغ إذ شبّه السماء السفلى بالموج المكفوف وحذف الأداة ووجه الشبه، ويجوز أن يكون في الكلام استعارة، إذ استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلوّ والارتفاع، وما يتوهّم من اللون، فحذف لفظ السماء لتقدم ذكره وأبقى المشبّه به وهو الموج فهي استعارة تصريحية، وقد يكون الكلام حقيقيّة لا مجازًا لأن الكواكب متحرّكة في أفلاكها.

المقطع الخامس: في خلق الملائكة

وهو قوله (عليه السلام): "ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمواتِ الْعُلاَ فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِه مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ وَلاَ سَهْوُ الْعُقُولِ وَلاَ فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلاَ غَفْلَةُ النِّسْيَانِ وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِه وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِه وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِه وَأَمْرِه وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِه وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِه وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَه أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَه بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلاَ يُجْرُونَ عَلَيْه صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ وَلاَ يَحُدُّونَه بِالْأَمَاكِنِ وَلاَ يُشِيرُونَ إِلَيْه بِالنَّظَائِرِ".

المعنى العامّ[1]

لّما ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) خلق السموات وتزيينها بالشمس والقمر والكواكب أشار بعد ذلك إلى سكّانها وحالات الساكنين فيها وصفاتهم وأصنافهم، غير أنّه (عليه السلام) لم يأت على ذكر الأصناف كلّها على وجه الإحاطة والشمول فلم يذكر (عليه السلام) خزنة النار (الزبانية)، ولم يذكر الملائكة المسوّمين، ولا الذين يتوفّون الأنفس، ولا التقسيمات الأخرى من الملائكة الكروبيّين والروحانيّين الذين هم سادة الملائكة وعظماؤهم؛ لأنّ هذه الخطبة تنصبّ على بيان توحيد الخالق وقدرته في الخلق والإيجاد والعبرة من خلق الكون والعباد من الملائكة والبشر؛ لذا جاء كلامه (عليه السلام) في شأن الملائكة منصبًّا على الاهتمام بهذا الغرض العامّ للخطبة، فأوقف الأذهان على جانب العظمة في خلق الملائكة من حيث

(١) ينظر: منهاج البراعة للراوندي ٥٧/١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٢/٢-٩٤.

كثرتهم أولًا؛ إذ بيّن ذلك بقوله: (فتق سبحانه ما بين السموات العلى فملأهن أطوارًا من ملائكته) وهو كالتفسير لقوله تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} ﴿النجم: ٢٦﴾.

ولفظة (الفتق) تدلّ على امتلاء السماوات بهم وكونهم لكثرتهم على أطوار متعدّدة، وهو كقوله (عليه السلام): (وليس في أطباق السماوات موضع إهاب إلّا وعليه ملك ساجد أو ساع حافد)[1]. والإِهابُ هو الجِلْد من البَقَر والغنم والوحش ما لم يُدْبَغْ والجمع القليل آهِبَةٌ.

ثمّ من حيث عِظم خلقهم وسموّ طولهم بقوله (عليه السلام): (الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم...)، وهذا كلّه إظهارا لقدرته سبحانه. واهتمّ (عليه السلام) بإظهار جانب الرقيّ في عبادة الملائكة وتميّزهم عمّن سواهم فمنهم الساجد الذي لا يركع والراكع الذي لا ينتصب والصّاف الذي لا يزول عن مكانه. ثمّ أشار (عليه السلام) إلى بلوغ بعضهم مرحلة أرفع درجة فصار مؤتمنًا على الوحي وإبلاغ الرسالة.

وتعدّ هذه الخطبة وأمثالها من كلامه (عليه السلام) في نهج البلاغة شرحاً لما جاء في القرآن الكريم من آيات في الموضوع نفسه، وكذلك تعدّ حسمًا لما اختلف فيه من أمور تخصّ هذا الخلق الغيبيّ. من ذلك اختلافهم في ماهيّة الملائكة على أقوال: بين من عدّهم متولّدون من النور (وهم المجوس)، ومنهم من عدّهم خلقًا بلا أبدان وأنهم نفوس ناطقة بذاتها (وهم النصارى والفلاسفة)، ومنهم من عدّهم أجسامًا نورانيّة تتشكّل بأشكال مختلفة، فبيّن (عليه السلام) أنّ للملائكة أبدانًا لا تفتر، وعيونًا لا يغشاها النوم، وعقولًا لا تسهو، غير أنهم بقدرات تختلف عن البشر، وكذا بيّن (عليه السلام) أنّهم (لم

(١) في الخطبة (٩١).

يسكنوا الأصلاب، ولم يضمّنوا الأرحام، ولم يخلقوا من ماء مهين)[1]، أي: لا يتناسلون.

وكذلك حسم كلامه (عليه السلام) بعض ما اختلف في تفسيره من آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} ﴿الحاقة: ١٧﴾، فهذه الآية ليس المراد بها الكرام الكاتبين في سورة الانفطار {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ} ﴿الانفطار: ١٠-١١﴾؛ ولذا اختلف المفسّرون في الثمانية هل هم الملائكة أو هم الأنبياء أو العلماء الذين يحملون العلم؛ لأنّهم فسّروا العرش بالعلم فأكّدت الخطبة أنهم ملائكة يحملون العرش، وإنّما أمكنهم الله تعالى على حمله بالقدرة التي أودعها فيهم، فقد سأل يهوديّ أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) فقال: أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أو العرش يحمله؟ فقال (عليه السلام): الله عز وجل حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} ﴿فاطر: ٤١﴾. قال: فأخبرني عن قوله: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} ﴿الحاقة: ١٧﴾ فكيف ذاك وقلت: إنه يحمل العرش والسماوات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهيأة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق مدبّر وربك مالكه لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء)[2]. والمحصل من هذا التفسير أن العرش محمول لله تعالى لا حاملٌ له.

وكذا تفسير قوله تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} ﴿الرعد: ١١﴾، إذ اشتبه على

(١) في الخطبة (١٠٩).

(٢) التوحيد الصدوق، ٣١٦؛ وبحار الأنوار ٣: ٣٣٤.

بعضهم كيف يحفظ الملائكة المعقبون من أمر الله تعالى؟ فجاء قوله (عليه السلام) ليبين ذلك باستعمال اللام: (الحفظة لعباده) التي تؤدّي معنى دقيقًا وهو أنّ حفظهم للعباد من أمر الله إنّما بتهيئة مسببات الحفظ الموصلة لحماية العبد، فلم يقل (عليه السلام): حفظة العباد، بالتعدية المباشرة وإنّما باللام، وهذا مقصود الآية: {إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} ﴿الحج: ٣٨﴾ و{ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} ﴿الطلاق: ٢﴾، فاذا نزل القضاء رُفعت أسباب الحفظ ونُفِّذ أمر الله تعالى إذ نقل القمّي في تفسيره عن الأئمة الأطهار أنه "بأمر الله مِن أنْ يقع في ركيّ (بئر) أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر خلّوا بينهم وبينه، يدفعون إلى المقادير وهما ملكان يحفظانه بالليل، وملكان بالنهار يتعاقبانه"(١).

المستوى الصوتيّ

س: تنوّعت الفاصلة في هذا المقطع بين خمسة أصوات هي: النون واللام والميم والراء والهاء المهتوت، وهي أصوات عُرفت بالمائعة (المتوسطة بين الشّدة والرخاوة) وأنّها ما دخلت بناء إلّا حسّنته، فهل لهذا التنوّع علاقة بالمعنى أو أنّ المراد تحرّي الإيقاع المؤثر في الأسماع بأصوات الغنّة؟

الميم والنون من أصوات الغنّة التي ترقّق الكلام وتنغّمه، وكذا فإنّ (اللام والراء والنون) من الأصوات المتوسّطة بين الشدّة والرخاوة، والتي ينطلق بها الصوت بلا عائق. والهاء معروفة بالصوت المهتوت الذي يليّن ويهشّش البناء عند النطق به، وإنّما اختيرت هذه الأصوات فاصلة لهذا الموضوع بحكم المعنى المتكلّم فيه، فهو (عليه السلام) يصف الملائكة وهم رمز الطاعة والعبادة الخاضعة لله تعالى بلا نقص أو عيب؛ لذا فالموضوع يفتح للسامع آفاقًا غيبيّة عن عالم غير مرئيّ، فيه روحانيّة القرب الإلهيّ عن طريق هيآت الملائكة

---

(١) تفسير القمي ٣٦١/١ ونور الثقلين ٤٨٧/٢.

وأوصافهم المادّية ووظائفهم، وعن طريق السموّ العباديّ لهذه المخلوقات التي يفترض بالإنسان أن يصل إلى مستواها المتكامل من العبادة، فكان دخول هذه الأصوات مرادًا ومطلوبًا في مثل هذه الموضوعات، شأنه في ذلك شأن الآيات المكّية التي تتكلّم عن الإيمان بالله وفرض طاعته، وكذلك آيات الترغيب بالجنّة والتخويف من النار.

المستوى الصرفيّ

س: ممّ اشتق (الملائكة) وما أثر الاشتقاق في المعنى؟

في وزن الجمع (ملائكة) خلاف حسب أصل اشتقاقه، فمن قال: إنّه من (مَلك) فالجمع على زنة (فعائلة) يعدّ جمعًا شاذًا، ومن قال: إنّه من (لأكه يلأكه) إذا أرسله فهو جمع لملأك على زنة مفعل بمعنى مفعول ثم حُذفت الهمزة تخفيفًا ليصير (مَلَك) على وزن (مَفَل) وهو جمع على القياس في الجمع على مفاعلة: ملائكة، بزيادة التاء لتأنيث الجمع[1].

س: ما الدلالة الصّرفيّة لأبنية الألفاظ الآتية؟

١ـ سبّح: فعّل يفيد النحت، أي: قال سبحان الله.

٢ـ فترة: اسم مرّة على زنة فعلة بالفتح.

٣ـ متلفّعون: من تفعّل، يدلّ على الاتّخاذ، تلفّع جناحه، أي: اتّخذه غطاء.

٤ـ يتوهّمون: يتفعّلون من تفعّل، يدلّ على التّدرّج أي الإتيان بالوهم شيئًا فشيئًا.

٥ ـ وحيه: اسم مصدر من أوحى، وهو الأوامر الإلهيّة.

---

(١) ينظر: جامع البيان ١٩٨/١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٦٠/٢ ومجمع البيان ١٥٩/١ والجامع لأحكام القرآن ٦٢/١ والبحر المحيط ١٣٧/١.

٦ ـ مختلفون: مفتعلون من افتعل (اختلف)، دالّة على الاشتراك، والخلف ضدّ القدّام، وخلفه: جاء بعده. ويُلحظ في توجيه دلالته العامّة تعلّق حرف الجرّ بهذا الفعل، فاذا كان حرف الجرّ (في) كانت الدلالة على تعاكس اتّجاهاتهم في الفعل أو القول {فَهَدَى الله الَّذينَ آمَنُوا لمَا اخْتَلَفُوا فيه منَ الْحَقِّ بإذْنه وَالله يَهْدي مَنْ يَشَاءُ إلى صرَاطٍ مُسْتَقيمٍ} ﴿البقرة: ٢١٣﴾، واذا عدّي بـ(إلى) أفاد تشارك الطرفين في المجيء إلى أمر أو مكان أو شخص ما، فيقال: اختلفوا إليه أي جاؤوه، وإذا كان حرف الجرّ (عن) يعني تفرّقوا وابتعدوا، والمراد بالعبارة: (مختلفون بقضائه وأمره) أنّهم متردّدون بعضهم إلى بعض، أي هؤلاء الملائكة المشتركون في حمل الرسالة إلى الأنبياء يختلفون بعضهم إلى بعض في إيصال قضاء الله وقدره، فحرف الجرّ (إلى) غير مذكور لدلالة (بقضائه وأمره) فبوساطة هذا القضاء الذي لا بدّ من إيصاله للرسل يتردّد الملائكة المكلّفون على بعضهم في إيصاله {يُنَزِّلُ الْمَلَائكَةَ بالرُّوح منْ أَمْره عَلَى مَنْ يَشَاءُ منْ عبَاده أَنْ أَنْذرُوا أَنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} ﴿النحل: ٢﴾ فهم مأمورون ومتعاونون فيما بينهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائكَةُ وَالرُّوحُ فيهَا بإذْن رَبِّهِمْ منْ كلّ أَمْرٍ} ﴿القدر: ٤﴾ أي على النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوصيائه عليهم السلام فهم مختلف الملائكة، أي مكان اختلافهم.

س: استخرج جموع التكسير واذكر المفرد والوزن والقاعدة الصرفيّة لكلّ منها.

س: استخرج أسماء الفاعلين، واذكر أوزانها وأفعالها.

المستوى النحويّ

س: في النّصّ تراكيب متضايفة متعدّدة، استخرجها وبيّن نوع الإضافة فيها؟

التراكيب المتضايفة هي: (نوم العيون، سهو العقول، فترة الأبدان، غفلة النسيان، حجب العزّة، أستار القدرة، صفات المصنوعين) والإضافة فيها بمعنى اللام، وفي الأربعة المتقدمة منها تعريض بالإنس الذين يحصل لهم النوم والسهو والفترة والغفلة، وهذا منتفٍ عن الملائكة فهم ليسوا كالبشر في هذه الصّفات.

وإنّما لم يقل: (لا ينامون) بل قال: (لا يغشاهم النوم) للدلالة على أنّهم ينامون الشّيء القليل؛ لأنّه نفى النوم الكثير أو غلبة النوم باستعمال الفعل (غشي) الذي يدلّ على الإحاطة والشمول، فالغشي: إيتاء الشيء وإصابته أيضًا، يقال: غشيه بالصوت: ضربه، واستغشى بثوبه: تغطّى {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} ﴿نوح: ٧﴾: جعلوها غشاوة على أسماعهم ليمتنعوا من الإصغاء، والغاشية تغشى الخلق بأفزاعها. وسئل الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) عن الملائكة أ ينامون؟ فقال: ما من حيّ إلّا وهو ينام خلا الله وحده، والملائكة ينامون، فقلت: يقول الله عزّ وجلّ: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} ﴿الأنبياء: ٢٠﴾، فقال: أنفاسهم تسبيح. وأمّا التراكيب الثلاثة الأخيرة فالإضافة فيها إشارة إلى الحصر بالمضاف إليه دون إرادة غيره، أي: مضروبة دونه حجب تتّصف بالعزّة وليس غيرها حجب أخرى بصفة أخرى، إذ لو قال: حجب للعزة لفهم مكان وجود حجب لشيء آخر كالعظمة أو شيء آخر.

س: ما نوع (لا) في قوله (عليه السلام): (فمنهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون)؟

هي (لا) النافية العاطفة التي تأتي بعد كلام مثبت، نحو: الأرض متحرّكة لا ثابتة، ولا في العربيّة إمّا ناهية أو نافية عاملة أو نافية غير عاملة، أو نافية عاطفة، أو زائدة كما بيّنا سابقًا.

س: ما إعراب (ناكسة) في قوله (عليه السلام): (ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم... والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفّعون تحته بأجنحتهم) بالرفع، وإعرابها على رواية النصب؟ وما إعراب أكتافهم وأبصارهم بيّن عامل الرفع فيهما؟

تعرب (ناكسة) خبراً، والمبتدأ مفهوم ممّا تقدّم، وتقديره (هم)، أي: الذين هم ذوو أكتاف مناسبة لأركان العرش، هم لا يرفعون أبصارهم نحو العرش. والجملة الاسميّة (هم ناكسة دونه أبصارهم) استئنافيّة. أمّا على رواية النّصب فـ(ناكسة) تعرب حالًا من (هم) في الجملة قبلها. أمّا (أكتافهم) فتُعرب فاعلًا لاسم الفاعل (المناسبة) لأنّه معرفة فيعمل عمل فعله. وتعرب أبصارهم فاعلًا لاسم الفاعل: (ناكسة)، وساغ إعمال النكرة لوقوعها خبرا. وأجاز بعض الشراح وجهين آخرين في ناكسة: أولهما صفة للمناسبة والآخر معطوفة على المناسبة بحذف حرف العطف وهما وجهان بعيدان[1].

س٤: لماذا وصف الجمع بالمفرد في قوله (عليه السلام): (ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم)؟ فقال الأرضين السفلى ولم يقل: السُفَل.

يجوز أن يراد بالجمع (الأرضين) الأقاليم والبقاع المجموعة في أرض واحدة؛ ولذا وصفت الأرض بالمفرد، أو أنّ كلًّا من الأرضين السبع موضع قدم بعض الملائكة فكأنّ الأراضي السبع واحدة.

المستوى المعجمي

س: في كلام الإمام (عليه السلام) إضافة للغفلة إلى النّسيان، وعطفهما على السهو (ولا سهو العقول... ولا غفلة النسيان) ممّا يدلّ على عدم ترادفها، فما الفرق بين هذه الألفاظ؟.

(١) ينظر: منهاج البراعة للراوندي ١/٥ وفي ظلال نهج البلاغة ١/٦٥.

ذكر أبو هلال العسكريّ[1] الفرق بين الثلاثة من منظور الزمن، فالسهو عمّا لم يكن، والنسيان عمّا كان، والغفلة عمّا يكون، تقول: نسيت ما عرفته، ولا يقال: سهوت عمّا عرفته، وإنّما يقال: سهوت عن السجود في الصلاة؛ لأنّ السجود لم يكن بعد. وأمّا الغفلة فيقال: غفلت عن هذا الشيء حتى كان، ولا يقال: سهوت عنه حتى كان؛ لأنّك إذا سهوت عنه لم يكن. ويجوز أن تغفل عنه ويكون. وكذلك الفرق بينها من ناحية الفاعل: فالغفلة تكون عن فعل الغير، ولا يجوز أن تسهو عن فعل الغير.

س: تعدّ لفظة (القضاء) من المشترك اللفظيّ، بيّن ذلك في ضوء قوله (عليه السلام): (ومختلفون بقضائه وأمره)؟

ذكروا للقضاء عدّة معان هي:

-الأمر: نحو قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} ﴿الإسراء: ٢٣﴾.

-الحكم {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ﴿طه: ٧٢﴾.

- الإبلاغ والإعلام {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} ﴿الإسراء: ٤﴾.

-الإيحاء {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ} ﴿الحجر: ٦٦﴾.

-الصنع {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} ﴿فصلت: ١٢﴾.

- الموت {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} ﴿الأحزاب: ٢٣﴾.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٩٧- ٩٨.

- المضيّ {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} ﴿يونس: ٧١﴾.

- القدر {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} ﴿مريم: ٧١﴾.

- الفراغ من الشيء: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ﴿الجمعة: ١٠﴾.

الملحوظ على اللفظ المشترك أنّ معناه يتعدّد بالنظر إلى اختلاف السياق الذي يرد فيه اللفظ، والحقيقة أنّ للفظ المشترك معنى عامّ يضيق أو يتّسع، ويختصّ ويعمّ، ويتغيّر اتجاهه حسب السياق المستعمل فيه؛ لذا يحكم باختلاف معناه أي كونه مشتركًا لفظيًّا مع أنّ معناه العامّ واضح في استعمالاته السياقيّة المختلفة.

والمعنى العامّ للفظة القضاء المأخوذة من الفعل (قضى) هو الفصل في الأمر على وجه الإحكام والإنفاذ لجهته، وتنشعب من هذا المعنى العامّ المعاني المذكورة حسب استعمالات الفعل نفسه من حيث مجيئه متعدّيًا أو لازمًا أو حسب فاعله، فإذا كان القضاء من الخالق فهو فصل على جهة القطع والنفاذ الذي لا رجعة فيه، وليس بمعنى الأمر كما قالوا في {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} ﴿الإسراء: ٢٣﴾؛ لأنّ توحيد الله وعدم عبادة غيره أمرٌ على وجه الحتم والمسألة الفصل (وكان على ربك حتمًا مقضيًّا) فالأمر شيء وقضاؤه شيء آخر: {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ﴿مريم: ٣٥﴾، فالأمر قد يعمل به أو لا، فيكون الثواب والعقاب، أمّا قضاء الأمر فهو محتوم مفصول فيه {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} ﴿الأحزاب: ٣٦﴾. وكذا {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} ﴿فصلت: ١٢﴾، أيْ إنَّ أمر خلق السماوات، قضاه الله

أي فصل فيه وحتمه في يومين لا أنّه سبحانه أتمّ خلقهن في يومين. وكذا يُلحظ الفعل مسندًا إلى المخلوقين، فاذا كان متعدّيًا إلى الذات بالواسطة بالحرف (على) فيراد به الاستعلاء { فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} ﴿القصص: ١٥﴾ أيْ إنَّ فعل الوكز نُفذ على وجهه في الموكوز فحصل القتل، لا أنّ (قضى) يعني: أمات، وإنّما استعماله بالتعدية المفيدة للاستعلاء على الجنس الحيّ أفادت ذلك. وهكذا في باقي استعمالات معاني قضى، بدليل استعماله (عليه السلام) لهذا الفعل معطوفًا عليه الأمر: (مختلفون بقضائه وأمره).

والقضاء غير القدر؛ لأنّ القدر اسم لما يبلغه الشيء، فإذا بلغ الشيء المقدّر الذي أراده الله تعالى له وفصل القول فيه فهو القدر (بسكون العين) الذي قضاه الله للشيء. أمّا القدر (بفتحتين) فهو اسم للمقدار الذي يبلغه الشيء على الواقع[1].

س: التخصيص الدلاليّ مصطلح من مصطلحات علم الدلالة الذي يُعنى بمعنى اللفظ المعجميّ والتغييرات التي تطرأ على هذا المعنى، وضّح ذلك في ضوء تتبّعك للفظ (الطور) الوارد في قوله (عليه السلام): (فملأهنّ أطوارًا من ملائكته...)؟

ذكر أصحاب المعجمات[2] معنىً عامًّا للفظة (الطور) وهو الدلالة على امتداد الشيء مكانًا أو زمانًا، يقال: طور الدار، وهو الذي يمتدّ معها من فنائها، ويقال عدا طوره، أي: جاز الحدّ الذي حوله من داره. ثمّ خصّ المعنى بملحظ الامتداد هذا بما يمتدّ مرّة بعد مرّة فيما هو إيجابيّ، يقال: تطوّر المجتمع، أي اتّجه نحو الأفضل حالًا بعد حال. وعليه قوله تعالى: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} ﴿نوح: ١٤﴾، أي أحوالًا مختلفة، فمنهم من حمله على المعنى العامّ فجعل الآية دالّة على كونهم أطوارًا من بين صالح ومسيء، ومنهم من رأى فيه

(١) ينظر: المفردات (قدر).

(٢) ينظر: الصحاح (طور) ولسان العرب (طور).

التخصيص الدلاليّ بما هو منتقل إيجابًا من حال إلى حال، فعنى بها تغيّر الخلق من نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة وهكذا.

أمّا في كلامه (عليه السلام) فهو في الدلالة الخاصّة للطور؛ إذ الملائكة على أحوال مختلفة يُلحظ فيهم الانتقال من مقام إلى آخر أعظم منه؛ لذا قسمهم (عليه السلام) مبتدئًا بالطّور الأوّل وهو الحالة العباديّة من سجود وركوع وقيام، وهي حالة تشترك فيها الأصناف الأخرى من الملائكة، ثم يأتي التقسيم الثاني ليراد به الطور الوظيفيّ الخاصّ بملائكة دون غيرهم وهم رسل الله إلى أنبيائه الذين كُلِّفوا بحمل أمانته سبحانه ووحيه. ثم يتقدّم التقسيم نحو الطور الثالث وهم حفظة العباد وسدنة أبواب الجنّة الذين اختصّوا بعباد الله (وهم خلقه المصطفون)، واختصّ بسدنة الجنان الذين ينفردون بمعرفة هؤلاء الصفوة من البشر فينتظرونهم عارفين لهم بعد فناء الخليقة لإدخالهم إلى الجنّة الإلهية، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} ﴿الزمر: ٧٣﴾. ثم ينتهي التقسيم بالطور الرابع وهم حملة العرش الذين خصّهم سبحانه بحفظ الكون ووكل إليهم تدبيره لما أعطاهم من عظمة خلقيّة. فالطور بملحظ الطول يدلّ على الامتداد لكنه يشمل الزمان والمكان، وأطلق على الأنواع المختلفة التي لا تعارض بينها للموصوف الواحد، فكل طور يكمّل الآخر، فهو إذن تطوّر وانتقال.

المستوى البلاغيّ

س: استخرج الأساليب البلاغيّة في النّصّ المتقدّم وبيّن نوعها والمراد منها؟

١ ـ في النّصّ مجاز في قوله (عليه السلام):

أ ـ (ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله)، وهو مجاز مرسل، بعلاقة الجزئيّة، كما في: أرسل العيون، والمراد الجواسيس. وهنا وصف للملائكة

بجزء منهم وهو اللسان للتنبيه على وظيفة هذا النوع من الملائكة وهي القيام بحمل الرسالة الإلهيّة إلى الأنبياء عليهم السلام.

ب ـ في (ناكسة دونه أبصارهم)؛ إذ النكوس للرأس كما في قوله تعالى: ({وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} ﴿السجدة: ١٢﴾، وإنّما ذكر جزءًا منه وهو البصر للتأكيد على أنهم لا يجرؤون على النظر إلى نور العرش لهيبته وخوفًا من الاقتراب منه.

٢ ـ في النّصّ كناية في قوله (عليه السلام): (المناسبة لقوائم العرش أكتافهم)، وهذا كناية عن عظم خلق هذا الصّنف من الملائكة؛ لأنّهم يحملون العرش، فهم ضخام عريضو المناكب، وهم الموصوفون في قوله تعالى: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} ﴿الحاقة: ١٧﴾، والعرش محيط بجميع المخلوقات، والأرضين والسموات جميعًا وما فيها عند العرش كحلقة في فلاة. فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "ما السماوات والأرض عند الكرسي إلّا كحلقة خاتم في فلاة، وما الكرسي عند العرش إلّا كحلقة في فلاة".

المقطع السادس: خلق آدم (عليه السلام)

وهو قوله (عليه السلام): "ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالأَلْوَانِ وَالأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالأَخْلاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ".

المعنى العامّ[1]

ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) قصّة خلق آدم (عليه السلام) في هذه الخطبة على نحو مفصّلة تشرح ما تفرّق منها في القرآن الكريم، وهذا التفصيل في كيفيّة خلق الإنسان تعود إلى أسباب عديدة لها فوائد جمّة، من ذلك تعرّف الإنسان على تركيبته المعقّدة فهو مؤهّل لأن يتسامى إلى عبادة الملائكة بفعل المكوّنات الطيّبة من طينة الأرض، ومؤهّل لأن يتدنّى ليلتحق بإبليس بفعل المكوّنات الرديئة من طينة الأرض قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} ﴿الشمس: ٩- ١٠﴾، فالإنسان لديه استعداد للشر والخير بفعل جمعه من المساءة والسرور، وإذا فهم الإنسان حقيقة جمعه للمتناقضات والمتضادات فهم أنّه في صراع مستمرّ مع نفسه، وعليه أنْ يكون يقظا، فينمّي جانب الخير ويغلّبه على جانب الشرّ، وبذا يفهم أنه في دنيا ابتلاء وأنّ راحته في الآخرة إذا أحسن التعامل مع طبيعته هذه.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٩٨ -٩٩.

ومن ناحية أخرى يلتفت الإنسان إلى عِظَم نعمة الله عليه قياسًا بالخلق الآخرين، إذ خُلِق من أيسر الموجودات وهو التراب، خلافًا للملائكة والجنّ، فلم يُخلق من نور أو نار، بل أهون منهم جميعًا قبل نفخ الروح فيه، فهو لم يكن شيئًا مذكورًا، إذ لم يكن مسبّحًا لله تعالى، فلمّا أنعم عليه الخالق بنفخ الروح وتعليمه الأسماء تميّز عنهم جميعًا، ولذا عليه أن يشكر الخالق دومًا لإيجاده من أرخص الموجودات وتفضيله بأعظم المعطيات وهو العقل والقدرة على التفكّر للوصول إلى تسبيح الذات المقدّسة عن دراية وفهم.

وهذه الخطبة تفسيرٌ راقٍ للقرآن الكريم، وتصحيح للمفاهيم المغلوطة لدى بعض المفسّرين، الذين تخبطوا في تأويل مدلول (الصلصال، الحمأ، المسنون، الفخّار) وغيرها من الألفاظ القرآنية التي عُبّر بها عن خلق آدم (ع).

المستوى الصوتي

س: ما الإيحاء الصّوتيّ المفهوم من لفظة (صلصال) في قوله (عليه السلام): (وأصلدها حتى صلصلت)، وهل ثمّة فرق بين التعاقب المزدوج لصوتي اللام والراء في مادتي صلّ وصرّ؟

الصاد من الأصوات الصفيريّة (الرخوة)، المطبقة (المفخّمة)، ومخرجه من اللّثة والأسنان، وهو بهذه الصفات يُلحظ فيه ضيْق مجرى الهواء بشكل واضح، فاذا أعقبه صوت اللام يُلحظ فيه زيادة في الاحتكاك لخروج الهواء عند النطق باللام من جانبي اللسان، فتزداد حدّة الصوت في مادّة (صلّ)، ولذا نجد بهذه المادّة حركة اصطدام الحديد بعضه ببعض، كما في صوت لجام الفرس أو تضارب السيوف. أمّا إطلاق هذه المادّة وصفًا لحركة بقيّة الماء في المزادة وكذا لصوت الخزف، فالظاهر أنّ هذه المادّة تحاكي صوت دخول الهواء إلى المزادة من فوهتها الضّيّقة فيصطدم الهواء بالماء المتبقّي بصورة مركّزة محدثًا صوتًا حادًا غير مرتفع، وكذا الحال في الخزف، إذ لا بدّ من شكل مجوّف يدخل فيه الهواء من فتحة ضيّقة. وفي صفة خلق آدم (عليه السلام) أنّ

الريح كانت تدخل من منخريه وأذنيه وهي فتحات ضيّقة محدثة هذا الصوت، ثم تخرج من دبره، ولذا يتكرّر هذا الصوت بملحظ خروجه من مكان ضيّق فاستعملت صيغة (فعلل) للدلالة على التكرار الصوتيّ، إذ إنَّ التضعيف المقطعيّ يفيد تكرير الفعل وترديده، وكذلك يقال: صلَّ اللجام إذا أصدر هذا الصوت، فاذا استمر ترجيع الصوت يقال: صلصل.

ولا يمكن استبدال (الصرّ) بـ(الصّلّ)-مع أنّ الراء واللام من مخرج واحد وهو اللثة واشتراكهما في صفتي الجهر والتوسط بين الشدّة والرخاوة؛ لأنّ الصفير الواضح من صوت الصاد إذا ما أعقبه الراء (المكرّر) يؤدي به إلى رفع درجة الصوت في الأذن بفعل تكرُّر ضربات اللسان على اللثة، ولذا استعمل في الدلالة على الصّيحة، وهي الصّوت المرتفع {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} ﴿الذاريات: ٢٩﴾. وكذا في الريح الباردة، وقيل الحارّة أيضًا لملحظ شدّة تأثيرها الضارّ على النبات والحيوان، فهي ريح مرتفعة البرودة نافذة إلى أبعد حدّ، ولكونها مسلّطة بشكل دائم كرّر معها المقطع، فصارت (صرصر) كما في قوله تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} ﴿الحاقة: ٦﴾. والمراد من وصف دخول الريح في جوف الطين اليابس محاكاة هذه الحركة المستمرّة التي لا يلحظ فيها ارتفاع الصوت، وإنّما يلحظ شدّة الاحتكاك في منافذ التمثال الفخاريّ.

وما قيل عن أنّ الصلصال في قوله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} ﴿الرحمن: ١٤﴾ يعني به المنتن، من صلّل اللحمُ إذا أنتن (بإبدال اللام الثالثة صادًا، أو بملحظ دفن اللحم في أرض صلّة أي مبلّلة فهو قول يردّه كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما وصف الطين المخلوق منه آدم (عليه السلام) بأنّه جمد ثم أصلد، أيْ إنَّ الماء الممزوج مع الطين جفّ فاستمسك الطين، ثم يبس الطين بعد أن تخلّص من الرطوبة فيه فصار صلدًا، فنبّه (عليه السلام) بالجمود والصلود على أنّه المصوّت لا المنتن؛ لأنّ النتن يرتفع مع حصول الجمود واليبوسة.

المستوى الصرفيّ

س: زن الكلمات الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، واذكر دلالاتها؟

-إنسان: (فِعلان) من الأُنس؛ لأنّه يأنس بغيره ولا يعيش دون المجتمع، وهذا مذهب البصريّين. والثاني أنّه (إفعان) من النسيان؛ لأنّه ينسى {وَلَقَدْ عهِدْنَا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عزْمًا} ﴿طه: ١١٥﴾ وهو مذهب الكوفيّين، وأصله (إنسيان) على (إفعلان) ثم حذفت الياء لكثرة الاستعمال بدليل رجوعها عند التصغير: أُنيسين، وردّ البصريّون رأي الكوفيّين هذا بعدم سماع المفرد أُنيسيان في الكلام فضلًا عن كثرة الشذوذ الصرفيّ في المصغّرات. أمّا دلالة إنسان الصّرفيّة فهو اسم جنس إفراديّ، أي يطلق ويراد به المفرد أو الجمع حسب السياق(١).

- تُربة: (فُعلة) من التراب، وتنصرف دلالتها إلى موضع الفعل فيما ظهر للحسّ، أي: ظهور أثر الفعل في مكان محدَّد، فالتربة موضع تركّز المقدار المجموع من التراب، وهو هذا المقدار المعيّن ممّا جُمع من أصناف التراب المأخوذ من بقع مختلفة من الأرض. والدلالة الصرفيّة لفُعلة بالضمّ هي تركّز الشيء في الموضع، أي: موضع الحدث، نحو: الصُّلعة لموضع الصلع، والقُدرة لما يتجلّى من مقدرة الخالق أمام البشر.

- بِلّة: (فِعلة) اسم هيأةٍ من البلل، وهو يدلّ على مصدر الفعل ولكن بملحظ الحالة التي يحصل فيها، أي هيأة حصوله، فالبلل بفعل (اللوط) يختلف عن البلل الذي يصيب التراب بفعل المطر، أو البلل بفعل المزج لما تبلّ به اليد لعجن الطين دون إصلاده، كما أنّ هيأة النبتة في الربيع تختلف عنها في الصيف، ففي الأوّل تكون كثيرة يانعة، وفي الصيف قليلة وغليظة على ما وصفها به (عليه السلام) في الخطبة المعروفة بالشقشقية: " يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع".

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٨١١/٢ وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ٨٥.

- المعرفـة: (مَفعِلـة) مـن عـرف يعـرف، وهـو مصـدر ميمـيّ دخلتـه التـاء للدلالـة علـى تجسـيد الحـدث، فالمصـدر المسـموع لـ(عرف) هـو العِرفـان مثـل: الهِجـران، أمّـا المعرفـة فهـي مـا لمـس مـن العرفـان، إذ معرفـة الإنسـان محـدودة ومتنامية زمنًا بعد آخر.

- طينة: (فِعلة) مفرد لاسم الجنس الجمعيّ يقال: (طين: طينة).

- مسـاءة: (مَفَعْلَـة) وأصـلها (مَسْـوَءَة) وحصـل إعـلال بنقـل الفتحـة إلى السين ثم إعلال بقلب الواو ألفًا لسبقها بالفتح. وهي أيضًا مصدر ميميّ يجسّد السوء المأخوذ من البقعة السبخة من الأرض.

س: عـيّن حـروف الزيـادة في الأفعـال المزيـدة الـواردة في الـنّصّ ثـم بـيّن المعاني الصّرفيّة التي أفادتها هذه الحروف؟

-أجمدها، أصلدها، يجيلها: الزيادة بهمـزة القطـع، وهـي تفيـد فيهـا كلّهـا معنى التعدية إذ المجردات أفعال لازمة.

-تمثّلت، يتصرّف: الزيـادة بالتـاء وتضـعيف العـين يـدلّان على المبالغـة مـع التدرّج.

-يقلّبهـا، يفـرّق: الزيـادة بتضـعيف العـين، للدلالـة علـى التكثير والمبالغـة. والتقليب خـاصّ بالقلوب والأبصـار قرآنيًا؛ لأنّ بهمـا يحصـل التفكّـر في قـدرة الله وآياته {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} ﴿الأنعام: ١١٠﴾.

- يختدمها: الزيـادة بهمـزة الوصـل والتـاء للدلالـة علـى الاتخـاذ، أي اتخـذ جوارحه خادمة له.

س: استخرج الجموع الواردة في النصّ واذكر مفرداتها على وفق أوزانهـا الصرفيّة؟

المستوى النحويّ

س: ما دلالة (حتّى) في قوله (عليه السلام): (سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت)؟

(حتّى) عند النحويين[1] على ثلاثة معان: أنْ تكون جارّة بمعنى (إلى)، أو عاطفة بمعنى (الواو)، أو ابتدائيّة يراد منها استئناف الكلام، ومثّلوا لهذه الأنواع بجملة: أكلت السمكة حتى رأسها بالحركات الثلاث، لتكون جارّة إذا حرّكت السين بالكسر، وعاطفة إذا حرّكت بالفتح، وابتدائيّة إذا حرّكت بالضمّ على تقدير جملة اسميّة: حتى رأسها أكلته. هذا إذا دخلت على الأسماء. أمّا إذا دخلت على الأفعال فتعدّ جارّة لـ(أنْ) مضمرة إذا دخلت على فعل مضارع منصوب، وتعدّ ابتدائيّة إذا كان المضارع مرفوعًا، وتُعدّ ابتدائيّة أيضًا إذا كان الفعل ماضيًا خلافاً لابن مالك الذي أجاز كونها جارّة لـ(أنْ) مضمرة مع الفعل الماضي. وفي كلامه (عليه السلام) دخلت حتى على فعل ماض ومعناها يفيد انتهاء الغاية، أيْ إنَّ سنّ الماء استحصل للطين ليخلص من شوائبه، وانتهى السنّ عند خلوص الطين منها، وكذا عمليّة اللوط انتهت بصيرورة الطين الخالص لازبًا متماسكًا، فـ(حتّى) في كلامه (عليه السلام) بمعنى (إلى) تفيد انتهاء الغاية. وهي داخلة على (أنْ) مضمرة في محلّ جرّ كما مثّل ابن مالك لهذا الاستعمال بقوله تعالى: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عفَواْ وقَالُوا قَدْ مَس آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} ﴿الأعراف: ٩٥﴾.

س: ما نوع (من) في قوله (عليه السلام): (من حزن الأرض وسهلها)، و(فجبل منها صورة ذات أحناء)، (معجونًا بطينة الألوان المختلفة... من الحرّ والبرد والبلّة والجمود)، و(فنفخ فيها من روحه فتمثّلت إنسانًا)؟

---

(١) ينظر: الجنى الداني ٥٤٢-٥٤٥.

ذكر النحويّون[1] خمسة عشر معنى لـ(من) أبرزها ثلاثة معان تخضع في تحديدها لضوابط السياق:

الأوّل: ابتداء الغاية، وقرينتها ذكر المكان والجهة والمنشأ معها لتكون ابتدائيّة، نحو: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ﴿الإسراء: ١﴾ و{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ﴿النمل: ٣٠﴾.

والثاني: أنّها للتبعيض، وعلامتها إمكان سدّ (بعض) مسدّها (ومنهم من كلّم الله)، أي: بعضهم. والثالث: أنّها لبيان الجنس، وعلامتها أن تقع بعد مبهم {وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} ﴿الأعراف: ١٣٢﴾ و(من) في قوله (عليه السلام) في الجملة الأولى للتبعيض؛ لأنّه سبحانه لم يجمع كلّ الحزن والسهل، وإنّما بعضه، وكذا في الجملة الثانية إذ جبل من بعض هذه التربة صورة، ويجوز أنْ تكون ابتدائيّة، أيْ إنَّ جعل الصورة ذات أحناء منشؤه وابتداؤه من هذه التربة مركّبًا فيها تركيبًا ثابتًا لها كثبوت الجبل. أمّا (من) في الجملة الثالثة فهي لبيان الجنس؛ للإيهام الموجود في الألفاظ السابقة من الأضداد والأخلاط بدليل تضادّ المساءة والسرور، والحرّ والبرد، والبلّة والجمود.

أمّا (من) في الجملة الرابعة فقد اختلف في تحديدها بناء على اختلاف معنى الروح، والظاهر أنّها تبعيضيّة؛ لأنّ الروح مخلوقة، خلقها سبحانه وأضافها إلى نفسه تشريفًا لها، أمّا إذا كانت الروح متعدّدة، بمعنى أنّها روح اصطفاها سبحانه على سائر الأرواح فـ(من) تفيد بيان الجنس على ضعفٍ لعدم ذكر المحدّد، كأن يقال: ونفخ فيها من روح الإيمان أو من روح القدس أو غير ذلك. وكذا إذا كانت الروح بمعنى القدرة الإلهيّة فـ (من) ابتدائيّة، على

---

(١) ينظر: الجنى الداني٣١٤ – ٣١٦ ومغني اللبيب٤١٩/١ -٤٢٢.

ضعف أيضًا؛ لعدم سبقها بالتحديد المكانيّ والزمانيّ كما في: (من المسجد الحرام) و(من أوّل يوم)، كأن يقول: ونفخ روحه من أنفه.

س: أعرب (معجونًا) في قوله (عليه السلام): (ونفخ فيها من روحه فتمثّلت إنسانًا ذا أذهان يجيلها... معجونًا بطينة الألوان المختلفة...)؟

يُعرَب صفة للمفعول به (إنسانًا)، أيْ إنَّ نفسه تجمع المتناقضات والمختلفات من خير وشر وغير ذلك، وهذا ثابت في خلقته {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} ﴿الشمس: ٨﴾، والصفة تفيد ثبوت الوصف في صاحبه. ومنهم من جوّز إعرابه حالًا، وهذا لا يساوق المعنى؛ لأنّ الحال وصف منتقل، أي ينفكّ عن صاحبه ولا يلازمه، والمراد أنّ هذه التركيبة المعجونة من متغايرات من طبيعة النفس الإنسانيّة[1].

س: أعرب جملة (أجمدها) في قوله (عليه السلام): (فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول... أجمدها حتى استمسكت)؟.

جملة في محل نصب حال ومعنى الحاليّة مفهوم من تغيّرها من الجمود إلى الإصلاد؛ لأن الحال منتقلة بخلاف الصفة فهي ثابتة، ومنهم من جوّز إعرابها استئنافيّة على تقدير: ثم، والقول بالتقدير يخالف الظاهر بلا دليل لذا تعرب حالًا[2].

المستوى المعجميّ

س: استعمل (عليه السلام) الوقت والأجل متعاطفين، ممّا يدلّ على عدم ترادفهما، وكذلك الفكر والذهن، فما الفرق الدلاليّ بين هذه الألفاظ؟

الوقت هو الزمان الفعليّ لعمل شيء ما، على حين الأجل هو الوقت المحدّد لانتهاء ذلك الشيء. فعمر الإنسان هو الوقت الذي يقضيه في الدنيا، أمّا أجله فهو وقت انتهاء عمله الدنيويّ. وفي قول الإمام (عليه السلام) استعمل

(١) ينظر: منهاج البراعة للخوئي ٤١/٢ وفي ظلال نهج البلاغة ٤١/١.

(٢) ينظر: في ظلال نهج البلاغة ٤١/١.

الوقت للدلالة على المدّة الزمنيّة التي بقي فيها آدم (عليه السلام) على صورته الإنسانيّة الجامدة، والتي ذكرت المرويات أنّه بقي مطروحًا أربعين سنة تمرّ به الملائكة، حتى أنّ إبليس كان يمرّ به ويقول: لأمر ما خلقت.

فالوقت الذي بقي فيه على هذه الحالة ممّا يعدّ زمنيًّا؛ لذلك أضيف إلى لفظة: معدود، وهذا يفسّر قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوراً} ﴿الإنسان: ١﴾. على حين أراد (عليه السلام) بالأجل الوقت الذي انتهت فيه حالة بقائه جامدًا لينتقل إلى حالة نفخ الروح فيه، فأجَله كان نفخ الروح فيه، وهو معلوم عند الخالق تعالى وليس ممّا يعدّ زمنيًّا[1].

أمّا الفرق بين الذهن والفكر[2]، فإنّ الذهن يراد به القوّة الباطنة التي بها يحصل الحفظ والإدراك للصور المختلفة لما يراه ويشعر به، أذهلني، أي: أنساني وألهاني، وهو قريب من ذهل وأذهل. والفكر هو النظر في الشيء، والتفكّر هو إعمال النظر في الشيء وتردّد القلب للأمر تأمّلًا واعتبارًا. لذلك استعمل الإمام (عليه السلام) الفكر مقترنًا بالتصرّف، أيْ إنَّ الإنسان بعد إعمال فكره في الأمر ينطلق إلى العمل بما توصّل إليه بعد التفكّر، على حين قرن الأذهان بالإجالة؛ لأنّها صور تنتقل في رأسه وأمور يحفظها ويستعيد النظر فيها.

س: هل يمكن الاشتقاق من أسماء الذات في لغتنا العربيّة، وضّح ذلك على وفق ما جاء في النصّ المتقدّم؟

نعم يمكن ذلك وهو في العربيّة كثير، نحو: عاينه، جابهه، واجهه من العين والجبهة والوجه. وممّا جاء في النصّ قوله (عليه السلام): (فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول) إذ اشتق من الجبل الفعل (جبل) للدلالة على خلق آدم (عليه السلام) بهذه الصورة الثابتة، فالجبل في اللغة دالّ على الأمر الثابت،

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢٧٢.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٧٥، ٨٥.

كأنّه سبحانه ركّب في الإنسان هذه الصورة التي يصعب على الناقل نقلها وتغييرها. أو أنّه سبحانه طرح آدم (عليه السلام) على صورة عظيمة تشبه الجبل في الارتفاع والضخامة.

س: ما معنى (صلصلت) في قوله (عليه السلام) وما يقابله في التعبير القرآني؟

هذا المقطع من الخطبة يصحح المفاهيم المغلوطة لدى كثير من المفسّرين الذين لم يهتدوا إلى معنى (الصلصال) في {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} ﴿الحجر: ٢٦﴾، إذ جوّزوا في الصلصال أحد وجهين تباينوا في الاختيار بينهما:

الأول: أنّ الصلصال هو الطين اليابس الذي يصلّ ليُبسه ومعنى يصلّ يصوت.

والآخر: أن يكون الصلصال "تضعيف صلّ اللحم إذا أنتن"[1].

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) يوضح أن المراد هو الأول فالطينة وصفت بالصلادة لا النتانة في قول أمير المؤمنين (وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ). أما قولهم: "صلّ اللحم يصل بالكسر صلولًا أيْ أَنْتَنَ"[2] فمجاز من تحوّل الحمأ (الطين غير المتماسك) إلى الصلصال وذلك أنّ العرب كانت تجفّف اللحم فتعرضه في الشمس كي ييبس، فينتن أولًا قبل أنْ ييبس ثم يُسمع له صليلٌ؛ إذ حُرّك من فرط قسوته فيقال: صلّ اللحم، أيْ إنَّ تفسير صلّ بأنتن محمول على مرحلة سابقة مرّ بها اللحم عند تعريضه للشمس بغية تجفيفه. فالوجه الراجح هو أنْ يكون الصلصال ترجيعًا لـ(صلّ) بمعنى يبِس، وفيه تجتمع المعاني الثلاثة: الصلابة والملاسة والتصويت، ومعناه هو أنْ يؤول الحمأ المسنون إلى جسم صلب لا ينكسر بسهولة وأملس ليس عليه شعر ولا لحم وليس فيه دم وهو يصوّت إذا حُرّك فيسمع منه صلصلة، وهو مشبّه في الصلابة

---

(١) ينظر: العين ٨٤/٧ ومقاييس اللغة ٢٧٧/٣ ولسان العرب (صلصل).

(٢) ينظر: الصحاح (صلل) ومختار الصحاح صلل.

بالحديـد؛ لأنّ " صـوت الحديـد إذا حُـرِّك يقـال: صـلّ الحديـد وصلصـل، والصلصلة أشدّ من الصليل ذلك " إذا توهّمت في صوته مدًّا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعًا فهو صلصلة"[1].

س: ما معنى (سنّها) وما يقابله في التعبير القرآني؟.

كـلام المفسّـرين في هـذه اللفظـة كسـابقتها لا محصّـل منـه؛ إذ تأرجحـت أقوالهم في تفسير (الحمأ المسنون) بأنه المتغيّر وهو المنتن، أي الذي يتغيّر بمرّ السنين عليه، أيْ إنَّهم اشتقّوه من السِّنَة وأصله (سَنِه) كما في قوله تعالى: {فَانْظُرْ إلى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ} ﴿البقرة: ٢٥٩﴾ أي: لم يتغيّر، ورأى بعضهم أنه من (سنّ)، وأصل (يتسنّه) هو (يتسنّن) والهاء للاستراحة[2]. وهذا الاشتقاق غلطٌ؛ لأنّ المسنون من الأصل (سنن) لا من (سنه) الذي يشتق منه (يتسنّه) وكلامه (عليه السلام) يوضّح أنّ المسنون هو المصبوب؛ لقوله (تربة سنّها بالماء حتى خلصت) وعليه بعض الأقوال؛ لأنّ المسنون مأخوذٌ من سننت الماء، أي: أسلته، ويستعمل مجازًا في الطريق الواضح فقالوا: السَّنَن، والسنّة وجمعها سُنن. أي جعله مصبوبًا كغيره من المائعات، وأمّا التغيّر فهو من الأصل سنه، أي: تغيّر.

وثمّة ألفاظ قرآنيّة لم ترد في كلامه (عليه السلام) بعينها وهي: الحمأ والفخّار، والملحوظ تخبّطُ المفسّرين في مادّة الحمأ، إذ ذهبوا إلى أنّه الطين الأسود، وكذلك الطين المنتن، وعلى الرغم من أنّ المعجمات اللغويّة لم تذكر للحمأ معنى الطين أو الأسود أو المنتن وإنّما ذكرت أنّ هذه المادّة مأخوذة من (الحماوة) فأصل اللفظة هو الحرارة، ومنه سمّي حما المرأة بذلك؛ لأنّه يغضب للدفاع عنها، والحميّة: ما حمي من شيء، والحامية: الرجل يحمي أصحابه، والأصل هو الحرارة ثم استعير في الحماية، وربّما هُمز الحما فقالوا: الحمأ.

---

(١) الكشاف ٥٤٠/٢ وينظر: النهاية في غريب الحديث (صلصل).

(٢) ينظر: الكشّاف ٣٩٠/١ والمحرر الوجيز ٢١٣/٢ والبحر المحيط ٢٨٥/٢.

ومعنى الحماية لهذه اللفظة القرآنيّة المرتبطة بلفظة المسنون مفهوملإ من قوله (عليه السلام): (سنّها بالماء حتى خلصت)، أي صبّ الماء على التربة المجموعة من أديم الأرض فأخرج ما بها من شوائب، وصارت نقيّة شديدة النقاوة متماسكة وبعملية سنّ الماء عليها حميت من الشوائب فيها؛ إذ لا علاقة لهذه اللفظة بالطين أو النتن.

ولفظة الفخّار المستعملة قرآنيًّا {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} ﴿الرحمن: ١٤﴾ مشار إليها في الخطبة بل إنّ الخطبة توضّح المراد من تشبيه الصلصال بالفخّار، إذ بيّن (عليه السلام) وجه الشبه وهو يبوس الطين، قال (عليه السلام): (أصلدها حتى صلصلت)، وقبلها ذكر الانجماد. والفخار هو الطين المعرّض للنار حتى ييبس، وسمّي فخّارًا؛ لأنّ هذه المادّة تدلّ على شيء جيّد، والفخّار يوصف بالجودة لتحويله الطين المعجون بالماء إلى خزف يستفاد منه، وكذا طينة الإنسان تحوّلت إلى صورة لبشر من تراب جامد، ويمكن لهذه الصورة أن ترقى بصاحبها إلى مستوى يفوق بطاعته للخالق طاعة الملائكة فهي طينة أصلدت بتركها للهواء وشعاع الشمس.

س: ما المعنى المعجمي للفعلين (لاط، لزب)؟.

لفظة (لاط) تدلّ على إلزاقٍ في المادّيّات: لطت الحوض لوطًا، إذا أكدرته بالطين، أي حركت ماءه فثار فيه الطين، ثمّ انتقلت الدلالة من المادّيات إلى المعنويّات لتفيد شدّة التصاق الشيء المحبوب بالقلب: لاط الشيء بقلبي: التصق[1]، ونقل ابن الأثير في النهاية " حَدِيثُ الْأَقْرَعِ بْنِ حابِس أَنَّه قَالَ لعُيَيْنة بْنِ حِصْن: بِمَا اسْتَلَطْتُمْ دَمَ هَذَا الرَّجُل؟ أَيِ اسْتَوْجَبْتم واسْتَحْقَقْتم؛ لِأَنَّهُ لَمَّا صارَ لَهُم كأَنَّهُم أَلْصَقوه بأنْفُسِهم"[2]. فمعنى (استلطتم دم هذا الرجل) أي استوجبتم وثبت عليكم الجرم. ومعنى (لاطها بالبلة حتى لزبت) أن تحريك الطين والماء استمر حتى تجانس المائع فصار متماسكًا؛ لأنّ اللزوب يعنى

---

(١) ينظر: الصحاح (لوط).

(٢) النهاية في غريب الحديث (لوط).

التماسك بين عناصر الطين النّقيّة من الشوائب لتهيّئ للمرحلة اللاحقة، وهي الصب في قالب لتُصوَّر على الهيأة المقدّرة، قالت تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} ﴿الصافات: ١١﴾.

المستوى البلاغيّ

س: ما الفنون البلاغيّة المستعملة في النصّ المتقدّم، اذكرها مع التوضيح؟

١-في النصّ استعارة مكنية في قوله (عليه السلام): (وجوارح يختدمها)، فمعنى (يختدمها) هو أن يجعل أعضاء بدنه كالخدم له فحُذف المشبه به (الخدم) وأبقى المشبّه (الجوارح) والدال على المشبه به المحذوف هو فعل الاستخدام (يختدمها).

٢-في النصّ مجاز عقليّ في قوله (عليه السلام): (ثم جمع سبحانه من حزن الأرض...)، وإسناد الجمع إليه تعالى من التّوسع في الإسناد من باب بنى الأمير المدينة إذ الجمع حقيقة من فعل الملائكة بأمر الله سبحانه بعد أن اقتضت الحكمة خلقة آدم وجعله خليفة في الأرض.

٣-في النصّ كناية في قوله (عليه السلام): (والأخلاط المتباينة من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة والسرور) إذ كنّى (عليه السلام) عن الطبائع المختلفة والمتضادة في البشر من حبّ النساء، وطول الأمل، والحرص، وحبّ الطعام والشراب، والبرّ، والحلم، والرفق، والغضب، والسفه، والسكينة، والعجلة، والتجبّر، والفساد.

المقطع السابع: معصية إبليس

وهو قوله (عليه السلام): "وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ المَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِه إِلَيْهِمْ، فِي الأذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِه، فَقَالَ عَزَّ مِن قائل: اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ(وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: {إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}. "

المعنى العامّ(١)

تتضمن قصّة خلق آدم (عليه السلام) وأمر الملائكة بالسجود له وما حصل من عصيان إبليس عِبرًا كثيرة تهمّ البشريّة جمعاء؛ لأنّ التفكّر فيها والاستفادة من مغزاها يحمل الجنس البشريّ على الفوز برضا الله تعالى. إذ تعرّض الملائكة الذين جبلوا على طاعة الخالق لابتلاء إخلاصهم في العبادة عن طريق توجيه الأمر لهم بالسجود لمخلوقٍ لم يسبق لهم أنْ رأوا منه عبادة لله تصل إلى عبادتهم لخالقهم، فهو لم يركع ولم يسجد كركوعهم وسجودهم وتسبيحهم فضلًا عن ضآلة حجمه إذا ما قورن بعظمة خلقهم، فريشة واحدة من جناح ملك منهم تفوق حجمه الصغير. وتذكر الروايات وكتب التفسير أن الله تعالى أهلك قرى المؤتفكة بجناح جبرئيل عليه السلام.

وقد اختلفت أقوال المفسّرين في المراد بالسجود هل هو سجود عبادة لآدم أو تكريم أو أنّ آدم كان قِبلة للملائكة ليس إلّا؟ وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يفصح عن أنّ السجود كان لآدم لا أنهم اتخذوه قِبلة، وأنّه سجودٌ يراد به تكريمه فهو طاعة لله من خلال الخنوع والطاعة والانقياد لآدم عليه السلام.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٠٠-١٠١.

وعلى بني آدم أنْ يتنبّهوا من هذه القصة إلى نوع معصية إبليس ليتجنّبوها وهي الكِبر، إذ طغى إبليس وخالف الأمر الإلهيّ بالسجود لآدم معلّلًا ذلك بأنّ معدنه أفضل من معدن آدم، وقد قال أمير المؤمنين في الخطبة المعروفة بالقاصعة في نهج البلاغة: " وَلَوْ أَرادَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُور يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيبْهرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ[1]، وَطِيب يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ[2]، لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى المَلاَئِكَةِ. وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلاْسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُم. فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَة، لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الاْخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَة وَاحِدَة. فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلاَّ، مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْر أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّماءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَد مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ"[3].

وعن الصادق (عليه السلام): أوّل من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أوّل معصية عصي الله بها، فقال إبليس: يا ربّ اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، فقال تبارك وتعالى: لا حاجة لي إلى عبادتك إنّما أريد أنْ أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أنْ يسجد فقال الله تبارك وتعالى: {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} ﴿ص: ٧٧- ٧٨﴾، فقال إبليس يا ربّ فكيف وأنت العدل الذي لا تجور فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثوابًا لعملك أعطيك، فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال

(١) الرُواء ـ بضم ففتح ـ: حُسْن المنظر.

(٢) العَرْف ـ بالفتح ـ: الرائحة.

(٣) الخطبة رقم (١٩٢).

الله: قد أعطيتك، فقال سلّطني على أولاد آدم، قال: سلّطتك، قال: أجرني فيهم مجرى الدم في العروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يولد لهم واحد إلّا ولد لي اثنان، وأراهم ولا يرونني وأتصوّر لهم في كلّ صورة شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يا ربّ زدني، قال: قد جعلت لك ولذريّتك صدورهم أوطانا، قال: رب حسبي، فقال إبليس عند ذلك: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} ﴿ص: ٨٢-٨٣﴾ و{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} ﴿الأعراف: ١٧﴾[١].

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) -أيضًا- أنه سئل بماذا استوجب إبليس من الله أنْ أعطاه ما أعطاه؟ فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه، قلت: وما كان منه جعلت فداك؟ قال: ركعتين ركعهما في السماء في أربعة آلاف سنة. وعنه (عليه السلام) أنّه قال: إبليس أول من قاس حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النار لعرف فضلَ ما بين النورين، وصفوَ أحدهما على الآخر[٢].

وطاعة العبد لخالقه يجب أنْ تكون مطلقة، ولا يطلب من ربّ العزّة تعليلًا لأوامره ونواهيه {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} ﴿الأحزاب: ٣٦﴾، فالله تعالى يجب أنْ يعبد من حيث يريد هو لا من حيث يريد الناس. وكان على إبليس أنْ يطيع الله تعالى من خلال الخضوع لآدم؛ لأنّه الخليفة المختار من قبل الخالق ولا يلزم الخالق أنْ يبيّن لمخلوقاته سرّ أفضليّة آدم عليهم وتميّزه حتى ينصاعوا لأوامره، وكذا الحال مع خلفاء الله بعد آدم فهم اختيار الله وعلى الناس طاعتهم قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ الله قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

(١) ينظر: تفسير نور الثقلين ٢/١٠-١١.

(٢) نفسه.

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٤٧﴾ طلبوا من نبيّ لهم أنْ يجعل عليهم ملكًا ثم رفضوا ما اختاره لهم نبيهم بحجة أنه فقير.

ومن المآخذ التي أثارها المشكِّكون حول هذه القصّة أنّه سبحانه استجاب لإبليس طلبه الإمهال، وكان لا بدّ من معاقبته، والجواب على هذه الشبهة يذكره الإمام (عليه السلام) باستعمال لفظة السخطة الدالّة على العقوبة، إذ أعطاه النظرة؛ لأنه سيزداد إثمًا بعد إخراجه من رحمة الله وإغوائه للخلق ليكونوا مثله في محادّة الله تعالى، وفضلًا عن هذا فإنّ إبليس طلب الإمهال إلى يوم البعث لكنه سبحانه لم يمهله على شرطه هو، وإنّما جعل الإمهال إلى الوقت المعلوم وهو يوم الدين الذي يقتل فيه إبليس وجنوده ويتمّ فرز المؤمنين من المجرمين وتخلص البشرية من يد الشيطان ليميز الخبيث من الطيّب ويتم الفصل بين الفئات على اختلاف العصور. كقوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} ﴿الإسراء: ٧١﴾.

المستوى الصرفيّ

س ـ ممّ اشتق إبليس والشيطان وما وزنهما؟

اختلفوا في اشتقاقهما وأكثرهم على أنّ إبليس عربي على زنة إفعيل، نحو إبريق وإكليل وإزميل، من البلس وهو اليأس والتحيّر، قال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} ﴿الروم: ١٢﴾ أي: يشتدّ بأسهم فتنقطع حجّتهم ويسكتون، والسكوت من لوازم شدّة اليأس، يقال: أبلست الناقة، إذا لم ترغُ من شدّة الضبعة. ومنه سمّي إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله، أي: يئس، وكان اسمه عزازيل وكنيته أبو الحارث، وإنّما مُنع من الصرف؛ لأنه لم يُسمَّ به أحد من العرب فصار كأنه دخيل على لغتهم فأشبه الأعجميّ، ومن

اللغويين من عدّه أعجميًا للعلمية والعجمة[1]. أما الشيطان ففي اشتقاقه قولان:

أولهما: أنه من الشطن وهو البعد، وهو على وزن فيعال.

والآخر: أنه من الشيط، وهو الاحتراق ووزنه فعلان، والراجح الأول؛ لأن الشيطان مصروف في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} ﴿النساء: ١١٧﴾ ولو كانت نونه زائدة لكان على فعلان ولكان ممنوعًا من الصرف لزيادة الألف والنون في آخره[2].

س: ما المعاني الصّرفيّة التي تؤدّيها حروف الزيادة في الأبنية الآتية: استأدى، استوهنوا، اعترته، تعزّز فأعطاه، انجازًا، الإذعان، تكرمته، استحقاقًا؟

- استأدى: مزيد بالهمزة والسين والتاء، من المجرد (أدَى اللبن يأدِي إذا وصل إلى الاختمار، وقالوا في المزيد بالتضعيف أدّى يؤدّي إذا أوصل الشيء إلى الشيء فالتضعيف يفيد التعدية، وأدّى الأمانة أوصلها إلى صاحبها، والأداء اسم من أدّى نحو: زكّى زكاة. وأمّا استأدى فهو دال على طلب أداء الوديعة من الملائكة، وهي السجود لآدم (عليه السلام) عند تمام خلقه {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} ﴿الحجر: ٢٩﴾.

-استوهن: وزنه استفعل، وهو دالٌّ على ظنّ الشيء على صفة معينة، أي: ظنّ إبليس خلق آدم من الطين واهنًا لا يرقى إلى عنصر النار، ففي التعبير القرآني {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} ﴿الأعراف: ١٢﴾ وكأنّه ظنّ النار أرقى من الطين مع أنّ

(١) ينظر: جامع البيان ١٢٧/١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٩٢/٢ والمفردات ٦٠ والمحرر الوجيز ١٣٣/١.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢١٧/٣ – ٢١٨ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٧٩/٢ – ١٨٠.

النار مصدرها التراب أيضا {أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أم نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} ﴿الواقعة: ٧٢﴾.

- اعترته: على زنة افتعل بزيادة الهمزة والتاء، وتفيد الزيادة فيه المبالغة، إذ المجرّد هو من عراه: إذا غشيه وأصابه، واعتراه: أصابه على وجه المبالغة، فالعواري هي الأعضاء التي من شأنها الظهور وهي اليدان والرجلان والوجه، ويقال: عري من ثوبه فهو عريان. فالفعل من الباب الرابع لما هو مادي ممّا ينكشف، فالعراء هو الفضاء {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى} ﴿طه: ١١٨﴾ ثمّ انتقل إلى المعنوي فقيل: عراه شيء.

- تعزّز: على زنة تفعّل مزيد بالتاء وتضعيف العين، أي أظهر إبليس العزّة، وذكر الصرفيّون أنّ هذا البناء في الإظهار يكون بتكلف الصفات المحمودة نحو: تصبّر وتحلّم، وربما جاء في تكلّف الصفات المذمومة نحو: تلهّى في سورة عبس، والعزّ هو الغلبة والقوّة، من عزّ الشيء حتى لا يكاد يوجد، أي لا يكاد يقدر عليه، وأرض عزاز أي: صلبة، ولذا تستعمل العزة في المدح وفي الذمّ، فإنْ كانت بالله تعالى فهي مدح وقال تعالى: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ﴿المنافقون: ٨﴾ وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كل عزّ ليس بالله فهو ذلّ) وأما الذم فمثاله قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} ﴿مريم: ٨١﴾ أي: ليمتنعوا من العذاب. وإبليس أظهر الامتناع المذموم والتعالي على آدم الذي رفض الأمر الإلهي بالسجود لآدم معللًا ذلك بخلقه من نار لا من عنصر أدنى ففعل إبليس هو تكبّر على الخالق والمخلوق وهو مذموم {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} ﴿ص: ٢﴾.

- أعطاه: على زنة أفعل المزيد بهمزة القطع، ومجرّده غير مستعمل، يقال: ظبي عطوّ وهو الذي يتطاول إلى الشجر ليتناوله. والعطاء اسم مصدر لما يعطى، ودلالة همزة القطع هي التعدية، أي إيصال العطاء الإلهي لإبليس وهو إمهاله إلى يوم الوقت المعلوم.

س: ثمة صيغ صرفية تعدّدت أمثلتها في هذا المقطع، اذكرها وبين دلالتها.

١ـ فعيل: وعلى هذا الوزن لفظ (قبيل) وهو اسم جنس دالّ على الجماعة من قبائل شتّى مثل الروم والزنج والعرب. ومفرده بالتاء (قبيلة) التي تجمع على قبائل تكسيراً، والقبيلة التي لأبٍ واحد. ويبدو أن الإمام (عليه السلام) أراد بقبيل إبليس كلّ من كان على شاكلته يماثله في فعله ويقبل عليه بالرضا والاقتداء. واللفظ مستعمل في التعبير القرآني {يَا بَنِي آدم لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عنهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوآتِهِما إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} ﴿الأعراف: ٢٧﴾.

٢ ـ فعيلة: وردت على هذا الوزن الألفاظ الآتية:

أ/ وديعة: اسم مصدر من أودعت الشيء عند فلان، ويجمع على ودائع، ومجرّده غير مستعمل في الماضي وإنّما يأتي المضارع والأمر فقط (يدع، دع) بمعنى يترك اترك، أما الوداع فهو اسم مصدر من ودّع ومنه قوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} ﴿الضحى: ٣﴾ والمعنى لم يتركك ربك وحيداً بين قومك، وشاع استعمال الوداع في الدعاء وهو أن تدعو للمسافر بأنْ يتحمّل الله عنه كآبة السفر وأنْ يبلّغه مراده.

ب/ وصيّة: اسم مصدر من وصّى، والمصدر التوصية.

ج / البليّة: اسم مصدر من ابتلى، والمصدر الابتلاء.

د/ الحميّة: اسم لما يؤنف منه مثل الجزيرة والعقيدة، حميتَ عن كذا حميّة إذا أنفتَ منه، قال تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} ﴿الفتح: ٢٦﴾ وهي القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت، وإبليس ثار وغضب تكبّراً واستعلاء.

٣ـ الفَعلة، وعليه لفظة النظرة: وهي اسم مرّة من نظره الله أي: أمهله. ووردت اللفظة برواية أخرى هي: النَّظِرة، على فَعِلة، وهي اسم مصدر من

أنظره. والمعنى المراد للفظة على الروايتين هو الإنظار، أي إمهال الله تعالى إبليس، والفعل نظر يستعمل بدلالات متعددة حسب السياق، إذ المعنى العام للنظر هو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء، فإنْ عُدّي بـ (إلى) كان بمعنى تقليب البصر، سواء رأى الشيء أم لم يره {وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} ﴿الأعراف: ١٤٣﴾ ونظرُ الله إلى عباده: إحسانه إليهم. وإذا تعدى بـ(في) دلّ على التأمل والتفكر {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} ﴿الأنعام: ٧٥﴾، أمّا إذا تعدّى بنفسه فإنه يدلّ على الانتظار والإمهال {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} ﴿الحديد: ١٣﴾، أي: انتظرونا. ويأتي بمعنى الانتظار أيضًا على البناءين: أنظر وانتظر {قَالَ أَنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ﴿الأعراف: ١٤﴾، {وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} ﴿هود: ١٢٢﴾. ورواية (فَعِلة) هي الأنسب بالمقام فالنهج تفسير للقرآن يحاكي استعمالاته، وقد استعملت النظرة قرآنيًا في الإمهال: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ﴿البقرة: ٢٨٠﴾ أي: التأخير والإمهال للدَّين، من أنظرت الدين أي: أخّرته.

وكذلك في هذا المورد من النهج: أعطاه الله النظرة أي: الإمهال من أنظره الله نظرة؛ لأنه طلب ذلك بقوله (رب أنظرني إلى يوم يبعثون)، وأمّا في قوله تعالى: {وُجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ﴿القيامة: ٢-٢٣﴾، فالمراد منها مختلف فيه بين المفسّرين حسب مذاهبهم، إذ أجاز الأشاعرة النظر بمعنى الإبصار بملحظ تعدّيه بـ(إلى)، وخالفهم المعتزلة في ذلك لتنزيه الخالق من التجسيم الذي يجيز الرؤية، فذكروا أنّ المعنى بتقدير محذوف: ناظرة إلى ثواب ربها، وهذا هو المأثور عن أهل البيت عليهم السلام، فناظرة في الآية اسم فاعل من (نظر) بمعنى تنتظر رحمة الله. والنظر إلى الشيء يؤول في طبيعته إلى

انتظار ما فيه، والنظر إلى رحمة الله وثوابه هو انتظار لحصوله بعد أنْ سبقت علاماته وهو نضارة الوجه.

المستوى النحويّ

س: ما نوع الاستثناء في قوله (عليه السلام): "فسجدوا إلا إبليس وقبيله"؟ وهل إبليس من جنس الملائكة؟

في تحديد نوع الاستثناء في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} ﴿البقرة: ٣٤﴾ خلافٌ[1]، فمنهم من ذهب إلى أنه استثناء منقطع أيْ إنَّ المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} ﴿الكهف: ٥٠﴾ وللاستثناء المنقطع استعمالات في القرآن نحو: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} ﴿الواقعة: ٢٥-٢٦﴾ ومنهم من يرى أنه استثناء متصل؛ لأن لفظة الملائكة داخلة في الجن لاجتنانهم واستتارهم عن الإنس، واستدلوا بقوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} ﴿الصافات: ١٥٨﴾ يعني الملائكة.

وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام أنّ إبليس لم يكن من جنس الملائكة. فعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّ الله تعالى خلق خلقًا قبل آدم وكان إبليس حاكمًا في الأرض عابدًا لله فعتا عليه قومُه وأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم ورفعوا إبليس إلى السماء وكان مع الملائكة يعبد الله إلى أنْ خلق الله تعالى آدم. وكان إبليس من الملائكة بالولاء حتى أخرج ما كان في قلبه من الحسد فأبى أنْ يسجد لآدم، وأنه مشمول بالخطاب؛

---

(١) جامع البيان ١/٤٥٨-٤٥٠ وإعراب القرآن ومعانيه للزجاج ١/١٣٣-١١٤ والكشاف ١/١٥٥-١٥٦.

لأنه كان مع الملائكة في سجوده لله، وسجوده ظاهريٌّ لا حقيقيٌّ، ومثله دخول المنافقين في خطاب المؤمنين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} ﴿الصف: ٢﴾، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} ﴿الحجرات: ١١﴾ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} ﴿الحجرات: ٢﴾، أيْ إنَّ الاستثناء متصل بحكم عموم الخطاب لمن هو في حالة الطاعة ظاهراً، وأما إعراب المستثنى فإنه واجب النصب؛ لأن الاستثناء مثبتٌ، أي لم يسبق بنفي -سواء كان متصلًا أم منقطعًا- فإبليس منصوب وكذلك جنوده أو قبيله على اختلاف الروايات؛ إذ أطبق النحويون على أنّ المستثنى يعرب منصوبًا وجوبًا إذا كان الاستثناء مثبتًا متصلًا أو منقطعًا أو منفيًا منقطعًا، ويجوز نصب المستثنى أو إبداله من المستثنى منه إذا كان الاستثناء منفيًا متصلًا.

س: ما نوع الإضافة في قوله (عليه السلام): واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهدَ وصيَّته إليهم؟

الإضافة من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: وصيته المعهودة، وهي قوله تعالى للملائكة: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} ﴿الحجر: ٢٩﴾ ثم أمرهم بتلبية هذه الوصية بعد نفخ الروح في آدم فقال: (اسجدوا لآدم) بالأمر المباشر. وربما سبقت هذه الوصية الأمر المباشر بالسجود تمهيدًا للنفوس حتى لا يعصي إلا المعاند، فكان هو إبليس الملعون، وعن عليّ (عليه السلام) "إن هذا القول للملائكة من الله تعالى تقدمةً منه إلى الملائكة في آدم من قبل أنْ يخلقه احتجاجًا منه عليهم"[1].

(١) نور الثقلين ٣/ ٩.

س: كيف تعرب الملائكة في: (واستأدى الملائكة وديعته)؟

مفعول به بنزع الخافض، والتقدير: استأدى من الملائكة الوديعة، والوديعة مفعول ثانٍ.

المستوى المعجميّ

س: أضيف العهد إلى الوصية في قوله (عليه السلام): (واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهدَ وصيَّتِه إليهم) مما يدلّ على عدم ترادفهما، بيّنْ ذلك؟ وما فرقهما عن الميثاق والعقد؟

الوصية يلحظ في معناها العام الدلالة على الإيصال وعدم الانقطاع، أي إيصال الكلام من طرف إلى آخر، وهو على سبيل التأكيد والوعظ بين المخلوقات {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} ﴿البقرة: ١٨٠﴾، ومن الخالق تعالى يلحظ فيه الثبوت والدوام {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} ﴿النساء: ١١﴾ {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} ﴿الشورى: ١٣﴾. وهي مأخوذة من قولهم: وصيت الشيء أي وصلته، وأرض واصية: نبتها متصل قد امتلأت منه، ووصيت الليلة باليوم: وصلتها[١]. ويقترب كثيراً البناءان أوصى ووصّى في الدلالة، غير أن (فعّل) المضعف العين يلحظ معه المبالغة، على حين يقتصر (أفعل) على إفادة التعدية {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} ﴿مريم: ٣١﴾ فهو ممن يقيمون الصلاة قبل الوصية وإنّما تأتي للتأكيد بلا إرادة المبالغة.

أمّا العهد فيلاحظ أنّ معناه العام يراد به الحفظ مع تقادم الزمن؛ لذلك قوبل بالنسيان في الاستعمال القرآني {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} ﴿طه: ١١٥﴾، وغالبًا ما يكون العهد للأمور المعنوية ومنها

(١) ينظر: المفردات (وصي).

العقائد، على حين تختص الأمانة بالماديات قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} ﴿المؤمنون: ٨﴾. فالعهد هو الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، وعهد يعهد من الباب الثالث {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدم أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عدُوٌّ مُبِينٌ} ﴿يس: ٦٠﴾ أي: ألم أقدّم إليكم من الأمر الذي أوجبت عليكم الاحتفاظ به. والعهد من المطر: الذي يأتي بعد الوسمي، كأنّ المطر وسم الأرض أوّلًا وتعاهدها ثانيًا، أيْ احتفظ بها فأتاها ويسمّونه الولي، لأنه يلي الوسميّ. وباعتبار الحفظ قيل للوثيقة بين المتعاقدين عهدة[1]. وقد استعمل الإمام (عليه السلام) في كلامه الوصيّة والعهد ليشير بالوصية إلى الأمر الإلهي الموجه للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، ويشير بالعهد إلى دوام الخنوع والتكريم لآدم من خلال حفظ هذه السمة من التكريم في ولد آدم من المصطفين من الأنبياء والأوصياء، وليس التكريم يقف عند آدم (عليه السلام) وحده فعن الصادق (عليه السلام) قال: نحن شجرة النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمته. وعن الصادق (عليه السلام) لما سُئل عن القضاء والقدر قال: إن الله سبحانه إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم، وفي صلاة الغدير: اللهم أنعمت علينا بموالاة أوليائك المسؤول عنها عبادك فإنك قلت وقولك الحقّ: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} ﴿التكاثر: ٨﴾.

ومما يرادف هاتين اللفظتين ويستعمل استعمالهما لفظة (الميثاق)، والصواب أنّ الميثاق هو توكيد العهد وتقويته، فمادّة وثق تدلّ على عقد وإحكام، ووثّقت الشيء: أحكمته، وأوثقته: شددته، والوثاق: اسم لما يوثق به الشيء {وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} ﴿الفجر: ٢٦﴾، {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} ﴿البقرة: ٢٧﴾.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١/٥٧-٥٨.

والميثاق مع الله تعالى يكون بالكلمة، وبين الناس إما باليمين المؤكدة أو بالصحيفة المثبتة لأقوال المتكلمين {قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} ﴿يوسف: ٦٦﴾، {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ} ﴿النساء: ٩٢﴾ وأما العقد فهو يكون بالوثيقة المدونة فقط {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} ﴿المائدة: ١﴾ فهو بين البشر فقط فلا يقال تعاقدت مع الله تعالى(١).

س: وردت في كلام الإمام (عليه السلام) لفظة السُّخطة فهل يمكن استبدالها بلفظة الغضب أو النقمة؟

تعدّ هذه الألفاظ من المترادفات لدى المعجميين، وقد فرّق التعبير القرآني بينها؛ إذ استعمل السخط في العقوبة العاجلة: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} ﴿المائدة: ٨٠﴾، وهم بنو إسرائيل؛ إذ كانت عقوبتهم اللعن، وفي سخط المنافقين ارتبطت العقوبة بضرب وجوههم وأدبارهم {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} ﴿محمد: ٢٧-٢٨﴾، على حين استعمل الغضب للعقوبة المؤجلة إلى المستقبل البعيد {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} ﴿النساء: ٩٣﴾ وربّما أتبع الغضبَ غفرانٌ وهو من غضب البشر. {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} ﴿الشورى: ٣٧﴾.

أمّا النقمة فالمراد بها إنكار شيء محدّد في الإنسان دون أموره الأخرى {وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١: ٥٧.

يَتوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ الله عذابًا أَليمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} ﴿التوبة: ٧٤﴾، ولذا لا يقع فعل العقوبة إلا إذا توالت النقم: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} ﴿الأعراف: ١٣٦﴾، فالانتقام يأتي بعد ارتكابهم منكرات متعدّدة وليس من مرة واحدة {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} ﴿الزخرف: ٢٥﴾ فهم مكذبون، أي: مكثرون للكذب، وكذلك {وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} ﴿المائدة: ٩٥﴾ فهم يعودون بالمنكرات دائما، إذن يمكن القول أنّ هذه الألفاظ تشترك في كونها ثوراناً لدم القلب، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): "اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم"[1] غير أنّ الغضب لا تتبعه عقوبة دينية، ويقع من المتمكن على إنزال العقوبة وغير المتمكن، وهو أمرٌ ظاهر على الغاضب، {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} ﴿الأعراف: ١٥٤﴾ فغضبه (عليه السلام) ظاهرٌ للعيان، (غضِب يغضَب) من الباب الرابع فهو غضبان.

وأمّا السخط فهو ثورانٌ ظاهر يقع من القادر على إنزال العقوبة على المسخوط، وهي عقوبة شاملة محيطة بالمسخوط؛ لذا ترتبط حقيقتها بالخالق تعالى، وتكون من الناس على التشبيه. {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} ﴿التوبة: ٥٨﴾ فهم يقومون بلمز النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إنْ لم يعطوا من الصدقات، والسخط يقابل الرضا، (سخِط يسخَط) من الباب الرابع {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ الله كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} ﴿آل عمران: ١٦٢﴾[2].

وترتبط بهذه الألفاظ - أيضًا- مفردة (الغيظ) فهي تدلّ على ثوران الدم لكنه سلوك داخلي وثوران خفي؛ لذا ارتبطت هذه المفردة في الاستعمال

(١) الكافي ٢ / ٣٠٤ ح ١٢.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ١٣٠-١٣٢.

القرآني بالصدور، وهي موضع إخفاء {هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} ﴿آل عمران: ١١٩﴾، وبالخلوة {هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} ﴿آل عمران: ١١٩﴾، وبالكيد {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} ﴿الحج: ١٥﴾ فهذه اللفظة مرتبطة بالنفوس الضعيفة التي تحقد على المؤمنين، أيْ إنَّ الغيظ غضبٌ كامن للعاجز، يقال: غاظه يغيظه من الباب الثاني غيظا(١).

وذكر صاحب المفردات أنّ الغيظ قد يوصف به سبحانه لإرادة الانتقام، ومثّل لذلك بقوله تعالى {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ} ﴿الشعراء: ٥٥﴾ مع أنّ الفاعل ههنا هو فرعون الذي قال هذه الكلمة، وهو الذي اغتاظ ممن تبع موسى (عليه السلام)، وقد وصفهم فرعون بأنهم شرذمةٌ قليلون.

وفي قول الإمام (عليه السلام) استعمل لفظة (السُّخطة) تعليلًا لإعطاء إبليس النظرة، أيْ إنَّ إمهال إبليس إلى الوقت المعلوم هو عقوبةٌ آنيّة له وليست مؤجلة، فهو مطرود من رحمة الله أولًا، ومتبوع بتعاظم الذنوب؛ لأنه في هذه المهلة الدنيوية يستفرغ جهده في استمالة بني آدم وإغرائهم بملذات الدنيا لإبعادهم عن الخالق تعالى، فكل لحظة تمرّ عليه تزيده بؤسًا وشقاء ليؤول مصيره إلى الخلود في النار، وهو الانتقام الإلهي الأخير له. أمّا السخطة فهي العقوبة المباشرة له، وأمّا الغضب فلا يلزم منه عقوبة الطرد من الجنّة، وعن أمير المؤمنين في الخطبة (١٩٢): " أَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً؟!".

(١) ينظر: المفردات (غيظ).

المستوى البلاغيّ

س: في النصّ أساليب بلاغيّة متعدّدة، اذكرها وبيّن نسبة كلّ منها إلى الفنّ البلاغيّ الخاصّ به؟

١-في النّصّ اقتباس من آيتين كريمتين، في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} ﴿البقرة: ٣٤﴾، وكذلك قوله تعالى {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} ﴿الحجر: ٣٦-٣٨﴾. وهو من فنون علم البديع فهو من المحسِّنات اللفظية التي تزيّن الكلام.

٢-في عبارة: الوقت المعلوم كناية عن يوم الدين، والكناية من فنون علم البيان، إذ ذُكر لازمٌ من لوازم الموصوف وهو (المعلوم) لأنّه يوم بيّنه الله تعالى لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لّما بشّره بظهور الإسلام على الدين كلّه بشرائط معيّنة تسبق وقوع هذا اليوم، فهو معلوم لدى المسلمين بهذه الشرائط من إتيان الدخان الذي يغشى الناس، وخروج النار من المشرق وغير ذلك من العلامات الكونيّة. وإنظار إبليس يكون إلى هذا اليوم وليس إلى يوم القيامة.

٣- الإيجاز وهو من فنون علم المعاني، إذ اختصرت قصة عصيان إبليس في كلامه (عليه السلام) عما وردت عليه في القرآن الكريم، فلم يذكر (عليه السلام) طلب إبليس الإمهال، وإنّما ذكر الاستجابة مباشرة وذلك مراعاة لجانب الاختصار في تقديم الصفوة من هذه القصة ضمن خطبة طويلة له (عليه السلام) يلفت فيها انتباه المخاطبين إلى ما أقرّه سبحانه في كتابه العزيز، وهو إيجاز في محله تستدعيه ظروف الخطاب المباشر.

المقطع الثامن: معصية آدم عليه السلام

وهو قوله (عليه السلام): (ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدم دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إبليس وَعَدَاوَتَه، فَاغْتَرَّهُ عدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّه، وَالعَزِيمَةَ بِوَهْنِه، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً. ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِه، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِه، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ).

المعنى العامّ[1]

جاءت قصّة آدم (عليه السلام) في هذا المقطع مجملة مع تركيز شديد، فشخّص الإمام (عليه السلام) معصية آدم مبيّنا سببها بقوله (فاغترّه عدوّه) أي: أصاب مكان الزهو والتعالي فيه، وترك للقرآن الكريم توضيح كيفيّة اغترار إبليس لآدم عليه السلام، وذلك حرصاً من الإمام (عليه السلام) على بيان نقطة الضعف في الإنسان لكي لا يؤتى منها اعتباراً بما حصل لآدم، فالمعصية المفهومة من الاغترار هي الحرص قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} ﴿الأعراف: ١٩﴾ فمعنى الآية كما في الروايات الصحيحة عن العترة الطاهرة هو أنّ آدم وحواء أخذا ما لا حاجة بهما إليه. وعلى الإنسان أنْ لا يأمن عقاب الله تعالى، وأنّ الابتلاء بالخير أصعب من الابتلاء بالشّرّ؛ لأنه يستوجب التذلّل للخالق ليحصّن نفسه من الكبر، مع الشكر الدائم، على حين الابتلاء بالشر يستوجب الحمد، فالتفضيل ميزة وكرامة من الله للعبدن ولا بدّ له أنْ يعلم انّها بأمر الله إنْ شاء أبقى هذا التكريم أو رفعه، فكان آدم حريصاً على بقاء تكريمه فكلّفه التجاوز على الأمر الإلهيّ.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٠٤-١١٠ ومنهاج البراعة للخوئي ٢/٨٦ -٩١ و بهج الصياغة ٣/٥٩١-٥٩٢.

وقد ذكر (عليه السلام) أنّ إبليس حسد آدم على أمرين: أولهما الجنة التي أعدّها الله له، والآخر (مرافقة الأبرار)، دون تحديد لهؤلاء الأبرار. وقد ذُكر أنّهم الملائكة (عليهم السلام)، مع أنّ الملائكة سجدت لآدم وخضعت له، والمفروض أنْ لا يحسد على رفقة من هم أدنى رتبة منه، هذا فضلًا عن أنّ لفظة الأبرار لم ترد في الاستعمال القرآني وصفًا للملائكة قطّ، وإنّما وُصف الملائكة بالبررة {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ} ﴿عبس: ١٥- ١٦﴾، وهو جمع بارّ، أمّا الأبرار فهو جمع برّ صفة مشبّهة وهو أعلى مرتبة من البارّ، وجاءت في القرآن الكريم وصفًا لأهل البيت عليهم السلام {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} ﴿الإنسان: ٥﴾ وهو جمع قلّة لهؤلاء الخمسة المطهّرين الذين يدعو كلّ مؤمن أنْ يكون معهم {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} ﴿آل عمران: ١٩٣﴾؛ لذلك فآدم محسود على مرافقتهم وهم أنوار في أظلة العرش، ويدل عليهم تحريض إبليس لآدم بقوله: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} ﴿الأعراف: ٢٠﴾ فهم الخالدون في الجنة؛ لأنه سبحانه إنما خلق الجنة لأجلهم، أي لأجل مشروع الخلافة فهم أساس المشروع وغايته.

وحسم أمير المؤمنين (عليه السلام) القول في زمن توبة آدم هل هو قبل الإهباط أو بعده؟ إذ اختلفوا في وقت هبوط آدم من الجنة فمن قائل: إنّها بعد التوبة كما في قوله تعالى {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} ﴿طه: ١٢١-١٢٣﴾، ومنهم من رأى أنّ الهبوط قبل التوبة كما في قوله تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ

مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ﴿البقرة: ٣٦-٣٨﴾، فكلام أمير المؤمنين ورد باستعمال الأداة (ثم) في قوله (عليه السلام) (ثم بسط الله سبحانه له في توبته... فأهبطه إلى دار البليّة)، وأمّا ما في سورة البقرة فالملحوظ أنّ فيها إهباطين:

الأوّل: في الآية (٣٦) على سبيل عرض العقوبة الإلهية لهما لّما أزلّهما الشيطان، وهي الإخراج من الجنة والإهباط إلى الارض.

والآخر: في الآية (٣٧) وهو حاصل بعد التوبة وكأنّه تفسير للتوبة؛ لأنه سبحانه قبل التوبة من آدم بشرط إخضاعه للابتلاء بعداوة إبليس فأهبطه ليعيش هذا الابتلاء ثم يردّ إلى الجنة إذا نجح. وقد صرّح أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا في الخطبة (٩١) من النهج فقال: " فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِه، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِه عَلَى عِبَادِه، ولَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِه، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَعْرِفَتِه".

ومما روي عن العترة الطاهرة في توجيه معصية آدم (عليه السلام) في قوله تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} ﴿طه: ١٢١﴾ هو أنّ هذه المعصية كانت قبل التكليف فلم يكن قد عُصم بعد، والله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده، ولم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم (عليه السلام) في الجنة لا في الأرض، وعصْمته يجب أنْ تكون في الأرض لتتم مقادير الله عزّ وجلّ، فلما هبط إلى الأرض وصار حجة وخليفة عُصم بقوله عزّ وجلّ {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدم وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} ﴿آل عمران: ٣٣﴾ أيْ إنّ ذلك كان من آدم قبل النبوة.

وهذا المعنى رواه الصّدوق في عيون الأخبار والطبرسي في الاحتجاج عن عليّ بن محمّد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السّلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول اللّه أ ليس من قولك: إنّ الأنبياء

معصومون؟ قال: بلى، فقال: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: (وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى). فقال عليه السّلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم (أُسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وكُلا منْها رَغداً حَيْثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ). وأشار لهما إلى شجرة الحنطة (فتَكُونا مِنَ الظّالِمينَ). ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشّجرة ولا ممّا كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة وإنّما أكلا من غيرها لمّا أنْ وسوس الشّيطان إليهما وقال: إنّما نهاكما ربّكما عن هذه الشّجرة وما نهاكما أنْ تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها: (إلاّ أَنْ تكُونا ملَكَينِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدينَ، وقاسَمَهُما إِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحينَ).

ولم يكن آدم وحوّاء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا (فَدَلّيهُما بِغُرُورٍ فَأَكَلا مِنْها) ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النّبوة ولم يكن ذلك بذنبٍ كبير استحق دخول النّار به وإنّما كان من الأمور المخالفة للمستحب التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم فلمّا اجتباه الله وجعله نبيًّا كان معصومًا لا يخالف حتى المستحبات.

المستوى الصوتيّ

س: في (وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً) هل يمكن استبدال الوجس بالوجل؟ علل ذلك اعتماداً على الدلالة الصوتية.

الوجل كالوجس كلاهما يعني استشعار الخوف[1]، لكنّ الوجس يعني إخفاء الخوف، أي هو استشعارٌ بالخوف يكون خفيًّا ولكنّه ظاهر على وجه صاحبه؛ ولذا علم ضيف إبراهيم بخوفه منهم دون أن يصرّح لهم بشعوره كما في الآيات: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ

(١) ينظر: الصحاح (وجس، وجل).

قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿الذاريات: ٢٤ - ٢٨﴾.

أما الوجل فشعورٌ خفيّ كامن فلا دلالة عليه إلا من صاحبه فلا يعرف إلا بتصريح صاحبه؛ ولذا لم يعلم ضيف إبراهيم أنه خائف منهم إلا بعد أنْ صرح هو بخوفه منهم قبل أنْ يسلّم عليهم كما في الآيات: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿الحجر: ٥١ - ٥٣﴾.

ويبدو أنّ الوجس سابق للوجل، وأنّ الوجس زائل أسرع من الوجل، فالإنسان بطبعه يوجس من شيء يخيفه أولًا، فيظهر أثر الخوف على وجهه ثم يطمئن قلبه فينحسر خوفه في جوفه ولا يرى في وجهه؛ لأنه اعتاد هذا الشعور المفاجئ فتعامل معه بما يوافق شخصيته وكيانه فإبراهيم (عليه السلام) لما أقبل عليه ضيفه (الملائكة) بأخبارٍ كثيرة ردّ عليهم السلام ووصفهم بالمنكرين؛ لأنه لا يعرفهم من قبلُ ولم يصرح بخوفه منهم عند لقائه بهم ابتداء ومع أول خبر تلقاه بل أضمره في قلبه فظهر الخوف على وجهه، فعلموا أنه خائفٌ منهم فقالوا له: لا تخف كما في سياق سورة الذاريات.

وفي زمن لاحق لازم الخوف إبراهيم لكنه انحسر في قلبه فلما استرسلوا في تبليغه الأخبار الأخرى - وهي مخيفة أيضًا - صرح بوجله منهم؛ لأن الخوف قد زال من صفحات وجهه وكمن في وجدانه كما في سياق سورة الحجر. وفي جرس الصوتين اللام والسين ما يحاكي معنى اللفظتين فالسين صوتٌ مخرجه من الأسنان واللام مخرجه شجر الفم أو (الغار) فمخرج السين -إذن- أقرب إلى الخارج من مخرج اللام، وفي هذا إيحاءٌ بظهور الخوف في (الوجس) وخفائه في (الوجل) فضلًا عن أنّ السين صوت صفيريٌّ منساب بهمس بين الأسنان واللسان، واللام صوتٌ ممتد مجهور يخرج من على جانبي اللسان المتصل بالغار، وهذه الصفات المختلفة يحاكي كلٌّ منها معنى الفعل الخاص بها

فالوجس شعورٌ عارض سيزول وينساب تدريجيًّا، لكنّ الوجل شعورٌ ممتد لا يزول بسرعة كالوجس.

وفي قصّة آدم (عليه السلام) استعمل الإمام (عليه السلام) الوجل؛ لأن آدم (عليه السلام) بعد ارتكابه ما نُهي عنه أصبح لا يعلم مصيره هل يتوب الله عليه أو ينتظر العقاب؟ لذا فهو وجِلٌ مترقب، فخوفه مستمر في قلبه وإنْ كان قد زال من صفحات وجهه. وقد قوبلت هذه اللفظة بالجذل؛ لأنه استبدل الوجل بما فيه من ترقّب للحساب والمعاقبة بما كان عليه من استقرار الفرح وثبوت تحقّقه لهم لرضا الله عنه.

المستوى الصرفيّ

س: ما وزن الخليفة وما دلالته، وإذا كان آدم (عليه السلام) خليفة لله في أرضه فكيف ساغ للخليفة المعصية؟ وما أدرى الملائكة أنه سيفسد في الأرض؟

الجواب عن هذه الشبهة يعتمد على التفريق بين (الخليفة) الاسم و(الخليفة) الصفة، فالخليفة الاسم يصدق على كل إنسان منذ آدم حتى قيام الساعة والتاء فيه للنقل للاسمية كتاء الذبيحة والنطيحة ويجمع على (خلائف) كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} ﴿فاطر: ٣٩﴾. فالخلائف جمع للاسم (خليفة) وهو اسم يصدق على كلّ إنسان من ولد آدم كافة ذكورهم وإناثهم برِّهم وفاجرهم؛ لأن (الخليفة) الاسم يدلّ في أصل الوضع على كلّ من يخلف أباه؛ ولذا تجد الكفر حاضرًا في سياق الخلائف لدلالته على عموم الناس كافرهم ومؤمنهم، وتجد التفاضل والابتلاء والثواب والعقاب واضحًا في سياقهم كما في قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ﴿الأنعام: ١٦٥﴾.

وأما الخليفة الصفة فخاصٌّ بالمصطفَين الأخيار الذين يخلف بعضهم بعضًا في ولاية الناس وإمامتهم ويجمع على (خلفاء) كما في قوله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} ﴿النمل: ٦٢﴾ والخلفاء للذكور خاصة وهم بعض الخلائف بل صفوتهم المنتخبون من الله تعالى للحكم والرئاسة وولاية الأمر؛ ولذا لم يذكر الخلفاء في التعبير القرآني إلا في موضع اصطفاء فئة من الناس بعد هلاك قومٍ آخرين قبلهم كقوله تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ﴿الأعراف: ٦٩﴾ {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} ﴿الأعراف: ٧٤﴾.

وبهذا الفرق الدلالي يفهم اعتراض الملائكة على (جعل الله خليفة في الأرض) فثمة روايات كثيرة تشير إلى أنّ الإنسان لم يكن وحده في هذه الأرض فهناك مخلوقات أخرى قبله سكنت الأرض وعاثت فيها فساداً فكان بحسبان الملائكة أنّ (الإنسان الخليفة) سيكون على شاكلة من كان قبله وهذا ما حصل فعلًا، فالتعبير القرآني قسّم البشرية منذ الخليقة على صنفين:

الغاوين: وهم الكثرة الكاثرة من حزب إبليس.

والمخلصين: وهم الخلاصة المستخلصة من البشرية جمعاء.

وفي مشهدٍ آخر منها إنما أنكر الملائكة جعل الخليفة في الأرض؛ لأنهم بحسبانهم أنه جعلٌ أبديّ لا ابتلائي فقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ﴿البقرة: ٣٠﴾ أي إنَّ الملائكة نظروا إلى الحياة الدنيا للإنسان لا الحياة الآخرة {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ﴿العنكبوت:

٦٤﴾ وعندما يجيب اللهُ المضطرَّ ويكشف السوء من الأرض لن تجد فيها إلا الخلفاء لا الخلائف فقال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} ﴿النمل: ٦٢﴾؛ لأن الخلائف جمعٌ للغاوين والمخلصين معاً والخلفاء للمخلصين منهم خاصة.

س: استخرج الصيغ المزيدة للأفعال، وبيّن الحروف الزائدة ثمّ وضّح دلالاتها الصّرفيّة؟

ثمة ثلاث صيغ فعليّة مزيدة هي:

١ـ (أفعل) وعليها الأفعال:

أ-(أرغد) من رغد عيشه يرغَد رَغَدًا من الباب الرابع وهمزته للتعدية. وذكرت المعجمات أنّ الفعل (رغد) قد يستعمل مع همزة القطع لازمًا: أرغد القومُ: حصلوا في رغدٍ من العيش، وهذا نحو جدب وأجدب، أي فعل وأفعل بمعنى واحد.

ب-(أسكن) مجرّده يأتي إمّا لازمًا كما في {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ﴿الأنعام: ١٣﴾ و{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا } ﴿الأعراف: ١٨٩﴾ أو متعدّيًا إلى واحد كما في{ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} ﴿البقرة: ٣٥﴾، وبالهمزة يصير متعدّيًا إلى اثنين ظاهرًا كما في {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} ﴿إبراهيم: ١٤﴾ أو تقديرًا كما: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ } ﴿إبراهيم: ٣٧﴾ فالتقدير: أسكنت ذريتي واديًا غير ذي زرع.

ج -(آمن): مجرده أمِن يأمن من الباب الرابع أمانًا فهو آمن، وآمنه غيرُه فالهمزة للتعدية أيضًا، والمصدر الإيمان كقوله تعالى: {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} ﴿قريش: ٤﴾.

د -(أهبط): من هبَط الحجر يهبِط على الباب الثاني بمعنى انحدر والهمزة للتعدية.

٢: (فعّل) وعليها لفظتان:

أ -(حذّره): مجرده حذر يحذَر من الباب الرابع، وهو متعدٍّ إلى واحد كما في قوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ} ﴿الزمر: ٩﴾ و{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} ﴿التغابن: ١٤﴾. والتضعيف أفاد التعدية إلى المفعول الثاني كما في {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ} ﴿آل عمران: ٢٨﴾.

ب -(لقّاه): من المجرّد لقيه لقاء ولقًى وهو متعدٍّ بنفسه كما في {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا} ﴿البقرة: ١٤﴾ والتضعيف يفيد التعدية إلى المفعول الثاني كما في {فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} ﴿الإنسان: ١١﴾.

٣: (افتعل) وعليها (اغترّه) وهو مزيد بالهمزة والتاء، ويفيد المبالغة في إصابة الغرّة، والمجرّد غررت فلانًا على الباب الأول إذا أصبت غرّته ونلت منه ما أريده غرًّا، فهذا الاشتقاق مثل دمغه إذا أصاب دماغه وجلده إذا أصاب جلده، وبطنه إذا أصاب بطنه. والأصل في هذا الفعل غرّة الفرس وهو بياضٌ في جبهته ينماز به عن غيره، يقال: فرس أغرّ، وانتقل بهذه الخصيصة إلى إرادة الفخر والتباهي والاعتزاز بما يميّز الشخص عن غيره. ومعنى {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} ﴿آل عمران: ١٩٦﴾ أي: لا يصيب حسن حالهم مواضع الغرّة فيك فإنك عزيز وما هم فيه إلى زوال. وغرّه إبليس أي أصاب غرّته وهي موضع الزهو والكبرياء بعد ما لقي من الحفاوة والإكرام، فأراد إبليس أنْ ينفُذ إلى آدم من محلّ التكريم هذا ليكذب عليه ويحمله على المعاصي. وإنّما عبّر بصيغة الافتعال عن ذلك؛ لأنّ إبليس بالغ في ذلك لمّا أقسم بالذات الإلهيّة كذبًا {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} ﴿الأعراف: ٢١﴾ فهذا اغترارٌ أبلغ من الغرّ والغرور معًا؛ لأنّه تكلّف فيه الكذب على الله تعالى.

٤: (استفعل)؛ بزيادة الهمزة والسين والتاء وعليها (استبدل) بزيادة الهمزة والسين والتاء، ويفيد الجعل، أي جعل شيء مكان آخر على سبيل

العوض، فتطرح الأوّل وتأخذ الثاني وتقترن الباء بالمطروح كما في {قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} ﴿البقرة: ٦١﴾، وقوله تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} ﴿محمد: ٣٨﴾ أي يستبدل بكم قومًا غيركم. وكذا (تفعّل) يفيد العوض على سبيل التدرّج كما في قوله تعالى: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} ﴿النساء: ٢﴾ فتكون الباء داخلة على الشيء المطروح، وهذا مما يغلط فيه كثير من المنشئين فيدخلون الباء على المأخوذ فينقلب المعنى.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا وبيّن دلالتها الصرفيّة.

-(محلّته): بزنة (مَفْعَلَة) وهي صيغة تستعمل لتكثير الشيء في المكان نحو: المقبرة والمطبعة والمدرسة. ولم يستعمل اسم المكان هنا (محلّ) لأنّ المراد أنّ هذه الدار (الجنّة) هي كلّها مهيّأة لآدم فكل موضع فيها هو مكانٌ مخصّص لحلوله، وكأنّه مالكها لا أنّه يحلّ في موضعٍ دون آخر.

-(مقام): بزنة (مفعل) من أقام في المكان إقامة، وهذه الصيغة تصلح أنْ تكون اسم مكان أو اسم زمان أو مصدرًا ميميًّا؛ لأنّ طريقة الاشتقاق واحدة، وهي على زنة المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر. والسياق هو الذي يعيّن المراد منها. وفي كلامه (عليه السلام) أضيفت الدار - وهي اسم دالٌّ على المكان- إلى المقام، فيكون المراد به المصدر الميميّ، أي: دار الإقامة، وهي إقامةٌ في مكانٍ معيّن هو الجنّة. يقال: قام في المكان قيامًا، واسم المكان منه مَقام بفتح الميم كما في قوله تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} ﴿البقرة: ١٢٥﴾، وأقام في المكان من المزيد بهمزة القطع إقامة واسم المكان (مُقام) بضم الميم كما في {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} ﴿الفرقان: ٦٦﴾.

-(المردّ) بزنة (مَفْعَل) من ردّه يردّه، وهذه الصيغة يشترك فيها الزمان والمكان والمصدر الميميّ، والسياق هنا يعيّن دلالتها على المصدر؛ لأنّها مفعول للوعد الإلهيّ لآدم (عليه السلام) بالردّ إلى مكان معين هو الجنة، وفي زمان لا يعلمه إلا الله فهو إذن ردٌّ على هيأة محدّدة في وقت ومكان محددين، وهذا ما صرح به التعبير القرآني { {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} ﴿البقرة: ٣٦﴾ و{قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} ﴿الأعراف: ٢٤﴾.

-(البليّة): بزنة (فعيلة)، وهي اسم مصدر من الابتلاء، والأصل المجرد بلاه يبلوه: جرّبه واختبره، ومعنى البليّة: ما يُبتلى به من خير أو شرّ {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} ﴿البقرة: ١٥٥﴾.

-(ذرّيّة): اختلفوا في وزنها على وفق الاختلاف في اشتقاقها، على ثلاثة أقوال؛ فقيل: هي مشتقّة من الذرّ وهو ما دلّ على لطافة وانتشار؛ لذا يقال لصغار النمل: الذرّ لصغر حجمها وكثرتها، والواحدة ذرّة، وذرّت الأرضُ البقل تذرّه من الباب الأوّل: أنبتته صغيراً منتشراً {إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} ﴿النساء: ٤٠﴾. فيكون وزنها (فعليّة) على النسب مثل قمريّة. وقيل: إنّها مشتقّة من الذَّرء، وهو البذر والزرع، يقال: ذرأنا الأرض أي: بذرناها، وذرأ الله الخلق يذرأهم أي: خلقهم {وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} ﴿الأنعام: ١٣٦﴾ {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} ﴿الأعراف: ١٧٩﴾. والذّريّة لنسل الثقلين، فيكون وزنها (فُعّيلة) ثم ترك همزها فصارت كذلك بعد خطوتين (ذرّيئة-ذرّيية-ذرّيّة) كما ترك همز بَريّة من برأ على فَعيلة، وقيل: إنّها من الذرو، وهو تساقط الشيء متفرّقًا، يقال: ذرت الريح الشيء ذرواً: أطارته وأذهبته قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ} ﴿الكهف: ٤٥﴾ فيكون وزنها إما على (فُعِّيلة) وأصلها (ذُرِّيوة) ثم قلبت الواو ياء لسبقها بالسكون واجتماعها مع الياء. أو على (فُعّولة) وأصلها (ذرّووة) اجتمعت واوان في الطرف فتقلب المتطرفة ياء فتصير (ذُرُّوية) ثم تقلب الواو ياء؛ لأنها ساكنة وبعدها ياء، والراجح الأول لسماع (عالم الذرّ) فهي منسوبة إلى (الذر) وضم الذال من تغيير النسب.

-(عدوّ) بزنة (فعول)، وهي صيغة مبالغة نحو: صبور وشكور، ويستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} ﴿الشعراء: ٧٧﴾ و{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} ﴿القصص: ١٥﴾، وكذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، وذكرت بعض المعجمات قولهم للمؤنث:

(عدوّة الله) يعدّ شاذًا أو على التشبيه بالضد، وهي صديقةٌ. والأظهر أنْ تكون التاء فيها للنقل إلى الأسماء وليست للتأنيث بمنزلة تاء (الذبيحة) اسم للكبش والشاة معًا. فعدوّة الله اسم للرجل والمرأة. فيجوز أنْ يقال: فلان عدوّة الله كما يقال: فلان حجة الله وآية الله.

-(عداوة) بزنة (فَعالة) من عدا عليه يعدو عَداء وعَدْوا وعَداوة كما في {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ﴿المائدة: ١٤﴾.

-(نفاسة) بزنة (فَعالة) مثل فَصاحة وبلاغة، وهي مصدر من الباب الخامس، يقال: نفُس الشيء: صار نفيسًا، ويمكن أنْ يكون من الباب الرابع نفِس عليه الشيء نفاسة: لم يره أهلًا له، ونفس به: ضنّ. والمراد أنّ إبليس حسد آدم على ما عنده، والحسد تمنّي زوال النعمة من المحسود، والنفاسة تمنّي

زوالها من المحسود وصيرورتها إلى الحاسد، فإبليس أراد أنْ يكون الإكرام له لا لآدم، كأنّ نفسه كانتْ تطمع في هذا التشريف الذي لم يحظَ به.

المستوى النحويّ

س: أعرب لفظة (إبليس) في: (وحذّره إبليس)؟

ذهب بعض الشراح إلى أنّ إبليس هنا منصوب على نزع الخافض(١)، أي: حذّره من إبليس. والصواب أنّه مفعول به ثانٍ للفعل حذّر المزيد بتضعيف العين. فالفعل المجرّد يتعدّى بنفسه إلى المفعول الأوّل كما في {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا} ﴿البقرة: ٢٣٥﴾، ويتعدّى إلى الثاني بالتضعيف {وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ} ﴿آل عمران: ٣٠﴾ ويمكن أنْ يستعمل معه حرف الجرّ (من) على إرادة جزء المحذّر منه لا كلّه. فلو كان الأصل يحذّركم من إبليس لفهم أنّ في إبليس ما هو شرّ يجب الحذر منه، وجزء آخر لا يحتاج إلى تحذير.

س: ما نوع (الواو) في عداوته في قوله (عليه السلام): (وحذّره إبليس وعداوته)؟.

هذه واو المعيّة، وإنّما أُفردت عن إبليس، أيْ لم يقل: (وحذّره عداوة إبليس)، للتأكيد على أمر العداوة؛ لأنّها لشدّتها لم يستطع إبليس أنْ يكتمها، فلم يقبل السجود وبذلك عصى الخالق بسبب تكبّره على آدم (عليه السلام) فتوعّد آدم بالغواية فجاءت ألفاظه دالّة على العداوة من نحو: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} ﴿الأعراف: ١٦ - ١٧﴾ و{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} ﴿الحجر: ٣٩﴾ و{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} ﴿ص: ٨٢﴾

---

(١) ينظر: منهاج البراعة للخوئي ٢/ ٨٨ وفي ظلال نهج البلاغة ٤٩/١.

و{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} ﴿الإسراء: ٦٢﴾.

س: ما نوع الباء في (فباع اليقين بشكّه)؟ وفي (واستبدل بالجذل وجلًا)؟

في العبارة الأولى هي باء السبب، أي بسبب الشّكّ الذي ارتابه طرح اليقين واختار الشّكّ. أمّا في العبارة الثانية فالباء كما يقول النحويّون هي باء العوض. والصواب أنها باء السبب أيضًا والمعنى أنه ترك الجذل لوجلٍ كامن فيه، والعوض مفهوم من الفعل (استبدل)، أي صيّر الوجل بديلًا للجذل، والباء مع الفعل استبدل تدخل على المطروح دائمًا وهو المفعول به الأول في المعنى.

المستوى المعجميّ

س: يفسّر الجذل بالفرح حتى قيل في النحو: إنّ المفعول المطلق ينوب عنه مرادفه نحو (افرح الجذل)، فهل اللفظتان مترادفتان أم بينهما فرق؟

لا يمكن أنْ يتساوى معنى اللفظتين لاختلاف مادتهما، فالفرح هو انشراح الصدر بلذّة عاجلة، يقال: فرِح يفرَح فرَحًا من الباب الرابع فهو فرِحٌ، وورد الفرح مذمومًا في أغلب موارده القرآنيّة عدا آيتين؛ لأنّه فرحٌ دنيويّ كما في {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} ﴿الحديد: ٢٣﴾ و{وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} ﴿الرعد: ٢٦﴾ و{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} ﴿القصص: ٧٦﴾، فاذا كان الفرح لأمر مرتبط بالدين ونصرته فعند ذلك يكون محمودًا {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} ﴿يونس: ٥٨﴾ و{فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} ﴿الروم: ٤﴾. والفرح قد يكون بما ليس فيه

نفع كفرح الطفل بما يؤذيه من لعبة أو غيرها، وضدّ الفرح الغمّ بما قد لا يكون ضرًا له.

أمّا الجذل فهو الفرح الغامر الذي يثبت في النفس، أيْ لا يكون لذّة عاجلة كما في الفرح، والجذل أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع أو ما عظم من أصول الشجر؛ ولذا فهو راسخ ثابت بخلاف الفرح الذي هو انفعال عارض.

وممّا يستعمل مقاربًا لهذين اللفظين في الدلالة على الفرح لفظتا: السرور والحبور، وثمّة فرق واضح بينهما يفهم من الدلالة المعجميّة، فالسرور مأخوذٌ من السِّرّ وهو خلاف العلانيّة، فالسرّ هو الحديث المكتوم في النفس، ومنه اشتق السرور وهو ما ينكتم من الفرح أيْ إنَّ السرور فرح داخليّ من صميم الوجدان قلبًا وعقلًا، وذلك إنما يحصل إذا كان الأمر السارّ فيه منفعة حقيقيّة للشخص المسرور، كما في {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً} ﴿الإنسان: ١١﴾ و{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} ﴿البقرة: ٦٩﴾ و{وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً} ﴿الانشقاق: ٩﴾ فهذا من أهل الجنة، وأمّا إذا كان من أهل النار فـ {إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً} ﴿الانشقاق: ١٣﴾، من حيث اعتقاده لا من حيث حقيقة الأمر فـ {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} ﴿الانشقاق: ١٤﴾.

وأمّا الحبور فهو من الحبر وهو الأثر المستحسن، حبر فلانٌ حبرًا على الباب الرابع بقي بجلده أثر من قرح، وحبرت الأرض: كثر نباتها، وثوب حبير: محسّن، وسُمّي العالِم حبْرا لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس ولأفعاله التي يقتدى بها. فالحبور هو: الفرح الذي تظهر آثاره على صاحبه من مظاهر النعمة المسبّبة للفرح {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} ﴿الروم: ١٥﴾، يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم؛ ولذا استعمل الإمام (عليه السلام) الجذل في وصفه لحال آدم (عليه السلام) في الجنة؛ لأن فرحه بما أعطاه الله تعالى من النعم العظيمة التي أرغدت عيشه

كـان ماديًّـا ومعنويًّـا، أي نعمـة المكـان ونعمـة مرافقـة الأبـرار أدّت إلى ثبـات الفرحة في داخله وشمولها إياه روحًا وبدنًا، فكان الجذل هو الأنسب من هذه الألفـاظ لبيـان حالـه. والمحصـل مـن الفـرح والجـذل معًـا هـو السـعادة، فهـي كالمكافأة بعد السعي لتحصيل الفرح الـديني {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} ﴿هود: ١٠٨﴾ [1].

س: هل الوجل يعني الخوف بلا تمايز بين اللفظين؟ وضّح ذلك مستعينًا بالقرينة السياقيّة في كلام الإمام (عليه السلام).

الخوف هو توقّع مكروه عن أمارةٍ معلومة أو مظنونة، أي إمّا أنْ يكون المخوف منه ظاهرًا للعين نحو خوف العدوّ، وخوف موسى (عليه السلام) من العصا لمّا صارت ثعبانًا {قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} ﴿طه: ٢١﴾ أو خوفٌ من أمر سيقع مستقبلًا يقينًا أو ظنًّا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ﴿المائدة: ٥٤﴾ و {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} ﴿الإنسان: ١٠﴾ و {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} ﴿النساء: ٣﴾ و{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} ﴿يوسف: ١٣﴾ ويقابل الخوف الأمن.

أمّـا الوجـل فهـو أي استشـعار الخـوف، يقـال: وجـل يوجـل وجلًـا فهـو وجل، والمخوف منه غير حاصل حقيقة لا ظاهرًا ولا مستقبلًا، وربّما لا يقع، فهـو شـعور قلبي لا يمـلأ الـنفس وإنّمـا يستشـعره القلـب إذا ترقّب أمرًا سيئًا

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١٦٦، ١٧٤-١٧٥، ٢٧٧.

حصل أو لم يحصل {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عليْهِمْ آيَاتُه زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وعَلَى ربِّهِمْ يتَوَكَّلُونَ} ﴿الأنفال: ٢﴾ و {الَّذِينَ إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ على مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} ﴿الحج: ٣٥﴾، أي: استشعروا مخافة الله وغضبه وإنْ لم يكن سبحانه غاضبًا عليهم، ولكنّهم يحذرون غضبه سبحانه وعدم رضاه عنهم في ترقّبٍ دائمٍ فلم تطمئن قلوبهم إلى ما قدّروه من الطاعة وظنوا أنهم مقصّرون فاضطربوا من ذلك وقلقوا[١].

س: ما الفرق اللغوي بين الوهن والضعف[٢]؟

فرّق أبو هلال العسكري بين الوهن والضعف بقوله: "الْفرق بَين الوهن والضعف أَن الضعْف ضد الْقُوَّة وَهُوَ من فعل الله تَعَالَى كَمَا أَن الْقُوَّة من فعل الله تَقول خلقه الله ضعيفًا أو خلقه قويًا وَفِي القرآن {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} ﴿النساء: ٢٨﴾ والوهن هُوَ أَنْ يفعل الْإِنسان فعل الضَّعِيف تَقول وَهن فِي الْأَمر يهن وَهنا، فهو واهنٌ إِذا أَخذ فِيه أَخذ الضَّعِيف وَمِنْه قَوْله تَعَالَى (وَلَا تهنوا وَلَا تحزنوا وَأَنْتُم الأعلون) أَي لَا تفعلُوا أَفعَال الضُّعَفَاء وأَنتم أقوياء على مَا تطلبونه بتذليل الله إِيَّاه لكم"[٣].

س: ما الفرق بين الهبوط والإنزال؟

الفرق بين الهبوط والنزول: أنّ الهبوط نزول يعقبه إقامة، ومن ثم قيل: هبطنا مكان كذا أي نزلناه ومنه قوله تعالى (اهبطوا مصر) وقوله تعالى (قلنا اهبطوا منها جميعًا) ومعناه انزلوا في الأرض للإقامة فيها، ولا يقال: هبط الأرض إلا إذا استقر فيها ويقال: نزل وإنْ لم يستقر[٤].

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢١٨ -٢١٩، ٢٢٧.
(٢) الفروق اللغوية ٣٣١.
(٣) الفروق اللغوية ٣٣٠.
(٤) الفروق اللغوية ٥٥٥.

المستوى البلاغيّ

س: في كلامه (عليه السلام) مجاز، بيّنه واذكر نوعه.

في قوله (عليه السلام): (داراً أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلّته) مجازٌ عقليّ، لعلاقة المكان، فالأمن لا ينسب إلى المحلّ وإنّما إلى الحالّ فيه وهو آدم عليه السلام.

س: في الكلام استعارة، بيّنها واذكر نوعها.

في قوله (عليه السلام): (فباع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنه) إذ شبّه الإمامُ (عليه السلام) عمل آدم (عليه السلام) وارتكابه ما نهي عنه بالتجارة الخاسرة، ثم حذف المشبّه به (التجارة) وذكر لازمها وهو البيع، وهذه استعارة مكنيّة.

س: في الكلام اقتباس معنوي من القرآن الكريم، اذكره وبيّن المراد منه؟

قوله (عليه السلام): (داراً أرغد فيها عيشه) مقتبس عن الجنة إذ قال تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} ﴿البقرة: ٣٥﴾. وقوله (عليه السلام): (ولقّاه كلمة رحمته) مقتبسٌ من قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} ﴿البقرة: ٣٧﴾.

ولمعرفة المراد بـ(كلمة ربّه) نعتمد تفسير القرآن بالقرآن ثم بالرواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم العقل، فالكلمة تجمع على كلمات، ووردت الكلمة في القرآن الكريم مراداً بها المسيح (عليه السلام) {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} ﴿آل عمران: ٤٥﴾ و{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} ﴿التحريم: ١٢﴾ فالكلمات غير الكتب التي فيها الكلام وهي شخوص وقد مثّل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}

﴿إبراهيم: ٢٤﴾. وكان آدم (عليه السلام) قد نُهي عن الأكل من الشجرة، ووصف إبليس هذه الشجرة بأنها شجرة الخلد {فَوَسْوَسَ إليه الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدم هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} ﴿طه: ١٢٠﴾ فالشجرة أصلها ثابت وفرعها عالٍ تحمل كلمات الله، وهم خلفاؤه الذين ارتضاهم لخلقه والذين أبرز فضلهم على الملائكة لّما اعترضوا على استخلاف البشر.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) "أنّه سبحانه علّم آدم (عليه السلام) أسماء حجج الله كلّها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال: {وَعَلَّمَ آدم الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ﴿البقرة: ٣١﴾"(١) وواضح أنّ الإشارة بـ(هؤلاء) تكون للعاقلين ولا تكون للجوامد وغير العاقلين على وفق ما نجد في التفاسير العقلية بأنّ المراد بالأسماء هي أسماء الطير والوحش والشجر وسائر الجمادات التي كانت ماثلة أمام آدم حينئذ. فالعبارة التي تاب الله بها على آدم هي أنّه "سأله بحقّ محمد وعليّ والحسن والحسين وفاطمة"(٢).

(١) نور الثقلين١/٥٥.

(٢) نور الثقلين ٧٤/١.

المقطع التاسع: اصطفاء الأنبياء من ولد آدم عليه السلام

وهو قوله (عليه السلام): " وَاصْطَفى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْف فَوْقَهُمْ مَرْفُوع، وَمِهَاد تَحْتَهُمْ مَوْضُوع، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَال تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَاب تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاث تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَل، أَوْ كِتَاب مُنْزَل، أَوْ حُجَّة لاَزِمَة، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَة، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِق سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِر عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.

المعنى العامّ

في هذا النّص يذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) بصورة مُجملة سيرة الأنبياء في أممهم، فيؤكّد أنّ دورهم هو الإنذار والتبشير لا الإكراه، وأنّهم إنّما أرسلوا لهداية البشريّة لّما حادت عن فطرة التوحيد،؛ إذ قال تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} ﴿الرعد: ٧﴾، وفيها يظهر أنّ الكافرين منكرون للربّ جاحدون به فأنكروا إنزال آية منه على قلب النّبيّ تكون على هواهم واعتقادهم؛ ولذا جاءت النصرة للربّ من الرسول والإمام ليكتمل بذلك اتحاد الثالوث الإيماني في الوقوف صفًا واحدًا بوجه الكافرين، فقد تضافر النقل عن النّبيّ الأكرم في كتب التفسير أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فسّر الهادي بأنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبهذا صرح الطبري الذي نقل عن ابن عباس قال: لما نزلت (إنما أنت منذرٌ ولكل قومٍ هاد)، وضع صلى الله

عليه وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر (ولكل قوم هاد)، وأومأ بيده إلى منكب عليّ، فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بَعْدي[1].

وهذا ما استدركه الحاكم على الصحيحين فروى بإسناده "عن علي: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال علي: رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر وأنا الهادي، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه"[2]. ورواه آخرون منهم المتقي الهندي في كنز العمال والسيوطي في الدر المنثور.

وكذا تضافر النقل عن أنّ أمير المؤمنين فسّر الهادي برجل من بني هاشم، وهذا من باب التواضع لله والنفور عن الزهو والحديث في المفاخر فكنّى أمير المؤمنين عن نفسه برجلٍ من بني هاشم، وهو ظاهر في قول أحمد بن حنبل في مسنده" عنْ عبْدِ خَيْرٍ عنْ عليٍّ في قَوْلِه { إنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} قَالَ: رَسُولُ الله صَلَّى الله علَيْهِ وسَلَّمَ الْمُنْذِرُ وَالْهادِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ "[3].

ويبيّن (عليه السلام) أنّ الأنبياء هم خلفاء الله في الأرض وحججه على خلقه، فليس لمخلوق أنْ يتعذّر بعدم التذكير مع إرسال الأنبياء مؤيّدين بالمعجزات. ولّما كانوا حجّة فلا بدّ من عصمتهم، وأشار الإمام (عليه السلام) إلى ذلك بلفظة الاصطفاء. وأشار (عليه السلام) إلى كثرة الرسل والأنبياء وعدم إخلاء الأرض منهم، وإنْ حصل فتور زمنيّ فلا بدّ من إعادة الإنذار للأمم {إنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} ﴿فاطر: ٢٤﴾.

ووردت الروايات بأنّ عدد الأنبياء هو مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ، لم يذكر القرآن منهم غير أربعة وعشرين، وكلّهم بُعثوا لأهل الجزيرة العربية والشام. قال تعالى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

(١) جامع البيان ٣٥٧/١٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١٤٠/٣ ح ٤٦٤٦.

(٣) مسند أحمد ٣٠٦/٢ ح ١٠٤١.

نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ﴿النساء: ١٦٤﴾. وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لمّا سأله أبو ذر (رض) عن عدد النّبيّين: " مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ، فقال أبو ذرّ: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمئة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا"(١). والملحوظ أنّ كلّ نبي يبشّر بالنّبيّ بعده، وفي هذا دليل على وجودهم النوراني السابق على خلق الكون، وإشارة إلى أنّهم كلمات الله تعالى التي تمّت بالنبوّة الخاتمة.

المستوى الصّرفيّ

س: استخرج صيغ الأفعال المزيدة، وبيّن دلالة أحرف الزيادة فيها.

١- (افتعل): مزيد بالهمزة والتاء، وعليه الألفاظ الآتية:

أ- اصطفى: الزيادة فيه تفيد معنى الاتّخاذ، أي اتّخاذه الصفوة، فالمجرد هو صفا الشيء يصفو صفاء، أي: خلص من الشوب وهو نقيض الكدر، وصفّاه: جعله صافيًا، وصفوة الشيء: ما صفا منه، والاصطفاء: تناول صفو الشيء كما أنّ الاختيار: تناول الخير. ثمّ يتّجه هذا المعنى في مسارات معيّنة حسب حرف الجرّ، فاصطفى (من)، بمعنى اتّخذ الصفوة من بين مجموعة، بلحاظ حرف الجرّ (من) الدال على بيان الجنس فهو انتقاء. واصطفى (على) معناه اتّخاذ يلحظ فيه الاستعلاء، وهو تمييز المصطفى على غيره {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدم وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} ﴿آل عمران: ٣٣﴾.

ب- اتّخذوا: الزيادة فيه تفيد الدلالة على التعدية إلى المفعول الثاني، فالمجرّد: أخذ الشيء يأخذه أخذًا وهو حوز الشيء وتحصيله، ويعدّى إلى مفعولين، ويجري مجرى الجعل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا

(١) نور الثقلين ٣/٥١٣.

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ﴿المائدة: ٥١﴾. وثمّة اختلافٌ بين المعجميّين في مشتقات (الاتِّخاذ)، فمنهم من يرى أنّه مشتقّ من الأخذ، بالهمزة وأبدلت تاءً على غير قياس في افتعل، ومنهم من يرى أنّه من (تخذ) بالمعنى نفسه على الباب الرابع تخذ يتخذ بمعنى أخذ.

ج- اقتطعتهم: تفيد الزيادة فيه معنى الاتّخاذ، يقال: قطع الشيء يقطعه قطعًا من الباب الثالث، وقطّعه: إذا أكثر تقطيعه، وأقطعه قطيعة، أي: طائفة من أرض الخراج. واقتطع من الشيء قِطعة بالكسر. والمعنى في النصّ اتخاذ الشياطين قِطعة من الناس ليغرُّوهم ويُبعدوهم عن الله تعالى.

د- احتجّوا: تفيد الزيادة الإظهار، أي: يظهروا الحجّة عليهم، من: حجّ يحجّ على الباب الأوّل حجًا فهو حاجٌّ، والحَجّ بالفتح مطلق القصد للزيارة ثمّ خصّ في الشرع بحجّ بيت الله الحرام، والحجّة بالضمّ: الدلالة المبيّنة، أي: البرهان سُمّيت حجّة؛ لأنّه بها يقصد الحقّ ويطلب.

٢- (فعّل): بتضعيف العين، وعليه الألفاظ الآتية:

أ- بدّل: وتفيد الزيادة فيه الجعل، أي: جعْل شيء مكان آخر، يقال: بدّل يبدّل تبديلًا قال تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا} ﴿الفرقان: ٧٠﴾. وقد يقال: (بدّل) للتغيير مطلقًا وإنْ لم يأت ببدله، وهذا الفعل لم يرد له فعلٌ مجرد مستعمل.

ب- يذكّروهم: التضعيف للتعدية إلى المفعول الثاني ظاهرًا أو مقدرًا فضلًا عن المبالغة، فالمجرد (ذكره يذكره) من الباب الأوّل متعد لواحد وبالتضعيف يعدّى للثاني صريحًا كما في قول الإمام السابق، ومقترنًا بباء الاستعانة والواسطة كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} ﴿إبراهيم: ٥﴾.

ج- لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عددهم. الفعل (تقصّر) مضارع (قصّر) والتضعيف يفيد إظهار الشيء والمعنى أنّ الرسل لم يظهروا القصور والفتور.

د- سمّى في (سَابِق سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ)، المجرد (سما يسمو سموّاً) ومنه اشتق (الاسم) والتضعيف يفيد معنى إظهار الاسم أيْ إنَّ النّبيّ السابق يُظهر اسم النّبيّ اللاحق.

هـ- عرّفه: يدلّ على التعدية إلى المفعول الثاني، يقال في المجرد: عرفت كذا أعرفه من الباب الثاني كما في {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} ﴿يوسف: ٥٨﴾، وفي المزيد بالتضعيف يقال: عرّفه كذا، وفي قوله تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} ﴿التحريم: ٣﴾ لم يذكر المفعول الأول: والتقدير (عرف النّبيّ أزواجه بعض الحديث).

٣- فاعل: مزيد بالألف، وعليه لفظة واحدة هي (واتر) والزيادة فيها تفيد الجعل، أي: جعل بعث الأنبياء متواترًا أي متتابعًا، بين كلّ نبيّين فترة قصيرة أو طويلة. المواتر ما عليه من الصوم، أي: أتى به وِترًا، فصام يومًا وأفطر يومًا أو يومين، وهو من قولهم: ناقة مواترة: تضع ركبتها ثمّ تمكث ثمّ تضع الأخرى. والوتر: الفرد وهو خلاف الشفع، وقول الإمام هذا أصله من قوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} ﴿المؤمنون: ٤٤﴾ أي: واحدًا بعد واحد، أي: متتابعين في الإرسال بلا مواصلة أو مداركة بل بين كلّ نبيّين فترة أيْ إنَّ الناس لم يتركوا مطلقًا. وقد يكون معنى (واتر) على أصله في المشاركة، فيكون المعنى أنّ كلّ نبيٍّ كان وترًا في زمانه يشفع بشانٍ استتمام للحجة كما في (إبراهيم ولوط) و(موسى وهارون) و(عيسى ويحيى) و(يعقوب ويوسف) عليهما السلام.

لكنّ الإمامة لا تكون إلا لأحدهما، فإبراهيم هو الإمام على لوط {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} ﴿البقرة: ١٢٤﴾ ويوسف كان هو الإمام على أبيه فأسجد الله تعالى الأب للابن وموسى هو الإمام على هارون، والمحصَّل من هذا أنّ في كلّ زمان يظهر نبيٌّ يكون مواترًا آخر.

٤- أفعل: بزيادة همزة القطع، ووردت عليه الألفاظ الآتية:

أ- يُثيروا، مضارع (أثار)، ويفيد التعدية، من ثار الغبار والسحاب ونحوهما يثور ثورًا وثورانًا: انتشر ساطعًا، وقد أثرته {اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} ﴿الروم: ٤٨﴾ وهنا تعدّى الفعل ثار بالهمزة ليصل إلى المفعول الثاني وهو (دفائن).

ب- يُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مضارع (أَروهم)، والمجرد (رأى يرى) متعدٍّ إلى واحد، وهمزةُ القطع تفيد التعدية إلى المفعول الثاني، والأصل: رأى الناس الآيات، وبعد زيادة الهمزة صار التقدير: أرى الأنبياء الناسَ الآياتِ. والفعل رأى يتعدّى إلى مفعول واحد إذا كانت الرؤية بالعين، ويتعدّى إلى مفعولين إذا كانت الرؤية بمعنى العلم، وهنا المراد رؤية العين؛ لأنّ السقف والمهاد وغيرهما ممّا يرى بالعين، والمراد أنهم يحملونهم على النظر لهذه العلامات بدقّة ليتفكّروا بها وإلّا فهي أمامهم.

ج- تُحييهم، مضارع أحييت، وتفيد همزة القطع التعدية إلى المفعول؛ لأنّ مجرّد هذا الفعل لازم: حييَ يحيا، وأكثر ما يأتي الماضي مضعَّفًا (حيّ) {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} ﴿الأنفال: ٤٢﴾ وهو من الباب الرابع، ويتعدى بالهمزة إلى المفعول كقوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} ﴿المائدة: ٣٢﴾.

د- تُفنيهم: مضارع من أفنى، وتفيد همزة القطع التعدية إلى المفعول؛ لأن المجرد (فني الشيء يفنى فناء) لازم على الباب الرابع.

هـ- تُهرمهم: مضارع أهرمتهم، وتفيد همزة القطع التعدية؛ لأن المجرّد (هرم يهرم هرمًا) لازم وهو من الباب الرابع.

و- لم يُخلِ، مضارع (أخلى) والمجرد (خلا يخلو) ورد لازمًا، والهمزة للتعدية.

س: / زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، وبيّن دلالاتها الصرفيّة.

١- منسيّ، بزنة مفعول، والأصل (منسوْي) فقلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق إحداهما بالسكون الأصلي.

٢- مكذِّبين: بزنة (مفعِّلين) اسم فاعل من كذّب فهو مكذِّب وهم مكذِّبون، على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر، لمن قاموا بتكذيب الرسل من الخلق.

٣- أماناتهم: جمع أمانة بزنة (فَعالة) وهي مصدر من أمِن يأمَن أمنا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ﴿الأنفال: ٢٧﴾، أي: ما اؤتمنتم عليه. وهي هنا اسم لمقابلتها الميثاق، وهو اسم لما يوثق.

٤- حُجّة: بزنة (فُعلة)، والدلالة الصرفيّة لفُعلة بالضمّ هي تركّز الشيء في الموضع، أي: موضع الحدث، نحو: الصُّلعة لموضع الصلع، والقُدرة لما يتجلّى من مقدرة الخالق أمام البشر، والحُجّة لما يتركّز القصد فيه، وهو من حجّ يحج حجًّا من الباب الأوّل، وهو مطلق القصد، وسُمّيت الحجّة؛ لأنّها تقصد أو بها يقصد الحقّ المطلوب؛ لذا تصدق هذه اللفظة ببنائها الصّرفيّ على النّبيّ؛ لأنّه يقصد لبيان الحقّ والطريق إلى الله وكذلك الكتاب؛ لأنّ آياته يقصد بها الحقّ، وقد ذكرها في أوّل كلامه (عليه السلام)؛ لذا لا يمكن أنْ يكون المراد بالحجّة هنا العقل أو ما يخلّفه النّبيّ بعده من وصيّ؛ لأنّه يقيم الحجّة على الناس بعد

الرسول فيخلفه في ذلك. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحكمة (١٤٧): "لا تخلو الأرض من قائم بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفًا مغموراً".

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: يا هشام إنّ لله على الناس حجّتين حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأمّا الباطنة فالعقول. والعقل لا يراد هنا؛ لأنّه سابق فيهم بالخلق والإيجاد فالحجّة هنا ظاهرة لا باطنة.

٥- مَحجّة: بزنة (مفعلة)، وهو اسم يستعمل للدلالة على تكثير الشيء في المكان، نحو: المَأسدة والمَقبرة وهو المكان المخصّص للقبر. والمحجّة يراد بها المكان المخصّص للسير المستقيم. وهي جادّة الطريق والمنهاج الواضح.

٦- مِهاد: بزنة (فِعال)، اسم مصدر من مهد يمهد من الباب الثالث والمصدر المهد وورد المهد والمهاد وصفَين للأرض كقوله تعالى: {الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ﴿الزخرف: ١٠﴾. و{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً} ﴿النبأ: ٦﴾ والفرق بينهما أنّ المهد في الأصل مصدر يدلّ على الحدث المجرّد بمعنى الراحة العامة والاستقرار المطلق، أما المهاد فهو المكان الممهّد الموطّأ، وهو أشبه بالآلة الدالة على الاشتمال والإحاطة كالحزام والنطاق وهو أخصّ من المهد.

٧- آيات: بزنة (فَعَلات) بفتحتين جمع آية بزنة (فَعَلة) بفتحتين من أيٍّ، لأنّها هي التي تبيّن أيًّا من أيٍّ، فتكون مشتقّة من التأيّي، وهو التثبّت والإقامة على الشيء، يقال: تأيَّ، أي: ترفّق وتثبّت. ووزن آية على فَعَلة وأصلها (أَيَيَة) حصل فيه إعلال للعين؛ إذ تحرّكت (الياء) وسبقت بفتح فقلبت ألفًا. وإنّما لم تقلب اللام (الياء الثانية) على وفق قواعد الصرفيين في أنّ القياس في ما اجتمع فيه حرفا علّة أنْ يصحّ الأوّل ويعلّ الثاني؛ لأنّ هذه اللفظة ليس لها فعل تجري عليه في الإعلال المقيس، فهي ليست كلفظة حياة التي أُعلّت لامها لا عينها؛ لأنّ لها فعلاً تجري عليه وهو من الباب الرابع. وهذا الوزن ليس

مجمَعا عليه؛ فثمّة خلافٌ كبير في وزن (آية) آثرنا الإعراض عنه وانتقاء الرأي الراجح فيها.

س: استخرج صيغ جموع التكسير من النّص، مع ذكر أمثلة الجمع والقاعدة الصرفية.

المستوى النّحويّ

س: ما الدلالة النّحويّة للأدوات:

أ- (لّما) في قوله (عليه السلام): لّما بدّل أكثر خلقه؟

لّما ظرف زمان مبنيّ على السكون بمعنى حين أو إذ، لأنّها دخلت على الماضي. وتختصّ بالإضافة إلى الجمل، وتقتضي جملتين عند وجود الأولى توجد الثانية، والتقدير: لّما بدّل أكثر خلقه عهد الله اصطفى من ولده أنبياء، والعامل فيها الجواب المقدَّم.

ب- (أو) في قوله (عليه السلام): وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَل، أو كِتَاب مُنْزَل، أو حُجَّة لاَزِمَة، أو مَحَجَّة قَائِمَة.

(أو) تفيد التخيير مع دلالتها على منع الخلوّ، ومن الشرّاح من ذهب إلى أنّها بمعنى الواو، والصّواب ألّا يدلّ الحرف إلّا على ما وُضع له، وإنّما قالوا بذلك بلحاظ أنّ من الأنبياء من أرسلوا ومعهم الكتاب والحجة مجتمعَين؛ ولذا فإنّ (أو) تفيد التخيير مع منع الخلوّ، فمن الأنبياء من اجتمع معهم الكتاب والحجّة، ومنهم من أُرسلوا من دونهما.

(من) في قوله (عليه السلام): من سابقٍ؟

(من) بيانيّة في قوله (عليه السلام): (من سابق)؛ لأنّها تبيّن وتفصّل الرسل المتقدّم الكلام عنهم إجمالًا.

د- (مَن) في قوله (عليه السلام): (سُمّي له من بعده)؟

(من) هنا اسم موصول، وهو نائب فاعل للفعل (سمّي)، و(بعده) ظرف مبنيّ مضاف وهو صلة للاسم الموصول (من).

س: / رويت لفظة (مرفوع) في قوله (عليه السلام): (من سقف فوقهم مرفوع) بالرفع والجرّ، فما إعرابها في الروايتين؟

لفظة مرفوع بالجرّ تعرب صفة للسقف، وبرواية الرفع تعرب مبتدأ خبره الظرف (فوقهم)، وجملة (من فوقهم) في محل رفع صفة للسقف.

س: /ما نوع الإضافة في: منسيّ نعمته، آيات المقدرة، دفائن العقول، ميثاق فطرته، عهد الله؟

١- الإضافة في منسيّ نعمته من نوع إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: النعمة المنسيّة.

٢- الإضافة في آيات المقدرة من نوع إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: الآيات القديرة.

٣- الإضافة في دفائن العقول بمعنى اللام، أي: الدفائن للعقول.

٤- الإضافة في ميثاق فطرته بمعنى اللام، أي: ميثاق للفطرة. والميثاق هو تأكيد للعهد، وميثاق الفطرة هو إشارة إلى آية الذرّ {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} ﴿الأعراف: ١٧٢﴾.

٥- الإضافة في عهد الله بمعنى اللام، أي: عهد لله تعالى، وقد اختلف المفسّرون في المراد بالعهد، فمنهم من ذكر أنّ المراد به جعلهم عقلاء يسمعون خطاب الله ويفهمونه ويشهدون بوجوب عبادته، وهذا التفسير لا يعدّ عهداً وإنّما هو تقريرٌ لكيفيّة خلق الله تعالى الناس وتمييزهم بالعقل والقدرة على الفهم على سائر الخلق. أمّا العهد فقد فسّر في روايات أهل البيت عليهم السلام بأنّه إشهاد الخلق على أنّ الله هو الرّبّ، وأنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) رسوله وأنّ عليًّا (عليه السلام) أمير المؤمنين؛ إذ إنَّه سبحانه لّما أراد "أنْ يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ص، وأمير المؤمنين، والأئمة عليهم السلام، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في

خلقي، وهم المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة ولهؤلاء النّفر بالولاية والطاعة، فقالوا: ربّنا أقررنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا، فقال الملائكة شهدنا، قال عليّ: أنْ تقولوا غدا: إنا كنا عن هذا غافلين، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه فقال الله: {تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} ﴿الأعراف: ١٠١﴾".

س٤: أسلوب الحذف من الأساليب النّحويّة، وسمّاه ابن جنيّ بشجاعة العربيّة، بيّن مواضع الحذف في كلامه عليه السلام، والحكمة من عدم الذّكر.

ورد الحذف في المواضع الآتية:

١- حذف المبتدأ في قوله (عليه السلام): (ولم يُخلِ سبحانه خلقه من نبي مرسل... رسل لا تقصّر بهم)، فلفظة (رسل) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم رسل، أو: أنّهم رسل، والجملة لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها مستأنفة. وإنّما لم يذكر المبتدأ ظاهرًا لتقدّم الكلام عنه فأغنى ذكره عن إعادته هنا.

٢- حذف متعلّق الفعل (تقصّر) في قوله (عليه السلام): (رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم... من سابق)، إذ التقدير: لا تقصّر بهم قلّة عددهم عن أداء التبليغ على وجهه وأداء الرسالة. وإنّما أغنى مدح الرسل وتقدّم فضلهم في هداية الناس عن ذكر المتعلّق.

٣- حذف المتعلّق في قوله (عليه السلام): (أخذ على الوحي ميثاقهم)، أي: على أداء الوحي، وإنّما ترك المتعلّق للتّوسّع أو لوضوح المعنى، ويُقدَّر بإيصاله، إتمامه، إسماعه.

وأسلوب الحذف يتوخّى به الإيجاز إذا كان في الكلام ما يغني عن المحذوف، ولا يكون الحذف له مخلًّا بالمعنى، بل يراد به نفي التكرار المملّ مادام المعنى واضحًا في الأذهان.

س٥/ أعرب: سبحانه، ليستأدوهم؟

-سبحانه: نائب عن المفعول المطلق لفعل محذوف تقديره: أسبّح الله سبحانه.

- ليستأدوهم: اللام للتعليل، ويستأدوهم: فعل مضارع منصوب بأنْ مضمرة، أي: لأنْ يستأدوهم، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير رفع الفاعل، والهاء في محل نصب مفعول به، والميم للجماعة. وإنّما قدّرت أنْ المصدريّة؛ لأنّ المعنى فيه تعليل، أي: لماذا بعث الله الرسل، فكان التعليل مفهومًا من حذف أنْ المصدرية.

المستوى المعجميّ

س: يشبّه المحدَثون ألفاظ اللغة بالكائن الحيّ في دوام التغيّر، وذكروا لهذا التغيّر اتّجاهات مختلفة، ومنها ما حصل من تغيّر للفظة (ولد) الواردة في قوله (عليه السلام): (واصطفى من ولده أنبياء) بيّن نوع التطور الدلالي الحاصل لهذه اللفظة بين القديم والحديث.

من التتبع التاريخي لهذه اللفظة نرى حصول تطوّر دلاليّ لها نحو التخصيص؛ إذ إنَّ دلالة الولد في السابق تنصرف إلى المفرد والجمع والمذكّر والمؤنّث الابن والابنة، والصغير والكبير {فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ} ﴿النساء: ١١﴾، والوليد للصغير بزنة فعيل، والوليدة للصبيّة بزنة فعيلة. على حين تذكر المعجمات المتأخّرة أنّ الولد هو الابن فقط وهو المعنى المفهوم في هذا العصر.

س: / عرّف التضاد، وبيّن دلالة لفظة (الغابر) في قوله (عليه السلام): (رسلًا لا تقصر بهم... من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّف به من قبله).

التضاد هو أنْ يدلّ اللفظ الواحد على المعنى وضدّه، والتضاد نوع من المشترك اللفظيّ؛ إذ إنَّ المشترك أعمّ من التضاد؛ لأنه يمثّل الاختلاف في معاني اللفظة نحو العين فهي للجارحة والماء والجاسوس. والتضادّ يمثّل التناقض بين

معنيي اللفظة نحو: الجون الدالّ على البياض والسواد. ومن علماء العربيّة من أنكر التضادّ؛ لأنّه يوقع في الإيهام، إذ يتنافى مع وظيفة اللغة في تحقيق التفاهم إذا دلّ اللفظ على المعنى وضدّه في الوقت نفسه، ومنهم من ضيّق مجاله في ألفاظ قليلة لم يكن تضادّها من أصل الوضع بل حصل بأسباب مختلفة:

منها: تداخل اللهجات أو الاستعمال المجازيّ أو عموم المعنى الأصليّ للفظة. ولفظة الغابر من الألفاظ المتضادّة؛ إذ تدلّ على الماضي والباقي، وهي هنا تدلّ على الباقي لذكر السابق قبلها (من سابق سمّي له من بعده).

ووردت هذه اللفظة في القرآن الكريم نعتًا للمتخلّفين عن نوح ولوط (عليه السلام) {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} ﴿الأعراف: ٨٣﴾ ففسّرت بالباقين تارة والماضين أخرى. وأفضل ما قيل في تعليل هذه اللفظة هو إرجاع التضاد فيها إلى المعنى العامّ للغابر، الذي يفيد (الماكث بعد مضيّ من هو معه) وهو مأخوذ من الغبار، وهو ما يبقى من التراب المثار فإنما قيل للماضي (غابر) تصوّراً بمضي الغبار عن الأرض، وقيل للباقي (غابر) تصوّرا بتخلّف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه.

وقد وردت الأحاديث الدّالّة على أنّ الأنبياء السابقين سمَّوا نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم) باسمه فعن أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) ـ كما في روضة الكافي ـ أنه قال: "لمّا نزلت التوراة على موسى بشّر بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان بين موسى ويوسف أنبياء، وكان وصيّ موسى بن عمران يوشع بن نون (عليه السلام) وهو فتاه الذي ذكره الله في كتابه، فلم تزل الأنبياء تبشّر بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم فبشّر بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك قوله تعالى: (يجدونه)[1]، يعني اليهود والنصارى، مكتوبًا، يعني صفة محمّد

---

(١) في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ

(صلى الله عليه وآله وسلم) عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهو قول الله عزّ وجلّ يخبر عن عيسى: ومبشّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وبشّر موسى وعيسى عليهما السلام بمحمّد كما بشّر الأنبياء صلوات الله عليهم بعضهم ببعض"[1].

س: ذكر الإمام (عليه السلام) في هذا النّصّ كلمتي الرسل والأنبياء، فما الفرق بينهما؟

كان أبو هلال العسكري قد فرّق بينهما بأنْ قال: " الْفرق بَين الرَّسُول وَالنّبيّ أَنّ النّبيّ لَا يكون إلَّا صَاحب معْجزَة وَقد يكون الرَّسُول رَسُولًا لغير الله تَعَالَى فَلَا يكون صَاحب معْجزَة والإنباء عن الشَّيْء قد يكون من غير تحميل النبأ، والإرسال لَا يكون إلا بتحمُّل. والنبوة يغلب علَيْهَا الإضافة إلى النّبيّ فَيُقَال نبوة النّبيّ؛ لِأَنَّهُ يسْتَحق منْهَا الصّفة الَّتِي هِيَ على طَرِيقة الْفَاعِل والرسالة تُضَاف إلى الله؛ لِأَنَّهُ الْمُرْسل بهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ برسالاتي وَلم يقل بنبوتي والرسالة جملَة من الْبَيَان يحملهَا القائم بهَا ليؤديها إلى غَيره والنبوة تَكْلِيف الْقيام بالرسالة فَيجوز إبلاغ الرسالات وَلَا يجوز إبلاغ النبوات"[2].

س: لِمَ استُعمل الفعل (بعث) دون (أرسل) في قوله (عليه السلام): "فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه"؟

الفرق بين البعث والإرسال هو أنّ البعث يلحظ فيه إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثت البعير: أثرته وسيّرته، أو بعْث الموتى: إخراجهم وتسييرهم إلى القيامة، وبعْثه من منامه: أيقظه، على حين يُلحظ في الإرسال اللين والتتابع كما ذكرنا آنفًا كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كلّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ﴿النحل: ٣٦﴾ إذ يفهم منه أنّ المراد من

علَيْهِمُ الْخبَائِثَ وَيَضَعُ عنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ علَيْهِمْ فَالَّذِين آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ معَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ﴿الأعراف: ١٥٧﴾.

(١) الكافي ١/٢٩٣.

(٢) الفروق اللغوية ٢٨٩.

الرسول المواجهة وإثارة العقول وتحدّي الكافرين للفت انتباههم نحو الفطرة السّليمة، أمّا الإرسال بلا بعث فهو للتبشير والإنذار دون المواجهة والتحدّي.

وهذا حاصل كلام أبي هلال العسكري: "الْفرق بَين الْبَعْث والإرسال أَنه يجوز أَنْ يبْعَث الرجل إلى الآخر لحَاجَة تخصه دُونك وَدون الْمَبْعُوث إليه كَالصَّبِيِّ تبعثه إلى الْمكتب فَتَقول: بعثته، وَلَا تَقول: أَرْسلته؛ لِأَنّ الْإِرْسَال لَا يكون إِلَّا برسالة وَمَا يجْرِي مجْراهَا"(١).

المستوى البلاغيّ

س: أسلوب التقديم والتأخير من فنون علم البيان؛ لأنّه يراعي حالة المخاطب، بيّن مواضع التقديم والتأخير في النّصّ المتقدّم، والغرض من التقديم فيها.

نلحظ في النّصّ تقديم الجارّ والمجرور كثيرًا، فمن ذلك:

١- تقديم (من ولده) على المفعول به (أنبياء) في قوله (عليه السلام): (واصطفى سبحانه من ولده أنبياء) إذ الأصل في التركيب (اصطفى أنبياء من ولده). وفائدة التقديم هنا للتأكيد على أنّ الأنبياء كلّهم من نسل آدم (عليه السلام)، مصداقًا لقوله تعالى: {ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ﴿آل عمران: ٣٤﴾.

٢- تقديم الجارّ والمجرور (على الوحي) على المفعول به في قوله (عليه السلام): (أخذ على الوحي ميثاقهم)؛ إذ الترتيب الأصلي هو (أخذ ميثاقهم على الوحي) وفائدة تقديم الوحي هي بيان أهمّيته، والميثاق تحصيل حاصلٍ، وهو مصداق لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} ﴿المائدة: ٦٧﴾، وليس ثمّة تكرار بين الجملتين (أخذ على الوحي

(١) نفسه.

ميثاقهم)، و(على تبليغ الرسالة أمانتهم)، إذ الوحي أعمّ من الرسالة؛ لأن الرسالة تعني الكتاب المنزّل، والوحي يشمل كلّ ما يوحى من كتاب أو غيره، فهو الكتاب والإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفيّ، واجتمع الوحي والقرآن {فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالقرآن مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} ﴿طه: ١١٤﴾ فأريد به مطلق ما يوحى.

س: / في (على ذلك نسلت القرون) بيّن نوعها.

س٣/ في النص طباق، استخرجه، وبيّن نوعه.

س٦/ في (ومعايش تحييهم) مجاز، بيّن نوعه.

المقطع العاشر، مبعث النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)

وهو قوله (عليه السلام): (إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لإنجاز عدَته وتَمام نُبُوَّته، مَأْخُوذاً عَلَى النّبيّين مِيثَاقُه، مَشْهُورَةً سِمَاتُه، كَرِيماً مِيلادُهُ. وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّه للهِ بِخَلْقِه، أَو مُلْحِد فِي اسْمِه، أَو مُشِير إِلَى غَيْرِه، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاَلَة، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِه مِنَ الْجَهَالَة. ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمحمَّد صلّى الله عليه وآله وسلم لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدنيا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيهِ كَرِيماً).

المعنى العام

رُوي عن أمير المؤمنين عليه السّلام وابن عبّاس وقتادة أنّ الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلم أنْ يخبروا أممهم بمبعثه ورفعته، ويبشّروهم به ويأمروهم بتصديقه.

وروي عن عليّ عليه السّلام أنّه قال: لم يبعث الله نبيًّا آدم ومن بعده إلاّ أخذ عليه العهد؛ لئن بعث الله محمّدًا وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه(1).

وقال الصّادق عليه السّلام في قوله: (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...) كان الميثاق مأخوذًا عليهم بالرّبوبيّة ولرسوله صلّى الله عليه وآله بالنّبوّة ولأمير المؤمنين والأئمة عليهم السّلام بالإمامة فقال: (ألست بربّكم) ومحمّد نبيّكم وعليّ إمامكم والأئمة الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى، فقال الله تعالى: (أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيمَةِ) أي لئلّا تقولوا يوم القيامة (إنّا كُنّا عَنْ هذا غافلِينَ) فأوّل ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء بالرّبوبيّة وهو قوله: (وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ) فذكر جملة الأنبياء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي، فقال: (وَ مِنْكَ) يا محمّد فقدّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه أفضلهم

---

(1) مجمع البيان ١/٢٢٥.

(وَمِنْ نُوحٍ وإِبْراهيمَ ومُوسى وعيسَى بْنِ مَرْيَمَ) فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضلهم، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأنبياء بالإيمان به وعلى أنْ ينصروا أمير المؤمنين، فقال: (وإِذْ أَخَذَ الله ميثاقَ النَّبِيّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ) يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (لَتُؤْمِنُنَّ بِه ولَتَنْصُرُنَّهُ) يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام تخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمة[1].

ولّما بلّغ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الرّسالة وأدّى الأمانة وأكمل الدّين وأتمّ النّعمة وهدى الأمّة من الضّلالة وأنقذها من الجهالة اختار الله (سبحانه) عند ذلك لمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقاءه ورضي له ما عنده ممّا لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر فأكرمه وأعزّه عن اللبث والبقاء في دار الدّنيا، ورغب به وصرفه عن إقامة مقام المحنة والبلوى فقبضه إليه أي إلى قربه الروحاني حال كونه كريمًا شريفًا (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان قبضه (صلى الله عليه وآله وسلم) لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل يوم الاثنين، وهو ابن ثلاث وستّين سنة على ما في الكافي، والأشهر أنّه لليلتين بقيتا من صفر[2].

المستوى الصوتيّ

س: رأى الصرفيّون أنّ (العِدة والسِمة) ونحوهما أصلهما (الوعد) و(الوسم) وحذفت الواو وعوضت بتاء في الآخر فصار الوزن (عِلة)[3]، هل ترى هذا القول صائبًا في ضوء نتائج علم اللغة الحيث؟

ليس هذا صحيحًا لسببين:

---

(١) ينظر: تفسير القمي ١/٢٦-٢٧ ومجمع البيان ١/٢٢٦-٢٢٧.

(٢) ينظر: مجمع البيان ٢/١٩٠.

(٣) المنصف ١/١٨٤ والممتع ١/٢٨٣.

أولهما: أنّ الحذف والتعويض يكون بين كلمتين، أولاهما مهملة لثقل النطق بها وأخرى مستعملة لسهولة نطقها، وكلٌّ من (الوعد والعدة) مستعملان في كلام العرب، فلا يُدَّعى أنّ إحداهما عوض من الأخرى.

وثانيهما: أنّ الدلالة الصرفية تختلف بين الوعد والعدة، فالوعد مصدر يدلّ على حدث مجرد غير مقترن بزمن ولا مكان، والعدة تدل على حالة الوعد وهيأته وكذا الزنة والصفة والسمة فكل هذه أصلها على وزن (فِعلة) وهي مصدر هيأة ولّما كانت الواو مكسورة في أولها ثقل نطقها ابتداء، فعمدوا إلى حذفها مع كسرتها فصار الوزن (علة) وهذا ما يقره علم اللغة الحديث، أما تفسير القدماء فيأباه المستوى الصوتيّ لعدم وجود علّة موجبة لحذف الواو المفتوحة في بداية هذه الكلمات، ولو كان ما قالوه صحيحًا لجرى حذف الواو المفتوحة في كلام العرب قياسًا وهذا غير محصل.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج المشتقات وبيّن أنواعها واذكر أوزانها وأفعالها.

س: استخرج المصادر واذكر أوزانها وأفعالها.

س: زن الجموع الواردة في المقطع واذكر مفرداتها.

المستوى النحويّ

س: ما إعراب (سبحان الله)؟

مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (أسبّح) منصوب بالفتحة.

س: علام يعود الضمير (الهاء) في (عدته، نبوته)، وكيف تقدر المعنى؟

الضمير في عدته ونبوته يعود إلى الله سبحانه، والمعنى أنه تعالى كان قد وعد، وأنبأ على لسان أنبيائه السابقين أنْ يبعث محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بعثه إنجازًا لوعده، وإتمامًا لما أنبأ به. قال الشيخ محمد عبده: "إن الله أنبأ بمحمد، فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوءة، ولما كان الله هو المخبر أضيفت النبوءة إليه".

وقد حكى التعبير القرآني عن عيسى (عليه السلام) {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} ﴿الصف: ٦﴾، وخاطب قوم عيسى وموسى عليهما السلام بشأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: {يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} ﴿الأعراف: ١٥٧﴾. وقال أبو طالب (عليه السلام):

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّدًا رسولًا كموسى خطّ في أوّل الكتب

س: ذكر أغلب الشرّاح أنّ (أو) في قوله (عليه السلام): "بين مشبّه لله بخلقه أو ملحد في اسمه" بمعنى الواو، فماذا تقرر بشأن هذه النيابة الحرفية؟

يبدو أنّ الملجئ لهذا القول هو أنّ الظرف (بين) يستدعي العطف بالواو، فيقال: جلست بين زيد وخالد، ولكنّ معنى عبارة الإمام يستدعي التعدُّد في تصنيف أهل الأرض وأنّهم منقسمون على أهواء متعددة وملل متفرقة فالمشبّه لله بخلقه يختلف عن الملحد في اسم الله ولو كانت (أو) بمعنى الواو لكن المشبِّه لله يجمع صفة أخرى هي الإلحاد في اسم الله ويكون مجمل قول الإمام صنفًا واحداً من الناس وليست أصنافًا مختلفة، وهذا خلاف المراد من قول أمير المؤمنين الذي يتحدث عن تشتت الناس واختلاف مللهم.

س: ما الأوجه الإعرابية المحتملة لإعراب (كريمًا) في قوله (عليه السلام) "(فقبضه إليه كريمًا)؟ وما الأثر الدلالي لكلّ وجه منها؟

يجوز أنْ يعرب (كريمًا) حالًا من الضمير في (قبضهُ)، ويجوز أنْ يعرب نعتًا للمفعول المطلق المحذوف، والتقدير (فقبضه إليه قبضًا كريمًا)، والراجح أنْ يُعرب (كريمًا) نعتًا للقبض؛ لأن سياق القول قد وصف ميلاد الرسول بالكرم أيضًا في قول أمير المؤمنين (كريمًا ميلاده) فالتقابل الدلالي بين ميلاد الرسول وقبضه واضحٌ، والمحصل منه أنّ الكرم عائد للمولد والممات وليس لشخص الرسول؛ لأن النّبيّ أكرم الخلق في كلّ زمانٍ ومكان وليس في لحظة مماته،

فضلاً عن أنّ الحال منتقلة ولو كان (كريمًا) حالًا لكان المفهوم أنّ النّبيّ كريم عند مماته فحسب.

س: ما إعراب جملة (مَأْخُوذاً عَلَى النّبيّين مِيثَاقُهُ)؟

مأخوذًا حال من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منصوبٌ، وهو اسم مفعول عامل، و(ميثاقه) نائب فاعل لاسم المفعول، والجار والمجرور (على النبيين) متعلق بفعل الأخذ. وفي العبارة دليل على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) سابقُ النبيين في عالم الذرِّ. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأيِّ شيء سبقتَ ولدَ آدم؟ قال: إنني أوّل من أقرّ بربّي {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} ﴿الأعراف: ١٧٢﴾ (وأشهدهم على أنفسهم أ لست بربكم؟ قالوا بلى) فكنت أنا أوّل من أجاب[١].

المستوى المعجمي

س: ما الفرق بين السمة والأمارة والآية؟ ولِمَ أوثرت السمة في (مشهورة سماته).

ذكر أبو هلال العسكريّ أنّ " الْفرق بَين الْعَلامَة وَالْآيَة أَن الْآيَة هِيَ الْعَلامَة الثَّابِتَة من قَوْلك تأييت بِالْمَكَانِ إِذا تحبست بِهِ وتثبت، أما الْفرق بَين الْعَلامَة والسمة فالسمة ضرب من العلامات مَخْصُوص وَهُوَ مَا يكون بالنَّار فِي جَسَد حَيَوَان مثل سمات الْإِبِل وَمَا يجْرِي مجْراهَا وَفِي الْقرآن {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} ﴿القلم: ١٦﴾ وَأَصلهَا التَّأْثِير فِي الشَّيْء وَمِنْه الوسمي؛ لِأَنَّهُ يُؤثّر فِي الأَرْض أثرًا، وَمِنْه الْمَوْسِم لما فِيهِ من آثَار أَهله، والوسمة مَعْرُوفَة سُميت بذلك لتأثيرها فِي مَا يخضب بهَا. والْفرق بَين الأمارة والعلامة أَنّ الأمارة هِيَ

(١) نور الثقلين ٣/٩٥.

العلامة الظَّاهِرَة وَيدل على ذَلِك أصل الْكَلِمَة وَهُوَ الظُّهُور، وَمِنْه قيل: أَمر الشَّيْء إِذا كثر وَمَعَ الْكَثْرَة ظُهُور الشَّأْن وَمن ثمَّ قيل الأمارة لظُهُور الشَّأْن وَسُميت المشورة أمارة لِأَنّ الرَّأْي يظْهر بهَا وائتمر الْقَوْم إِذا تشاوروا"[1].

س: ما الفرق بَين الدّين وَالْملَّة؟

إن الْملَّة اسْم لجملة الشَّرِيعَة، وَالدّين اسْم لما عَلَيْهِ كل وَاحِد من أَهلهَا، فَيُقَال: فلَان حسن الدّين وَلَا يُقَال: حسن الْملَّة، وَإِنَّمَا يُقَال هُوَ من أهل الْملَّة، وَيُقَال لخلاف الذِّمِّيّ: الملّي نِسْبَة إِلَى جملَة الشَّرِيعَة، فَلَا يُقَال لَهُ: ديني، وَتقول: ديني دين الْمَلَائِكَة وَلَا تَقول ملتي ملَّة الْمَلَائِكَة؛ لِأَن الْملَّة اسْم للشرائع مَعَ الْإِقْرَار بِاللَّه. وَالدّين مَا يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربهُ إلى الله وَإِن لم يكن فِيهِ شرائع مثل دين أهل الشّرك وكل ملَّة دين، وَلَيْسَ كل دين ملَّة واليهودية ملَّة؛ لِأَن فِيهَا شرائع، وَلَيْسَ الشّرك ملَّة، وَإِذا أطلق الدّين فَهُوَ الطَّاعَة الْعَامَّة الَّتِي يُجَازى عَلَيْهَا بالثواب مثل قَوْله تَعَالَى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ﴿آل عمران: ١٩﴾[2].

س: ما المراد بالملل والأهواء والطرائق في قول أمير المؤمنين؟

الملل المتفرّقة كاليهود والنصارى والمجوس، والأهواء المنتشرة كعابدي الملائكة، وقد ذكروا في القرآن الكريم، وعابدي الشمس وهم قوم من العرب يعبدون الشمس ويسمّونها الإلاهة. وعابدي الخيل وهم قوم من غير العرب كانوا يعبدون الخيل بالبحرين، قيل لهم: الأسبذيون؛ لأنّهم كانوا يعبدون فرسًا، ويقال للفرس بالفارسية (اسب)[3]. والطرائق المتشتّتة كالدهريّة والوثنيّة، وقد نقل أصحاب التاريخ كثيرًا من أخبارهم ففي (حلية أبي نعيم)

---

(١) الفروق اللغوية ٧١-٧٢.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٢٢٠.

(٣) معجم البلدان للحموي ١: ١٧١ وينظر: بهج الصباغة ٤/١٣٠-١٣١.

قال أبو رجاء العطاردي: كنّا نجمع التراب في الجاهلية فنجعل وسطه حفرة، فنحلب فيها، ثمّ نسعى حولها ونقول[1]:

لبيك لا شريك لك. إلاّ شريكًا هو لك. تملكه وما ملك.

ونقل ابن قتيبة في المعارف أنّ بني حنيفة اتّخذوا في الجاهلية إلهًا من حيس، وهو تمرٌ يخلط بسمنٍ. فعبدوه دهرًا طويلًا، ثمّ أصابهم مجاعة فأكلوه، فقال رجل من بني تميم[2]:

أَكَلَتْ رَبَّها حَنِيْفَةُ مِنْ جوْ ع قَدِيْمٍ بِهَا وَمِنْ إِعْوَازِ (الخفيف)

ونقل ابن الأثير في الكامل أنّ الحارث بن قيس السهميّ وهو أحد المستهزئين بالنّبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يأخذ حجرًا يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثاني، قيل: وفيه نزل أ رأيت من اتّخذ إلهه هواه[3].

وكان أهل الجاهلية ينحرون لصخرةٍ يعبدونها، ويلطخونها بالدم ويسمّونها سعد الصخرة، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى تلك الصخرة وتمسّحوا بها الإبل والغنم، فجاء رجل بإبلٍ له يريد أنْ يتمسّح لها بالصخرة، ويبارك عليها، فنفرت وتفرّقت، فقال[4]:

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا فشتّتنا سعدٌ فما نحن من سعدِ
وهل سعدُ إلاّ صخرة بتنوفةٍ منَ الأرض لا تدعو لغيّ ولا رُشدِ

ومرّ بسعد ذاك رجل وثعلب يبول عليه، فقال[5]:

أ ربٌّ يبول الثعلبانُ برأسهِ لقد ذلّ من بالت عليه الثعالبُ

(١) حلية الأولياء ٣٠٦/٢.

(٢) المعارف لابن قتيبة ٦٢١.

(٣) الكامل في التاريخ ٦٦٨/١.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٢/٢.

(٥) نفسه ٤٧٢/٢.

وفي تاريخ اليعقوبيّ: كان أوّل شأن الأصنام أنّ الناس كانوا إذا مات لأحدهم الميّت الّذي يعزّ عليهم من أب أو أخ أو ولد صنعوا صنماً على صورته، وسمّوه باسمه، فلمّا أدرك الخلف الّذي بعدهم ظنّوا - وحدّثهم الشيطان - أنّه إنّما صنعت هذه لتُعبد، فعبدوها، ثمّ فرّق الله دينهم، فمنهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد الشّمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من عبد الطير، ومنهم من عبد الحجارة، ومنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبد الماء، ومنهم من عبد الريح، وفتنهم الشيطان وأضلّهم وأطغاهم[1].

س / ما المراد بالمشبّه والمشير؟

المشبّه لله بخلقه كاليهود حيث أثبتوا له ابناً وهو عزير، وكالنصارى حيث أثبتوا له ابناً وهو عيسى، وكصنف من العرب حيث أثبتوا له بنات، أي: الملائكة، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله تعالى، وهم الّذين أخبر تعالى عنهم في قوله: {وَيَجْعَلُونَ لله الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَا يَشْتَهُونَ} ﴿النحل: ٥٧﴾، وفي قوله: {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ} ﴿الزخرف: ١٥﴾.

والمشير إلى غيره كالذين جعلوا الصانع هو الدهر والنور والظلمة وكان بعض العرب يقول:

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} ﴿الجاثية: ٢٤﴾. وبعضهم أقرّ بالخالق وأنكر البعث، ومنه قولهم في قتلى بدر[2]: (الوافر)

أَيُخْبِرُنَا ابْنُ كَبْشَةَ أَنْ سَنَحْيَى ... وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ
إِذَا مَا الرَّأْسُ زَالَ بِمَنْكِبَيْهِ ... فَقَدْ شَبِعَ الأَنِيسُ مِنَ الطَّعَامِ
أَيَقْتُلُنِي إِذَا مَا كُنْتُ حَيًّا ... وَيُحْيِينِي إِذَا رُمَّتْ عِظَامِي

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٧.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١١٨.

وبعضهم أقرّ بالخالق ونوع من الإعادة، وأنكر الرّسل، وعبدوا الأصنام وزعموا أنّهم شفعاء في الآخرة، وحجّوا لها ونحروا لها الهدي وقرّبوا القربان لها، وحلّلوا وحرّموا، وهم جمهور العرب الّذين قال تعالى عنهم: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} ﴿الفرقان: ٧﴾. ومنهم من يجعل الأصنام مشاركة للباري تعالى، كقولهم في تلبيتهم: "لا شريك لك إلاّ شريكًا هو لك تملكه وما ملك". ومنهم من يجعلها وسائل، كما في الآية: {أَلَا لله الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} ﴿الزمر: ٣﴾.

س: ما الفرق بين التفرّق والتشتّت في قوله (عليه السلام): "ملل متفرّقة... وطرائق مشتتة"؟

التشتت تفريقٌ في انتشار وتبعثر، يقال شتّ جمعهم شتًا وشتاتًا، وجاءوا أشتاتًا أي متفرّقي النظا، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} ﴿الزلزلة: ٦﴾ والتشتت خلاف الأُلفة، فقال تعالى: {وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} ﴿الحشر: ١٤﴾ أي هم بخلاف مَن وصفهم بقوله: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} ﴿الأنفال: ٦٣﴾. والتفكيك خلاف الاستمساك والالتصاق؛ لأنّ التفكيك ما يصعب من التفريق وهو تفريق الملتزقات من المؤلفات، أما التفريق فخلاف الجمع ويكون في الملتزقات وفي غيرها؛ ولهذا لا يقال فكّكت النخالة بل فرّقتها.

المستوى البلاغيّ

س: (مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ) اقتباس من القرآن الكريم، دلّ عليه وبين المعنى.

الضمير في ميثاقه يعود أيضًا إلى الله؛ لأنه هو الذي أخذ العهد على أنبيائه أنْ يؤمنوا بمحمد، ويأمروا الناس بالتبشير به واتّباعه عند إدراكه، وليس

من شك أنّ ذكر محمد كان يملأ جو الأنبياء السابقين كما يومئ إليه قولهم (أقررنا) الذي جاء في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} ﴿آل عمران: ٨١﴾.

والمراد من أخذ الميثاق على النّبيّين الإيجاب عليهم بيانهم لأممهم أنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وأنّ شريعته ناسخة لشرائعهم، فيجب عليهم رفض شرائعهم واتّباع شريعته.

س: (مشهورة سماته) اقتباس قرآني، دلّ عليه واذكر مصاديقه الروائية.

السمات النبوية المشهورة في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ﴿الأعراف: ١٥٧﴾ وهذه الآية من معجزاته القطعية الّتي يثبت بها نبوّته، فإنّه لو لم يكن يعرفونه، ولم يكن مكتوبًا في كتبهم لأتوا بكتبهم إليه، وقالوا له: أين كنت مذكورًا ومكتوبًا؟ ولو كان ذلك لصار أمره باطلًا، وتفرّق الناس عنه ولا سيّما كان في أصحابه منافقون منتظرون لمثله.

ومن المصاديق الروائية على هذا الإعجاز الغيبي ما نقله الكراجكي في كنز الفوائد أنّ في التّوراة مكتوبًا: " إذا جاءت الأمّة الأخيرة تتّبع راكب البعير يسبّحون الربّ تسبيحًا جديدًا "[1] وراكب البعير هو نبيّنا، والامّة الأخيرة أمّته. وفي السفر الخامس من التّوراة: " الربّ ظهر فتجلّى على سينين، وأشرف على

(١) كنز الفوائد للكراجكي ٩١، وعيون الأخبار للصدوق ١ / ١٣١.

جبل ساعير، وأشرف من جبل فاران"[1] وجبل فاران جبلٌ في مكّة، وظهور الربّ وإشرافه على الجبال يعني بعث أنبيائه.

(١) كنز الفوائد ٩١.

المقطع الحادي عشر: الثقلان

وهو قوله (عليه السلام): (وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَت الانْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إذ لَم يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْر طَرِيق واضِح، ولاَ عَلَم قَائِم. كِتَابَ رَبِّكُمْ ﴿فِيكُمْ﴾ مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحرامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً مُجْمَلَه، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ. بَيْنَ مَأْخُوذ مِيثَاقُ عِلْمِه، وَمُوَسَّع عَلَى العِبَادِ فِي جَهْلِه، وَبَيْنَ مُثْبَت فِي الكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُوم فِي السُّنَّه نَسْخُهُ، وَوَاجِب فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّص فِي الكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِب بِوَقْتِه، وَزَائِل فِي مُسْتَقْبَلِه، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِه، مِنْ كَبِير أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَو صَغِير أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُول فِي أَدْنَاهُ، وَمُوَسَّع فِي أَقْصَاهُ).

المعنى العام

لم يمضِ (صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى بيّن للناس معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، ولم يتركهم بعده سُدى وهَملاً، بل خلّف فيهم الثقلين على ما دلّ عليه الحديث المتواتر بين الفريقين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين، وضمّ بين سبّابتيه، فقام إليه جابر بن عبد اللّه، فقال: يا رسول الله من عترتك؟ قال صلّى الله عليه وآله: عليّ والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليهم السّلام إلى يوم القيامة[1].

وإلى ذلك المعنى أشار عليه السّلام بقوله: (وخلف فيكم) أي خلّف وراء ظهره مثل (ما خلفت الأنبياء) السّابقة والرّسل السّالفة (في أممها) من آثار النّبوة وأعلام الرّسالة (إذ لم يتركوهم هملًا) كالإبل التي رعت حيث تشاء

(١) ينظر: صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢. والمستدرك على الصحيحين ص ١٤٨ و ٥٣٢.

ولا راعى لها ليلًا ونهارًا (بغير طريق واضح) يوصل إلى مقام القرب والزلفى ولا إمام قائم بينهم ينجو بهم عن ورطة الهلاك والرّدى.

ولّما كان شرع نبينا صلّى الله عليه وآله وسلم مستمرًّا إلى يوم القيامة وجب له أنْ يخلّف لمن يليه ما يكون ذكرى وتذكرة في هذه المدّة المتطاولة وقد خلّف فيهم الثقل الأكبر والثقل الأصغر (القرآن والعترة). وكما جعله الله سبحانه خاتمًا للأنبياء فقد جعل كتابه خاتمًا للكتب، فلا كتاب بعده أحلّ فيه حلالًا وحرّم حرامًا، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة فيه شرعكم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم، وهو كتاب ربّكم. وفي هذا المقطع صرح أمير المؤمنين بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فسّر القرآن وحيًا كما تلقاه وحيًا بما لا مسوغ للاختلاف بعده وهذا مصداق لقوله تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} ﴿القيامة: ١٧-١٩﴾. فجمْع القرآن وقراءته من الله تعالى كما أنّ تأويله وبيانه وتفسيره من الله عز وجل أيضًا. ولكن الأمة أضاعت التأويل الإلهي للقرآن وتمسكت بالتأويل العقلي كما هو شائع في تفاسير المسلمين التي طغى فيها الاختلاف في تفسير الكلمة الواحدة فضلًا عن التراكيب والعبارات والآيات والسور.

المستوى الصوتي

س: في المقطع ألفاظ اعترى أصواتها الإعلال بالقلب دلّ عليها وبين سبب الإعلال.

المستوى الصرفيّ

س: في المقطع طائفة من جموع التكسير دُلّ عليها واذكر الوزن والمفرد وقاعدة الجمع لكل منها.

س: في المقطع جملة من أسماء الفاعلين، استخرجها واذكر أوزانها وأفعالها.

س: في المقطع جملة من أسماء المفعولين، استخرجها واذكر أوزانها وأفعالها.

المستوى النحويّ

س: ما إعراب: (كتاب ربكم)؟

(كتاب) بدل من (ما) في (وخلّفَ فيْكُمْ ما خلّفتِ الأنبياءُ في أُمَمِها... كتابَ ربّكم مبيّنًا حلالُه وحرامُه)، منصوب وعلامة نصبه الفتحة؛ لأن (ما) في محل نصب مفعول به للفعل (خلّف). والكتاب مضاف و(ربكم) مضاف إليه.

س: ما إعراب (مبيّنًا حلاله)؟

(مبيِّنًا) حال من الضمير المستتر في (خلّف) العائد على النّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) منصوب بالفتحة وهو اسم فاعل عامل. (حلاله) مفعول به لاسم الفاعل منصوب بالفتحة. وكذا سائر المعاطيف الخمسة عشر بعده.

س: ما الأوجه الإعرابية المحتملة في إعراب (ومباينٌ بين محارمه)؟ وما المعنى المحصل من كلّ وجه منها؟

فسر شرّاح النهج (مباينٌ بين محارمه...) بأنّ معنى المباينة بين محارم القرآن هو أنّ محارمه تنقسم إلى كبيرة وصغيرة، فالكبيرة أوعد الله - عزّ وجل- عليها بالعقاب، والصغيرة مغفورة. ثم أعرب ابن أبي الحديد[1] (مباين) بالرفع على أنّه خبرٌ لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو مباين، ورأى ابن أبي الحديد أنّ (مباين) يروى بالرفع لا بالجرّ؛ لأنّ جميع ما قبله يستدعي الشيء وضده، أو الشيء ونقيضه، وقوله: (مباين بين محارمه) لا نقيض ولا

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٢٢.

ضدّ له؛ لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين: أحدهما مباين بين محارمه، والآخر غير مباين، فإنّ ذلك لا يجوز، فوجب رفع (مباين) ليكون خبر مبتدأ محذوف. وأعرب الشارح ابن ميثم البحراني (مباين) معطوفًا على المجرورات السابقة، فرأى أنّ الرواية بالجرّ، وفيه نكتةٌ لطيفة هي أنّ "المحارم لما كانت هي محالّ الحكم المسمّى بالحرمة صار المعنى: بين حكمٍ مباين وبين محالّه وهو الحرمة"[1]. فقدر متضايفين محذوفين قبل (مباين) لتأويل جرّه.

وأنكر الشارح الخوئيّ على المعتزليّ استدلاله بأنّ القرآن ليس على قسمين، أحدهما: مباين، والآخر غير مباين فمنع جرّ (مباين) عطفًا على الأضداد قبله، ورأى أنّ القرآن "ليس منحصرًا في المباين بل بعضه جدل، وبعضه قصص، وبعضه مَثَل، وبعضه أحكام، وبعضه ترغيب، وبعضه ترهيب، كما أنّ بعضه مباينٌ بين محارمه إلى غير ذلك مما اشتمل عليه "[2].

المستوى المعجمي

عرّف بالألفاظ الفقهية الآتية لغة واصطلاحًا:

الحلال: ما أذن الله تعالى في فعله كالبيع الصحيح.

الحرام: ما ورد فيه النهي من الله تعالى كالزنا والربا.

الفرائض: ما أوجبها الله تعالى على الناس كالصلاة والصوم وغيرهما وأصلها من فرضت الخشبة: جعلت لها حدودًا فالفريضة ما حُدّد حكمه.

الفضائل: الصفات الحميدة كالعفو، أو الأعمال المستحبة كالنوافل والصدقة وغيرهما.

الناسخ: الحكم الذي جاء لرفع حكمٍ سابق يسمى المنسوخ، وبعبارة أخرى: النسخ شرعًا: الإعلام بزوال الحكم الثابت بدليل شرعي آخر متراخٍ

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني ١/٢٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة للخوئي ٢/١٧٧.

عنه، على وجهٍ لولاه لكان الحكم أولًا ثابتًا، كنكاح المرأة المشركة فإنه كان جائزًا ثم نسخ.

الرخصة: هي التخفيف من الله تعالى رفقًا بالناس، وتسهيلًا لهم كإفطار من يضره الصوم في شهر رمضان وأكل الميتة للمضطر.

العزائم أو العزيمة: ما وردت فيها إرادة مؤكدة شديدة من الله تعالى، ولا نسخ فيها ولا تحتمل التأويل.

الخاصّ: هو الحكم المخصوص في مكان خاصّ لشخص معيّن كهبة المرأة نفسها للنبي إنْ أراد النّبيّ أنْ يستنكحها وبعض الخصائص الأخرى التي خصّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كالجمع بين تسع زوجات وامتناع الصدقة عليه وغير ذلك.

العامّ: هو الحكم الشامل لجميع أفراد المكلفين كالصلاة والحج.

العبرة: ما يعتبر بها الإنسان وهي مأخوذة من العبور، وهو انتقال الجسم من موضع إلى موضع آخر، والمراد: ما ينتقل به الذهن من المصائب الواقعة بالغير، أو الأمور المكروهة عند نفسه فيقدرها كأنها نازلةٌ به، فيحصل له انزعاج عن الدنيا وذلك كالسلاطين والملوك الذين جمعوا الأموال، وعمروا البلدان وسكنوا القصور، واعتنقوا الحور، فأخذهم الموت فأصبحوا ترابًا، لا يدرى أين قبورهم ولا تعرف أجسادهم، وما بقي منهم باقٍ، ولا تَسمع لهم ركزًا كالفراعنة والعمالقة وغيرهم.

الأمثال: إنّ المثل له أثرٌ عجيب في النفس، مثلًا كلنا نعلم أنّ الظلم قبيح وأنّ الظالم لا يدوم، ولكنْ إذا سمعنا قصةً عن ظالم ظلم الناس فابتُلي بالأمراض والبلايا أو ابتُلي برجل أظلم منه انتقامًا كان لهذه القصة أو المثل أثر كبير في النفس. وكذلك قصص الأنبياء والأمم والأقوام السالفة المذكورة في القرآن.

المرسل: الكلمة المطلقة بلا قيد تقول: رأيت رجلًا، فكلمة ﴿رجلًا﴾ مطلقة؛ لأنك لم تذكر شيئًا من أوصافه كما أنّ الله تعالى أمر بني إسرائيل أنْ

يذبحوا بقرة، أيّة بقرة كانت ولكنّهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم كما في الخبر.

المحدود: ما كان مقيداً بقيد أو شرط، كالأمر بعتق رقبة مؤمنة.

المحكم: ما اتضح معناه، وظهر لكل عارف باللغة محفوظًا من النسخ أو التخصيص، فالمحكم ما خفي معناه واحتيج فيه إلى التأويل.

س: أين تجد مصاديق هذه المفاهيم في القرآن الكريم[1]؟

١ حلاله: في قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} ﴿المائدة: ٩٦﴾ و

{أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} ﴿المائدة: ١﴾.

٢ حرامه: في قوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} ﴿البقرة: ٢٧٥﴾.

٣ فرائضه: في قوله تعالى: {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} ﴿الأنعام: ٧٢﴾.

٤ فضائله: في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} ﴿الأعراف: ١٩٩﴾.

٥ ناسخه: في قوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} ﴿البقرة: ٢٢١﴾.

٦ منسوخه: في قوله تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ} ﴿النساء: ٢٤﴾.

٧ رخصه: في قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ} ﴿البقرة: ١٧٣﴾

٨ عزائمه: في قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} ﴿الإسراء: ٧٨﴾.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة الخوئي ١٧٩/٢ -١٨٣.

٩ خاصه: في قوله تعالى: {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} ﴿الأحزاب: ٥٠﴾.

١٠ عامه: في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ﴿آل عمران: ٩٧﴾.

١١ (عبره): في قوله تعالى حكاية عن فرعون: {فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} ﴿النازعات: ٢٣-٢٦﴾.

١٢ (أمثاله): في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٦١﴾.

١٣(مرسله): في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} ﴿الحجرات: ٦﴾.

١٤ (محدوده): في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ﴿المجادلة: ٣﴾.

١٥ (محكمه): في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} ﴿الإخلاص: ١﴾.

١٦ (متشابهه): في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ﴿طه: ٥﴾.

١٧(مأخوذ ميثاق علمه): في قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} ﴿محمد: ١٩﴾. وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} ﴿المائدة: ٦٧﴾.

١٨(موسع على العباد جهله): في قوله تعالى: (كهيعص)، (حمعسق)، وبقية أوائل السور.

١٩(ومثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه): في قوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} ﴿النساء: ١٥﴾ وقوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ﴿النور: ٢﴾.

٢٠ (واجب في السنّة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه): في قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} ﴿البقرة: ١٤٤﴾.

٢١ (واجب بوقته وزائل في مستقبله): في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ﴿آل عمران: ٩٧﴾.

٢٢ (ومباين بين محارمه: من كبير أوعد عليه نيرانه) في قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} ﴿النساء: ٩٣﴾.

٢٣ (أو صغيرًا أرصد له غفرانه) في قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٢٥﴾. وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} ﴿النجم: ٣٢﴾.

٢٤ (وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه): في قوله تعالى: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} ﴿المزمل: ٢-٤﴾.

المستوى البلاغيّ

س: قول أمير المؤمنين (عليه السلام) ﴿وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممهم إذ لم يتركوهم هملًا﴾ مقتبس من حديث الثقلين؟ كيف توفق بين نهج البلاغة والحديث النبوي؟

في حديث الثقلين واضح أنّ النّبيّ الأكرم أوصى بالكتاب والعترة لما قال في حديث الثقلين المتواتر المشهور: "إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي؛ ما إن تمسّكتم بهما فلن تضلّوا بعدي أبدًا "[1]. وفي كلام أمير المؤمنين إشارة إلى الثقلين في ﴿بغير طريق واضح، ولا علم قائم﴾ إذ لم يترك النّبيّ الأقدس أمّته سُدى بغير إمام يقتدون به ويستضيئون بنور علمه بل خلف فيهم القرآن (طريق واضح) والعترة (علم قائم). وروي حديث الثقلين بمختلف ألفاظه في صحيح مسلم كتاب الفضائل باب (فضائل عليّ بن أبي طالب) وصحيح الترمذي والمعجم الكبير للطبراني، وكنز العمّال والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري وخصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي الشافعي وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني. وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة بعد بيان سرّ انتشار الحديث واشتهاره: "ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة، وردت عن نيّف وعشرين صحابياً"[2].

س: في (طريق واضح) كناية عن الصراط المستقيم الذي اتبعه الأنبياء والأئمة ومن تبعهم من الصالحين المخلصين وهو خلاف طريق إبليس الذي هو خاص بالغاوين. أما في (علم قائم) فكناية عن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) واحدًا تلو الآخر وأول علم قائم هو أمير المؤمنين (عليه السلام) وآخرهم الحجة القائم.

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما زال يبين للناس وصيّه ويعين لهم خليفته من أول يوم بُعث نبيًا فأمره الله تعالى بقوله: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

---

(1) صحيح مسلم: ١٢٢/٧.

(2) الصواعق المحرقة ٤٤٠/٢.

الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿الشعراء: ٢١٤﴾ ودعا قريشًا إلى طعامه وندبهم إلى التوحيد فما أجابه أحدٌ إلا ابن عمه علي (عليه السلام) فعرّفه لقريش في ذلك اليوم، فاستهزأت به قريش جهلًا واستخفافًا ولم يزل يكرر كلامه في المشاهد والمواطن سرًّا وإعلانًا، ليلًا ونهارًا، فكان تارة يوجه كلامه إلى شخص واحد كبعض زوجاته أو بعض أصحابه، وتارة ينادي برفيع صوته يسمع كلامه ١٢٠٠٠٠ مسلم: ﴿من كنت مولاه فهذا علي مولاه... إلخ﴾[1] ولم يمت حتى غرّز هذه الكلمة في قلوب أصحابه، وقد روى علماء المسلمين بأجمعهم تلك الكلمة. وبعضهم لعب بهندام الرواية وفسّر بعض عباراتها تعمية على الناس لكنّ الحق واضح يعلو ولا يُعلى عليه.

س: في (لم يتركوهم هملًا) استعارة، ما نوعها؟

---

(١) مسند أحمد ج ٤ - ص ٢٨١.

المقطع الثاني عشر: فريضة الحجّ والمغزى منها

وهو قوله عليه السلام: " وَفَرَضَ عليْكُمْ حَجَّ بَيْتِه الحَرَامِ، الَّذي جعَلَهُ قِبْلَةً للأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الانْعَامِ، ويأْلَهُونَ إليه وُلُوهَ الحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَه علامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِه، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِه، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِه سُمَّاعاً أَجَابُوا إليه دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِه، وَتَشَبَّهُوا بمَلاَئِكَتِه المُطِيفِينَ بِعَرْشِه، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِه، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِه. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلإِسْلاَمِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ).

المعنى العام[1]

المرويّ عن العترة الطاهرة أنّ أصل بناء البيت الحرام كان في زمن آدم، ثمّ انطمس في زمان نوح فبناه إبراهيم، ثمّ بناه العمالقة، ثمّ قريش، ثمّ الحجّاج اللّعين. والحجر والمقام من الآيات التي اشير إليها في قوله تعالى: (فيه آيات بيّنات). فأما الحجر فقد أودع الله فيه مواثيق الخلق، وإنّما يقبّل الحجر ويستلم ليؤدّي إلى الله العهد الذي أخذ عليهم في الميثاق.

وروي أنّ عمر بن الخطّاب أنه انتهى إلى الحجر الأسود فقال: إنّي لأقبّلك وإنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع وأنّ الله ربّي ولولا أنّي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقبّلك ما قبّلتك، فالتفت إلى ورائه فرأى عليًّا (عليه السلام)، فقال عليّ: بل هو يضرّ وينفع، قال: وكيف؟ قال: إنّ الله تعالى لّما أخذ الميثاق على الذرّيّة كتب عليهم كتابًا ثمّ ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود.

---

(١) ينظر: منهاج البراعة للخوئي ٢/٢٣١-٢٤٥.

وأما المقام فهو من أعظم الأعلام ولكون المقام من المشاعر العظام وأعظم البيّنات والأعلام خصّ بالذكر في القرآن فقال تعالى: (فيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهيمَ) وفيه أثر قدم إبراهيم، وسبب هذا الأثر أنّه لّما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة، فغاصت فيه قدماه. وغير خفيّ أنّ تأثّر الصّخرة الصّماء وغوص قدمه فيها إلى الكعبين وبقائها في ألوف من السّنين مع كثرة الأعداء من اليهود والنّصارى والملحدين من أعظم آيات التّوحيد.

وفي قوله (عليه السلام) (وَأَوْجَبَ حَقَّهُ) دليل على احترام البيت الحرام لقداسته فلا يتطاول عليه بالبنيان مثل ما يحصل الآن. ونقل ابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد الله بن عمر أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " كيف أنتم إذا هدمتم البيت فلم تدعوا حجراً على حجر؟ قالوا: ونحن على الإسلام، قال: وأنتم على الإسلام، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم يبنى أحسن ما كان، فإذا رأيت مكة قد بعجت كظائم ورأيت البناء يعلو رؤوس الجبال فاعلم أنّ الأمر قد أظلك"[1].

وفي قول أمير المؤمنين المذكور آنفًا طائفةٌ من علل فرض شعيرة الحج على الناس وهي:

١- قوله (عليه السلام): (جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم)، فالتواضع لله وتحمّل المشاق في طاعته هو العلة الرئيسة للحج. إذ وَصف التعبير القرآني الموضع الذي بُنيت فيه الكعبة بأنه واد غير ذي زرع فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿إبراهيم: ٣٧﴾ وبيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) علة اختيار هذا المكان المقفر للكعبة المشرفة دون سائر الأمكنة الزاهية فقال (عليه

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤٦١/٧ ح ٣٧٢٣٢.

السلام) في الخطبة ١٩٢ وهي المعروفة بالقاصعة: " وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ[١] الدُّنْيَا مَدَراً[٢]، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[٣]، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ [٤]، وَقُرىً مُنْقَطِعَةٍ، لا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ[٥]. ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ[٦] نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ[٧]، وَغَايَةً لِمُلْقَى[٨] رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ[٩] الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ [١٠] قِفَارٍ سَحِيقَةٍ[١١]، وَمَهَاوِي[١٢] فِجَاجٍ[١٣] عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ [١٤] ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ للهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ[١٥] عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً[١٦] غُبْراً[١٧] لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ [١٨] وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،

---

(١) النَتَائِق جمع نَتِيقة، وهي البقاع المرتفعة، ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان.

(٢) المَدَر: قطع الطين اليابس، وأقل الأرض مَدَراً لا ينبت إلا قليلاً.

(٣) دَمِثَة: لَيِّنَة يصعب السير فيها والاستنبات منها.

(٤) وَشِلَة ـ كفرحة ـ: قليلة الماء.

(٥) لا يزْكو: لا ينمو. والخُفّ عبارة عن الجمال. والحافر عبارة عن الخيل وما شاكلها. والظِلْف عبارة عن البقر والغنم، تعبير عن الحيوان بما رُكّبت عليه قوائمه.

(٦) ثَنى عِطْفَه إليه: مال وتوجه إليه.

(٧) مُنْتَجَع الأسفار: محل الفائدة منها.

(٨) مُلْقى: مصدر ميمي من ألقى أي نهاية حصر حالهم عن ظهور إبلهم.

(٩) تَهْوِي: تسرع سيراً إليه. والمراد بالثمار هنا الأرواح.

(١٠) لمَفَاوِز ـ جمع مَفازة ـ: الفلاة لا ماء بها.

(١١) السَّحِيقة: البعيدة.

(١٢) المَهَاوِي كالهُوّات وهي مُنْخفضات الأراضي.

(١٣) الفِجَاج: الطرق الواسعة بين الجبال.

(١٤) مَنَاكِبهم: رؤوس أكتافهم.

(١٥) الرَمَل: ضرب من السير فوق المشي ودون الجرْي.

(١٦) الأشْعَث: المنتشر الشعر مع تلبّد فيه.

(١٧) الأغْبر: من علا بَدَنَهُ الغُبارُ.

(١٨) السرَابِيل: الثياب.

وَشَوَّهُوا بِإعْفَاء الشُّعُورِ[1] مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتلاءً عَظِيماً، وَامْتحاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ[2]، جَمِّ الأَشْجَارِ[3]، دَانِي الثِّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى[4]، مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ[5]، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ[6] مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ[7] مُغْدِقَةٍ[8]، وَزُرُوعٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ. وَلَوْ كَانَ الأَسَاسُ[9] الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذلِكَ مُضَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ[10] الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ. وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَلْوَانِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً[11] إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ. "

---

(١) إعْفاء الشعور: تركها بلا حلق ولا قص.

(٢) القَرار: المطمئن من الأرض.

(٣) جمّ الأشجار: كثيرها.

(٤) البُنى ـ جمع بُنْيَة بضم الباء وكسرها ـ: ما ابتنيته، وملتفّ البُنى: كثير العمران.

(٥) البرّة: الحِنْطة، والسمراء أجْوَدُها.

(٦) الأرياف: الأراضي الخِصْبة.

(٧)العراص ـ جع عَرْصة ـ: الساحة ليس بها بناء.

(٨)المُغْدقة: من أغْدَقَ المطرُ: كثر ماؤه.

(٩) الأساس ـ بكسر الهمزة ـ: جمع أُسّ مثلثها، أو أساس.

(١٠) مُعْتَلَج ـ مصدر ميمي من الاعتلاج وهو الالتطام، اعتلجت الأمواج: التطمت، أي: تلاطم الريب والشك من صدور الناس.

(١١) فُتُحاً ـ بضمتين ـ: أي مفتوحة واسعة.

٢- قوله (عليه السلام) (وتشبّهوا بملائكة المطيفين بعرشه)؛ إذ روي عن الرضا (عليه السلام) أنّ علّة الطواف بالبيت أنّ الله تعالى لّما قال للملائكة {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ﴿البقرة: ٣٠﴾ فردّوا على الله تعالى بهذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فأحبّ الله تعالى أنْ يتعبّد الناس بمثل ذلك فوضع في السماء الرابعة بيتًا بحذاء العرش يُسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتًا يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح، ثم وضع البيت الحرام بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم (عليه السلام) فطاف به فتاب الله عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة[1]. بل ورد أنّ الملائكة طافوا بالكعبة أيضًا كطوافهم حول العرش فعن الصادق عليه السلام لّما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجّك، أما إنّا قد حججنا هذا البيت قبل أنْ تحجه بألفي عام[2].

٣- قوله (عليه السلام) (يحرزون الأرباح في متجر عبادته)، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّ العلة في تكليف الحج أنه تعالى جعل فيه اجتماع الناس من المشرق والمغرب ليتعارفوا، ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولتعرف آثار النّبيّ صلّى الله عليه وآله ويعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى.

٤- "يتبادرون عند موعد مغفرته" أي يتسارعون إلى الأعمال التي يغفر الله الذنوب عندها فيصير الحاج كيوم ولدته أمه، ولا يخفى أنّ الاجتماع الكثير في الحج يكون سببًا لانفعال الإنسان والخشية من الله تعالى، فتحصل بذلك رقة وتأثر فيستغفرون من ذنوبهم، ويطلبون من الله قبول الأعمال والأجر عليها، ولعل المقصود من " موعد مغفرته " هو يوم عرفة. كما روي عن الإمام

(١) عيون أخبار الرضا ٩٨/١.

(٢) بحار الأنوار ٣٢٠/٢٠.

الصادق (عليه السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما رُئي الشّيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيض من يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إذ من الذنوب ما لا يكفّرها إلا الوقوف بعرفة.

وعن الرضا (عليه السلام) أنّ علّة الحج هي الوفادة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة والخروج من كلّ ما اقترف ليكون تائبًا ممّا مضى، مستأنفًا لّما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات والتقرّب والخضوع والاستكانة والذل شاخصًا في الحر والبرد، والأمن والخوف، دائبًا في ذلك دائمًا وفي ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى الله تعالى ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر ممّن يحجّ ومن لا يحجّ من تاجر وجالب وبائع ومشترٍ وكاتب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم عليه، وفرض الحج مرة واحدة؛ لأنّه تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوّة ثم رغب أهل القوة على قدر طاعتهم[1].

المستوى الصوتي

س: في قول أمير المؤمنين: (يأَلَهُونَ إليه وُلُوهَ الحَمَامِ) روي الفعل (يألهون) بلفظ (يولهون) بالواو وهو مضارع من الوله بمعنى الوجد، فما الفرق بينهما؟

المهموز يحتمل معنيين:

الأول: أنْ يكون مشتقًّا من الوله أيضًا ولكنه بالهمز يفيد الدلالة على الوله الشديد حتى يكاد العقل يذهب، ويعضد هذا الوجه وجود الواو فاء

(١) ينظر: علل الشرائع للصدوق ٧٧.

للمصدر (وله) المذكور بعده، وهنا تخصيصٌ للدلالة بعد أنْ كانت مطلقة في (يولهون).

والثاني: أنْ تكون الهمزة في يألهون أصلية، يقال: أَله يأله كفرِح يفرح بمعنى فزع ولاذ. ومنع الشرّاح أنْ يكون (يألهون) مضارعًا من الألوهة بمعنى العبادة؛ لأن هذا المعنى غير متأتٍّ للحمام إلا على المجاز، والمعنى عكف عليه كأنه يعبده، وفيه تمحّلٌ وبُعدٌ في المجاز، وهو مردودٌ بالاشتقاق، (وله) الحمام وهذا دليل على أنّ الواو فاء للكلمة. ويفهم من ميل الشرّاح إلى تلمس أكثر من وجهٍ لتفسير اللفظ المهموز (يألهون) أنهم يدركون اختلاف المعنى بين اللفظ المهموز وغيره، وهذا قادهم إلى تخصيص الدلالة في (يألهون) تارة وتوجيه اللفظ إلى معنى آخر تارة أخرى.

المستوى الصرفيّ

س: ما الدلالة الصرفية المستفادة من لفظ (قبلة) في قول أمير المؤمنين (الذي جعله قبلة للأنام)؟

لفظة (قبلة) جاءت على صيغة مصدر الهيأة الدال على الحالة الثابتة التي يكون عليها الموصوف، واختيار هذه اللفظة في كلام أمير المؤمنين يدلّ على أنّ الله تعالى جعل البيت الحرام وجهةً دائمة للمسلمين ليس في أيام حجهم بل في الصلاة والذبح والاحتضار والدفن وغيرها.

س: ما الفرق الصرفي بين المصدرين (الوله والولوه)؟

(الولوه) مصدر (وله يله ولوهًا) كوقف يقف وقوفًا، فالفعل من الباب الثاني، وأما الوله فمصدر (وله يوله ولهًا كوجل يوجل وجلًا) من الباب الرابع، والفرق بين المصدرين أنّ الفُعول صيغة مصدرية تدل على التحوُّل المادي من حال إلى آخر كالدُّخول والخُروج، والفَعَل (الوَلَه) صيغة مصدريه تدلّ على الانفعالات النفسية العارضة كالوَجع والفَزع والفَرح والحَزن.

س: وصف البيت العتيق في التعبير القرآني بأنه (حَرَم وحرام) فما الفرق في الدلالة الصرفية بين الصيغتين؟

الحرم في الأصل مصدر فغلبت عليه الاسمية، فقيل: حرَمُ فلان، أي زوجه؛ لأنها محرَّمة على غيره، ويسمى الصيد حرمًا إنْ كان جوار الكعبة، فالحرم مشترك بين عدة معانٍ إنْ جاء نكرة، ومع اقترانه بأل التعريف يخصص بالكعبة من باب التغليب كالنجم للثريا والكتاب لسيبويه والمدينة لمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما كان الحرم اسمًا وصف بالآمن في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ الله يَكْفُرُونَ} ﴿العنكبوت: ٦٧﴾، فالحَرَمُ المعرّف هو اسم لمكة وما أَحاط بها إلى قريبٍ منها، وهو لدى قريش ما دون المَنارِ إلى مكة ولما بعث الله عز وجل محمداً (صلى الله عليه وسلم) أَقرَّ قُرَيْشاً على ما عرفوه من ذلك فما كان دون المنار فهو حَرَم لا يحل صيده ولا يُقْطَع شجره، وما كان وراء المَنار فهو من الحِلّ، يحِلُّ صيده إذا لم يكن صائدُه مُحْرِمًا. وأما الحَرامُ فاسم لما حَرَّم اللهُ بمعنى الشيء المُحَرَّمُ، فهو اسم مصدر من التحريم، ويستعمل صفة مع موصوفٍ قبله كالبيت الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام، وهو عامٌّ في كلّ موصوف كالمال والولد والعمل، وفي التعبير القرآني ورد صفة للمسجد والشهر والمشعر والبيت.

ووصف البيت بالحرام لأسباب أظهرها أنّه حُرِّم على المشركين أنْ يدخلوه، و يحتمل أنْ يكون ذلك من جهة أنّه حرامٌ فيه ما هو حلال في غيره من البيوت كالجماع والملابسة لشيء من الأقذار، أو أنّه حرام دخوله من غير إحرام. وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم فتح مكّة: إنّ اللّه حرّم مكّة يوم خلق السّماوات والأرض فهي حرام إلى أنْ تقوم السّاعة لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحدٍ من بعدي ولم تحلّ لي إلاّ ساعة من النّهار، ووصف البيت بالعتيق في قوله تعالى: (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) فثمة رواية عن العترة الطاهرة

أنه عتيقٌ من الغرق، ويجوز أيضًا أنّه عتيق من النّاس لم يملكه أحد غيره تعالى، أو إنّه عتيق وقديم؛ لأنّه كان قبل آدم. وهذه الأوجه لا تعارُض بينها.

س: ما المراد بالسَّمّاع في قول أمير المؤمنين (وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إليه دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ).

جاء في تفسير القمي "لمّا فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله أنْ يؤذّن في الناس بالحجّ فقال: يا ربّ وما يبلغ صوتي؟ فقال تعالى: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فارتفع على المقام وهو يومئذ يلصق البيت فارتفع به المقام حتى كأنّه أطول من الجبال، فنادى وأدخل إصبعه في أذنه وأقبل بوجهه شرقًا وغربًا يقول: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم فأجابه من تحت البحور السبع، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلّها ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء بالتلبية " لبيك اللّهم لبيك " فمن حجّ من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممّن استجاب لله وذلك قوله: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} يعني نداء إبراهيم على المقام بالحج[1].

والتعبير القرآني يعضد هذه الرواية التي تفصح عن أنّ الحجيج منتخبون من العباد؛ إذ سمعوا نداء إبراهيم (عليه السلام) حينما فرغ من بناء البيت وأمره الله تعالى أنْ ينادي في الناس بالحج كما قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كلّ فَجٍّ عمِيقٍ} ﴿الحج ٢٧﴾.

المستوى النحويّ

س: ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّ الله تعالى جعل البيت الحرام قبلة للأنام على حين ذكر التعبير القرآني أنّ الله تعالى وضع الأرض للأنام في قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} ﴿الرحمن: ١٠﴾ ما دلالة اللام المتصلة بلفظ الأنام في كلا القولين؟ وهل تجد تعارضًا بينهما؟

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٨٣.

يظهر من التعبير القرآني وقول أمير المؤمنين أنّ الأنام نمط من البشر فاللام في (لِلأَنَامِ) يدلّ على المآل، أيْ إنَّ مآل النفع بالأرض موضوع للأنام الذين سيرثون الأرض وما عليها، ولا يراد بالأنام عموم الناس بل صفوتهم وخلاصتهم، فالإنسان هو خليفةُ الله على أرضه، إذ قالَ في كتابه العزيز: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) ﴿الأنعام: من الآية ١٦٥﴾، وسَخّر له ما في السموات والأرض: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ﴿الجاثية: ١٣﴾، والكثير من الآيات التي تؤكد خلافة الإنسان للأرض وتسخير من فيها لخدمته، ولم يكن الإنسان وحده في هذه الأرض فهناك مخلوقات أخرى غيره هي شريكة له فيها منها الحيوان والنبات والجن، إلّا أنّ الإنسان كان أكثر هذه المخلوقات انتفاعاً، ومعظم هذه المخلوقات مُسَخّرة له. والتعبير القرآني قسم البشرية منذ الخليقة على صنفين: الغاوين وهم الكثرة الكاثرة من حزب إبليس والمخلصين وهم الخلاصة المستخلصة من البشرية جمعاء، يشهد لهذا سياق سورة الحجر في الآيات: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} ﴿الحجر: ٣٩-٤٢﴾، فالأنام هم من كان على (الصراط المستقيم) ولا يفهم معنى الأنام بمعزل عن قصة الاستخلاف البشري في الأرض التي ذكرها التعبير القرآني مفصلة.

وفي مشهد آخر منها إنما أنكر الملائكة جعْل الخليفة في الأرض؛ لأنهم بحسبانهم أنه جعلٌ أبدي لا ابتلائي فقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ﴿البقرة: ٣٠﴾ أيْ إنَّ الملائكة نظروا إلى الحياة الدنيا للإنسان لا الحياة الآخرة {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ﴿العنكبوت: ٦٤﴾ ولفظة الأنام اسم جمع لأهل الجنة؛ ولذا اقترن التعبير القرآني في آيتها

باللام المآلية فقال تعالى {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} والوضع قرينة للإنسان وإلا فالجن ليس له موضعٌ محدد أي إنَّ مآل وضع الأرض سيكون لهذا الصنف من البشرية وهم عباد الله الخُلّص الذين ستؤول مُلكية الأرض إليهم يستقرّون عليها أخيرًا بعد تمحيص وابتلاء كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} ﴿الأنبياء: ١٠٥﴾. والتعبير القرآني لما أورد الأرض مملوكة للأنام بلام الملك أشار إلى الاستخلاف البشري الذين يختص بالصالحين لا الغاوين الذين لن ينالوا من ملك الأرض شيئًا خلا أنهم من ترابها وإليه ثم يبعثون للعذاب الأبديّ.

س: أعرب الأسماء المنصوبة في المقطع وبين دلالتها الإعرابية.

أ- (موعد) في (يتبادرون عنده موعد مغفرته) اسم منصوب بنزع الخافض أي إلى موعد مغفرته، ويحتمل النصب على أنه مفعول لأجله فيكون المعنى أنّهم يتسارعون عند الحجّ لوعد المغفرة.

ب - مواقف في (وقفوا مواقف أنبيائه) مفعول مطلق مبيِّن لعدد مرات حصول الفعل فالمواقف جمع للمصدر الميمي (موقف) ولو قال (موقف أنبيائه) لجاز ولكن يكون المفعول المطلق مبينًا لنوع الفعل وليس لعدد مرات حصوله. أو يعرب (مواقف) منصوبًا على أنه مفعول فيه ظرف مكان.

ج - (ورود ولوه) في (يردونه ورود الأنعام ويألهون إليه ولوه الحمام) كلاهما مفعول مطلق منصوب مبيّن لنوع الفعل، وهما منتصبان على المصدريّة مجازًا، أي ورودًا مثل ورود الأنعام، وولوها مثل ولوه الحمام.

المستوى المعجميّ

س: ما الفرق اللغويّ بين الأنام والناس والورى؟

الفرق بين الأنام والناس ساقه أبو هلال العسكريّ بأنْ قال " إنّ الأنام يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس قال الله عز وجل {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ﴿آل عمران: ١٧٣﴾ وإنّما قال لهم جماعة، وقيل رجل واحد: إن أهل مكة قد جمعوا لكم، ولا تقول: جاءني الأنام، تريد بعض الأنام وجمع الأنام آنام"[1].

وخلص أصحاب المعجم الوسيط إلى أنّ الأنام "جميع ما على الأرض من الخلق" وهذا هو مفهوم الورى أيضًا فلا محصل من قولهم هذا، فالورى سمي كذلك لستره ظهر الأرض وتوريته إياها، وبهذا الملحظ فرّقوا بين الأنام والورى كما في قول صاحب العين وغيره: " الورى: الأنام الذين على وجه الأرض في الوقت، ليس من مضى، ولا من يتناسل بعدهم، فكأنهم الذين يسترون الأرض بأشخاصهم" ومِن هذا يفهم أنّ الأنام أعمّ من الورى؛ إذ يشمل الأنامُ من على ظهر الأرض وهم الأحياء ومن في بطنها وهم الأموات ومن لم يخلقوا بعد وهم ذرّية الأحياء. والناس من النوس وهو الحركة فكأنّهم سموا ناسًا لظهورهم وتحركهم والناس قبال الجِنّة وهو مجتمع الجنّ كما في قوله تعالى {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} ﴿الناس: ٦﴾.

المستوى البلاغيّ

س: ما وجه التشبيه بين الحجيج والحمام في قول أمير المؤمنين (يألهون إليه ولوه الحمام)؟

من طبع الحمام أنّه يطلب وكْره، ولو أرسل من ألف فرسخ، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثم هو على ثبات ما في نفسه حتى يجد فرصة فيطير إلى وطنه.

س: وصف أمير المؤمنين بيت الله بأنّه (للعائذين حرمًا)، أين تجد هذا المعنى في التعبير القرآني؟

(١) الفروق اللغوية ٢٧٥.

قول أمير المؤمنين اقتباس معنوي من قوله تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} ﴿آل عمران: ٩٧﴾. إذ روي عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: (ومن دخله كان آمنًا) أنّ المراد من دخل الحرم من الناس مستجيرًا به فهو آمن من سخط الله تعالى، ومن دخله من الوحش والطير كان آمنًا من أنْ يُهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

س: ما الصورة البلاغية في (يحرزون الأرباح في متجر عبادته)؟

شبّه الإمام (عليه السلام) الحج بالتجارة أو بمحلها، وشبه الحجاج بالتجار الذين يحضرون السوق لجلب المنافع وكسب الأرباح، ولقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم بقوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ). فعبادة الله تعالى تجارة مربحة وربحها الثواب الأبدي، والخلاص من النار والعذاب.

س: ما نوع التشبيه في (يردونه ورود الأنعام)؟ هذا تشبيه بليغ إذ حُذفت الأداة ووجه الشبه الذي هو التدافع وسمّيت مكّة بكّة لتزاحُم الحجيج فيها، يقال: بكّه إذا زحمه.

س: قوله (عليه السلام): (ويتبادرون عنده موعد مغفرته) اقتباس قرآني دلّ عليه.

هذا اقتباس من قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} ﴿آل عمران: ١٣٣﴾.

تمّ الجزء الأول بحمد الله تعالى ويليه الجزء الثاني وهو تحليل عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر رضوان الله عليه.

القسم الثاني
التحليل اللغوي للعهد الشريف

يمثّل عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر نظاماً إداريا وقانوناً شرعيًّا ودستوراً للحياة بما اشتمل عليه من الوصايا التي تحدّد الحقوق والواجبات بين الدولة والشعب؛ ولّما وصل هذا العهد إلى أذن الأمين العام للأُمم المتحدة كوفي عنان قال: إنّ هذه العبارة من العهد يجب أنْ تعلّق على كلّ المؤسسات الحقوقية في العالم، والعبارة هي: "وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق"، وهذه العبارة جعلت كوفي عنان ينادي بأنْ تدرس الأجهزة الحقوقية والقانونية عهد الإمام لمالك الأشتر، وترشيحه ليكون أحد مصادر التشريع للقانون الدوليّ، وبعد مداولات استمرّت لمدّة سنتين في الأمم المتحدة صوّتت معظم دول العالم على اتخاذ عهد علي بن أبي طالب عليهما السلام لمالك الأشتر واحداً من مصادر التشريع للقانون الدوليّ، وقد تمّ بعد ذلك إضافة فقرات أُخرى من نهج البلاغة غير العهد الشريف على أنها مصادر للقانون الدولي.

وتشتمل رسالة أمير المؤمنين إلى الأشتر النخعي على عشرين مقطعا تبدأ بوصايا للوالي بحسن الأدب والتواضع والقرب من الله تعالى والبعد عن مظاهر البذخ والترف وصفات المقربين للوالي وأسس اختيار الوزراء، ثم تقسيم الرّعيّة على سبع طبقات: الجنود والكُتّاب والقضاة والعمّال وأهل الخراج والتجار وذوو الصناعات والطبقة السفلى.

ويذكر مزايا كلّ طبقة منهم وحقوقها وواجباتها، ويختص العهد الشريف بوصايا دقيقة للسياسة وإدارة البلاد وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه والتحذير من سفك الدماء بغير حقّ والاستئثار بما الناس فيه أسوة. وكلّ هذه المقاطع يعرضها (عليه السلام) بأسلوب أدبي بليغ وبعرض موجز يبتعد عن الإطالة

المملّة والإيجاز المخلّ ليرسم لوحة أدبية تحرّك المشاعر وتجذبها نحو الخالق وتعطي كلّ موضوع قيمته الحقيقية.

وقد حلّلنا كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) على وفق المستويات اللغوية كلّها، بدءًا بأصغر وحدة في التحليل اللغويّ وانتهاء بأكبرها، بأسلوب يغلب عليه السؤال والجواب؛ لإثارة أذهان الطلبة في توظيف علوم العربيّة للإجابة عمّا يوصل إلى فهم المراد من الكلام بدقّة إنْ شاء الله تعالى.

يسبق ذلك مختصرٌ للمعنى العامّ لكلّ موضوع، ويتم إشراك الطلبة في شرحه وبيانه اعتمادًا على التوظيف اللغويّ لما سيتمّ توضيحه لهم من المستويات اللغويّة الخمسة وهي: (المستوى الصوتيّ والمستوى الصرفيّ والمستوى النحويّ والمستوى المعجميّ والمستوى البلاغيّ).

وإتمامًا للفائدة اللغوية أكثرنا من الشواهد القرآنية في تحليل كلامه (عليه السلام) لأنه قبس من الوحي الإلهيّ، ولكننا تركنا تحليل الآيات القرآنية والنقاش فيها لأستاذ المادّة كي يناقش طلبته في محتواها، وقد توخّينا سرد الآيات ذات المداليل العمليّة المرتبطة بحياة المجتمع. وتوخّينا في تحليلنا اللغوي لكلامه (عليه السلام) تجنّب التكرار والإعادة، فجموع التكسير المكرّرة في العهد لا نعيد تحليلها مرة بعد أخرى وكذا المصادر والمشتقات فاكتفينا بطرح السؤال وتركنا الجواب للنقاش في المحاضرة.

وبالجملة سارت الأسئلة التحليليّة نحو الاختصار مع تتابع المقاطع في العهد، فالمأمول من تأليفنا هذا الكتاب أنْ يتدرّب الطالب على قراءة قبس من نهج البلاغة وتحليله لغويًا وصولًا الى حفظه كي يتسلّح بخزين لغويّ رصين يستقي منه الحكمة والتأثير في المتلقّين فضلًا عن التطبيق العمليّ الصحيح لقواعد العربيّة التي تلقّاها تنظيرًا وشرحًا من أساتيذه في النحو والصرف والبلاغة وعلم اللّغة؛ لأنّ الذي يرسّخ المادّة العلميّة في ذهن الطالب هو تطبيقها عمليًّا بعد تلقيها نظريًا.

التمهيد: مالك الأشتر والعهد الشريف، تعريفٌ ووصفٌ

أولًا: مالك الأشتر (رضي الله عنه)[1]

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث المذحجيّ النخعيّ، كان فارسًا شجاعًا رئيسًا من أكابر الشيعة وعظمائهم شديد الولاء لأمير المؤمنين (عليه السلام). صحابيّ جليل أدرك النبيّ صبيًا وشهد له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإيمان في قصة دفنه أبا ذر الغفاريّ (رض)، إذ أمر عثمان بن عفان بنفي أبي ذر الغفاري إلى الربذة لشكوى معاوية " فمات بها وصلى عليه عَبْد الله بن مسعود، صادفه وهو مقبل من الكوفة، مع نفر فضلاء من أصحابه، منهم: حجر بن الأدبر، ومالك بن الحارث الأشتر، وفتى من الأنصار، دعتهم امرأته إليه فشهدوا موته، وغمضوا عينيه، وغسلوه وكفّنوه في ثياب الأنصاري في خبر عجيب حسن فيه طول"[2].

ثم روى ابن عبد البر الخبر كاملًا عن امرأة أبي ذر الغفاري " قَالَتْ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الْوَفَاةُ بكيت. فقال لي: ما يبكيك؟ فقلت: وما لي لا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ، وَلَيْس عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُكَ كَفَنًا لِي وَلا لك؟ ولا يد لي للقيام بجهازك. قال: فابشري وَلا تَبْكِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لا يَمُوتُ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ وَلَدَان أَوْ ثلاثَةٌ فَيَصْبِرَانِ وَيَحْتَسِبَانِ فَيَرَيَانِ النَّارَ أَبَدًا، وَقَدْ مَاتَ لَنَا ثلاثَةٌ مِنَ الْوَلَد. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ: لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ، تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمؤمنين، وليس من أولئك النفر أَحَدٌ إِلا وَقَدْ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ، فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلا كذبت فأبصري الطريق.

---

(١) تنظر ترجمة الأشتر في الإصابة: ت ٨٣٤٣ والتهذيب ١٠: ١١ والولاة والقضاة ٢٣ - ٢٦ وسمط اللآلي ٢٧٧ والمؤتلف والمختلف ٢٨ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ودائرة المعارف الإسلامية ٢: ٢١٠ والمغرب في حلى المغرب، ١/ ٦٨.

(٢) الاستيعاب ٢٥٣/١.

قلت: وَأَنَّى وَقَدْ ذَهَبَ الْحَاجُّ، وَتَقَطَّعَتِ الطَّرِيقُ؟ قَالَ اذْهَبِي فَتَبَصَّرِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إِلَى الْكَثِيبِ فأنظر ثم أرجع إليه فأمرّضه، فبينا هُوَ وَأَنَا كَذَلِكَ، إِذْ أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِحَالِهِمْ كَأَنَّهُمُ الرَّخَمُ تَحُثُّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ، فَأَسْرَعُوا إِلَيَّ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ فَقَالُوا: يَا أَمَةَ الله، مالك؟ قُلْتُ: امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ، تُكَفِّنُونَهُ؟ قَالُوا: ومن هو؟ قلت: أَبُو ذَرٍّ. قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. ﴿قَالَتْ﴾: فَفَدَوْهُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ. أَبْشِرُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ: لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَلَيْسَ مِنْ أُولَئِكَ النَّفَرِ أَحَدٌ إِلا وَقَدْ هَلَكَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ، وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ، ﴿وَلا كُذِبْتُ﴾، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يسعني كفنًا لي أو لامرأتي لم أكفّن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم اللَّه ألا يكفنني رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا، وَلَيْسَ مِنْ أُولَئِكَ النَّفَرِ أَحَدٌ إِلا وَقَدْ قَارَفَ بَعْضَ مَا قَالَ، إلّا فتى من الأنصار، فقال: أنا أَنَا أُكَفِّنُكَ يَا عَمِّ فِي رِدَائِي هَذَا، وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمّي. قال: أنت تكفنني ﴿يَا بُنَيَّ﴾. قَالَ: فَكَفَّنَهُ الأَنْصَارِيُّ وَغَسَّلَهُ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ حَضَرُوهُ، وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي نَفَرٍ كُلِّهِمْ يَمَانٍ"[1].

وكان مالك الأشتر رئيس قومه ومن أكابر الفرسان له شعر جيّد[2]، سكن الكوفة وشهد الجمل وصفّين. ولقّب بالأشتر، والشّتر هو قطع الشفة السفلى أو انقلاب الجفن[3]، إذ شُقّ رأسه وشُترت عينه في فتح دمشق وحرب اليرموك، وكان طويل القامة عريض الصدر عديم المثيل في الفروسيّة، نُفي إلى حمص في أيّام عثمان بسبب اصطدامه بسعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة، ولمّا اشتدّت المعاداة لعثمان عاد إلى الكوفة ومَنع والي عثمان الذي

(١) الاستيعاب ١/٢٥٣-٢٥٥.

(٢) المحبر ٢٣٣ في باب " من كان يركب الفرس الجسام، فتخط إبهاماه في الأرض ".

(٣) ينظر: الصحاح (شتر).

كان قد ذهب إلى المدينة آنذاك من دخولها، وتولّى قيادة الكوفيّين الذين توجّهوا إلى المدينة، وله أثر كبير في قتل عثمان سنة ٣٦هـ.

ومالك الأشتر هو الذي عانق عبد الله بن الزبير يوم الجمل فاصطرعا على ظهر فرسيهما حتى وقعا على الأرض فجعل عبد الله يصرخ من تحته: اقتلوني ومالكًا فلم يُعلم من الذي يعنيه لشدّة الاختلاط وثوران النقع، فلو قال: اقتلوني والأشتر لقُتلا معًا فلما افترقا قال الأشتر(١):

أعائشُ لولا أنّني كُنت طَاويًا ... ثَلاثًا لَألْفَيْتِ ابْنَ أُخْتكِ هَالكا
غَداةَ يُنادي والرِّماحُ تنوشُه ... كوقعِ الصياصيّ اقْتلوني وَمالكا
فنجّاهُ منّي شِبعهُ وشبابُه ... وأنّي شيخٌ لمْ أكُن متماسكا

ومات الأشتر في سنة تسع وثلاثين متوجّهًا إلى مصر واليًا عليها لعليّ (عليه السلام) إذ أرسل له معاوية من يدسّ له السمّ في العسل، ولّما وصل خبر مقتله إلى معاوية قال: إنّ لله جنودًا منها العسل. ثمّ خطب معاوية فقال: " أمّا بعد فإنّه كانت لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان، قطعت إحداهما يوم صفّين، وهو عمّار بن ياسر، وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر"(٢).

وكان الإمام (عليه السلام) يعتمد عليه ويدّخره للمهمّات، فقال فيه يوم موته: " كان لنا رجلًا ناصحًا، وعلى عدّونا شديدًا ناقمًا "(٣)، و" إنّه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم "(٤). وقال (عليه السلام): " رحم الله مالكًا، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "(٥)، وقال (عليه السلام): لما جاءه نعي الأشتر رحمه الله: " مَالكٌ

(١) ينظر: النجوم الزاهرة ١٠٦/١ ووفيات الأعيان ١٩٦/٧.
(٢) تاريخ الطبري ٩٥/٥.
(٣) نهج البلاغة، الرسالة ٣٤.
(٤) نهج البلاغة، الرسالة ١٣.
(٥) وقعة صفين ٥٤٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٨/١٥.

وَمَا مَالِكٌ! وَاللهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً، وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لاَ يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، وَلاَ يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ "[1].

ثانيًا: العهد الشريف

عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر يعدّ من جملة مآثر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو أطول عهوده، يحتوي على القواعد والأصول التي تتعلّق بالقضاء وإدارة الحكم في الإسلام، والتضامن الاجتماعيّ، والتعاون الإنسانيّ، وحسن الإدارة والسياسة، وبيان الخراج وأهمّيّته، والنظر في عمارة الأرض وصلاح البلاد، وأثر الصناعة والتجارة في حياة الأمّة.

ووصف الشارح ابن أبي الحديد المعتزليّ العهد بأنّه نسيجُ وحده، وهذا العهد صار إلى معاوية لّما سمّ الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر، فظلّ يتعجّب منه معاوية بعد أنْ صار إليه، وكذلك عهده (عليه السلام) إلى محمّد بن أبي بكر الذي استولى عليه عمرو بن العاص لّما قتل محمّدًا فبقي العهدان في خزائن بني أُميّة حتى وُلّي عمر بن عبد العزيز، فأظهر أحاديث عليّ (عليه السلام).

وجاء في مقدمة شرح محمد عبده للنهج: " أعثرني حسن حظّي على عهد جليل لفارس حلبة البيان أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعيّ لّما ولّاه مصر حين اضطرب أمر محمّد بن أبي بكر، ورأيت أنّه جَمع أمّهات السياسة، وأصول الإدارة، في قواعد حوَتْ فصاحة الكلم وبلاغة الكلام وحسن الأسلوب فدُهشت لّما لم أجد لهذا الكتاب تداولًا على ألسنة المشتغلين بالعربيّة من طلبة الأزهر والمدارس الأخرى، مع أنّه كان من الواجب أنّ مثل هذا الكتاب يحفظ في الصدور لا في السطور"[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠/٩٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده، المقدمة.

ويعدّ هذا العهد أقدم وثيقة تاريخية لحقوق الإنسان، وهو من أنفس الوثائق التاريخيّة الزاخرة بمبادئ الحكم وأساليب الإدارة وأصول التشريع وأخلاق المسؤولين؛ إذ يقول المفكّر المسيحي جورج جورداق في تعليقته على الدستور العلويّ: " فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان التي نشرتها هيأة الأمم المتّحدة إلّا ونجد له مثيلًا في دستور ابن أبي طالب، ثمّ نجد في دستوره ما يعلو ويزيد مع أنّ الأُولى نتاج عقول كثير من البشر مقابل نتاج عبقريّ واحد"(١).

وإذا كان العهد الشريف دستور حياة للحكومة الإسلاميّة بل للبشريّة جمعاء فإنّ نهج البلاغة كلّه قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبويّ، ونهج البلاغة وحدةٌ متكاملة أوّله يشبه آخره، وآخره معطوف على أوله، فملامح الحكومة العلويّة التي برزت على نحو جليّ في العهد الشريف تظهر تفاصيلها على نحو التأكيد واللزوم في سائر خطب نهج البلاغة ورسائله وحكمه، فقد أكّد الإمام (عليه السلام) موضوعات العهد الشريف بأقوال أخرى جُمعت في النهج، منها قوله عليه السلام: "لقد أصبحت الأمم تشكو ظلم رُعاتها، وأصبحت أشكو ظلم رعيّتي، ولقد كنت بالأمس أميرًا، واليوم مأمورًا، وكنت ناهيًا، واليوم منهيًّا"(٢)، فالإمام (عليه السلام) يرى أنّ الحكم تكليف لا تشريف، فأوصى عمّاله أنْ يقتدوا به في تطليق الدنيا، فقال (عليه السلام) في كتاب له لعامله عثمان بن حنيف: "أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلكَ، وَلكِنْ أَعِينُوني بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد، فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً. بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّماءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا

(١) الإمام علي: صوت العدالة الإنسانية ١٢١.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٨ ص ٤٥١.

نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ"[1]، وقال عليه السلام أيضا: " إنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ[2] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ! "[3].

وأكّد (عليه السلام) لواليه الأشتر أهمّية العلم بكتاب الله وسنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي كتاب له (عليه السلام) لعامله قثم بن العباس: " ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ على أهل العلم أنْ يعلّموا"[4]، وبنى (عليه السلام) حكمه على مكاشفة الأمّة بالقرار السياسيّ الإسلاميّ، ومصارحة الطبقات الشعبيّة بذلك. فهو (عليه السلام) يفهم الحكم على أنه تكليف شرعيّ وليس منصباً أو جاهًا فقال: "أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِم، وَلا سَغَبِ مَظْلُوم، لأَلقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلأَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذه أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز"[5]، وقال (عليه السلام) أوّل استلامه الحكم: "إنّ عليّ هذه الجبّة فإذا خرجت من الخلافة بأكثر منها فحاسبوني". وقال عليه السلام: "وَاللهِ لئنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ"[6].

وبيّن (عليه السلام) أنّ حكومته على منهج القرآن والسّنّة فقال: " إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَة وَلاَ

---

(١) نهج البلاغة الرسالة ٤٥ ص ٥٢٥.

(٢) يَتَبَيَّغ: يهيج به الألم فيهلكه.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ ص ٤٠٣.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٨.

(٥) نهج البلاغة الخطبة ٣، ص ٣٢.

(٦) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٣ ص ٤٣٢.

عَمىً، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ، وَعَلِمَ أعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً، وَعمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ "[1].

فحكومته (عليه السلام) انعكاس للشريعة الإسلاميّة، وإصراره (عليه السلام) على العمل بكتاب الله في تطبيق العدل سبّبَ له أزمات سياسيّة مع القريبين والبعيدين، فقاطعته قبائل قريش التي استأثرت بالمال والهبات في العهد الذي سبق ولايته، وتركه كثيرون وتوجّهوا صوب معاوية، وقد نصحه ابن عباس قائلًا: " فضّلِ العرب على العجم، وفضّلْ قريشًا على سائر العرب، فأجابه (عليه السلام) بقوله: "أ تأمرني أنْ أطلب النصر بالجور، لا والله ما أفعل ما طلعت شمس أو لاح في السماء نجم، لو كان مالهم لي لساويت بينهم، فكيف والمال مال الله؟!"[2]، فالمهمّ عنده (عليه السلام) إقامة العدل؛ إذ قال لابن عباس عندما لقيه في الكوفة والإمام (عليه السلام) يخصف نعله، " دخلت على أمير المؤمنين صلوات الله عليه بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمةَ لها! قال: والله لَهِيَ أَحَبُّ إِليَّ من إمرتكم، إلّا أَنْ أُقيم حقّاً، أَو أَدفع باطلًا "[3].

وركّز الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان على ثلاثة أمور: العدل، المساواة، الأخوّة، وكلّها في عهده (عليه السلام) وحكومته؛ إذ فتح باب الحوار مع المعارضين، ومارس الإقناع معهم وفرض (عليه السلام) الرفق بالرّعيّة على كلّ والٍ، فلا إرهاق ولا استغلالن فمن وصاياه المكرّرة لولاته على الأمصار: " فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاَءُ الأمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الأئِمَّةِ وَلاَ تَحْسِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ، وَلاَتَحْبِسُوهُ عَنْ

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٥، ص ١٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦ ص ٢٢٠.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٣٣ ص ٦٨.

طَلَبَته، وَلاَ تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاء وَلاَ صَيْف، وَلاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلاَ عَبداً، وَلاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَم "[1].

وفي وثيقة حقوق الإنسان أنّ البشر مولودون أحرارًا، ومتساوون في الحقوق، وقد وهبوا العقل والضمير وعليهم أنْ يعمل بعضهم مع بعض بروح الأخوّة. وهذا المعنى موجود في قوله (عليه السلام) في العهد الشريف: "الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"[2].

واتّسمت سياسته (عليه السلام) بكفالة حرّيّة الرأي، ولم يكن (عليه السلام) يؤاخذ أحدًا بالقوّة ولا يمنعهم من إبداء آرائهم، وينقل التاريخ أنّ عمر بن حريث مع سبعة نفر لّما خرجوا إلى مكان يسمّى الخورنق خرج إليهم ضبّ، فبايعوه بإمرة المؤمنين ناكثين بيعة الإمام (عليه السلام) ومستهزئين بها، ثمّ أفلتوه، فقدموا إلى المدائن والإمام (عليه السلام) يخطب في المسجد فلمّا دخلوا نظر إليهم (عليه السلام) من فوق المنبر فقطع حديثه قائلًا: " أيّها الناس إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسرّ إليّ ألف حديث، وإنّي سمعت الله جلّ وعلا يقول: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} ﴿الإسراء: ٧١﴾، وانّي أقسم بالله ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر يُدعَون بإمامهم وهو ضبٌّ ولو شئت أنْ أسمّيهم لفعلت"، فسَقط عمر بن حريث على الأرض حياءً ولؤمًا[3].

ولم يقطع (عليه السلام) عطاء الخوارج من بيت المال وأنفذه لهم مع خلافهم وانقلابهم عليه وكان يحاورهم، ولم يعاقب أحدًا منهم وعاملهم معاملة المفتونين، فقال: " ليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه"[4]، وكانت وصيته (عليه السلام) لّما ضربه ابن ملجم أنْ يكون

---

(١) نهج البلاغة الرسالة ٥١ ص ٥٣٩

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣ ص ٥٤٢

(٣) ينظر: نور الثقلين ١٩٢/٣.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٣.

القصاص عادلًا، فقال: "فإنْ أعش فأنا وليّ دمي... إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور"[1].

ولمّا سبّه بعض الخوارج -وهو يخطب في مسجد الكوفة- وقال "قاتله الله ما أفقهه"، فهمّ أصحاب الإمام (عليه السلام) بقتله فمنعهم (عليه السلام) قائلًا: "انّما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب"[2].

وحاور (عليه السلام) الناكثين إيمانًا منه بحريّة الاعتقاد، ولم يقتلهم أو يعاقبهم لإيمانه بأنّ العقوبة لا تكون إلّا بعد الذنب، فقال (عليه السلام) محاوراً طلحة في معركة الجمل: أ ولم تبايعني أبا محمّد طائعًا غير مكره، فقال طلحة: بايعتك والسيف على عنقي، قال: أ لم تعلم أنّي ما أكرهت أحدًا على البيعة ولو كنت مُكرِها أحدًا لأكرهت سعدًا وابن عمر ومحمد بن مسلمة أَبوا البيعة واعتزلوا فتركتهم. وقال لطلحة والزبير لمّا استجازاه في الذهاب إلى العمرة: " ما العمرة تريدان، وإنّما تريدان الغدرة، وسأستعين بالله عليكما"[3] فهو (عليه السلام) لا يكتفي بمعرفته بنواياهما، ما لم يتلبّسا بالجريمة. فلم يعتقلهما وكفل الحقوق السياسيّة لهما. وحريّة التعبير عن الرأي كفلها (عليه السلام) حتى للأطفال قائلًا: " لا تقصروا أبناءكم على تربيتكم فإنّهم خلقوا لزمن غير زمانكم "[4] أي افسحوا لهم مجالًا للتعبير عن آرائهم واختيار طريقتهم في الحياة ضمن الشرع الإسلاميّ.

ومن مظاهر حريّة العقيدة والمساواة بين الناس أنّه (عليه السلام) تألّم للمرأة الذّميّة كما تألّم للمُسلمة في خطبته بعد هجوم جيش معاوية على الأنبار التي يقول فيها: "وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ اَلرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى اَلْمَرْأَةِ اَلْمُسْلِمَةِ وَاَلْأُخْرَى اَلْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلاَئِدَهَا وَرُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ

(١) المناقب للخوارزمي ٣٤٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٠.

(٣) في ظلال نهج البلاغة ١٢٥/٤.

(٤) نهج البلاغة الحكمة ١٠٢.

بالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً"[1].

وكانت سياسته (عليه السلام) هي التوزيع العادل للثروات فحال دون تضخّم الثروة عند بعضهم لمّا عيّن ولاةً ذوي صفات حميدة لا بخلاء مفسدين، فقال (عليه السلام): "لا ينبغي أنْ يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمة "[2].

وساوى (عليه السلام) في العطاء بين واحدٍ من الأنصار وعبدٍ له، فقال الأنصاريّ: يا أمير المؤمنين هذا غلامٌ أعتقته بالأمس تجعلني وإيّاه سواء؟ فقال (عليه السلام): إنّي نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد اسحاق فضلًا، فهو (عليه السلام) ألغى الطبقيّة في أوّل خطبة خطبها، إذ قال: " أيّها الناس ألا لا يقولنّ رجال منكم غدًا قد غمرتهم الدنيا فاتّخذوا العقار، ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أنّ الفضل له على سواه لصحبته فإنّ الفضل النيّر غدًا عند الله "[3]، فالناس في الحقوق سواء لا محاباة لقويّ ولا إجحاف بضعيف، وقد عمد (عليه السلام) إلى القطائع التي وزّعت قبله على المقرّبين والرؤساء فانتزعها من القابضين عليها وأمر بردّها إلى بيت مال المسلمين لتوزيعها بين من يستحقّونها على سنّة المساواة، وقال قولته المشهورة: "والله لو وجدته قد تُزُوِّج به النساء ومُلك به الإماء لرددته فإنّ في العدل سعة ومن ضاق به العدل فالجور عليه أضيق"[4].

وقصّته مع أخيه عقيل خير دليل على عدله فلا يفضّل خاصّته على غيرهم، قال (عليه السلام): "وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٩١.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٥.

مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَة أَحْمَاهَا إِنسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَار سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الاذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً؟!"(١).

ولّما جاءته غنائم من أصفهان لم يبت ليلته حتى وزّعها، وعاتبه وزراؤه؛ لأنّه أيقظهم من النوم وكان بإمكانه توزيعها في الصباح، فقال لهم: " أنتم لا تضمنون لي عدم الموت غدًا "، وعُني (عليه السلام) بالجانب الزراعيّ واستصلاح الأراضي، وكان قبل خلافته (عليه السلام) يغرس النخل ويحفر الآبار وهي إلى اليوم ماثلة في منطقة (أبيار عليّ)، وكان (عليه السلام) يعطي الأراضي مجّانًا للناس ثمّ يساعدهم من بيت المال لأجل إحيائها، وكانوا يحصلون على الماء بحفر الأنهار والآبار بحرّيّة وبلا ضرائب تفرض عليهم، ولم يوجد فقير واحد في عهده (عليه السلام)، بدليل قوله (عليه السلام): " لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع "(٢).

والمقرّب لدى أمير المؤمنين مقرّب بورعه وتقواه وأمانته وإيمانه وهذا هو المعيار الرئيس الذي اعتمد عليه (عليه السلام) في انتخاب الولاة على الأمصار، أما ما اشتبه على بعض المرجفين من أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يختلف عن عثمان بن عفان لّما ولّى أبناء عمه من بني العباس وبني هاشم، فيكفي أنْ نسوق في ردّه قول العقاد: " إذ كان ممّا قيل مثلًا: إنّ عليًّا أقام عبد الله بن عباس على البصرة، وعبيد الله بن العباس على اليمن، ومحمد بن أبي

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٩.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.

بكر -ابن زوجته- على مصر، وهم أقرباؤه وخاصّة أهله، فهو إذن يصنع ما أنكره على حكومة عثمان من إيثار الأقرباء بالولايات وإقصاء الآخرين عنها.

ولكنّها كما قلنا مقارنة بالأشكال والحروف دون البواطن والغايات؛ لأنّ المقارنة الصحيحة بين العملين تسفر عن فارق بعيد كالفارق بيت النقيض والنقيض، فبنو هاشم لم يكن لهم متّسع لعمل أو ولاية في غير حكومة الإمام، ولم يكن للإمام معتمد على غيرهم بعد أنْ حاربته قريش وأشاعت الفرقة والشغب بين أعوانه من أبناء الأمصار، وهم مع هذا لم يؤثروا بالولايات كلّها، ولم يؤثروا بالذي خصّهم منها ليستغلّوه ويجمعوا الثراء من غنائمه وأرزاقه، بل كانوا يُحاسبون على ما في أيديهم أعسر حساب، وكانوا لتضييقه عليهم في المراقبة يتركون ولاياتهم ويستقيلون منها، كما فعل ابن عباس حين هجر البصرة إلى مكّة.

وقد بلغ من حسابه للولاة أنّه كان يحاسبهم على حضور الولائم التي لا يجمل بهم حضورها، كما فعل مع عثمان بن حنيف الأنصاريّ عامله على البصرة. و "رُوي أنّ شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين (عليه السلام) اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه (عليه السلام) ذلك، فاستدعى شريحاً، وقال:: بَلَغَني أَنَّكَ ابْتَعْتَ داراً بِثَمانينَ دينَاراً، وكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فيهِ شُهُوداً. فقال شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين. قال: فنظر إليه (عليه السلام) نظر مُغضب ثمّ قال ل:: يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، ولاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هذه الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أو نَقَدْتَ الثَّمنَ منْ غَيْرِ حلاَلكَ! فَإِذَا أَنْتَ قدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الاْخِرَةِ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتاباً عَلَى هذه النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هذه الدَّارِ بِدرْهَم فَمَا فَوْقُ. والنسخة هذه: هذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّت قَدْ أُزْعِجَ للرحيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ، وَتَجْمَعُ هذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ

أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الآفَات، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبات، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هذه الدَّارِ. اشْتَرَى هذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ، هذه الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْ دَرَك، فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ شَهِدَ عَلَى ذلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا"[1].

فلو أنّ الإمام اختصّ أقرباءه بالولايات التي يحاسبون عليها هذا الحساب لما كان في اختصاصه إيّاهم مستبيحَ حقٍّ ولا مستبيح مال، فكيف وهو لا يختصّهم إلّا بالقليل منها؟ فالمقارنة هنا مقارنة أشكال وحروف، وعيّن (عليه السلام) أهل الورع والإيمان والكفاءة مثل عمّار بن ياسر وسلمان المحمّديّ ومالك الأشتر الذي خصّه بهذا العهد الشريف، وما فيه من تأديب هو من باب (إيّاك أعني واسمعي يا جارة) لأنّ هذا العهد دستور حياة ينبغي على كلّ متصدٍّ للرياسة على الناس عبر القرون أنْ يعمل به ويهتدي بهديه.

---

(١) نهج البلاغة الرسالة (٣).

المقطع الأول: (في أعمال الحاكم)

وهو قوله عليه السلام " ومن عهدٍ له (عليه السلام) كتبه للأشتر النَّخَعي رحمه الله، ﴿لمّا ولاه﴾ على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمّد بن أبي بكر رحمه الله، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن:

بِسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

هذا مَا أَمرَ به عَبْدُ الله عَلِيٌ أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ في عَهْدِه إِلَيْه، حِينَ ولاَّهُ مصرَ: جِبْوَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا. أَمَرَهُ بِتَقْوَى الله، وَإِيثَارِ طَاعَتِه، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِه في كِتَابِه: مِنْ فَرَائِضِه وَسُنَنِه، الَّتي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِه وَقَلْبِه وَلِسَانِه، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصرَه، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ. ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلى بِلاَد قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْل وَجَوْر، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ في مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِه. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ".

المعنى العام[1]

ابتدأ المقطع بتوطئة لجامع النهج الشريف الرضيّ ذكر فيها المناسبة التي كُتبت فيها هذه الرسالة التي عُرفت بعهد مالك الأشتر؛ لأنّها كالوصية العامة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٣١-٣٢.

لولاة المسلمين جميعًا وذكر الرضيّ زمان العهد ومكانه وصاحبه وهو الأشتر النخعي، ثم شرع الرضي بسرد كلامه عليه السلام وفيه ابتدأ الإمام (عليه السلام) هذا العهد بتحديد السلطة التي أسندها للأشتر، وهي في أربعة أمور:

الأوّل: (جباية الأموال) وهي من الوظائف الماليّة.

الثاني: (جهاد العدو) الشؤون الحربيّة.

الثالث: (استصلاح حال المواطنين) ويشمل الأمن والثقافة والصحة ووظائف الدولة والخدمات، وما إلى ذلك من الشؤون الاجتماعيّة.

الرابع: (عمارة البلاد) وتعمّ الزراعة والصناعة والتجارة والإسكان والمواصلات.

وهنا أجملَ الإمام حقوق الرّعيّة على الراعي في توفير الأمن في الداخل والخارج، وتأمين الحياة الاقتصادية، والتعليم والتوجيه الاجتماعيّ، وإقامة العدل. ففي صدر هذا العهد أجملَ هذه الحقوق إجمالًا ثم فصّلها بعد ذلك تفصيلًا.

المستوى الصوتيّ

س: الفعل (اضطرب) في " حين اضطرب أمر أميرها " فيه إبدال صوتيّ، ما نوعه وعلّته؟

في الفعل أُبدلت التاء طاء؛ لأنّ أصل الفعل المجرد (ضرب) وعند بنائه على افتعل صار (اضترب)، فجاورت الطاء التاء في المخرج نفسه (الأسناني اللثوي) مع اختلاف في صفتيهما فالضاد صوت مجهور مطبق والتاء صوت مهموس مرقّق فسبّب ذلك صعوبة في النطق؛ لذا قورب بين الصوتين بقلب التاء طاء؛ لأنه صوت يشبه التاء في صفة الهمس ويشبه الضاد في صفة الإطباق فهو نظير لكليهما.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج أبنية الأفعال المزيدة الواردة في النصّ، مع بيان معاني الأحرف الزائدة في كلّ صيغة؟

١ـ ولّاه: فعل ماض لفيف مقرون، مزيد بتضعيف العين على (فعّل)، والتضعيف أفاد التعدية إلى المفعول الثاني إذ يقال: ولِي فلان الأمرَ وولّاه الوالي الأمرَ.

٢ـ اضطرب: ماض مزيد بهمزة الوصل والتاء على (افتعل) يفيد المطاوعة ومعنى المطاوعة هو أنّ أثر الفعل يظهر على مفعوله فكأنّه استجاب له، فمعنى (اضطرب فلان) أنّ ثمّة من ضربه بشيء محسوس أو معقول فظهر أثر ذلك الشيء عليه، وقد يقال إنّ (اضطرب) معناه المبالغة في الضرب للأمر، وهو جانب معنويّ يفهم منه عدم استقرار الوضع.

٣ـ تكفّل: ماض مزيد بالتاء وتضعيف العين، يفيد المبالغة في ضمان حصول النصر لمن نصر الله باتّباع أوامره، فكفل يعني: ضمن. وتكفّل أبلغ منه؛ لأنّ كلّ زيادة في المبنى توجب اختلافاً في المعنى، وقد يفيد (تكفّل) معنى التدرّج والاستمرار في حصول الفعل والمعنى المحصل من قوله (عليه السلام) " قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّه. أنّه تعالى ينصر أصحابه مع تعاقبهم في الأزمنة والعصور حتّى قيام الساعة.

٤ـ أعزّه: ماض مزيد بهمزة القطع ليفيد التعدية، والمجرّد: عزّ الشيء: قلّ وندر، وأعزّه: جعله عزيزًا لا يُقدر عليه.

٥ـ وجّهتك: ماض مثال مزيد بتضعيف العين، والتضعيف أفاد الجعل، وأصله من الوجه وهو ما يقابل به الشيء، يقال: وجُه بالضم وجاهة: صار ذا منزلة بين قومه، ووجّهت الشيء: جعلته على جهة.

٦ـ يُستدلّ: مضارع مبنيّ للمجهول، مزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، يدلّ على الصيرورة، أي: صار ذا دليلٍ يعلمه بما يريد. وحذفت همزة الوصل لصياغة المضارع.

٧ـ أحبّ: ماض مضعّف مزيد بهمزة القطع، والمجرّد يأتي لمعنى آخر من الباب الخامس وهو ظهور الحَبّ على البشرة، ويبدو أنّ الحُبّ بمعنى الودّ مشتقّ من الحَبّ على البشرة إذ يقال: حبَّه وأحبّه بمعنى أصاب حبّة قلبه كما يقال: جلده إذا أصاب جلده، ودمغه إذا أًصاب دماغه، وبطنه إذا أصاب بطنه وغير هذا ولكنهم ذكروا أنّ المجرّد (حبّ بمعنى ودّ) غير مستعمل فيبدو أنهم اكتفوا عنه بالمزيد (أحبّ) الدال على المبالغة منه ومع ذلك ذكر بعض المعجميّين المجرّد بمعنى الودّ فقالوا "حبّ الإنسان: صار محبوبًا وحبّ فلانًا: ودّه".

س: استخرج المصادر الواردة في النصّ، وبيّن دلالاتها؟

١ـ جباية: مصدر على فِعالة من جبيت المال أجبيه جباية، وهو مصدر دالّ على الحرفة لمن يقوم بجمع المال.

٢ـ جهاد: مصدر من جاهد على فِعال، دالّ على المشاركة.

٣ـ استصلاح: مصدر على استفعال من استصلح، أي: صيرورتها صالحة.

٤ـ عمارة: مصدر من عمَر الناس الأرض عِمارة يعمُرونها من الباب الأول، وهي عامرة معمورة، والتعمير مبالغة من العمارة الذي هو مصدر دالّ على الحرفة وهو في قوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ﴿التوبة: ١٩﴾، والآية نزلت في أمير المؤمنين الذي آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله. وفيها تعريض بمن ظنّ أنّ سقاية الحاجّ وعمارة المسجد أفضل من الإيمان والجهاد.

٥ـ إيثار: مصدر من آثر على أفعل إيثارًا (إفعالًا)، وهو تفضيل طاعة الله تعالى على كلّ شيء، والأصل: أأثر ثم سهلت الهمزة وجوبًا للقاعدة الصرفيّة في التقاء همزتين أوّل الكلمة، الأولى متحركة والثانية ساكنة فتقلب الساكنة حرف مدّ من جنس حركة الأولى.

٦ـ جحود: مصدر على فُعول من جحد يفيد تغيّر الشيء من حالٍ إلى آخر على نحو مفاجئ، وهو ما يعبّر عنه صرفيًّا بـ(العلاج)، والمصدر المقيس: (جحدًا).

٧ـ اتّباعها: مصدر على الافتعال من (اتّبع) على افتعل، أدغمت فاء اللفظة (تبع) في تاء الافتعال، وهو دالّ على المبالغة في التبعيّة.

٨ـ إضاعتها: مصدر على إِفَعْلَة على رأي سيبويه، أو على إفالة على رأي الأخفش، من: أفعل إفعالًا ثم حصل إعلال لالتقاء الساكنين (عين الفعل وألف الصيغة)، وزيادة الهمزة في الصيغة أفادت التعدية؛ لأن المجرد (ضاع) لازم و(أضاع) متعدٍّ.

٩ـ إعزاز: مصدر على إفعال من أعزّه: صيّره عزيزًا بزيادة همزة القطع على (أفعل).

١٠ـ الإنصاف: مصدر على الإفعال من أنصف على أفعل، وهو المعاملة بالعدل، وأنصفت فلانًا من فلان: استوفيت له حقّه دون أنْ أظلم أحدهما فكأني وقفت في النصف منهما، فالمجرد يدلّ على منتصف الشيء، يقال: نصفت الشيء إذا بلغت نِصْفَهُ. تقول: نَصَفْتُ القرآن، أي بلغت النصْفَ. ونَصَفَ عُمرَه ونَصَفَ الشيبُ رأسَه، ونَصَفَ الإزار ساقه. وعلى هذا المعنى دلت ألفاظٌ أخرى منها العَدل؛ إذ هو من العدل بالكسر ومعناه المِثْلُ. تقول: عندي عِدْلُ غلامك وعِدْلُ شاتِكَ، إذا كانَ غلاماً يَعْدِلُ غلاماً وشاةً تعدل شاةً، وأما المعنى الصرفيّ للإنصاف فهو مجاز من بلوغ نصف الشيء وإظهاره بعدما كان خافيًا؛ لأن نصف الشيء حقيقة في التوسط بين أمرين والمساواة بينهما وتعادلهما دون جور على أحدهما.

١١ـ التقوى: اسم مصدر من اتّقى اتّقاء، أي: اتّخذ وقاية، وهي الحفظ والصيانة، من وقى المجرّد، وقاه الله وقيًا ووقاية، والأصل (وَقْوى) على (فعلى) فأُبدلت الواو تاء، وفي (اتّقى اتّقاء) قلبت الواو تاء وأدغمت في تاء الافتعال.

س: الرحمة هي العطف الإلهيّ على الخليقة، وهي مأخوذة من مادّة (رحم) غير أنّ لها اشتقاقين متلازمين هما (الرحمن، الرحيم) فما الفرق الدلاليّ بين هاتين الصيغتين؟

الرحمن (فعلان) وهو صيغة مبالغة، أمّا الرحيم فهو (فعيل) صفة مشبّهة[1]. والفرق بين الصيغتين واضح بين المبالغة والثبوت، وإنّما تتلازم هاتان الدلالتان في صفة الخالق تعالى لتجمع دعوة المخلوق لخالقه في زمن الدنيا؛ إذ يحتاج فيها إلى دوام رحمة الخالق تعالى بصيغة الرحيم، ودعوة المخلوق لخالقه التي لا تخلو من المبالغة في طلب الرحمة في يوم شدّة الاحتياج إليها وهو يوم القيامة؛ لذلك يقال في حقّه تعالى: رحيم الدنيا ورحمن الآخرة، وكذلك تطلق لفظة الرحمن في الشدائد الدنيويّة التي يحتاج فيها إلى زيادة العطف الإلهي، وهاتان الصفتان لا يفصل بينهما بالعطف؛ لأنّهما يلازمان دعوة العباد في دنياهم وآخرتهم.

س: كيف توجّه صرفيًا دلالة لفظة (الأشتر)؟

هي صفة مشبّهة من الشَّتَر، وهو عيب دالّ على شقّ في العين، والعيوب تأتي صفة ثابتة في صاحبها من الباب الرابع، يقال: شتِرت عينه تشتر شَتَرًا إذا انقلب جفنها[2]، فهو أشتر على أفعل ومؤنثه شتراء على فعلاء، نحو: أعرج وعرجاء، غير أنّها في حقّ هذا المجاهد صفة للبطولة، فهي صفة مدح حازها لإقدامه في المعارك.

المستوى النحويّ

س: الجملتان (ومن كتاب له عليه السلام) و(بسم الله الرحمن الرحيم) تعربان خبرًا، عيّن المبتدأ لكلّ منهما.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١٠٦/١ والتحرير والتنوير ١٥١/١.

(٢) ينظر: الصحاح (شتر).

المبتدأ في الجملة الأولى تقديره: هذا العهد المذكور هو من كتابٍ لـه (عليه السلام)، ويجوز أنْ يكون المبتدأ مؤخّرا، والتقدير: من كتاب له (عليه السلام) قوله: بسم الله، وأما (بسم الله الرحمن الرحيم) فتُعرب خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: ابتدائي هو بسم الله، على رأي البصريّين، على حين يعربها الكوفيّون جاراً ومجروراً في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: قولي باسم الله الرحمن الرحيم.

س: استخرج الجمل الاعتراضيّة من النصّ، وبيّن محلّها الإعرابيّ ودلالتها.

الجمل المعترضة هي (عليه السلام)، (رحمه الله)، (سبحانه)، (جلّ اسمه). وهي جُمل لا محلّ لها من الإعراب تفيد الدعاء. أمّا سبحانه فتُعرب نائبًا عن المفعول المطلق والتقدير: أسبّحه سبحانه، والمعنى تنزيه الله تعالى.

س: ما نوع (إلّا) في قوله (عليه السلام): "لا يسعد أحد إلا باتّباعها" و"فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم الله"؟

(إلا) في الجملة الأولى أداة حصر سبقها نفي، والمعنى: السعادة هي اتّباع أوامر الله، و(إلا) أداة استثناء ملغاة، نحو قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} ﴿آل عمران: ١٤٤﴾، فلا يُراد بها إخراج جزء من كلٍّ، وفي الجملة الثانية (إلا) أداة استثناء أخرجت أصحاب النفوس الزكيّة الذين رحمهم الله لإخلاصهم وصدقهم من عموم الناس الذين تأمرهم نفسهم بالسوء ولم يعالجوها ويزكّوها، قال تعالى عن النفس {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} ﴿الشمس: ٩﴾، والنفس لفظ يفيد العموم لملحظ (أل) الجنسيّة، أي: كلّ النفوس عدا ما رحم الله تعالى.

س: لِمَ ورد المنادى مضمومًا في قوله (عليه السلام): " ثمّ اعلم يا مالكُ"؟

المنادى منصوب ولكنّه إنْ كان علَمًا أو نكرة مقصودة فإنّه يُبنى على ما يرفع به في محلّ نصب، فمثال العلم: يا مالكُ، وهو الأشتر، ومثال النكرة المقصودة، يا طالبُ، والمراد طالب مقصود.

س: لِمَ وردت لفظة (مصر) محرّكة بالفتح في قول الرضيّ: "لّما ولّاه على مصرَ" مع أنها مسبوقة بحرف جرّ؟

لأنّ هذه اللفظة اسم علم أعجمي سُمّي به هذا البلد فمُنع من الصرف للعلمية والعجمة كما في قوله (عليه السلام) وكذا في قوله تعالى: {وَقَالَ ادْخُلُوا مصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمنينَ} ﴿يوسف: ٩٩﴾، ورأى الزمخشري وغيره أنّ مصر معرَّب من لسان العَجَم، فإنّ أصله مِصْرائيم فعُرّب، وعلى هذا إذا قيل: إنّه علَمٌ لمكانٍ بعينه، فلا ينبغي أنْ يصرف لانضمام العُجْمة إليه، ولذلك أجمع الجمهور على منعه من الصرف في قوله تعالى: {ادخلوا مصْرَ}.

أما صرف اللفظة في قوله تعالى: {اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ} ﴿البقرة: ٦١﴾ فإمّا أنْ يكون المراد اسم البلد نفسه، ولكنه نوّن لسكون وسطه، كما نوّن نوح وهود عليهما السلام في قوله تعالى: { وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ معَنَا وَلَا تكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} ﴿هود: ٤٢﴾. وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ} ﴿الشعراء: ١٢٤﴾ أو يكون المراد بالمصر في هذه الآية بقعة من الأرض وليست علَمًا للبلد؛ لأنّ المِصْر في أصل اللغة: الحَدّ الفاصل بين الشيئي.

س: ما نوع (ما) في قوله (عليه السلام): " وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده"؟

(ما) الأولى زائدة كافّة لمجيئها بعد حرف التوكيد (إنّ) فكفته عن العمل، أمّا (ما) الثانية فهي اسم موصول، والجملة بعدها صلة لا محلّ لها من الإعراب، و(ما) وما بعدها في محلّ جرّ بالباء؟

س: في النصّ ألفاظ تُعرب بدلًا، عينّها وبين نوع البدل في كلّ منها

١ـ لفظة (ابن) في: محمد بن أبي بكر، مالك بن الأشتر، وهي بدل كلّ من كلّ، والبدل تابع للمبدل منه في الإعراب، فـ(ابن) الأول مرفوع؛ لأنّ المبدل منه (محمد) يعرب فاعلًا للفعل اضطرب. و(ابن) في العبارة الثانية منصوب؛ لأنّ المبدل منه (مالك) مفعول به للفعل ولّى.

٢ـ لفظة (عليّ) بدل من (عبد الله)، مرفوع؛ لأنّ المبدل منه فاعل وهو بدل كلّ من كلّ.

٣ـ لفظة (جباية) بدل من (مصر)، وهو بدل اشتمال؛ لأنّ مصر تشتمل في ولايتها على هذه الأمور من الجهاد واستصلاح الأهل وعمارة البلاد وجباية الخراج، وهذا نحو قوله: أعجبني زيد علمه، والبدل (جباية) منصوب؛ لأنّ المبدل منه (مصر) مفعول به للفعل (ولّى).

س: استعملت الأداتان (لّما) و(حين) اللتان تدلّان على الظرفيّة الزمانيّة الشرطيّة غير العاملة، فهل يمكن استبدال أحدهما بالأخرى في قوله (عليه السلام): " ومن كتاب له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعيّ... لّما ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها"؟

إنّ دلالة هاتين الأداتين واحدةٌ غير أنّ ثمّة فرقًا دقيقًا بينهما في الاستعمال فـ (لّما) تستعمل لتشمل الزمن المطلق فهي سواء في الماضي والمستقبل كما قوله تعالى: {وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} ﴿يس: ٣٢﴾ والزمن هو يوم القيامة وقوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} ﴿الأنعام: ٧٧﴾ وما بعد (لّما) يكون سببًا لما قبلها ففي قوله (ع) فقد كان تولّي الأشتر مصر سببًا لهذا الكتاب.

أمّا (حين) فتدلّ على التوقيت، وما قبلها مظروف بما بعدها أي إنّ كتابة العهد كان في زمن التولية وفي قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} ﴿النحل: ٦﴾ تكون الأنعام أكثر ما تكون جميلة في نظر مالكها في وقت رواحها من المرعى عصرًا وأقل من ذلك جمالًا حين السروح إلى المرعى صباحًا؛ ولذا تقدمت الصورة الأجمل على الجميلة في الآية الكريمة

ولم يلتفت إلى أنّ السروح مقدّم على الرواح في الزمن؛ لأن السياق ذَكر الجمال سابقًا.

المستوى المعجميّ

س: في لفظة (الخراج) حصل تطوّر دلاليّ، بيّن نوعه من خلال تتبّعك للاستعمال اللغويّ تاريخيًا.

لفظة الخراج اسم من أخرج يخرج إخراجًا، وهي في الأصل تدلّ على كلّ ما يخرج بمقدار معلوم محدّد، قال تعالى: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ﴿المؤمنون: ٧٢﴾، والخَرج هو اسم أيضًا من (أخرج) إلا أنّه يكون مقابل عمل، أي هو الأجر على عمل شيء وهو غير معيّن بالمال ولا بالمقدار[1] كما في قوله تعالى: {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} ﴿الكهف: ٩٤﴾، فهم أرادوا أنْ يدفعوا أجرًا لكنّ نوعه غير معيّن؛ لذا سمّوه خرجًا، أمّا الخراج فهو محدّد ممن يخرجه مقدارًا لا نوعًا؛ لذا قال: (فخراج ربك خير) لا يعلم نوعه، لكنّه سبحانه يقدّره بمشيئته، ثم تطور الخراج ليصير دالًّا على المقدار المعلوم نوعًا فضلًا عن كونه معلومًا مقدارًا وهو الضريبة التي تدفع على الأراضي الزراعيّة، وقيل: إنّها خصّت بعد هذا التخصيص أيضًا بما يفرض على أهل الذمّة من مال على أراضيهم، فاللفظ طرأ عليه تخصيص بعد عموم.

س: قرنَ أمير المؤمنين (عليه السلام) العدل بالجور، فهل يمكن أنْ يستبدل بالجور لفظة الظلم، وبالعدل لفظة الإنصاف الواردة في النصّ نفسه؟

أصل الظُّلم نقصان الحقّ وإخفاؤه وحجبه ومنه سُمي الظلام؛ لأنه تغطية للنور، وأما الجور فهو الْعُدُول عَن الْحق والابتعاد عنه، من قَوْلنَا: جَار عَن

(١) ينظر: المفردات (خرج).

الطَّرِيق إذا عدل عَنهُ. وقوبل بَين النقيضين فَقيل فِي نقيض الظُّلم: الإنصاف وَهُوَ إظهار الْحق وبيانه وذلك بلزوم نصفه وعدم التطرف فيه بغية إخفائه، وأما نقيض الْجور فهو الْعدْل والاستقامة وذلك باتباع الحق وعدم مخالفته. ولمّا كان الجور والعدل من الميل عن الحقّ وإليه، اقترنا في كلام أمير المؤمنين، فلا يمكن استبدال الظلم بالجور؛ لأنّ الظلم تغطية للحق وتعمية عليه. والجور ترك الحقّ جانبًا، وبهذا الملحظ سمي الجارّ جاراً؛ لأن بيته إلى الجانب من بيتك فيميل عن بابه يمينًا أو شمالًا [1].

س: استعمل (عليه السلام) الشحّ دون البُخل في قوله: "فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت"، فما الفرق اللغويّ بين اللفظين أم أنّهما مترادفان؟

اللفظان ليسا مترادفين وإنّما تتقارب دلالتهما على معنى المنع من الإعطاء، غير أنّ الشحّ هو منعٌ مع حرص وهو غريزة في النفس تحملها على الإمساك والتقتير. أمّا البخل فهو المنع فقط، وهو على هذا أقلّ مرتبة من الشحّ، واستعمل الإمام (عليه السلام) هذه اللفظة لإرادة الحرص على منع النفس من ارتكاب المحرّمات لا امتناعها فقط، وهو تأكيد أبلغ من النهي عن ارتكاب المحرّمات، أي احمل نفسك على الحرص على اجتناب المحرّمات، ثم عرّف الشحّ بالنفس بأنّه الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت، أيْ أنْ تردع نفسك عن الشرّ إنْ أحبّته، وتدفعها إلى الخير إنْ كرهته وصدّت عنه، والإقبال على الشيء المحرّم لا بدّ من أنْ يقابله منع شديد يؤدّيه لفظ الشّحّ، قال تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، وجاء اللفظ في سياق كلامه عليه السلام عمّن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فالإيثار على النفس يحتاج إلى التخلّص من الحرص الداخليّ حتى يصل إلى الفلاح [2].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢٣٠-٢٣٤.

(٢) الفروق اللغوية ١٧٦.

س: في قوله (عليه السلام): "ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها"، هل الجحود بمعنى الإنكار؟

الإنكار هو عدم معرفة الشيء {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} ﴿يوسف: ٥٨﴾. أمّا الجحود فهو عدم اعتراف بما هو ثابت في القلب معرفته وحقيقته، {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} ﴿النمل: ١٤﴾؛ ولذا فسّره الراغب الأصفهاني بأنّه نفي ما في القلب إثباته، فالإنكار هو امتناع عن قبول أوامر الله، وقد تكون عن عدم معرفة أو عن عناد وعصيان، أمّا الجحود فلا يكون إلا عن معرفة قلبيّة يقينيّة { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} ﴿الأنعام: ٣٣﴾؛ ولذا استعمله (عليه السلام) في النصّ لاقترانه بالجزاء وهو الشّقاء[١].

المستوى البلاغيّ

س: الالتفات أسلوب بلاغيّ له حالات متعدّدة، عيّنه في النصّ، وبيّن نوعه.

الالتفات[٢] من فنون علم المعاني؛ لأنّه يعنى بحال السامع، فهو أسلوب يستعمل لدفع الملل الحاصل من تكرار أسلوب المتكلّم به مع السامع، وذلك بتغيير جهة الكلام من الخطاب إلى الغيبة نحو: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ} ﴿يونس: ٢٢﴾، أو إلى التكلم وبالعكس، وكذلك يحصل الالتفات بتغيّر زمن التكلم من الماضي إلى المضارع أو الأمر أو بالعكس نحو: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} ﴿الروم: ٤٨﴾، ويحصل بتغيّر الضمائر بين إفراد أو جمع أو تثنية نحو: {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٤٦-٤٧.

(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢/٨٥-٨٦.

﴿البقرة: ١٧﴾. وفي القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام الأئمة الأطهار يؤتى بالالتفات لأغراض دلاليّة هي الاهتمام وتركيز الذهن على المعنى الملتفت إليه، وفي كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) نجد التفاتًا من الغيبة إلى الخطاب في قوله (عليه السلام): "هذا ما أمر به عبد الله عليٌّ أمير المؤمنين... أمره بتقوى الله... ثمّ اعلم يا مالك أنّي قد وجّهتك" وهو من الزمن الماضي إلى الحاضر، والغرض من الالتفات هو التنبيه على الملتفت إليه، فبعد أنْ أوصى الإمام (عليه السلام) بما هو من مباني الإسلام العامّة في التقوى ومخافة الله توجّه (عليه السلام) بالحديث عن خصوص هذا العهد وهو حال البلاد المرسل إليها، وهذا يستلزم تركيز الفكر على المهمّة الجديدة التي تشكّل محور هذه الرسالة.

وفي النصّ التفاتٌ من نوع آخر يندر استعماله وهو التحوّل من صيغة المبنيّ للمعلوم إلى المبنيّ للمجهول في قوله (عليه السلام): " واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يُسعد أحد إلّا باتّباعها ولا يَشقى إلّا مع جحودها وإضاعتها" ولهذه المغايرة في بناء الفعلين ملمحٌ دلاليّ يراد منه تنبيه الإنسان على أنّ أسباب شقائه هي من صنع يده واختياراته؛ لذا أسند الفعل للفاعل الظاهر على حين أنّ أسباب السعادة هي ما يهيّئه الله له فطرةً وتوفيقًا.

س: التوكيد من فنون علم المعاني[1] التي يراعى فيها حال المخاطب إنْ كان منكرًا أو متسائلًا أو رافضًا للقول، عيّن هذا الأسلوب.

يظهر هذا الأسلوب جليًا في استعمال حرف التوكيد (إنّ) في قوله (عليه السلام): { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} و(وإنّ الشحَّ بالنفس الإنصاف منها)، وكذلك يظهر في أسلوب القصر بـ(إنّما) في قوله (عليه السلام): "إنما يُستدلّ على الصالحين.. "؛ لأنّه يحصر الاستدلال على الصالحين بكلام العباد في مدحهم، وهو أكثر توكيدًا من استعمال حرف التوكيد (إنّ).

---

(١) خزانة الأدب ٥/١٥٤.

س: أسلوب التقديم والتأخير يراد به الاهتمام بالمقدّم، استخرج هذا الأسلوب وبيّن نوع التقديم.

في النصّ أنماط من التقديم والتأخير منها:

١ـ قوله (عليه السلام): "جرت عليها دول" إذ قدّم الجار والمجرور وهو المتعلّق على الفاعل (دول).

٢ـ في قوله (عليه السلام): "فليكن أحبَّ الذخائر إليك ذخيرةُ العمل الصالح" إذ قدّم خبر كان (أحبَّ) على اسمها وهو العمل الصالح.

س: أسلوب الفصل والوصل[1] من الأساليب البلاغيّة الخاصّة بالجمل، عيّنه واذكر الغاية منه.

إذا كانت الجمل المتتالية بمعنى واحد لم يحتج إلى أدوات الربط (حروف العطف)؛ لذا يسمّى عدم استعمال حروف العطف معها بأسلوب الفصل نحو: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ}، على حين إذا اختلفت معاني الجمل ولم يتساوَ معناها العامّ استُعملت أدوات العطف لربط بعضها ببعض، وهذا هو أسلوب الوصل، نحوك {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فالعبادة تختلف عن الاستعانة، وأسلوب الوصل نجده في النصّ المتقدّم في قوله (عليه السلام): " أمره أنْ يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات"، وفي قوله، "فاملك هواك وشحّ بنفسك".

س: في النصّ طباق استخرجه وبيّن نوعه.

الطباق أو المطابقة من فنون علم البديع[2]، وهو نوع من المحسّنات المعنويّة؛ إذ يجتمع لفظان في الكلام على نحو متقابل، وهو على نوعين: طباق الإيجاب إذا كانت اللفظتان متضادتين، أي: مختلفتين لفظًا ومعنى، نحو: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ}، وطباق السلب إذا اجتمعت لفظتان متشابهتان لفظًا ومعنى وبينهما نفيٌ وإثباتٌ، نحو: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ

(١) ينظر: الصناعتين ٤٣٨.

(٢) ينظر: البديع لابن المعتز ١٢٤.

اللَّهِ}، وفي النصّ طباق الإيجاب في قوله (عليه السلام): " إلى بلاد قد جرت عليها دول من قبلك من عدل وجور"، و" فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت "، و"لا يسعد أحد إلّا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها" وهذا الأسلوب يوضّح المعنى ويؤكّده لدى المتلقي.

س: في النصّ اقتباسات، استخرجها وبيّن الفنّ البلاغيّ الذي تنتمي إليه.

الاقتباس[1] من فنون علم البديع وهو من المحسّنات اللفظيّة، ويكون بإدراج آية من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف، وفي النصّ اقتباس من القرآن في قوله (عليه السلام): {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } وهو اقتباس من سورة يوسف الآية ٥٣، وكذلك في النصّ اقتباس من الحديث النبويّ في قوله (عليه السلام): "وأنْ ينصر الله بيده وقلبه ولسانه" مقتبس من قوله صلّى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهما: (مَنْ رَأى منكم مُنكَراً فاسْتطاعَ أنْ يُغيرَهُ بيده فليُغيرْهُ بيده، فإنْ لم يَسْتَطعْ فبلسَانه، فإنْ لم يَستطعْ فبقَلبِه، وذاك أضعفُ الإيمَان).

س: عُرف مالك الأشتر رضي الله عنه بالزهد والتقى، فلماذا صدرت الأوامر العلويّة له بالتزام هذه الخصال وهي من صفاته؟

أمر بذلك لوجهين:

الأوّل: التأكيد عليها من خلال التذكير بها، عملًا بقوله تعالى: {فَذَكِّرْ بِالقرآن مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} ﴿ق: ٤٥﴾، .

والثاني: أنّه على أسلوب (إيّاك أعني واسمعي يا جارة) وهو أسلوب بلاغيّ يراد به إسماع غير المخاطب من خلال إصدار الأوامر لمن هو أعلى منه رتبة فيفهم منه العمل بها على نحو ما نجد في أدعية الأئمّة عليهم السلام بالغفران وإبعاد الكسل والتوفيق للطاعة، وهم من يأتي بها كلّها فما دونهم من الخلائق أولى.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ٣٨١

المقطع الثاني: (في خصال الحاكم)

قوله (عليه السلام): " وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ للرَّعِيَّة، وَالْـمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطفَ بِهِمْ، ولاَ تكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، يؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي العَمْدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاَكَ بِهِمْ.

وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْو، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَة، وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَة وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلاَ تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ! إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّار، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَال ".

المعنى العام[1]

عرض عليه السّلام في هذا المقطع لبيان خصال الحاكم وعلاقته مع رعيته من العامّة والخاصّة لأنه والٍ على النّاس وبيده القدرة والأمر والنهي، وبيّنها في أمور هي:

١ـ أنْ يكون ملء قلبه المحبّة واللطف والرّحمة للرعيّة كافّة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٣٣-٣٤.

٢ـ أنْ لا يستقوي بقدرته عليهم فيصير ذئبًا وقع على غنم يأكلهم؛ لأنّ رعاياه إمّا إخوانه في الدّين كالمسلمين، وإمّا إخوانه في الإنسانية كغير المسلمين كافّة.

٣ـ أنْ يصفح عن خطاياهم ويعفو عن ذنوبهم لجهلهم بحقائق الأمور.

٤ـ أنْ لا يندم على عفو المجرم مهما كان.

٥ـ أنْ لا يسرّ ويفرح لعقوبة المجرم إذا اقتضتها الضرورة.

٦ـ أنْ يلازم الحلم ويجتنب الغضب.

٧ـ أنْ لا يفسد قلبه بحديث الرئاسة والسلطة.

٨ـ أنْ يطيل النظر والتدبّر إلى عظيم ملك اللّه حتّى يخضع قلبه ويدرك عجز نفسه الأمّارة بالسوء.

٩ـ أنْ لا يغترّ بالتفاف النّاس حوله فتطغى نفسه كفرعون الذي بارز اللّه في عظمته وجبروته، فأذلّه وصار عبرة لمن يخشى.

المستوى الصوتيّ

س: في قوله (عليه السلام): "ولا تقولن إنّي مؤمّر آمرُ فأطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب"، فُسّر الإدغال بالإدخال، فهل للتعاقب الصوتيّ على عين اللفظة أثر في التفريق بين دلالتهما الخاصّة؟

يشترك صوتا الخاء والغين في المخرج، فكلاهما صوت حلقي، وكذلك يشتركان في الرخاوة غير أنّ الخاء صوت مهموس، والغين صوت مجهور، والخاء صوت مفخّم على حين يكون الغين مرقّقا، ومن هنا نجد اللفظين يشتركان في معنىً عامّ هو الدخول، غير أنّ الدغل هو دخول فيه مفسدة، يقال: "أدغل في الأمر: أدخل فيه ما يخالفه ويفسده"[1]، وربّما يكون لصفتي الاستفالة والترقيق في صوت الغين دلالة على الخفاء غير موجودة في صوت

(١) الصحاح (دغل).

الخاء الأقرب إلى الاستعلاء والتفخيم، فصار الدخول مع الغين دالًا على الخفاء، يقال: دغل بمعنى دخل في مكان خفيّ ليختل الصّيد[1]، فهو دخول مريب؛ ولذا أطلق على النبات الدخيل الملتف مع الزرع دَغَلا[2]. ولاءمت هذه اللفظة ما يدخل في القلب من داء الكِبْر والعظمة.

المستوى الصرفيّ

س: ما حركة عين مضارع الأفعال الآتية، ولماذا؟ وضّح ذلك من خلال ذكرك للضوابط المعتمدة في صياغة الأبواب الصرفيّة.

١ـ يكُفّ عنك: الضمّ؛ لأنّ الفعل مضعّف متعدٍّ فهو من الباب الأول.

٢ـ يفيء إليك: الكسر؛ لأنّ الفعل أجوف يائي وهو من الباب الثاني.

٣ـ وترضى: الفتح؛ لأنّ الفعل ناقص مكسور العين في الماضي وأصله (رضِو) فأُعلّت ياؤه في الماضي (رضِو) بقلبها ياء لمكان الكسرة قبلها فصار (رضِي)، على حين أُعلت في المضارع بقلبها ألفًا للفتحة قبلها والفعل من الباب الرابع.

٤ـ ولا تندمنّ: الفتح؛ لأنّ الفعل سالم مكسور العين في الماضي (ندِم) لدلالته على الامتلاء بالأسف وهي من الصفات العارضة للإنسان والفعل من الباب الرابع.

س: اذكر أحرف الزيادة في الأفعال الآتية، وبيّن دلالتها.

١ـ وأشعِرْ: أمر من أشعرَ المزيد بهمزة القطع التي دلّت على الاتّخاذ، أي: اتّخذ الرحمة شعاراً، والشعار هو لباس بعد الدثار.

٢ـ تغتنمُ: مضارع افتعل المزيد بهمزة الوصل والتاء الدّالّة على الصيرورة.

٣ـ استكفاك: ماضٍ على استفعل المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء والزيادة دالّة على الطلب، أي: طلب حصول الكفاية في شأنهم.

---

(١) لسان العرب (دغل).

(٢) نفسه.

٤ـ ابتلاك: ماض على افتعل المزيد بهمزة الوصل والتاء الدّالّة على المبالغة من البلاء، والمجرّد بلا، يبلو، قال تعالى، {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} ﴿محمد: ٣١﴾.

٥ـ تبجّحنّ: مضارع على (تفعّل) حذف منه تاء المضارعة تخفيفًا، وهو مزيد بالتاء وتضعيف العين الدّالّة على الإظهار لما هو غير حسن على قلّة في بناء تفعّل أو دالّ على المبالغة من البجح وهو الفرح العارض المبني على زعم أو كذب.

٦ـ ولا تُسرعنّ: مضارع من أسرع المزيد بهمزة القطع الدّالّة على المبالغة.

٧ـ أحدث: ماض من أفعل المزيد بهمزة القطع الدّالّة على التعدية.

٨ـ يُطامن: مضارع من فاعل المزيد بالألف الدّالّة على المشاركة.

٩ـ يُذلّ: مضارع من أذلّ المزيد بهمزة القطع الدّالّة على التعدية.

١٠ـ يُهين: مضارع من أهان على أفعل المزيد بهمزة القطع الدّالة على التعدية.

١١ـ ولّاك: ماض من فعّل (ولّى) المزيد بتضعيف العين الدّالّة على التعدية إلى المفعول الثاني.

س: زن الكلمات الآتية، واذكر الدلالة الصرفيّة لكلّ لفظة.

١ـ رحمة: فعلة، اسم دالّ على المرّة الواحدة من الرّحم، وهو مصدر غير مستعمل، وقيل: الرحمة مصدر، واسم المرّة منه يكون بالوصف نحو: رحمة عظيمة.

٢ـ محبّة: مَفْعَلة، اسم يدلّ على تكثير الحدث في المكان نحو: مقبرة.

٣ـ اللُّطف: فُعل، مصدر للفعل لطُف من الباب الخامس.

٤ـ ضاريًا: فاعل، لمن اتّصف بالفعل لا من قام به من ضرِي على الباب الرابع فهو صفة مشبّهة.

٥ـ أخ: فع، اسم ذات محذوف اللام، وأصله بالواو (أخو) بدليل أخوان.

٦ـ الدِّين: فِعل، اسم معنى لما يدين به الإنسان أي: ينقاد ويطيع، من دنته أدينه، وأدنته دِينًا: أطعته إلى أجل مسمّى، وهو من الانقياد والذلّ، ففي الدين ذلّ.

٧ـ العلل: فِعل، جمع كثرة لعلّة على فِعلة، وهي نوائب الدهر التي تغيّر أحداثه.

٨ـ الخطأ: فَعَل، مصدر خطِئ يخطأ على الباب الرابع واضطربت المعجمات في التمييز بين الخطأ واشتقاقاته، والأظهر أنّ الخَطَأ مصدر مقيس من الباب الرابع نحو: فرِح فرحًا وحزن حزنًا الدالّ على الانفعالات النفسيّة العارضة، وقد يوصف به فيقال: شيء خطأ، من باب الوصف بالمصدر للمبالغة كما يقال: هذا رجل عَدْلٌ، وقد يكتفى بالصفة ويحذف الموصوف كما في قوله تعالى: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} ﴿النساء: ٩٢﴾ والأصل: قتلًا خطأ، أمّا الخِطء بالكسر فهو اسم مصدر من الخطأ، وهو اسم للذنب المرتكب عن قصد ودراية كما قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} ﴿الإسراء: ٣١﴾ ومثل الخِطء في التعمد والقصد (الخطيئة) وهي اسمٌ للذنب الكبير اكتسبت هذه الدلالة من بنائها الصرفيّ كالنطيحة والذبيحة، أما أخطأ فهمزته للتعدية: أخطأ الرامي الهدف: لم يصبه، وأخطأ الطريق: عدل عنه {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} ﴿الأحزاب: ٥﴾ ومصدره الإخطاء.

ومن مشتقات المزيد بالهمزة يظهر وقوع الخطأ على المفعول به ويجاوز الفاعل؛ ولذا ذكر المعجميّون أنّ الخطأ متعمد نابع من ذات الفاعل وأنّ الإخطاء غير متعمّدٌ؛ لأنه يجاوز الفاعل إلى المفعول به، وفي هذا قصور يبعد عن القصد؛ لأن القرآن استعمل المجرد والمزيد بالهمزة بمعنى عدم القصد، فالصحيح أنّ القصد في مشتقات هذا الجذر مفهوم من البناء الصرفيّ (فِعْل

بالكسر وفَعيلة) الدالّتين على الأسماء، لا من تعدية الفعل أو لزومه كما ذهب المعجميّون.

٩ـ عُقوبة: فُعولة، مصدر من عقَب يعقُب من الباب الخامس كالعذوبة والملوحة بمعنى الجزاء على الذنب، ويأتي المجرّد من الباب الأول عقب يعقب عقبا، أي، الجري بعد الجري، وآخر كلّ شيء عقبه، وعاقبه بذنبه آخذه به فهو اشتراك بين فعل وجزاء.

١٠ـ بادرة، فاعلة، اسم للعمل الذي تسرع به نحو الغير.

١١ـ مندوحة: مفعولة، اسم لما فيه سَعة من القول؛ ولذا قيل: "إنّ المعاريض لمندوحة عن الكذب" أي في التعريض بالقول من الاتساع ما يغني الرجل عن تعمّد ذلك، والندح: الأرض الواسعة، فيقال: إنك لفي مندوحة من كذا أي سعة، وفي حديث أمّ سلمة لعائشة عند خروجها للبصرة: "قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه"، أي: لا توسّعيه بالخروج إلى البصرة من ندحت الشيء ندحًا: وسّعته، وروي فلا (تبدحيه) وهو العلانية، أرادت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿الأحزاب: ٣٣﴾.

١٢ـ إدغال: إفعال مصدر من أدغل، والدغل الفساد مثل الدخل، يقال: أدغل في الأمر: أدخل فيه ما يفسده ويخالفه.

١٣ـ منهكة: مفعل، اسمٌ لتكثير الشيء في المكان، أي المبالغة في الأذى والعقوبة.

١٤ـ تقرُّب: تفعّل، مصدر من تقرّب يفيد التدرّج.

١٥ـ أبّهة: فُعّلة، اسم من التّأبّه، تأبّه فلان على فلان تأبّهًا، إذا تكبّر ورفع قدره عنه، والمجرّد أبه وأبه بفتح العين وكسرها، إذا فطن، وأبّه الرجل: إذا فطّنه، وما أبهت للأمر: لم آنس به لضعفه، أي: التّكبّر والعظمة المتزايدة.

١٦ـ مَخْيَلة: مَفْعَلة اسم لتكثير الحدث في المكان مشتقّ من خال يخال خَيلًا وخَيَلانًا بمعنى ظنّ وهو من باب ظنّ وأخواتها، وفلان يمضي على المخيّل، أي

ما اشتبهت نفسه من غير يقين فهو على غرر. والمخيلة مظنّة الشّك، أي: موضعه؛ لذا هو متكبّر معجب بنفسه لظنّه فيها ما خالف حقيقته.

١٧ـ طماح: فعال، مصدر من طامح الدالّ على المشاركة.

١٨ـ مساماة: مفاعلة، مصدر من سامى، أي قابله في الارتفاع والعلوّ فهو يباريه في العلوّ، دالّ على المشاركة.

١٩ـ عَظَمَة: فعلة، مصدر من عظُم دالّ على الجانب المعنويّ وهو في حقّه تعالى، أمّا في حقّ الإنسان فهو ذمّ؛ لأنّه تكبّر، وأمّا فيما هو ماديّ فالمصدر العِظَم بكسر فائه وفتح عينه وكلاهما من الباب الخامس.

٢٠- تشبّه: تفعّل، مصدر من تفعّل، يدلّ على إظهار الشبه.

٢١ـ جبروت: فعلوت، صيغت دالّة على المبالغة في المصدر ومثله الرهبوت والرحموت.

٢٢ـ مختال: مفتَعل، اسم فاعل من اختال أي تكبّر، والمجرّد خال، وهو الظنّ، واختال: تصرّف بطريقة تدلّ على التباهي، ولفظ المختال يجوز أنْ يكون اسم فاعل واسم مفعول معًا والفيصل بينهما هو السياق؛ لأن حركة ما قبل الآخر مقدرة على الألف، فمثال اسم الفاعل ما قاله عليه السلام، ومنه قوله تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} ﴿لقمان: ١٨﴾ وهو فاعل الاختيال، ومثال اسم المفعول قولنا: المالُ مختالٌ فيه.

٢٣ـ جبّار: فعّال، صيغة مبالغة من الجبر، وهو أصل دالّ على القوّة، جبر العظم، قوّاه، فهو جابر وجبّار، وفي حقّ الخالق بمعنى قاهر الجبابرة، وفي حقّ الإنسان هو المتسلّط المتكبّر الذي يتعالى عن قبول الحقّ.

٢٤ـ الرّعيّة: فعيلة، والتاء فيها للنقل إلى الاسميّة، أي ما يرعاه الوالي وهم عامّة الشعب، والمرعيّ: ما يقوم الوالي وغيره برعايته ثمّ خصّت بدخول التاء بالفئة التي يرعاها وليّها دون غيرها، قال صلى الله عليه وآله وسلم "كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته".

س: تفسّر صيغة (فعيل) في قوله (عليه السلام): (أو نظير لك) على أنّها بمعنى (مناظر) أو (نِظْر) وحكى أبو عبيدة: (النِظْرُ والنَظيرُ بمعنًى واحد، مثل الندّ والنديد. فكيف يمكن نقض الترادف الدلالي التامّ بين الصيغ؟

يراد بالنظر تأمّل الشيء بالعين، وفي حديث عمران بن حصين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "النظر إلى وجه عليّ عبادة"، قال ابن الأثير: قيل معناه أنّ عليًا كرّم الله وجهه كان إذا برز قال الناس: لا إله إلا الله ما أشرف هذا الفتى، ما أعلم، ما أكرم.. ما أشجع، فكانت رؤيته (عليه السلام) تحملهم على كلمة التوحيد"، وصيغة فعيل من هذا الأصل، يراد بها المثل والشبيه، فنظيرك: الذي يناظرك وتناظره، فلان نظيره، أي: مثله؛ لأنّه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء، وتفسير النظير بمعنى المناظر هو لتقريب المعنى، ولا يعني الترادف التام بينهما؛ لأنّ صيغة فعيل تدلّ على الطبائع والصفات الثابتة، ولمّا كانت المشابهة بين المنظورين في الخلق وهو الهيأة التي أوجدها الخالق على هذه الصورة الظاهرة للعين دلّت المشابهة على الثبوت، فجاءت على فعيل لحصولها دون انفكاك ولا تغيير ثم تصرّفوا بها في غير العاقلين، أمّا المناظر فهو مشابه في لحظة النظر لا على سبيل الدوام، وهو وصف يقع من اثنين لما فيه من معنى المشاركة؛ ولذا شاعت المناظرة بمعنى التحاور والنقاش، فالمناظر هو المشابه لصاحبه بالنظر العينيّ وهو تأمُّلُ الشيء بالعين، فهي صيغة مؤقّتة خلافًا لفعيل الدائمة في الخلقة الظاهرة أو السجيّة الكامنة.

ولم يقل (عليه السلام) شبيه لك؛ لأنّ المشابهة تكون في الملامح الخارجيّة، وهذا غير مراد، فالنظير هو المقابل لنظيره في جنس أفعاله؛ إذ الناس متساوون في أفعالهم البشريّة ومتكافئون في حاجاتهم الأساسيّة للماء والهواء والعوارض المؤثرة من الأمراض والآفات الأخرى.

س: ممّ اشتقّ (يطامن) في قوله (عليه السلام): (فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك) ذكر الراغب أنّ الجذر (طمن) بمعنى السكون بعد الانزعاج ومنه {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ} ﴿آل عمران: ١٢٦﴾،

وذكر صاحب اللسان أنّ (طمن) غير مستعمل في الكلام وإنّما اطمأن، وذهب سيبويه إلى أنّ اطمأن مقلوب طأمن، وقال بعضهم: إنّه كاحمارّ ثم هُمز، واستعمال أمير المؤمنين (يطامن) فيه دليل قطعي على أنّ المجرد هو (طمن) وعليه بُني (طامن) مزيداً بالألف، ثم اشتق منه (طمأن) ملحقاً بالرباعي بزيادة الهمزة ثالثة، ومن هذا اشتقّ (اطمأنّ) بزيادة همزة الوصل في أوله والتضعيف في آخره كما في (اشرأبّ) من شرأب واشمأزّ من شمأز واقشعرّ من قشعر، وغير هذا كثير من الأفعال التي وزنها افعللّ.

المستوى النحويّ

س: ما نوع (لا) في: (ولا تكونّن عليهم سبُعًا ضاريًا)، و(فَإِنَّه لاَ يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِه)؟

(لا) في القول الأوّل هي الناهية، والفعل مجزوم بها وحُرّكت لامه بالفتح لأجل نون التوكيد. أمّا في القول الثاني فهي لا النافية للجنس، تعمل عمل (إنّ)، و(يدَي) اسمها مبنيّ على ما ينصب به وهو الياء؛ لأنه مثنى وخبرها محذوف وجوبًا، و(لك) جارّ ومجرور متعلّق بالخبر المحذوف. وحذفت نون المثنى للبناء؛ لأن نون المثنى بمنزلة التنوين في الاسم المفرد، ولما حذف تنوين المفرد بعد لا النافية للجنس نحو (لا طالبَ في الصف) حُذف كذلك نون المثنى ونون الجمع فيقال: لا طالبَي في الصف بدلًا من (لا طالبِين) إنْ أُريد نفي جنس المثنى كلّه، ولو ثبت التنوين والنون لكان النفي للأفراد وتكون (لا) نافية وما بعدها مرفوع، واليد لفظ محذوف اللام والأصل: (يَدْي) فحذفت الياء حذفًا سماعيًّا وأعربت بالحركات.

س: ما نوع الواو في قوله (عليه السلام): (إياك ومساماة الله في عظمته) وفي (وأشعر قلبك الرحمة للرعية)؟

الواو في القول الأوّل هي واو المعيّة التي لا تفيد اشتراك ما قبلها مع ما بعدها في الحكم بل تدلّ على المصاحبة، والاسم بعدها منصوب، فالمساماة

منصوب على أنّه مفعول معه، أمّا في القول الثاني فالواو عاطفة تفيد اشتراك ما قبلها وما بعدها في الحكم، ويكون ما بعدها تابعًا لما قبلها، فهي عطفت فعل الأمر (أشعرْ) على فعل الأمر قبله (شحَّ بنفسك).

س: ما نوع الفاء في قوله (عليه السلام): (إنّي مؤمّر آمر فأطاع)، وقوله: "وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك" و(وأشعرْ قلبك الرحمة للرعية... فإنهم صنفان... فأعطهم من عفوك)؟

الفاء في القول الأوّل عاطفة؛ إذ عطفت الفعل المبنيّ للمجهول من المضارع أطاع على الفعل المبنيّ للمعلوم من المضارع آمر، والفاء في القول الثاني واقعة في جواب الشرط غير الجازم بالأداة (إذا)، والفعل (انظر) أمر مجزوم وعلامة جزمه السكون، والفاء في القول الثالث هي الفاء التفريعيّة التي تسمّى أيضًا الفصيحة؛ لأنّها تبيّن الحدود الفرعية لما هو مجمل.

س: ما نوع التنوين في قوله (عليه السلام): " ولا غنًى لك عن عفوه ورحمته "، وفي "ولا تندمنّ على عفوٍ "؟

في القول الأول التنوين هو تنوين العوض عن الألف المحذوفة لفظًا لا خطًا، وغنًى اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح في محل نصب اسمها، أمّا في القول الثاني فالتنوين هو للتنكير الذي يفيد العموم، أي لا تندمن على عفوٍ أصدرته.

س: أين المفعول به الثاني في ما يأتي؟

١- (وأشعرْ قلبك الرحمة للرعية).

المفعول الأول لأشعر هو (قلبك)، والثاني هو (الرحمة).

٢- (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أنْ يعطيك الله من عفوه وصفحه).

المفعول به الثاني للفعل أعطى هو (مثل) والمفعول الأوّل هو الهاء في أعطهم، و(مثل) مضافة إلى (الذي) والفعل (تحبّ) صلة للموصول لا محلّ

لها من الإعراب، ويجوز أنْ تعرب (مثل) صفة للمفعول به المحذوف، أي: أعطهم عفواً مثل الذي تحب.

٣ـ (وقد استكفاك أمرهم).

المفعول الأول هو الضمير الكاف في (استكفاك)، والمفعول الثاني (أمرهم)، أي: طلب منك كفاية أمرهم.

س: استخرج الجُمل التي لها محلّ من الإعراب، وبيّن هذا المحلّ.

١ـ جملة: (يفرط منهم الزلل)، في محلّ نصب حال من اسم إنّ وهو الضمير (هم).

٢ـ جملة (تغتنم أكلهم) في محلّ نصب حال من اسم كان.

س: كيف تعرب (فوقك) في قوله (عليه السلام): ووالي الأمر عليك فوقك؟

فوق: ظرف مبنيّ على الفتح مضاف إلى الكاف وهو في محلّ رفع خبر للمبتدأ (والي الأمر).

المستوى المعجميّ

س: ذكر الإمام (عليه السلام) لفظتي الزلل والخطأ في قوله: "يفرط منهم الزلل... ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ" فما الفرق بينهما؟

كلا اللفظين بمعنى مجانبة الصّواب، غير أنّ الخطأ لا يلحظ فيه سوى تعدّي الصواب ومجاوزته إلى غيره، حتّى عدّه ابن فارس من معتلّ اللام الذي يهمز[1]، فكأنّه خطوة في الاتجاه غير الصحيح.

أمّا الزلل فيلحظ معه سبب مجانبة الصواب، فهو خطأ يجرّ صاحبه إلى كبيرة ومصيبة أعظم كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) ينظر: مقاييس اللغة ١٥٤/٢.

جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٠٨ - ٢٠٩﴾، وفي الغالب يكون السبب غير إراديّ، أي بتهيئة الظروف الخارجيّة المحدثة للزلل، فالأصل فيه قولهم: زلّت قدمه في الطين: انزلقت، فالطين سبب للوقوع والانغماس فيه، قال تعالى بعد نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} ﴿البقرة: ٣٦﴾، أي: عمل على جرّهما نحو الخطأ، وتسبّب بإخراجهما من الجنّة عن طريق القسم بالذات الإلهيّة بأنّه ناصح لهما، فهذا زلل لا تعمّد فيه، وقد يكون الزلل في اللسان، وذلك بأنْ تسقط السقطة ولا يريدها، ولكن تجري على لسانه بفعل التّسرّع تشبيهًا بالماء الزلال العذب؛ لأنّه يزلّ عن ظهر اللسان لرقّته، وقد يكون سبب الزلل ناشئًا من التهاون في الأعمال {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} ﴿آل عمران: ١٥٥﴾، {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ﴿النحل: ٩٤﴾، أي بالأيمان الماكرة يزلّ المؤمن.

والملحوظ أنّ الخطأ والزلل يقعان سهوًا لا عمدًا؛ إذ قوبل الخطأ بالعمد في قوله تعالى: { وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} ﴿الأحزاب: ٥﴾، وفي قوله (عليه السلام): " يؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ".

وكذلك الزلل لا عمد فيه نحو المعصية، وإنّما هو انزلاق إليها بظرف موجب لها، بدليل النظير الصوتيّ وهو مادّة (زلق) في قوله تعالى: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} ﴿القلم: ٥١﴾، فالتثليث الصوتيّ يوضّح الانجرار نحو المعصية دون قصدها.

وفي قوله (عليه السلام) "يفرط منهم الزلل" بيان لهذا الانجرار بدافع التّسرّع؛ إذ تصدر الزلّة بالفعل (فرط) الدالّ على السبق والتقدّم، يقال: فرط

أصحابه: إذا تقدّمهم للماء فرطًا وفروطًا، وكأنّ الزّلة تسبق منهم رغمًا عنهم؛ ولذا على الوالي أنْ يغفر ذلك وأنْ يعالج أسباب الزلل في مجتمعه.

ومن الألفاظ القريبة من الزلل والخطأ لفظ الغلط، وهو وضع الشيء في غير موضعه، ويجوز أنْ يكون صوابًا في نفسه، على حين الخطأ لا يكون صوابًا على وجهٍ، وقيل: الغلط يكون في المنطق والكلام، وهو أنْ لا تعرف وجه الصواب فيما تقول، فيكون بدون قصد، بينما الخطأ يكون في الأفعال بغير قصد، فالغلط يمكن إصلاحه؛ لأنّه أخطأ وجه الصواب[1].

س: ما الفرق بين العفو والصفح في قوله (عليه السلام): "فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أنْ يعطيك الله من عفوه وصفحه"؟

إنّ العطف بين الألفاظ يدل قطعًا على المغايرة بينها، وقد ذكر اللغويون الفرق بين العفو والصفح في معرض التفاتهم لتوضيح هذين اللفظين في قوله تعالى: { فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ﴿البقرة: ١٠٩﴾ وآيات أخرى جمعت بين اللفظين، فذكروا أنّ العفو هو إسقاط للعقوبة من دون إسقاط الذنب، فمن عفا عن أحد فقد امتنع عن العقوبة مهما كانت إلّا أنّ المؤاخذة على الذنب لا تسقط، بل تحجب تفضّلًا منه واختبارًا لهم {فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا} ﴿النساء: ١٥٣﴾ أي: أعطى سبحانه فرصة للتوبة، وكذلك قال تعالى في حقّ المنهزمين في القتال من الذين آمنوا، إذ أعطاهم فرصة أخرى للمشاركة في قتال الكفّار بعد فرارهم في معركة أحد، وبيّن سبحانه علّة العفو فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} ﴿آل عمران: ١٥٥﴾. أمّا الصفح فذكروا أنّه: التجاوز عن المذنب تمامًا بترك مؤاخذته وعقابه، وأصله من إبداء صفحة جميلة من الوجه، فالصفح أعلى من العفو والمسامحة؛ إذ المسامحة: إيقاف

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٥٥.

المؤاخذة والذمّ بغضّ النظر عن إسقاط العقوبة عن المذنب وكأنّ شيئًا لم يكن[1].

س: ما الفرق بين الإسراع والمبادرة في قوله (عليه السلام): "ولا تسرعنّ إلى بادرة" وما يرادفهما كالسبق والعجل؟

يمكن القول: إنّ الألفاظ الثلاثة: (بدر، سرع، سبق) تأتي تباعًا، والمعنى الجامع لها هو الحركة المنتظمة نحو نقطة الختام، فبداية الحركة هو البدر؛ لذلك يقال: بادر إلى الشيء بمعنى أوّل شروعه فيه، ويبدو أنّ البدر سمّي بذلك؛ لأنّه أوّل ضياء القمر، فالبدر يبدأ في الليلة التاسعة إلى الثانية عشرة، قال تعالى: { وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا } ﴿النساء: ٦﴾ فكلمة (بدار) مصدر بادر الدالّ على المشاركة، فهي تدلّ على النهي عن تسابق أولياء أمور اليتامى إلى أكل مال اليتيم قبل أنْ يدرك الحلم، فالبدار هو ابتداء أكل مال اليتيم، وهذا هو المعنى اللغويّ؛ لأنّ بدر يدلّ على أوّل الحركة.

أمّا السرعة فتأتي بعد المبادرة، وهي خلاف البطء، يعني الانتظام في ميدان سباق قبل بلوغ نقطة الختام، قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} ﴿آل عمران: ١٣٣﴾، أي: اشتركوا في السرعة حتى إذا وصل أحدكم إلى نقطة النهاية قيل له: سابق، ولمن بعده مصلّ ثمّ لاحق، فالسابق إلى الشيء الذي تقدّم على مجموعته في بلوغ الهدف، والسباق هو بلوغ نقطة الختام؛ لذا تكون آية (وسابقوا إلى مغفرة) هي الأبلغ في الإيمان؛ لأنّها تحثّ على بلوغ نقطة الختام وعدم الانسحاب اكتفاء بالسرعة غير المثمرة، ومن هنا نفهم قيمة المدح الإلهيّ لمن بلغ الدرجة الرفيعة في الإسلام في قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

---

(١) ينظر: ٢٣٥ -٢٣٦.

﴿التوبة: ١٠٠﴾، أي: الذين أسرعوا ثمّ وصلوا إلى أعظم غايات الإسراع في نصرة الإسلام؛ ولذا لا تشمل هذه الآية كلّ من أسرع في إظهار الإسلام، وإنّما تخصّ من وصل فيه إلى أعلى مراتب النصرة والطاعة، فثمة من أظهر الإسلام أوّلًا، ولم يكن منه إيمان ونصرة ولم تفده هجرته قبل غيره كعبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة الذي كان أوّل المهاجرين إلى الحبشة ثمّ ترك الإسلام وتنصّر. ولمّا رجعت زوجه من الهجرة تزوّجها الرسول صلى الله عليه وآله.

أمّا العجلة فهي حركة عشوائيّة بلا هدف ولا نقطة ختام؛ لذا غلبت في موارد الذمّ، وسمّي العجل عجلًا لحركته الهائمة بلا هدف، وسمّيت الوالهة من الإبل التي فقدت وليدها عجول، وسمّيت الدنيا العاجلة، وأمّا {قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إليك رَبِّ لِتَرْضَى} ﴿طه: ٨٤﴾ فقد ارتقت دلالتها؛ لأنّ مآلها إلى الله، وإنْ تبعها ارتداد قوم موسى (عليه السلام) بعد تركه لهم وذهابه إلى ربّه تعالى[1].

ولذا نجد الإمام (عليه السلام) يذكر إسراع الوالي إلى البادرة، وهي اسم على زنة فاعلة لأوّل ما يخرج من فم الإنسان لحظة غضبه وحدّته، يقال: كانت منه بوادر، أي: سقطات؛ لأنّ أوّل ما يخرج لا يكون عن وعي ساعة الغضب، فهو من الأخطاء والزلّات، فنهاه الإمام (عليه السلام) عن هذا النوع من الكلام.

س: عبّر (عليه السلام) عن حدّة الطبع بلفظة الغرب: " ويكفّ عنك من غربك"، ما نوع التطور الدلاليّ الحاصل لهذه اللفظة، وضّحه عن طريق متابعة التأصيل المعجميّ للفظة؟

هذه اللفظة دالّة على الخفاء، وأصل إطلاقها من الغارب، وهو عنق البعير الذي يلي السنام العالي، سمّي بذلك لانخفاضه وخفائه بين سنام البعير ورأسه.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢٠٤.

وأطلق الغرب على الدّلو العظيمة لكثرة ما تخفيه فيها من المياه، ويطلق الغرب على حدّ السيف؛ لأنّه يختفي في المقتول، ثمّ تطوّرت الدلالة نحو المعنويّات المجرّدة، فسمّي ما يقابل الظهور (غرب) وهو الجهة التي تقابل الشرق، وبملحظ الخفاء في جهة الغرب اشتقّ لكلّ عجيب صيغة من هذا المعنى، فالغربة لما فيها من أمور خفيّة تنتظر المبتعد عن وطنه، وكذا الغراب؛ لأن صوته يؤذن بالاغتراب والترحال على وفق ما شاع في العرف العربيّ، وكذا أطلق الغرب على الحدّة في الطبع؛ لأنّ الغاضب يخرج قليلًا من كثير يخفيه في نفسه، وهذا يعني حصول تخصيص دلاليّ للفظة[1].

المستوى البلاغيّ

س: في قوله (عليه السلام): (ولا تكونن عليهم سبُعًا ضاريًا) تشبيه، بيّن نوعه وطرفيه.

التشبيه من النوع المجمل؛ إذ حذفت أداة التشبيه فيه، وبقي وجه الشبه والمشبّه والمشبّه به، فشبّه الوالي بالأسد من حيث الضراوة وهي الجُرأة على الافتراس، وكذلك الوالي إذا شابه السبع الضاري صار ظالمًا للرعيّة ومع أدنى طبقاتها بلا رحمة.

س: ما نوع المجاز في قوله (عليه السلام): "فإنه لا يدَي لك بنقمته" و"يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأ"؟

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب بقرينة صارفة عن إرادة ما وضع له، وهو من فنون علم البيان[2]. ولفظة (اليد) حقيقة يراد بها العضو المعروف الذي يشمل الكفّ والساعد والعضد، وتستعمل مجازًا لمعان عدّة، نحو: الإنعام أو القوّة أو التسبّب في حصول أمر ما، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ

(١) ينظر: لسان العرب (غرب).

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ٣٥٩-٣٦٠.

يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} ﴿المائدة: ٦٤﴾ و{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ﴿المؤمنون: ٨٨﴾ أي هو القادر على انفاذ أمره، { أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ } ﴿البقرة: ٢٣٧﴾ أي القادر على التصرّف.

وفي قوله (عليه السلام): "فإنه لا يد لك بنقمته" استعملت اليد بمعنى القدرة على مواجهة نقمة الخالق تعالى، فهو مجاز لغوي مرسل علاقته السببية؛ لأن اليد أداة البطش وسبب للقوة والقدرة، أما قوله عليه السلام: " يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأ" فمجاز مرسل بعلاقة الجزئية؛ لأن اليد جزء من سائر أجزاء جسد الإنسان الذي يبدر منه الغلط والخطأ. وفي الكلام كناية عن كونهم غير معصومين.

س: ما المراد بأسلوب التّقسيم من فنون علم البديع، عرّفه واستشهد له من كلام الإمام (عليه السلام).

التقسيم هو استيفاء المتكلم أقسام الشيء بحيث لا يغادر شيئًا، وهو آلة الحصر ومظنّة الإحاطة بالشيء، سمّاه الزمخشريّ التفصيل، وهو أسلوب بلاغيّ يتطلب خبرة ويحتاج إلى ملكة لغويّة[1]، ونجده في الاستعمال القرآنيّ نحو قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} ﴿فاطر: ٣٢﴾ وكذا في الحديث الشريف: "آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان"، ونجد هذا الأسلوب في كلامه (عليه السلام) في عدّة مواضع من النهج، ومنها قوله (عليه السلام): " الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق" فهذا تقسيمٌ عامٌّ للإنسانية كلّها، يجعل الناس كلّهم على اختلاف ألوانهم وأديانهم تحت مسمّى الرّعيّة، والحاكم مسؤول عن ضمان أمنهم، فهم في شراكة عادلة يتناصفون قسمين:

---

(١) ينظر: نقد الشعر ٤٦ والصناعتين ٣٤١.

أخوّة الدين والشبه في الإنسانية، وهما أدعى لاحترامهما كما يقول (عليه السلام).

س: أسلوب التوكيد من فنون علم المعاني، وهو إنشاء غير طلبيّ يراعى فيه حال السامع، ويؤتى به للاهتمام به، استخرجه وبيّن أدواته؟

استعمل الإمام (عليه السلام) أسلوب التوكيد بصورة واضحة عن طريق نون التوكيد الثقيلة، وهي حرف يفيد التوكيد تتصل بأفعال الأمر أو الفعل المضارع، تتكون من نونين الأولى ساكنة والثانية متحرّكة بالفتح، في قوله (عليه السلام): ولا تكوننّ، ولا تنصبنّ، ولا تندمنّ، ولا تسرعنّ، ولا تقولنّ، ولا تدخلنّ، ويبنى الفعل معها على الفتح عند مخاطبة المفرد.

واستعمل (عليه السلام) التوكيد بالحرف المشبّه بالفعل (إنّ)، نحو قوله (عليه السلام): فإنّهم صنفان، فإنّك فوقهم، فإنّه لا يدَي لك، إنّي مؤمر، فإنّ ذلك يطامن، فإنّ الله يذلّ كلّ جبار، وأسلوب التوكيد يراد به التشديد على أهميّة اتّباع الأوامر والانتباه إلى معنى الجمل التي يريد المتكلّم إقرارها والالتزام بها.

المقطع الثالث: (بين العامة والخاصّة)

قوله (عليه السلام): "أَنْصف اللهَ وَأَنْصف النَّاسَ منْ نَفْسكَ، وَمنْ خاصّة أَهْلكَ، ومَنْ لَكَ فيه هوىً منْ رَعيَّتكَ، فإِنَّكَ إِلاَّ تفْعلْ تظْلمْ، ومَنْ ظَلَمَ عبادَ الله كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عبَادِه، ومَنْ خاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَه، وكَانَ لله حَرْباً حتَّى يَنْزِعَ ويَتُوبَ.

ولَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلى تَغْييرِ نعْمَة الله وَتَعْجِيلِ نقْمَته منْ إِقَامَة عَلَى ظُلْم، فَإِنَّ اللهَ سَميعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومينَ، وَهُوَ للظَّالمينَ بِالْمرْصَاد.

ولْيكُنْ أَحَبَّ الأمُور إِليكَ أَوْسَطُهَا في الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا في الْعَدْل، وَأَجْمَعُهَا لرِضَى الرّعيّة، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحفُ بِرِضَى الْخاصّة، وإِنَّ سُخْطَ الْخاصّة يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّة.

ولَيْسَ أَحَدٌ منَ الرّعيّة، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالي مؤُونَةً في الرَّخَاء، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ في الْبَلاَء، وأَكْرَهَ للإِنصاف، وأَسْأَلَ بالإِلْحَاف، وَأَقَلَّ شُكْراً عنْدَ الإِعْطَاء، وَأَبْطَأَ عُذْراً عنْدَ الْمَنْع، وأَضْعَفَ صَبْراً عنْدَ مُلمَّات الدَّهْرِ منْ أَهْلِ الْخاصّة، وإِنّما عَمُودُ الدِّين، وَجمَاعُ الْمُسْلمينَ، وَالْعُدَّةُ للأَعْدَاء، الْعَامَّةُ منَ الأُمّة، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ".

المعنى العام[1]

في هذا المقطع أمر (عليه السلام) الأشتر بأنْ يراعي الإنصاف مع اللّه وخلقه، سواء بالنسبة إلى نفسه أو أهله أو من يهواه من رعيّته، فلا يهضم حقّ اللّه وحقّ أحد من عباده لرعاية هؤلاء فإنّه ظلم، واللّه خصمٌ للظالم. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} ﴿النساء:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٣٥-٣٦.

١٣٥﴾، وأنْ يرعى ما هو الأفضل في أداء الحقّ وما هو أعمّ لجميع الرّعيّة في إجراء العدل وما هو أجمع لرضا الرّعيّة في تمشية الأمور وإنْ كان يوجب سخط الخاصّة من أرباب النفوذ وأصحاب المقامات السّامية، وعلّل ذلك بأنّ غضب عامّة الرّعيّة وعدم رضاهم عن وضعهم يوجب الثورة والبلوى، ولا يقدر الخاصّة مهما كانوا مُخلصين على مقاومة الثائرين كما حدث في زمان عثمان لعدم تأديته حقوق الناس، فاجتمعوا عليه من مصر والكوفة واليمن وحصروه، ولم يقدر خاصّته ـ كمروان بن الحكم وسائر رجال بني أميّة مع كمال نفوذهم ودهائهم ـ أن يصدّوا سيل الثائرين والمهاجمين حتّى قُتل عثمان في داره وتبعه ما تبعه من الحوادث.

ولكنْ إذا كان العموم راضيًا وموافقًا مع الوالي فسخْط بعض الخواصّ لا يؤثر شيئًا؛ لأنّ الأفراد القليلين لا يقدرون على مقاومة الوالي، فالعنصر البشري مهمّ لإقامة الدين، ولو انحصر الدين بالفئة المترفة لجعلوه تبعًا لأهوائهم، قال تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} ﴿المؤمنون: ٧١﴾.

أما الفئة المستضعفة فهي التربة الخصبة التي ينمو فيها الإسلام ولا تعمل إلا في ظل الحق والعدل، وهما الضامن لها؛ ولذا اهتم عليه السلام بعوامّ الناس وساوى بينهم وبين الخاصّة تطبيقًا لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (الناس متساوون كأسنان المشط).

وركّز (عليه السلام) في هذا المقطع على أثر الناس والأخذ برأيهم فكان يشاور الصادقين نحو عمّار بن ياسر وسلمان المحمّديّ، وكان (عليه السلام) يقول: " من شاور الرجال شاركهم في عقولهم "، ثمّ وصف الخاصّة الملاصقة بالوالي مع كمال أدبهم وتواضعهم بما يأتي:

١ـ هم أثقل النّاس على الوالي من جهة المؤونة وما يتوقّعون من معاش تشريفي كالخدم والحشم والغلمان والمماليك، كما كان في حال الرّخاء والعافية.

٢ـ هم أقلّ النّاس معونة عند حلول البلاء وضيق الحال.

٣ـ هم أكره النّاس للعدل والإنصاف؛ لأنّ وضعهم يقتضي التعدّي على حقوق غيرهم.

٤ـ هم أقلّ النّاس شكرًا للعطايا وأبطأ لقبول الاعتذار عند المنع.

٥ـ هم أضعف صبرًا في النوائب وتجاه الحوادث فيفرّون عن صفّ الجهاد عند شدّة البأس.

ثمّ وصف العامّة من النّاس بأنّهم عماد الدّين وحفّاظه، ويتشكّل منهم جماعة المسلمين والسّواد الأعظم وهم العدّة في الدّفاع عن الأعداء.

المستوى الصوتيّ

س: يذكر اللغويّون تبعًا لسيبويه أنّ (الآل) مقلوب (الأهل)، كيف تفسّر هذا صوتيًا في ضوء وقوفك على قوله (عليه السلام): "أنصف الناس من نفسك ومن خاصّة أهلك"؟

اختلفوا في ألف (آل) أ منقلبة عن هاء أم عن واو؟ فذهب سيبويه إلى أنّ (آل) أصله (أهل)؛ لأنّه بمعناه ولأنّه يصغّر كتصغير أهل فيقال فيهما: (أُهَيل)، ورأى الكسائيّ أنّ (آل) أصله (أَوَل) وقلبت الواو ألفًا، لتحرّكها وفتح ما قبلها، وأنّهم قالوا: إنّما هم (آل)؛ لأنّ الإنسان يؤول إلى أصله وحسبه أي: يرجع، يقال: آل يؤول أوْلاً: إذا رجع، وسُمع من العرب قولهم: (أُوَيل) في التصغير[1].

ولكن ثمّة فرقاً دلاليًا بين (الأهل) و(الآل)، فالآل "خُصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل رجلٍ، ولا آل زمان كذا أو موضع كذا، ولا يقال: آل الخيّاط، بل يُضاف إلى الأشرف الأفضل، يقال: آل الله وآل السلطان، والأهل يضاف إلى

(١) ينظر: شرح الملوكي ٣٩ والممتع في التصريف ٣٤٨/١ وشرح الشافية للرضيّ ٢٠٨/٣ وارتشاف الضرب ١٢٩/١

الكلّ، يقال: أهل الله وأهل الخياط، كما يقال: أهل زمن كذا وبلد كذا"[1]، و(آل) يُجمع على (أولو) أصله (أولون) كما جُمع أهل على (أهلون)، ولّما لم يستعمل (أولون) إلا مضافاً، حُذفت نون الجمع لأجل الإضافة.

س: قال (عليه السلام): "وليس أحدٌ من الرّعيّة أثقل"، يقال: إنّ (أحداً) مقلوب عن (وحد)، فهل تصنّف هذه اللفظة ضمن الإعلال أم نبر الصائت الطويل؟ ولماذا؟

اختلفوا في (أحد) الوارد في قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ﴿الإخلاص: ١﴾، زنةً وتأصيلاً على مذهبين:

الأوّل: وهو أنّ (أحدًا) أصله (وَحَد) المنشعب من (واحد) بحذف الألف تخفيفًا، ثمّ همزت الواو المفتوحة في (وحد) فقالوا: (أحد) كما قالوا: (أَجم) في (وَجم)، ولم يسمع إبدال الهمزة من الواو المفتوحة في غير هذا. ولّما استعمل (أحد) صفة للباري دلّ على معنيين: الأوّل، أنّه بمعنى أصله الذي منه انشعب (واحد)، والآخر: أنّه بمعنى الأوّل، أي أنّ معنى (أحد) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿الإخلاص: ١﴾ هو أنّه (تعالى) الأوّل الذي لا شيء قبله، وهو أحد لا ثاني له ولا شريك معه.

وأما المذهب الثاني فظاهره أنّ (أحد) لا إبدال فيه ولا تغيير فكأنّه (فَعَل) من أصل مهجور، فاؤه همزة وعينه حاء ولامه دال بمعنى (أوّل)، ومنه قيل: اليوم الأحد أي اليوم الأول، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿الإخلاص: ١﴾ أي: الأول[2].

والراجح أنْ يكون (أحد) مشتقًّا من أصلٍ ثلاثي فاؤه همزة وعينه حاءٌ ولامه دال وهو أصل ساميّ قديم كان موجوداً في العربيّة الجنوبيّة واللحيانيّة والنبطيّة، أما في العربيّة الحديثة فهُجر الاشتقاق من اللفظة تامًّا، ولكن

(١) المفردات (أول).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس٧٩٠/٣ ومشكل إعراب القرآن للقيسي ٨٥٣/٢ ومجمع البيان للطبرسي ٥٦٢/١٠.

اشتقّت منه مفردات فاؤها واو ومنها (واحد)، وقد كان (أحد) في الساميّات يعني (واحداً) أما العربيّة فخصّصت لكلّ من اللفظين معنًى خاصًّا فصارت (أحد) تطلق على ضربين:

الأول: الجنس والثاني الواحد، فمثال الأوّل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿التوبة: ٦﴾﴾ وقوله تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿الأحزاب: ٣٢﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾ ﴾ ومثال الثاني قوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد﴾، و(أحد) المستعملة في الجنس تلزم الأفراد والتذكير وتقع بعد النفي والنهي والاستفهام والشرط.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة، واذكر أحرف الزيادة، ثم بين المعنى الصرفيّ لها.

١ـ أنصفْ: فعل أمر من أنصف المزيد بهمزة القطع وذكروا أنه بمعنى المجرّد (نصف) فكلاهما يأتي متعديًا فيقال: " نَصَفَ الشيءُ الشيءَ يَنْصُفُه: بَلَغَ نِصْفَه. ونَصَفَ النهارُ يَنْصُف وينصف وانْتَصَفَ وأَنْصَفَ: بَلَغَ نِصْفه، وَقِيلَ: كلّ مَا بَلغ نِصفه فِي ذَاتِه فَقَدْ أَنْصَفَ؛ وكلُّ مَا بَلَغَ نِصْفَهُ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ نَصَفَ" ومعنى هذا أنّ (أنصف) يدل على المبالغة من (نصف) والإنصاف في المعاملة: العدالة، وذلك أنْ لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه، ولا ينيله من المضارّ إلّا مثل ما يناله منه، فالإنصاف كأنّه الرضا بالنِّصف.

٢ـ أدحض: مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية؛ لأنّ المجرّد هو دحض برجله، على الباب الثالث: فحص بها، ودحضتِ الحُجّة دُحوضًا: بطلت،

ومنه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} ﴿الشورى: ١٦﴾ أي باطلة زائلة. وقوله تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا} ﴿الكهف: ٥٦﴾ أي ليُبطلوا ويُزيلوا.

٣ـ خاصمه: مزيد بالألف التي أفادت المشاركة في الخِصام والمخاصمة، أي: الجدل، والمجرّد يفيد الغلبة، يقال: خصمت فلانًا: غلبته فيما خاصمته. أمّا اختصم فيفيد المبالغة {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} ﴿الحج: ١٩﴾ أي: فريقان، وأصل الخُصم بالضم هو جانب الشيء، خُصم الفراش: طرفه وجانبه، وأصل المخاصمة أنْ يتعلّق كلّ واحد بخُصم الآخر أي جانبه.

٤ـ يُجحف: مزيد بهمزة القطع التي تفيد المبالغة؛ لأنّ المجرّد منه متعدٍّ، يقال: جحفه يجحفه على الباب الثالث إذا قشّره وجرفه، وجحفت الدلو الماء: أخذته، وجحف له الطعام: غرف، وأجحف بالشيء: ذهب به، وجحفت به الفاقة: أفقرته، أي ذهبت به كلّه.

٥ـ يُغتفر: مضارع مبنيّ للمجهول، مزيد بالتاء وهمزة الوصل المحذوفة لأجل صياغة المضارع فهو على افتعل، والزيادة أفادت المبالغة، ليس في كمّيّة الغفران وإنّما في الإقدام على الغفران وتكلّفه، غفر المتاع في الوعاء: أدخله وستره، وغفر الله سبحانه ذنبه: غطّى عليه وعفا عنه، والجهد والمبالغة في قوله (عليه السلام) "وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة"، واضح من سياق الكلام؛ لأنّه في الحثّ على الميل نحو العامّة دون الخاصّة.

س: استخرج المصادر وبيّن دلالتها الصرفيّة؟

١ـ الظُّلم: من الفعل ظلَم يظلِم على الباب الثاني، والقياس الظَّلم إلا أنّه غير مستعمل، وربّما جاء بالضم لخصوص الموضوع في كلّ منهما، ظلَمه حقّه يظلِمه المصدر الحقيقي فَعل بالفتح والاسم الظُّلم بالضم.

٢ـ السخط: من الفعل سخط يسخط على الباب الرابع، والقياس السَّخَط بفتحتين مثل غضِب غَضَبًا وفرِح فرحًا.

٣ـ الشُّكر: مصدر شكر يشكُر على الباب الأوّل، والقياس الشَّكْر بالفتح، غير مستعمل.

٤ـ الحقّ: من حقّه يحقّه على الباب الثاني؛ لأنّه مضعّف متعدٍّ.

٥ـ العدل: من عدل يعدل على الباب الثاني.

٦ـ المنع: من منعه على الباب الثالث والفعل متعدٍّ.

٧ـ الصبر: من صبر يصبر على الباب الثاني.

٨ـ الميل: من مال يميل على الباب الثاني.

٩ـ الصغو: من صغا يصغو على الباب الأول.

١٠ـ الرِّضا: من الفعل رضي يرضى على الباب الرابع، نحو: كبِر كِبَرا، وصغِر صِغَرا في العمر، وربّما خصّ معتلّ اللام من الباب الرابع بفِعَل نحو بلِي الثوب بِلًى.

١١ـ هوى: مصدر من هويه كرضيه على الباب الرابع فهو هو: أحبّه و{كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ} ﴿الأنعام: ٧١﴾ ذهبت بهواه وعقله وحيّرته.

١٢ـ إقامة: مصدر مقيس من أقام على أفعل، ومصدره الإفعال، ومن معتلّ العين إفعلة على مذهب سيبويه بحذف ألف الإفعال لالتقائها بسكون العين بعد نقل حركتها إلى الصحيح الساكن قبلها أو إفالة على مذهب الأخفش بحذف عين الإفعال.

١٣ـ إلحاف: مصدر من ألحف المزيد بهمزة القطع.

١٤ـ إعطاء: مصدر من أعطى المزيد بهمزة القطع.

١٥ـ تعجيل: مصدر من فعّل المزيد بتضعيف العين على التفعيل، عجّل تعجيلا.

١٦ـ رَخاء: مصدر على فَعال من الباب الخامس، رخُو العيش يرخو: رَخاء ورَخاوة، دالّ على الثبات فيما هو صفة ثابتة للعيش إذا اتّسع ولان وسهل كالكمال والجمال.

١٧ـ جِماع: فِعال، أصله اسم آلة كالرداء والحجاب والنطاق والمهاد فهو اسم لجمع الشيء ومعنى جماع المسلمين اجتماعهم وجماع كلّ شيء ما يجمع أصوله المتعدّدة، وربّما جعلوه بمعنى فاعل لتقريب المعنى، يقال: هذا الباب جماع الأبواب، أي الجامع لها الشامل لما فيها.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، وبيّن دلالتها الصرفيّة.

١ـ نِعمة: اسم على فعلة، دالّ على هيأة حصول الإنعام.

٢ـ نقمة: اسم على فعلة دالّ على هيأة حصول النقم، من نقمت عليه أنقم بالكسر: إذا أنكرت عليه فعله باللسان.

٣ـ معونة: مَفُعْلة بضم الفاء، اسم مفعول من العون أي المساعدة، ثم حذفت واو مفعول على رأي سيبويه لالتقاء الساكنين عند صياغة مفعول أو مفولة على رأي الأخفش بحذف العين.

٤ـ مؤونة: اسم على فعولة، وأغلب المعجميّين على أنّه من المون، يقال: مان عياله يمونهم أي: قام بكفايتهم ونفقتهم، ثمّ همزت الواو، والمؤونة هي القوت، وقيل من مأن الشخص يمأنه إذا احتمل مؤونته أي: قوّته فهو مائن، والمفعول ممؤون.

٥ـ بَلاء: اسم مصدر على فَعال من أبلاه إذا اختبره وامتحنه كما في قوله تعالى: {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ﴿الأنفال: ١٧﴾، فهو كالنبات من أنبت في قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} ﴿نوح: ١٧﴾.

٦ـ عُدّة: اسم على فُعلة، وهي صيغة تدلّ على موضع الحدث في الأشياء، نحو الصُّلعة موضع الصلع من الرأس، والغُرفة لمقدار ما يغترف، والعُدّة: ما أُعدّ لأمر يراد حدوثه، من أعددت الشيء إعدادًا أي: هيّأته.

٧ـ أمّة: اسم على فُعلة من الأمّ وهو القصد، والأمّة: الجماعة القاصدة لطريق واحد، فالأمّة كلّ جماعة يجمعهم أمرٌ ما إمّا دين أو زمان واحد أو مكان واحد {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} ﴿البقرة: ٢١٣﴾ أي صنفًا واحدًا أو على طريقة واحدة في الضلال والكفر، و{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ﴿النحل: ١٢٠﴾ أي قائمًا مقام جماعة في عبادة الله وتوحيده.

٨ـ عمود: اسم ذات على فَعُول، وهو ما تعتمد عليه الخيمة، وجمعه عُمُد بضمتين، والعَمَد بفتحتين اسم دالّ على الجمع {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} ﴿الهمزة: ٩﴾، و"{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} ﴿لقمان: ١٠﴾، وقيل: العمد بفتحتين هو جمع عماد أو جمع عمود، والعماد: الطول {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} ﴿الفجر: ٧﴾ استعمل هنا دالًّا على الأهمّيّة، يقال عمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به، وعمود الصبح: ابتداء ضوئه تشبيهًا بالعمود في الهيأة، وفي رواية أخرى للنهج (عماد).

٩ـ خاصّة: اسم على فاعلة، والتاء للنقل للاسميّة، أي: اسم لما يخصّ، أي يفضّل، وهو أقرباء المرء، وكذا العامّة: اسم على فاعلة، والتاء للنقل إلى الاسميّة، أي الدلالة على الشعب.

١٠ـ ملمّات: جمع ملمّة على مفعلة، اسم فاعل من ألمّ أصلها (مُلْمِمَة) ثم حصل نقل للكسرة لأجل الإدغام، وهي اسم للشديدة التي تنزل وتحيط بالفرد من نوازل الدهر، أي: شديدة نزلت به وضامّمته.

١١ـ أدعى، أقلّ، أبطأ، أحبّ، أعمّ: أسماء تفضيل على زنة أفعل، وإنّما قلبت واو أدعى ألفًا لتحرّكها بعد الفتح.

١٢ـ مرصاد: مفعال، اسم آلة نحو: مفتاح، من رصد إذا ترقّب، وقيل اسم مكان {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} ﴿النبأ: ٢١﴾ أي مكان خاصّ بالترصّد و{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} ﴿الفجر: ١٤﴾ أيلا ملجأ ولا مهرب.

١٣ـ مضطهدين: جمع اسم الفاعل مُضطهد، من اضطهد على زنة (افتعل) وقلبت التاء طاء للمجانسة الصوتيّة قياسًا في تاء الافتعال، تفيد المطاوعة، ضهده على الباب الثالث أي: قهره فاضطهد، نحو: جمعه فاجتمع.

١٤ـ عُذْر: اسم لما يأتي به الإنسان من حجّة يعتذر بها ليمحو سوء ما فعله، يقال: أعذر عذرًا، والمصدر الإعذار، أي أتى بما صار به معذورًا، وأصل العُذر مصدر عذرته: رفعت اللوم عنه، أي: وجدت له حجّة، والاسم المعذرة.

١٥ـ عباد: فِعال، جمع كثرة لعابد نحو نيام جمع نائم، ويجمع على عبّاد أيضًا. أمّا عبيد فاسم جمع واحده (عبد)، كنخل نخيل.

١٦ـ أعداء: أفعال جمع قلّة لـ(عدوّ) وهو اسم جنس للواحد والجمع، والذكر والأنثى، ضد صديق، والعِدى: اسم الجمع.

س: تفسّر لفظة (خصم) في قوله (عليه السلام): "كان الله خصمه"، بمعنى مُخاصمه، ولفظة (حرب) في قوله (عليه السلام): "وكان لله حربًا" بمعنى مُحاربًا، فهل الدلالة الصرفيّة للفظتين واحدة مع اختلاف الصيغة؟

لّما اختلفت الصيغتان فلا بدّ من اختلاف المعنى، فالخصم يطلق على المصدر من خصمته خصمًا، أي: نازعته، وخاصمته مخاصمة وخصامًا للمشاركة بين الطرفين في الخصام كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿البقرة: ٢٠٤﴾، وأصل المخاصمة أنْ يتعلّق كلّ واحد بخُصم بالضمّ الآخر أي: جانبه. وصيغة المجرّد: خصم خصمًا يعني أنّ الجدل من طرف واحد، والخصم مصدر من باب المغالبة، يقال: خاصمته فخصمته، أي: غلبته في الخصام، وإنّما استعمل الخصم للواحد والجمع؛ لأنه مصدر فالوصف به من باب التشبيه البليغ فكما نقول: فلان أسد، نقول: فلان عدل وخصم وكرم والمراد كأنه الكرم والخصام والعدل؛ ولذا فالمخاصم ليس بمعنى الخصم؛ لأنّ اسم الفاعل يقيّد بزمن معيّن، هو مخاصم لفلان أي: حصل منه ذلك في زمن ما، أمّا خصم

لفلان فهو من باب الوصف بالمصدر، وهو استعمال يراد به المبالغة في جعل الفاعل كأنّه الحدث نفسه لكثرة تعاطيه اياه، على نحو قول الخنساء:

ترتَع ما رَتَعَتْ، حتَّى إذا ادّركتْ فإنما هي إقبالٌ وإدبار

فالناقة لشدّة ولهها على فصيلها تحوّل ركضها إلى عمليّة الإقبال والإدبار نفسها، وكذا فلان حرب لفلان أي: مبالغة في العداوة كأنّه الحرب نفسها. وهنا عبّر الإمام (عليه السلام) بالمصدر عن شدّة حرب الله ومخاصمته للحاكم الجائر.

المستوى النحويّ

س: ما نوع (حتّى) في قوله (عليه السلام): " وكان لله حربًا حتّى ينزع أو يتوب"؟

(حتى) هنا بمعنى (إلى)، غير أنّها تفترق عنها بعدم دخول الغاية أي: يرجع عن ظلمه بنيّته أوّلًا ثمّ يسرع بلوازم التوبة من إعادة الحقّ لأهله.

و(حتّى) في العربيّة على ثلاثة أنواع: أنْ تكون بمعنى (الواو) وهي العاطفة التي تدخل على الأسماء: أكلت السمكة حتى رأسها، أي: ورأسها، وحتّى الاستئنافيّة: أكلت السمكة حتّى رأسُها بالضمّ، أي: حتّى رأسها أكلته، فيعرب رأسها مبتدأ، وحتّى التي بمعنى (إلى) يقال: أكلت السمكة حتّى رأسِها بالكسر أي: إلى رأسها وهي الجارّة إذا دخلت على الاسم الظاهر نحو {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} ﴿القدر: ٥﴾.

س: ما نوع (إلّا) في قوله (عليه السلام): " فإنك إلّا تفعل تظلم"؟

(إلّا) هنا مركّبة من (إنْ) الشرطيّة الجازمة و(لا) النافية، ثمّ قُلبت النون الساكنة لامًا وأدغمت في اللام، وذلك حسب قواعد الإدغام المعروفة للنون الساكنة إذا تلاها أحد حروف الإدغام (يرملون). والفعل بعدها مجزوم بإنْ وهو فعل الشرط، وتظلم جواب الشرط.

س: ما نوع (مَن) في قوله (عليه السلام): " أنصف الله... ومَن لك هوى فيه" وقوله: " ومَن ظَلَم عباد الله كان الله خصمه"؟

(من) الأولى هي الموصولة، والجملة الاسميّة بعدها من المبتدأ (هوى) والخبر المقدّم (لك) والمتعلّق (فيه) صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب. أمّا مَن الثانية فهي الشرطيّة الجازمة، تعرب مبتدأ، والفعل الماضي بعدها في محلّ جزم فعل الشرط، وجملة: كان الله خصمه، خبر لـ(من) في محلّ جزم جواب الشّرط.

س: ما نوع اللام في قوله (عليه السلام): "وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق.... واجمعها لرضا الرّعيّة"؟.

اللام في (ليكن) هي لام الأمر المكسورة، والمضارع مجزوم بها، وحذفت عينه لالتقائها بسكون الجزم، ومثلها قوله تعالى: "لينفق ذو سعة من سعته"، واسم كان لفظة (أحبّ)، وخبرها لفظة (أوسطها).

واللام في (لرضا) هي الجارّة المكسورة، والاسم بعدها مجرور بالكسرة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذّر.

واللام في (الحقّ) هي لام التعريف الساكنة لا عمل لها، وهي دالّة على استغراق صفات الأفراد وعلامتها صحّة تبديلها بـ(كلّ) نحو: أنت الرجل حقّا، أي: جامع كلّ صفاتهم، وهي نوع من (أل) تعريف الجنس وهي على ثلاثة أنواع: الدّالّة على حقيقة الجنس مثل: الرجل أقوى من المرأة، والدّالّة على استغراق الجنس: {إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ} ﴿العصر: ٢﴾. والدّالّة على استغراق صفات الأفراد وهي هذه.

س: ما نوع الإضافة في قوله (عليه السلام): "دعوة المضطرين"، "سخط العامّة"، "جماع المسلمين"، "أحبّ الأمور"، " ملمّات الدهر"، " نعمة الله"؟

الإضافة في العربيّة على نوعين[1]: المحضة، وهي التي تكون بمعنى حرف من حروف الجرّ، وعليها قوله (عليه السلام): "دعوة المضطهدين" فهي بمعنى اللام، أي دعوة لهؤلاء المظلومين، ومثلها "سخط العامّة" أي سخط لهم على الوالي الظالم، وهو بمعنى اللام في (نعمة الله)، أمّا "أحبّ الأمور" فالإضافة بمعنى (من) التبعيضيّة؛ لدلالة اسم التفضيل على اختيار بعض الأمور المحبّبة من غيرها، وفي "ملمّات الدهر" إضافة محضة بمعنى (في)، أي ملمّات تنزل في وقت من الدّهر دون غيره تمتحن فيها الأمّة.

أمّا النوع الثاني من الإضافة فهي غير المحضة، التي تكون من إضافة المشتقّات العاملة إلى معمولها، نحو: ضارب زيد، ومضروب الأب، وحسن الوجه، أو من إضافة الصفة إلى الموصوف نحو: "زينة الكواكب" أي: الكواكب المزيّنة، وفي قوله (عليه السلام): "جماع المسلمين" إضافة غير محضة، من نوع إضافة المصدر إلى عامله أي؛ (اجتماع المسلمين).

س: في النصّ مبتدآت نكرة من نحو قوله (عليه السلام):

١- " وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم".

٢- "أنصف الله... ومن لك هوى فيه من رعيتك".

٣- "وليس أحد من الرّعيّة أثقل على الوالي مؤونة من أهل الخاصّة"، بيّن المسوّغ للابتداء بها دون المعرفة.

في العبارة الأولى المبتدأ هو (شيء) وهو اسم (ليس) مرفوع، وخبرها هو لفظة (أدعى)، أمّا مسوّغ الابتداء بالنكرة فهو كونها مخصوصة بجملة "من إقامة على ظلم"، نحو: رجل من الكرام عندنا، وفي العبارة الثانية المبتدأ لفظة (هوى) نكرة منوّنة، خبرها الجارّ والمجرور (لك)، وجملة (لك هوى) صلة (من)، أمّا مسوّغ الابتداء بالنكرة فهو تقديم خبرها عليها. وفي العبارة الثالثة

---

(١) ينظر: أوضح المسالك ٧٣/٣ وشرح ابن عقيل ٤٤/٣.

نكّر المبتدأ (أحد) وهو اسم ليس، وخبرها (أثقل)، ومسوّغ الابتداء بالنكرة هو تخصيصه بالجارّ والمجرور (من الرّعيّة).

س: أعرب الألفاظ: مؤونة، معونة، شكرًا، عذرًا، صبرًا؟

هذه كلّها تمييزات لأسماء التفضيل التابعة لها، وهي: أثقل، أقلّ، أبطأ، أضعف.

س: ما نوع (دون) في قوله (عليه السلام): "ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده "؟

(دون) على ثلاثة أنواع: إما أنْ تكون ظرف مكان أو اسما مجرورًا إذا سبقت بـ(من) نحو: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} ﴿الرحمن: ٦٢﴾، أو تكون اسم فعل مبنيًّا إذا أضيفت إلى ضمير الخطاب نحو: دونك الكتاب، أي: خذه، و(دون) في النصّ المتقدّم ظرف مكان مبنيّ على الفتح مضاف، و(عباده) مضاف إليه.

المستوى المعجميّ

س: استعمل الإمام (عليه السلام) لفظتي: الظلم والإجحاف، كلّ في مكانها، وفي هذا إشعار بتباين معناهما عن عموم دلالتهما، وضّح الفرق بينهما وعرّج على ذكر معنى الجور المرادف لهما.

إنّ الظُّلم تغطية للحقّ وحجبه؛ ولذا سُمي الظلام؛ لأنه تغطية للنور(١). وأمّا الإجحاف فمصدر أَجْحَفَ به، أي ذهب به. وأزاله حتى كأنه زواه في جحر، وهذا المعنى ملائم لما في قوله (عليه السلام): "فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخاصّة" أي يزيله ويخفيه من دون ظلم ولا ذنب، ولكن التبعة تقع على الظالم كما في قوله (عليه السلام): "وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ"، أما الْجور فخلاف الاسْتقَامَة فِي الحكم تقول: جَار

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢٣١.

الْحَاكِم فِي حكمه إذا فَارق الاسْتقَامَة فِي ذَلِك؛ لأن الجور يعني تجنب الْحق والابتعاد عنه، من قَوْلنَا: جَار عَن الطَّرِيق إذا عدل عَنهُ.

س: عطف (عليه السلام) الميل على الصغو، فهل ثمّة فرق بين اللفظين؟ وكيف تفرق بينهما وبين السمع؟

الصغو مصدر صغا يصغو إذا مَال وأصغى غَيره، وَفِي القرآن الكريم {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} ﴿التحريم: ٤﴾ أَي مَالَتْ، وصغوك مَعَ فلَان أَي ميلك، والإصغاء هُوَ طلب إِدْرَاك المسموع بإمالة السّمع إليه، يُقَال: أصغت الناقة، إذا أمالت رأسها إلى الرجل كأنها تسمع شيئًا، فالصغو ميل عاطفي يقع قصدًا وعمدًا، والإصغاء هو إطراق السمع وهو اختيار وإدراك بخلاف السمع الذي ليس للإنسان فيه اختيار؛ إذ ليس لك حيلة لتدفع بها الأصوات بعيدًا عن سمعك فأنت تسمعها حتمًا، أما الميل فعامّ في كلّ شيء سواء في الحواسّ الظاهرة أم المشاعر الخفيّة.

س: ذكر (عليه السلام) لفظتي النقمة والسخط، فما الفرق بينهما؟ وما حقلهما الدلاليّ؟

(النقمة) معناها قريب من البلاء لكن النقمة لَا تكون إلا جَزَاء وعقوبة وَأَصلهَا شدَّة الْإِنْكَار، تَقول: نقمت عَلَيْه الْأَمر إذا أنكرته عَلَيْه، وَقد تسمى النقمَة بلَاء، وَالْبَلَاء لَا يُسمى نقمة إذا كَانَ ابْتِدَاء؛ لأن الْبلَاء يكون ضَررًا ويكون نفعًا، وَإِذا أردْت النَّفْع قلت: أبليته، وَفِي القرآن (وليبلى الْمُؤمنينَ مِنْهُ بلَاء حسنًا) وَمن الضّر: بلوته، وأصله أَنْ تختبره بالمكروه وتستخرج مَا عِنْده من الصَّبْر وَيكون ذَلِك ابْتِدَاء.

وأما السخط فقريب من الغضب؛ ذلك أنّ "الْغَضَب يكون من الصغير على الْكَبِير وَمن الْكَبِير على الصَّغِير، والسخط لَا يكون إِلَّا من الْكَبِير على الصَّغِير، يُقَال: سخط الْأَمِير على الْحَاجِب، وَلَا يُقَال: سخط الْحَاجِب على الْأَمِير، وَيسْتَعْمل الْغَضَب فيهمَا والسخط إذا عديته بِنَفسِهِ فَهُوَ خلاف الرِّضَا،

يُقَال: رضيه وَسخطه، وَإِذا عديته فَهُوَ بِمَعْنى الْغَضَب، تَقول: سخط الله إذا أَرَادَ عقَابه"[(١)].

وَممَّا يدخل في الحقل الدلاليّ لهذه الألفاظ لفظتا الْكَرَاهَة والبغض فالْكَرَاهَة تسْتَعْمل فِي مَا لَا يسْتَعْمل فِيهِ البغض، فَيُقَال: أكره هَذَا الطَّعَام، وَلَا يُقَال: أبغضه كَمَا تَقول: أحبه، وَالْمرَاد أَنِّي أكره أكله كَمَا أَنّ المُرَاد بِقَوْلِك: أُرِيد هَذَا الطَّعَام، أَنَّك تُرِيدُ أكله أو شرَاءَهُ، وكذا لفظتا (الغضب والغيظ) فالإنسان يجوز أَن يغتاظ من نَفسه، وَلَا يجوز أَن يغْضب علَيْهَا وَذَلِكَ أَن الْغَضَب إِرَادَة الضَّرَر للمغضوب عَلَيْهِ وَلَا يجوز أَنْ يُرِيد الإنسان الضَّرَر، والغيظ يقرب من بَاب الْغم"[(٢)].

س: قال (عليه السلام): "وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحقّ" تدلّ لفظة الوسط على الخير في سياقات المدح وهي تدلّ في أصل الاستعمال على نصف المسافة بين نقطتين، وضّح تطور الدلالة في مسار هذه اللفظة من خلال تتبّع استعمالها المعجميّ؟

قولُه (عليه السلام) هذا يؤكّد على الحاكم اعتناقه منهج الوسطيّة في اختياره لمقرّبيه، وليس المراد بالوسطيّة أنْ يكون بين الحقّ والباطل، بمعنى أنْ يختار من مقرّبيه الشخص الذي يعرف بالكذب والصدق معًا، أو يعرف بمواقف الحقّ والباطل. وإنّما المراد بالوسطيّة هي اختيار الأفضل والأقوى ثبوتًا في الحقّ من الناس؛ لأنّ لفظة الوسط تدلّ على الإنصاف، ووسط الشيء ماله طرفان متساويان بالقدر، يقال: وسط العمر، أي: منتصفه، وسطهم يسطهم على الباب الثاني إذا جلس بينهم بشكل متساوٍ عن كلّ طرف و(الصلاة الوسطى) ما بين النهار والليل إذا أريد بها الفجر، أو ما بين الركعتين والأربع إذا أريد بها المغرب، أو ما بين استراحتين إذا أريد بها العصر؛ لأنّها في قمّة انشغال الناس.

---

(١) الفروق اللغوية ٣٨٦.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٣٩١.

ولكون نقطة الوسط أفضل ما في الشيء استعمل الوسط في الدلالة على العدل والفضل، فأحمد الأشياء أوسطها، قال تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} ﴿القلم: ٢٨﴾ أي: خيرهم وأعدلهم، وكذلك {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} ﴿البقرة: ١٤٣﴾ أي: أمّة عادلة ومنصفة. ووسط الوادي خير موضع فيه وأكثر كلأ وماء، ولا يراد بالوسط الذّمّ أبدًا؛ إذ لا يقال: عليك أنْ تكون وسطًا بمعنى: خذ منها شيئًا واترك أشياء؛ لأنّ نقطة الوسط إذا كانت مطلقة تكون من الشيء الواحد المتّصل بعضه ببعض، لا بين شيئين منفصلين وإلا كانت ذمًّا وهذا لا يتأتى إلا بقرنها بما يميّز هذين المنفصلين، فيقال: هو وسط بين الحقّ والباطل.

س: ما نوع التطوّر الدلاليّ في لفظة (العذر)؟

أصل العذر هو تحرّي الإنسان ما يمحو به ذنوبه، أعذر: أتى بما صار به معذورًا، قال بعضهم: أصل العُذر من العَذَرة، وهو الشيء النجس، ومنه سمّيت القلفة العَذرة، فقيل: عذرت الصّبيّ إذا طهرته وأزلت عذرته، وكذا عذرت فلانًا: أزلت نجاسة ذنبه بالغفر عنه، كقولك: غفرت له، أي: سترت ذنبه. فالتطور الدلالي للفظة العذر من نوع رقيّ الدلالة بعد أنْ كانت هابطة.

المستوى البلاغيّ

س: ما نوع الأسلوب البلاغيّ في قوله (عليه السلام): "وإنّما عمود الدين... العامة من الأمة"؟

في العبارة السابقة أسلوبان: الأوّل من أساليب علم المعاني، وهو الحصر بـ(إنما) الذي يفيد التوكيد إذا كان السامع محتاجًا للتّثبّت إذ ينحصر الموصوف بهذه الصفة وتكون له خاصّة، والأسلوب الثاني في تشبيه العامّة بأنّهم عمود الدين، ويعنى علم البيان بهذا الأسلوب البلاغيّ، والذي يتنوع التشبيه فيه حسب أركانه الأربعة: المشبّه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشّبه، وهنا

حذفت أداة التشبيه، وشبّهت العامّة بالخباء، الذي هو ملجأ الإنسان، ثم حذف المشبّه به وبقي لازم منه وهو العمود، فهذه استعارة مكنيّة.

س: الكناية لفظ أريد به لازمه[1]، استخرج هذا الأسلوب البلاغيّ من النصّ الذي بين يديك؟

الكناية في البلاغة العربية " هي ترك التصريح بذكر الشيء وذلك بذكر ما يلزمه ليُنتقل من المذكور إلى المتروك كما نقول: فلان طويل النجاد، ليُنتقل منه إلى ما هو ملزوم وهو طول القامة"[2]، ونجد هذا الأسلوب في قوله (عليه السلام): " وكان لله حربًا حتى ينزع أو يتوب" فكنّى بالحرب عن أنّ غلظة الوالي مع رعيّته تجعله محاربًا لله لأنه عاصٍ في رعاية العامّة من الناس.

س: أسلوب تقديم ما حقّه التأخير من فنون علم المعاني، يستعمل لإبراز أهمّية المقدّم، ضع يدك على هذا الأسلوب في النصّ المتقدّم، مع بيان نوع التّقديم.

١ـ في قوله (عليه السلام): "ومن لك هوى فيه" لك: شبه جملة في محلّ رفع خبر مقدّم؛ لأنّ المبتدأ (هوى) نكرة لا مسوغ للابتداء بها إلّا بتقدّم الجارّ والمجرور عليها.

٢ـ في "وليكن أحبَّ الأمور إليك أوسطُها " تقدّم خبر كان (أحبّ) على اسمها (أوسطها).

٣ـ في "وكان لله حربًا" تقدّم الجارّ والمجرور على خبر كان (حربًا)، واسم كان ضمير مستتر يعود على الحاكم الظالم.

٤ـ في "وهو للظالمين بالمرصاد" تقدّم الجارّ والمجرور (للظالمين) على متعلّقه وهو الخبر شبه الجملة (بالمرصاد).

س: في النصّ اقتباس، استخرجه وبيّن أثره البلاغيّ؟

---

(١) ينظر: البديع في نقد الشعر ٩٩.

(٢) مفتاح العلوم ٤٠٢

في قوله (عليه السلام): "وهو للظالمين بالمرصاد" مقتبس من قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} ﴿الفجر: ١٤﴾، وفي قوله (عليه السلام): "وأسأل بالإلحاف" اقتباس من قوله تعالى {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٧٣﴾. والاقتباس بلاغة في تزيين الكلام لتلطيف وقعه على السامع وتعميق أثره.

المقطع الرابع: أسس اختيار البطانة

قوله (عليه السلام): " وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْد، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْر، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَضِحُ لَكَ، وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاع، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ.

شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. "

المعنى العام(١)

وصف (عليه السلام) في هذا المقطع النمّامين الساعين في طلب عيوب الناس وأمر الوالي بإبعادهم وبغضهم، ونبّه على أنّ من مصلحة الوالي الستر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٣٧-٣٨ و ٤٢-٤٤.

على عيوب النّاس وعدم التفتيش عنها لئلا ينفروا عنه. وأمر (عليه السلام) بتجنّب ما يوجب حقد النّاس ويجلب البغضاء في صدورهم.

وأمره (عليه السلام) بالتجاهل عن أمورٍ لا يصحّ للوالي الدخول فيها من أحوال الناس الخاصّة التي ينبغي أنْ تحفظ لهم ولا تعلن، وأمر الوالي بالتوقّف عن تصديق من يسعى لديه بخبر حتّى يتفحّص ويتحقّق ووصف مثل هذا الساعي بأنّه غاشٌّ في صورة ناصح، ونهاه عن المشورة مع البخيل والمشورة مع الجبان والمشورة مع الحريص، وأشار عليه السلام إلى أنّ المشورة مع هؤلاء لا تهتدي إلى رأي صالح مصيب؛ لأنّ ما ركز في طبعهم من مساوئ الأخلاق يؤثّر في رأيهم ويكدّره، فالبخيل يمنع عن الإيثار والبذل لكلّ أحد، والجبان لا يرى الحرب والجهاد مع الأعداء مصلحة في حال من الأحوال؛ لأنّ جبنه يدعوه إلى حفظ النفس والاختفاء عن العدوّ، والحريص الجامع للدنيا يدعو إلى الشّره ثمّ نبّه على أنّ هذه الذمائم ترجع إلى مبدأ واحد وهو سوء الظنّ باللّه تعالى وقلّة معرفته.

ونبّه (عليه السلام) على أنّ الوزير إنْ كان وزيراً للوالي الشرّير من قبلُ فقد شركه في الآثام والمظالم فلا يجوز الاعتماد عليه واتّخاذه بطانة في أمور الحكومة؛ فإنّه من أعوان الأئمة الظلم، ثمّ أرشده إلى رجال آخرين يفضّلون على أمثال هؤلاء في وجوه منها:

١ـ أنّهم مبرّؤون من الأوزار لعدم المعاونة على الظلم والإثم فيكون رأيهم أصوب.

٢ـ أنهم أخفّ مؤونة؛ لانّهم أهل صلاح ولم يعتادوا الإسراف في المعيشة وادّخار الأموال.

٣ـ إنّ معونتهم للوالي أكثر من الوزراء السابقين لعدم تساهلهم وتسامحهم في تنفيذ الأمور.

٤ـ إنّ صفاء قلوبهم لا تغيّره المطامع والمكائد فيكون حبّهم للوالي خالصاً.

المستوى الصوتيّ

س: الفرار من توالي الأمثال ظاهرة صوتيّة ثابتة في لغتنا العربيّة، عرّف بها من خلال توجيه فتح عين صيغة (فَعْلَة) عند جمعها بالألف والتاء في لفظتي: خَلَوَاتك وحَفَلَاتك جمعي (خَلْوة وحَفْلة)؟

عند تتابع ثلاثة أصوات متشابهة أو ثلاثة مقاطع متساوية في الطول تلجأ العربيّة إلى المخالفة بينها بأنْ تقلب أحد الأصوات حرف مدّ نحو (دسّاها) أصله (دسّسها) بثلاث سينات، أو أنْ يحصل تغييرٌ في مقاطع الكلمة المتشابهة بأنْ يدمج اثنان متشابهان في مقطع واحد كما في إسناد (كَتَبَ) إلى ضمائر الرفع المتحرّكة؛ إذ أصل التشكيل الصوتيّ للفعل هو كَ، تَ، بَ، وهو من ثلاثة مقاطع قصيرة، وعند زيادة تاء الفاعل (تُ) عليه يصبح التشكيل من أربعة مقاطع قصيرة، فتحذف الحركة من آخر الفعل فيحصل دمجٌ بين المقطعين الثاني والثالث ليتحولا إلى مقطع طويل كما في التشكيل كَ، تَبْ، تُ، وكذا التشكيل المقطعيّ في الجمعين (خَلَوَاتك، حَفَلَاتك) توالت فيهما ثلاثة مقاطع طويلة في الأصل هي: (خَلْ، وا، تِك)، (حفْ، لا، تِك)، فخولف بين هذه الأمثال الثلاثة بأن انشطر المقطع الطويل المغلق الأول فيهما إلى قصيرين مفتوحين، وذلك بتحريك العين بحركة الفاء كما في (خَ، لَ، وا، تِك) و(حَ، فَ، لا، تك).

س: تحدث التغيّرات الصوتيّة غالبًا بين أصوات العلّة، ويدخل معها صوت الهمزة دون غيره من الأصوات الصحيحة، علّل هذه الظاهرة الصوتيّة من خلال توضيحك قلب الهمزة ألفًا في صيغة التفضيل من الفعل (أثر) في قوله (عليه السلام): " ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك".

اسم التفضيل من (الأثر) أصله (أَأْثرُ) على وزن (أحسنُ)، ولكن عند اجتماع همزتين في الطرف، الأولى متحركة والثانية ساكنة تقلب الثانية – عند القدماء– حرف مدّ من جنس حركة الأولى، ولمّا كانت الأولى مفتوحة هنا قُلبت الثانية ألفًا؛ لأنّ الألف من جنس الفتحة، فصار اسم التفضيل (آثرُ).

أمّا المحدَثون فلم يرتضوا تعليل القدماء هذا لعدم المناسبة الصوتيّة بين الهمزة والألف ومن ثم وجّهوا التغيير الصوتيّ الحاصل في لفظ التفضيل بالحذف والمدّ؛ ذلك أنّ الأصل (أَـ أْ، ث ـَ، رـُ) ورد فيه المقطع الأول طويلًا مغلقا يشتمل على مثلث صوتيّ قلق لأنه مكون من همزتين وفتحة فحذف منه الهمزة الثانية ثم مُدّ الصائت القصير (الفتحة) ليتحول إلى صائت طويل (ألف) كما في التشكيل (أً، ث ـَ، رـُ).

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة من النصّ، وبيّن أحرف الزيادة فيها والمعاني الصرفيّة التي أفادتها؟

١ـ أطلقْ: فعل أمر من أطلق المزيد بهمزة القطع، وأفادت الزيادة التعدية إلى غير ذات المتكلّم، فالمجرّد طلق يده بخير: فتحها، كناية عن الجود، وأطلق لغير نفسه، أطلقت البعير من عقاله أي: أفلتّه، وطلّقته أي: بعد جهد، ومنه {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} ﴿الطلاق: ١﴾.

٢ ـ استطعتَ: استفلت، فعل ماض على استفعل من طاع يطوع: إذا انقاد، ثم حذفت عينه لالتقاء سكونها مع سكون اللام لأجل اتّصال الفعل بضمير الرفع (استطوعْتَ). والطّوع من طاعه وهو الانقياد ويضادّه الكره {ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أو كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} ﴿فصلت: ١١﴾، والاستطاعة (استفالة) أو (استفعلة) من الطّوع، ومعنى استطاع فلان من فعل كذا: صار ذلك الفعل متأتّيًا له وطوع أمره. وفي قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} ﴿الكهف: ٩٧﴾. إذ ورد الفعل تامًّا مرة ومحذوف التاء مرة أخرى ومعناه أنهم لم يقدروا على عبور السدّ ولا خرقه فحذفت التاء من الفعل السهل وهو عبور السد وبقيت مع الأصعب وهو خرق السد. ومن المشتقات الأخرى (طوّع) في قوله تعالى:

{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ﴿المائدة: ٣٠﴾ وهو مبالغة من الطوع.

٣ـ تُحبّ: مضارع (أفعل) مزيد بهمزة القطع التي تفيد الجعل "حبَبتُ فلانًا بمعنى أصبت حبّة قلبه، نحو شغفته وكبدته وفأدته، وأحببت فلانًا: جعلت قلبي معرّضًا لحبّه، لكن في التعارف وضع محبوب موضع محبّ، واستعمل حببت ـ أيضًا ـ موضع أحببت، فمعنى المجرّد أنّ المفعول هو الذي يودّني، والمزيد يعني المتكلّم هو الذي يودّ المتكلّم معه.

٤ـ تغابَ، فعل أمر على وزن (تفاعَ) من تفاعل المزيد بالتاء والألف، والماضي تغابى، والزيادة أفادت التّكلّف، أي إظهار الأمر على غير حقيقته لما يختصّ بالقبائح والأمور السّيّئة نحو: تجاهل وتعامى، ولكون لام الفعل ياء من غبي يغبى على الباب الرابع غباوة حذفت منفعل الأمر للجزم.

٥ـ تشبّه: تفعّل، مزيد بالتاء وتضعيف العين، من الشبه، والزيادة دالّة على التّكلّف، أي إظهار الشيء على غير حقيقته فيما هو محمود، وهذا الشخص يظهر شبهه بالصالحين وهو ليس مثلهم.

٦ـ تدخلنّ: مضارع من أدخل المزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية إلى المفعول الثاني مباشرة أو بوساطة حرف الجرّ {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} ﴿محمد: ٦﴾ ". أمّا المجرّد فهو متعدّ لمفعول واحد فقط {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ} ﴿الحجر: ٤٦﴾.

٧ـ يضعّفك: يفعّلك، مضارع فعّل المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول به؛ لأنّ المجرّد على الباب الخامس من الأفعال اللازمة الدالّة على الطبائع والصفات الثابتة، ضعف يضعف فهو ضعيف، خلاف القوّة أي ذهبت قوّته وصحّته، وضعّفه تضعيفا: صيّره ضعيفا، وكذلك يقال: ضعّفت الحديث أي نسبته إلى الضعف، وضعّفت العدد جعلته ضعفين، كلّ حسب سياقه.

٨ـ يـزيّن: يفعّـل مضـارع زيّـن المزيـد بتضـعيف العـين، والزيـادة تفيـد الصيرورة أو التعدية للمفعـول الثـاني بوسـاطة حـرف الجـرّ الـلام، زان الكـرم صاحبه، وزيّنت الكرم لزيـد: صيّرته حسـنا فـازدان، زيّنه إذا أظهـر حسـنه... {كَـذَلِكَ زَيَّنَّـا لِكُـلِّ أُمَّـةٍ عَمَلَهُـمْ ثُـمَّ إِلَى رَبِّهِـمْ مَـرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّـئُهُمْ بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ} ﴿الأنعام: ١٠٨﴾ {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} ﴿الصافات: ٦﴾، وتزيين الله للأشياء يكون بإبداعها مزيّنة وإيجادها كذلك. وتـزيين النـاس للشـيء: بتـزويقهم أو بقـولهم، وهـو أنْ يمـدحوه ويـذكروه بمـا يرفـع منـه وهـذا معنى قوله (عليه السلام).

٩ـ يعاون: يفاعل من عـاون المزيـد بـالألف الدّالّة على المبالغة في الإعانة؛ لأنّ أعـان المزيـد بهمـزة القطـع يـدلّ عـلى التعديـة، قـال تعـالى: {وَقَـالَ الَّـذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} ﴿الفرقان: ٤﴾ والمجرّد غـير مسـتعمل بمعنـى المسـاعدة وإنّمـا مـن قـولهم: عانـت المرأة وعوّنـت: صـارت عوانًـا، والعـوان: التّوسّـط بـين السـنين {قَـالُوا ادْعُ لَنَـا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَـارِضٌ وَلَـا بِكْـرٌ عَـوَانٌ بَـيْنَ ذَلِـكَ فَـافْعَلُوا مَـا تُـؤْمَرُونَ} ﴿البقـرة: ٦٨﴾، وتعـاون يفيـد المشـاركة {وَتَعَـاوَنُوا عَلَـى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} ﴿المائـدة: ٢﴾، وربّمـا اسـتعمل (عليه السلام) المبالغة في مساعدة الوزير للولاة الظلمة دون مجرّد ارتكـاب هـذه المساعدة ملاحظةً منه (عليه السـلام) لاحتمـال كـون الـوزير مغصـوبًا أو متّقيًـا الخطر، فلم يقل (عليه السلام): ممّن لم يعن ظالمًا على ظلمة.

١٠ـ فاتّخـذ: افتعـل مـن الأخـذ، مزيـد بهمـزة الوصـل والتـاء الـتي أفـادت التعدية للمفعول الثاني وهـو لفظـة (خاصّـة)، والمفعـول الأوّل لفظـة (أولئـك)، {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ} ﴿المائدة: ١١٦﴾. أي: اجعـل هـؤلاء خاصّـة لـك، ومعنـى أخـذ: حـاز

الشيء وتناوله بالسلم أو بالقهر وأبدلت الفاء تاء لمناسبة العين، وهو تأثّر رجعيّ في تاء الافتعال.

س: استخرج جموع التكسير الواردة في النصّ، واذكر أوزانها ومفرداتها؟

١ـ معايب: جمع كثرة على مفاعل، وهو جمع معيبة، وهي اسم دالّ على الفعلة الناقصة، والتاء للنقل إلى الاسميّة، نحو الكبيرة والصغيرة اسم لما يرتكبه المرء من ذنوب، والجمع كبائر وصغائر، والمعيبة اسم لما يفعل من نقص.

٢- عيوب: جمع كثرة على فُعول ومفردها عيب، وهو مصدر دالّ على النقص والشين، من عابه يعيبه عيبًا، قال تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} ﴿الكهف: ٧٩﴾، ويجمع المصدر بشرط اختلاف أنواعه، فالعيب: قوليّ وفعليّ؛ ولذا ساغ تكسيره.

٣ـ غرائز: جمع كثرة على فعائل، مفرده غريزة على فعيلة، اسم دالّ على الطبيعة والسجية في صاحبها، فهي صفة مغروزة في الشخص.

٤ـ وُزراء: جمع كثرة على فُعلاء ومفرده وزير على فعيل، والوزير في الأصل صفة مشبّهة، وفي اشتقاقه قولان:

الأول: أنهّ مشتقّ من الوِزْر وهو الثقل؛ لأنه الذي يحمل عن الوالي أثقاله ويعينه، قال تعالى: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي} ﴿طه: ٢٩﴾ ثم صار اسمًا لمن يقوم بهذه المهمّة، فهو شخص بعينه، وكان هارون (عليه السلام) في عهد موسى (عليه السلام)، ثم سمّي بذلك الأشخاص المساعدون للوالي كلّ حسب مهامه.

والآخر: أنهّ مشتقّ من الوَزَر بمعنى الملجأ كما في قوله تعالى: {كَلَّا لَا وَزَرَ} ﴿القيامة: ١١﴾ أي لا ملجأ.

٥ـ أشرار: جمع قلّة على أفعال، ومفرده شرّ على فَعْل ضدّ الخير، يقال: رجل شرّ على نحو رجل برّ ورجال أبرار، وذهب الأخفش إلى أنّ أشرار

جمع شرير، على فعيل كيتيم وأيتام وشريف وأشراف، وهذا خلاف القياس؛ لأنّ فعيلًا صفة تجمع قلّة على أفْعلة نحو أذلّة جمع ذليل، ويتيم اسم لا صفة بدليل عدم جواز جمعه جمع سلامة للمذكّر.

٦ـ آثام: جمع قلّة على أفعال ومفرده إثم على فِعل بكسر الفاء.

٧ـ أعوان: جمع قلّة على أفعال، ومفرده عَون، وهو اسم دالّ على الواحد والجمع، والمعاونة: المظاهرة، والعون: الظهير على الأمر، فلان عوني أي: معيني.

٨ـ الأَثَمَة: جمع كثرة على فَعَلَة، مفرده آثم على فاعل نحو: طالب طلبة.

٩ـ الظَّلَمَة: جمع كثرة على فَعَلة، ومفرده ظالم، وصيغة فَعَلة جمع للكثرة تختلف عن الجمع الشائع (فُعّال) نحو طلّاب وظلّام في أنّ الجمع على فَعَلة يراد به جمع الفاعلين الذكور الذين لهم فعل خاصّ يقومون به، وفعلهم ليس مطلقًا بخلاف الجمع (فُعّال) إذ الفاعلون فيه ليسوا معنيّين بفعل خاصّ بل عامّ، فالطلاب جمع لطالبي العلم والحاجة والتجارة والثأر والحق والباطل وسائر الأفعال، أما الطلبة فللعلم خاصّة، ومثله (حفظة) في {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إذا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} ﴿الأنعام: ٦١﴾ فهو جمع لمن يقوم بحفظ أمر بعينه دون الذين يقومون بالحفظ بصورة عامّة والذين جمعهم حفّاظ؛ لذلك خصّ الحفظة بالملائكة، وكذا الظلمة والأَثَمة فهم من يتّصفون باقتراف الظلم والإثم الذي يصدر من صنف خاصّ من الناس، وهم ولاة أمور العامّة الذين يتجاوز ظلمهم المحيطين بهم ليشمل كلّ أفراد الأمّة، وربّما تعدّاه إلى الأجيال اللاحقة.

١٠ـ إخوان: جمع كثرة على فِعلان، ومفرده أخ معتلّ اللام على فعل، وأصله أخو، ويُجمع جمْع قلّة على إخوة.

١١ـ آرائهم: جمع قلّة على أعفال، ومفرده رأي، وحصل لهذه اللفظة تغيير بالقلب المكانيّ، فالأصل جمعها أرأاي على (أفعال) ثم قدّمت الهمزة

الثانية التي هي عين الكلمة تمهيدًا لتخفيفها، فصارت أأراي ثم قلبت الهمزة الثانية (العين) ألفًا لالتقاء همزتين أوّل الكلمة، الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، ثم قلبت الياء همزة لتطرفها بعد ألف زائدة.

١٢ـ آصارهم: جمع قلّة على زنة أفعال ومفرده إصر وأصله (أأْصار) ثم قلبت الهزة الثانية ألفًا.

١٣ ـ أوزارهم: مفرده وِزر وهو الذنب، ووزنه أفعال وهو جمع قلّة.

١٤ـ آثامهم: جمع قلة، مفرده إثم وأصله (أأثام) ثم قلبت الهمزة الثانية ألفًا.

١٥ـ أوليائه: جمع كثرة على أفعلاء، ومفرده وليّ على فعيل صفة مشبّهة.

س: صنّف المصادر الواردة في هذا المقطع من حيث الزيادة والتّجرّد، والقياس والسّماع، مبيّنًا دلالاتها الصرفيّة؟

المصادر المجرّدة في المقطع قسم منها قياسيّة هي: (ستر، عطف، شره، فقر، بخل، جبن)؛ لأنّ القياس في المصادر المجرّدة أنْ تأتي على فَعْل، نحو: السَّتر بالفتح والاسم السِّتر بالكسر، والعَطف، والفَقر، والشَّرَهُ مصدر مقيس من الفعل المجرّد على الباب الرابع للدلالة على الامتلاء بهذه الصفة نحو: فرح فَرَحًا وحزن حزنًا، والبُخل والجُبن مصدران قياسيّان من المجرّد على الباب الخامس الدّالّ على الطبائع والغرائز الثابتة.

وأما القسم الآخر من المصادر الثلاثية فسماعي كالحِرص مصدر حرَص عليه إذا أفرط في الرغبة، فأما أنْ يكون هذا الإفراط في المحمود فهو اشتداد الرغبة في النفع والهداية، قال تعالى: {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ﴿النحل: ٣٧﴾ أو يكون في الذّمّ فهو من الجشع والرغبة في الإمساك عن الإنفاق، أمّا المصدر المقيس فهو الحَرْص ولكنه من معنى آخر؛ إذ يدلّ على الشّقّ، حرص القصّار الثوب إذا شقّه، وحرص المطر الأرض: لم يترك منها شيئًا، فهذا من المتعدّي على القياس، ففُرّق بين المصدرين لاختلاف المعنى.

ـ النفاذ: مصدر من قولهم: نفذ السهم في الرميّة ينفذ نفوذًا ونفاذًا، {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} ﴿الرحمن: ٣٣﴾ ويبدو أنّ النفاذ لما هو معنويّ، يقال: نفذ فلان في الأمر نفاذًا؛ ولذا استعمل الإمام (عليه السلام) النفاذ في الكلام عن الوزراء ذوي البصائر النافذة، والنفوذ مصدر دالّ على العلاج في المادّيّات، أي التغيير المفاجئ للحركة، نحو: خمدت النار خمودًا.

أمّا المصادر المزيدة فكلّها قياسيّة وهي:

ـ تصديق: على تفعيل وهو مقيس من صدّق الدّالّ على النّسبة، صدّق فلانًا: نسبه للصدق، أي: اعترف به وآمن بأقواله ولم يكذّبها.

ـ مساعدة: مُفاعلة وهو مصدر (ساعد) على فاعَل الدالّ على المشاركة، كأنّه ضمّ ساعِده إلى ساعده، والسعد خلاف النحس.

ـ تطهير: تفعيل من طهّره على فعّل الدالّ على التعدية، أي نزهه عن الذمّ.

س: زن الألفاظ الآتية، واذكر معانيها الصرفيّة.

١ـ جَبان: فَعال صفة مشبّهة من الباب الخامس.

٢ـ شرٌّ وزرائك: اسم تفضيل حذفت همزة القطع منه لكثرة الاستعمال، وأدغمت عينه في لامه فصار وزنه (فعل)، والقياس: أشرَرُ على أفعل.

٣ـ مُرّ: صفة مشبّهة على فُعل من الباب الرابع.

٤ـ غاشّ: اسم فاعل على زنة فاعل.

٥ـ سبب: اسم دالّ على علّة حصول الشيء على زنة فَعل، والأصل فيه الطريق {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} ﴿غافر: ٣٦﴾، أي: نواحيها وطرقها، وهو أصل دالّ على الطريق الممتدّ ثم تُوُسّع فيه فصار يدلّ على كلّ شيء يتوصل به إلى غيره {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} ﴿الكهف: ٨٥﴾، وسبّب الأسباب: أوجدها. أمّا السبّ بمعنى الشتم فهو من أصاب سبّته أي: عجزه وفي ذلك قطع لامتداده على خلاف المعجمات في ذهابها إلى أنّ الأصل هو القطع ثم تجوّز به إلى الطريق.

٦ـ الإلْف: فعِل وهو صفة مشبّهة دالّة على المؤالف، يقال: ألِفه يألَفه ألفًا إذا لزمه، ويأتي حسب السياق اسم مصدر لفعّل، يقال: ألّفت السهم إلفًا: وهو الاجتماع والالتئام، إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم"، وفي قوله (عليه السلام) يراد به المؤالف على سبيل الدوام لا للمصالح الشخصيّة.

٧ـ عقدة: على وزن فُعلة الدالّ على موضع الفعل من الشيء نحو: الصُّلعة والغُرفة، مأخوذ من العقد وهو الجمع بين أطراف الشيء {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} ﴿الفلق: ٤﴾ وهي ما تعقده الساحرة.

٨ـ بطانة: اسم آلة على فعالة وهي خلاف الطهارة، بطّنت ثوبي بآخر، جعلته تحته، وهم خاصّة الرجل الملاصقون له.

٩ـ شتّى: جمع كثرة على فعلى، والمفرد شتيت، وهو المشتّت المبعّد، أي: الصفات المتباعدة، ومثل هذه الصفة في الجمع: مريض مرضى.

١٠ـ مشورة: اسم مفعول من شاره يشوره على وزن مفعلة إذا حذفنا واو مفعول بسبب التقاء الساكنين (عين الفعل وواو الصيغة) بعد نقل ضمّة العين المعتلة إلى الشين الساكنة، وهي ما ينصح به من رأي وغيره من: شار العسل يشوره شوراً: استخرجه، ثم استعملت في أخذ أفضل الآراء والمعاني. قال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} ﴿آل عمران: ١٥٩﴾ فالمشاورة في الأمر من باب إشعارهم بالمسؤولية وليس الالتزام برأيهم؛ لأنه قال بعدها (فإذا عزمت فتوكل على الله).

١١ـ الفضل: مصدر على زنة فَعْل من فضَل يفضُل على الباب الأول وهو الزيادة في الشيء، واستعمل اسمًا للإحسان {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} ﴿النساء: ٣٢﴾.

١٢ـ عورة: اسم على فَعلة لكلّ ما كان قبيحًا من قول أو فعل.

س: لماذا استعمل الإمام (عليه السلام) الفعل المجرّد (شرك) في قوله: "شرّ وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرًا ومن شرِكهم في آثامهم" دون المزيد

بـالألف (شـارك) مـع أنّ (فاعَـلَ) هـو المسـموع الغالـب نحـو قولـه تعـالى: {وَاسْـتَفْزِزْ مَـنِ اسْـتَطَعْتَ مِـنْهُمْ بِصَـوْتِكَ وَأَجْلِـبْ عَلَـيْهِمْ بِخَيْلِـكَ وَرَجِلِـكَ وَشَـارِكْهُمْ فِـي الْـأَمْوَالِ وَالْأَوْلَـادِ وَعِـدْهُمْ وَمَـا يَعِـدُهُمُ الشَّـيْطَانُ إِلَّـا غُـرُورًا} ﴿الإسراء: ٦٤﴾؟

المشاركة تقتضي المبادلة بين طرفين في أمر ما، فإبليس يشارك الناس ممّن يتابعه في أموالهم وأعراضهم لما يأتون بها من الحرام، ويرد المزيد بهمزة القطع على معنى الجعل، أشرك فلان فلانًا: جعله شريكًا له، فالأوّل صاحب المبادرة والثاني تابع: {وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} ﴿طه: ٣٢﴾ على حين يأتي المجرّد (شرِك) من الباب الرابع وأفعاله تدلّ على الصفات العارضة، نحو: الفرح والحزن والغضب، يقال: شرِكه في البيع والميراث يشركه شركة، وهذا العروض في مشاركة الحكّام الأشرار يكون منه على وفق مصالحه، فيتزلّف للظلمة لينال عطاءهم ويكون هواه هو الدافع له لمشاركتهم، فهو شخص يتلوّن مع كلّ جهة تعود عليه بالنفع. أمّا الشراكة فتستدعي طرفين يتبادلان المشاركة وهذا الشخص يدخل متزلّفًا ليدخل نفسه مع كلّ من يحصل منه نفع ولا يبقى على واحد بعينه.

المستوى النحويّ

س: تكرّرت (ما) خمس مرّات في قوله (عليه السلام): " فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاسترِ العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيّتك". فهل كلّها بمعنى واحد؟ وضّح ذلك.

(ما) في (فإنما) هي الزائدة الكافّة لعمل (إنّ) الحرف المشبّه بالفعل، فلا تنصب اسمًا ولا ترفع خبرًا؛ لذا يعرب (عليك) جارّ ومجرور متعلّق بخبر المبتدأ (تطهير) المضاف إلى (ما) ظهر لك.

و (ما) الثانية اسم موصول بمعنى الذي في محلّ جرّ بالإضافة، و(ظهر) صلتها.

و(ما) الثالثة اسم موصول بمعنى الذي غاب عنك.

و (ما) الخامسة هي اسم موصول و(تحبّ) صلته.

أمّا (ما) الرابعة في: ما استطعت، فهي اسم شرط غير جازم يفيد الزمان، أي: مدّة استطاعتك، قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} ﴿التغابن: ١٦﴾ وجوّزوا في إعرابها أوجهًا:

١ـ ما مصدرية، والمصدر المؤول منصوب بفعل محذوف أي استطاعتكم.

٢ـ ما ظرفية والمصدر المؤول منصوب على الظرفية متعلق باتّقوا، والتقدير: مدة استطاعتكم.

٣ـ ظرفية مبتدأ وخبرها الجملة الفعلية قبلها.

٤ـ شرطية زمانية: مدة استقامتكم، وهذا هو الأظهر.

س: في النصّ عمِل اسما الفاعل (واجد، واقع) عمل فعليهما، اذكر سبب إعمالهما، ثم عيّن فاعل كلّ منهما؟

عمل اسم الفاعل (واجد)؛ لأنّه وقع خبرًا للمبتدأ (أنت) فرفع فاعلًا مستترًا يعود على الواجد وهو الحاكم، ونصب مفعولًا هو خبر الخلف. وعمل اسم الفاعل (واقعًا)؛ لأنّه وقع حالًا، فرفع فاعلًا وهو اسم الإشارة (ذلك)، وفي تعيين المشار إليه وجهان: إما على الناصح الذي تجرّأ على النصح وكلمة الحقّ، أو على القول المرّ للحقّ الصادر من الناصحين لك.

س: كيف تعرب (كان) في: " ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه "؟

(كان) الأولى هي الناقصة، واسمها أفعل التفضيل (آثرهم) مرفوع بالضمّ، وخبرها اسم التفضيل (أقولهم) منصوب بالفتح، أمّا (كان) الثانية فهي التامّة التي تكون بمعنى: وقع أو حصل، وفاعلها مستتر يعود على (ما) الاسم الموصول قبلها، يقال: جئت فكان المطر، أي: وقع، والمراد في كلامه (عليه السلام): فيما يقع منك ممّا كرِه الله أنْ يصدر منك؛ لأنك وليّ على رعيّتك.

س: ما المحلّ الإعرابيّ للجملتين: "فإنّ في الناس عُيوبًا الوالي أحقّ من سترها" و "ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلًا يعدل بك عن الفضل ولا جبانًا يضعّفك عن الأمور ولا حريصًا يزيّن لك الشره بالجور"؟

الجملة الأولى من المبتدأ (الوال)، وخبره (أحقّ من سترها) في محلّ نصب صفة للفظة (عيوبًا)، أي: عيوبًا يسترها الوالي.

والجملة من الفعل وفاعله المستتر (يعدل) بك عن الفضل في محلّ نصب صفة لـ(بخيلًا)، وكذا يضعّفك صفة لـ(جبانًا)، ويزيّن لك الشره صفة لـ(حريصًا).

س: ما نوع (لا) في الجملتين الآتيتين: "ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلًا يعدل بك عن الفضل " و" فلا يكوننّ لك بطانة "؟ أعرب تفصيلًا.

(لا) في الجملة الأولى هي الناهية التي تدخل على المضارع المخاطب، والفعل بعدها مجزوم بها، وعلامة جزمه السكون، وحرّك آخره بالفتح لاتّصاله بنون التوكيد الثقيلة وهي حرف لا محلّ له من الإعراب، و(لا) في الجملة الثانية هي الناهية أيضًا وإنْ دخلت على مضارع غائب على ما نجد مع لا النافية، إلا أنّ السياق يحدّد نوعها؛ إذ قد تأتي ناهية داخلة على الغائب ما دام الكلام مع المخاطب في الجملة السابقة، ومثلها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} ﴿الحجرات: ١١﴾ فصدر الآية خطاب ثم كلام عن الغائبين، وهذا أسلوب بليغ لا يدلّ على النهي عن إتيان الفعل فقط وإنّما عن أنْ يكون المنهيّ المخاطب في صورة قريبة أو من جنس هذا الفعل نفسه، كأنّه عليه السلام يقول: فلا يكوننّ لك بطانة بمعنى أني لا أريد أنْ أراهم عندك في حال من الأحوال، وليس أنْ تمتنع عن أخذهم بطانة لك، والفعل بعدها مضارع مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والفاعل هو واو الجماعة المحذوفة لاتصالها بنون التوكيد الخفيفة، فحذفت لالتقاء الساكنين، وبني الفعل على الضمّ لاتّصاله بنون التوكيد الثقيلة إشارة إلى الواو المحذوفة.

س: كيف تعرب الظرفين (قبل) و(حيث) في قوله (عليه السلام): "شرّ وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً"، "واقعًا ذلك في هواك حيث وقع"؟

الظرف الأوّل (قبلك) مبنيّ على الفتح في محلّ نصب صفة للوزير الذي يتقرّب لك والتقدير: شر الوزراء الذي كان للأشرار وزيرًا سابقًا. ويجوز أنْ يعرب (قبلك) مفعولًا فيه ظرف زمان والتقدير: الذي كان للأشرار وزيرًا في الزمن السابق. أما الظرف (حيث) فمبنيّ على الضمّ في محل نصب مفعول فيه، فهو يصلح للجواب عن السؤال بـ(أين)، وهو مضاف إلى الجملة الفعليّة بعده.

س: كيف تفسّر كسر آخر فعل الأمر والفعل المضارع في قوله (عليه السلام): "فاسترِ العورة ما استطعت يسترِ الله منك ما تحبّ ستره "؟

فعل الأمر مجزوم وعلامة جزمه السكون، فالتقى سكون الفعل بالجزم بسكون اللام في لفظ الجلالة؛ إذ همزة (أل) التعريف هي همزة وصل لا ينطق بها في درج الكلام؛ لذا يحرّك آخر الفعل فرارًا من التقاء الساكنين، أمّا لماذا حُرِّك بالكسر دون الضمّ أو الفتح؛ فلأنّ الضمّ أو الفتح ينتج عنهما تفخيم لام لفظ الجلالة، والترقيق أكثر خفّة ولا يكون إلا بالكسرة، وكذلك حركة المضارع من الفعل نفسه؛ لأنّه مجزوم أيضًا لوقوعه في جواب الطلب، وليس المراد من العبارة رفع العقوبة عن المسيء وإنّما عدم البحث عن عيوب الناس الخاصّة بأنْ لا يكشف عمّا غاب عنه منه، وذلك يقمع أهل النّميمة، ويحفظ للناس أسرارهم وأمورهم الشخصية التي لا علاقة لها بسياسة الدولة.

المستوى المعجميّ

س: ورد الشَّرَهُ والحِرْصُ في سياق واحد هو قوله عليه السلام: " ولا حريصًا يزيّن لك الشَّرَه بالجور " فما الفرق بينهما؟

الحِرْصُ: الجَشَعُ، وقد حَرَصَ على الشيء يحرص بالكسر، فهو حَريصٌ. والحَرْصُ: الشَقُّ[1]. ومدلول الجذر (حرص) يفسر بنظيريه في باب الاشتقاق الأكبر (الإبدال) وهما (حرز، حرس) إذ المعنى الجامع لهذه الثلاثة هو جمع المال وكنزه والبخل في إخراجه حتى كأنّه حارّ من سكونه في خزائنه؛ لأن الحرص أصله من المضعّف (حرّ). فالحرص في المال يبدو مذموماً ولكنه في الأنفس محمود؛ لأنه بمعنى الحفظ والرعاية، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ﴿التوبة: ١٢٨﴾. أما الشره فيعني غَلَبَةَ الحِرص. يقال: قدْ شره الرجل فهو شره[2]. أي صار راغبًا في تحصيل المال والسعي في كسبه وإنْ كان من حرام وأصل الشره من الثنائي (شرّ) الذي يعني النشر والشيوع، وهذا المعنى يلحظ في الأصول (شرح، شرد، شرم، شرخ، شرع، شرف، شرك) وغيرها.

س: وردت ألفاظ مترادفة في النصّ تدلّ على البغض والكُره وهي: الشَّنَأ والحِقد والوِتر، كيف توضّح عدم تطابقها من خلال استعمالها جميعًا في نصّ واحد؟

الشنأ والشنآن بمعنى البغض الظاهر للعيان، يقال: شنَأته شَنْءاً، وشُنْءاً، وشِنْءاً، ومشنأً، وشنآنًا، بالتحريك، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} ﴿المائدة: ٨﴾ أما الحقْدُ فيعني الضِغْن الداخلي، والجمع أَحْقادٌ. وتقول: حَقَدَ عليه يَحْقِد حقْداً، وحَقِد عليه بالكسر حَقَداً. أما الوتر فيعني النقص ومنه الموتور: الذى قُتل له قتيل فلم يُدرك بدمه. يقال: وَتَرَهُ حقَّه، أي نقصه. وقوله تعالى: (ولنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) أي لن يتنقَّصكم في أعمالكم. وقوله عليه السلام (أطلق عن الناس عقدة كلّ حقد واقطع عنك سبب كلّ وتر) معناه: احلل عقدة الأحقاد من قلوب الناس بالعدل فيهم

(١) ينظر: المفردات (حرص).

(٢) ينظر: المفردات (شره).

وحسن السيرة معهم. واقطع السبب في عداء الناس لك بالإحسان اليهم قولًا وعملًا[1].

س: قال (عليه السلام): "وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم" هذه الألفاظ تفسّر معجميًا على أنّها بمعنى واحد هو الذنب والمعصية والخطيئة، فكيف عطف بعضها على بعض مع أنّ العطف يفيد التغاير؟

هاهنا ألفاظ كثيرة تسلك في الترادف وينبغي التفريق بينها وهي:

١ـ الإثم اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وجمعه آثام، وهي الأفعال التي تقصر بصاحبها وتؤخّره عن فعل الواجب وأداء الفرائض من قولهم: ناقة آثمة، أي متأخرة. وقوله تعالى في ذكر الخمر والميسر {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا } ﴿البقرة: ٢١٩﴾ أي في تناولهما إبطاء عن الخيرات[2].

٢ـ الأصر عقد الشيء وحبسه بقهره، يقال: أصرته فهو مأصور وجمع الإصر آصار وهي الأفعال التي تحبس صاحبها، قال تعالى: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} ﴿الأعراف: ١٥٧﴾ أي الأمور التي تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات. وبهذا الملحظ استعمل الإصر بمعنى العهد المؤكد الذي يثبط ناقضه عن الثواب والخيرات، قال تعالى {قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي} ﴿آل عمران: ٨١﴾ [3].

٣ـ الحوب يفيد أنه مزجور عنه وذلك أنّ أصله في العربية الزجر، ومنه يقال في زجر الإبل: حوب حوب، وقد سمي الجمل به؛ لأنّه يُزج. قال تعالى: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى

(١) ينظر: المفردات (حقد، شنأ، وتر).

(٢) ينظر: المفردات (أثم).

(٣) ينظر: المفردات (أصر).

أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} ﴿النساء: ٢﴾ ومعنى (حوبًا كبيرًا) أنّ كافل اليتيم إذا كان موسرًا ثم أكل مال اليتيم فقد جاء بإثم يستحق عليه الزجر[١].

٤ـ الذنب ما يتبعه الذم، والأصل في الذنب الرذل من الفعل كالذّنَب الذي هو أرذل ما في صاحبه، فهو ما يتبع العبد من قبيح عمله. والذنوب هي الأفعال التي يتبعها ذم وتقريع[٢].

٥ـ الجرم ما ينقطع به عن الواجب، وذلك أنّ أصله في اللغة القطع، فالجرم هو العمل القبيح الذي ينقطع به العبد عن الواجب[٣].

٦ـ الوزر أصله الثقل ويعبر به عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل، قال {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} ﴿النحل: ٢٥﴾، وحمل وزر الغير في الحقيقة هو على نحو ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله: "من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أنْ ينقص من أجره شيء، ومن سن سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها" أي مثل وزر من عمل بها[٤].

س: هل يمكن استبدال لفظة (الحجاب) بلفظة الستر في قوله (عليه السلام): "الوالي أحقّ من سترها"؟ ولماذا؟

فسر المعجميّون الحجاب بالسِتْرُ[٥]، وبينهما فرق، ذلك أنّ الحجب يعني المنع مع القهر والقوة. وهو شائع في المحسوسات كحاجب العين وحاجب الأمير، أما الستر فيعني الإخفاء والتغطية مع اللطف واللين؛ ولذا شاع في المعنويات كالذنوب والعيوب، وفي قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ القرآن جَعَلْنَا بَيْنَكَ

---

(١) ينظر: المفردات (حوب).

(٢) ينظر: المفردات (ذنب).

(٣) ينظر: المفردات (جرم).

(٤) ينظر: المفردات (وزر).

(٥) ينظر: الصحاح (حجب).

وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ﴿الإسراء: ٤٥﴾ معنى (حجابًا مستورًا): حجابًا مخفيًا.

س: في قوله عليه السلام " فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ. " فسوء الظّنّ بالله صفة جمعت البخيل والجبان والحريص من الناس، ولم يخرجهم من الإسلام، فهل الشّكّ في الله يخرجهم منه؟ بيّن ذلك في ضوء الوقوف على الفرق الدقيق بين الظّنّ والشّكّ قرآنيًا.

إن الشَّك استوَاء الطرفين الجائزين في المسألة المشكوك في أمرها، وَالظَّن رُجْحَان أحد الطرفين الجائزين فيها، فأصل الشَّك فِي العربيّة من قَوْلك: شَككت الشَّيْء إذا جمعته بِشَيْء تدخله فِيهِ وَالشَّكّ هُوَ اجْتِمَاع شَيْئَيْنِ فِي أمر واحد، والشاكّ يجوز كَون مَا شكّ فِيهِ على إِحْدَى الصفتين؛ لِأَنَّهُ لَا دَلِيل هُنَاكَ وَلَا أَمارَة وَلذَلِك كَانَ الشاك لَا يحْتَاج فِي طلب الشَّك إلى الظَّن وَالْعلم فيستعين بِالنّظر لا غير.

أما الظانّ فيتحصل في نفسه على قوة الْمَعْنى من غير بُلُوغ حَال الثِّقَة الثابتة، وَلَيْسَ كَذَلِك الشَّك الَّذِي هُوَ وقُوف بَين النقيضين من غير تَقْوِيَة أَحدهمَا على الآخر. فعلى هذا يكون الظن أشبه باليقين؛ لأن الظان محرزٌ للحق بدرجة معينة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿البقرة: ٤٦﴾، بخلاف الشاكّ الذي يقف في منزلة بين منزلتين، لا يدري في أيهما الحق فيحتاج إلى من ينوره ويأخذ بيده نحو الحق كدأب الرسل مع قومهم في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ﴿إبراهيم: ١٠﴾.

س: حصل للفظة (الحفلات) الواردة في النصّ تخصيصٌ دلاليّ، بيّنه من خلال تلمّس التطور التاريخيّ للفظة.

الحفل دالّ على الاجتماع، حفَل الماء واللبن يحفِل حفلا، أي اجتمع، وحفَل الوادي بالسيل: جاء بملء جنبيه، وضرعٌ حافل: كثيرٌ لبنه، من حفلت

الشاة، أي: اجتمع اللبن في ضرعها، وحفل القوم: اجتمعوا في مجلسهم، والمحفل كمجلس: المجتمع أيْ مكان الاجتماع، وهو يستعمل دالًّا على كلّ اجتماع في الخير أو الشّرّ ولكلّ غاية من الخطبة في الناس أو تعزية في ميّت، فيراد به كثرة المجتمعين.

أمّا في العصر الحاضر فخصّت لفظة الحفلة بالناس المجتمعين في فرح أو طربٍ، وساعد على هذا التخصص الدلالة؛ لأن اللفظة على صيغة اسم المرة الدال على حصول الفعل مرة واحدة، وآكد منها لفظة المحفل التي خصت بالجلسة الدينية، فيقال: محفلٌ قرآني، ولا يقال: حفلة قرآنية؛ لأن المحفل مصدر ميمي دال على المكان والزمان والحدث.

المستوى البلاغيّ

س: تعدّدت أساليب التوكيد في النصّ المتقدّم، اذكرها موضّحًا أهميّة هذا الأسلوب البلاغيّ لدى المتلقّي.

التوكيد يأتي مراعاة لحال السامع، وهو من فنون علم البيان، ويتّضح جليّا في هذا المقطع؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) يأمر الحاكم بالأمور الأساسيّة في حكمه وهي اختيار البطانة أي: المقرّبين له، فاستعمل التوكيد بالحروف ومنها:

١ـ إنّ الحرف المشبّه بالفعل في نحو: " فإنّ الساعي غاشّ ".

٢ ـ نون التوكيد الثقيلة في نحو: " فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك ".

٣ـ التوكيد بالقصر نحو: " فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك".

٤ـ التوكيد الأسلوبي أي: تعديد الأوامر والنواهي بتكرار أسلوب التفضيل الذي غلب على النصّ، وفي هذا الأسلوب تأكيد على أفضلية المختارين، واستعمال التوكيد بأسلوب التقديم والتأخير الذي له أثر في تأكيد أهميّة المقدّم ولفت الانتباه إليه نحو: "فإن في الناس عيوبًا".

س: في النصّ كنايات لطيفة، استخرجها وبيّن معناها.

في قوله (عليه السلام): " استر العورة ما استطعت" كنّى بالعورة عن كلّ قبيح، من قول يسمعه عن الآخرين أو فعل يصدر منهم، والعورة في الأصل من ذهاب حسن العين بخلل إحدى العينين دون الأخرى ثم سمّي الأمر القبيح أو ما فيه خلل يستوجب ستره وعدم إبدائه عورة، منها العورة لسوءة الإنسان، والوقت الذي يجب فيه الاستئذان، والبيت غير المحكم، وفي هذه الكناية ترك للفظ إلى ما هو أحسن وأجمل؛ إذ تذكر العورة تشبيهاً بالعين بدلًا عن الألفاظ القبيحة التي يعاب عليها الإنسان.

وفي لفظة (البطانة) كناية عن الجماعة المقرّبة من الحاكم في مجلسه، وهم الذين لا يفارقونه ويشيرون عليه، من بطانة الثوب الملتصقة بالجسد.

وفي قوله (عليه السلام): " أطلق عن الناس عقدة كلّ حقد " كناية عن ابتعاده عمّا يسيء إلى الناس من قرارات تثقل عليهم وتصعّب معايشهم، وهذا يورث عندهم حقداً على الحاكم ينعقد في صدورهم عليه.

س: أسلوب الحكيم من فنون علم البديع الذي يوصل الخطاب إلى المتلقّي بسرعة ويسر، وضّح ذلك من خلال النصّ المتقدّم.

أسلوب الحكيم هو أنْ تحدِّثَ المخاطَبَ بغيرِ ما يتوقعُ كما في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (البقرة ١٨٩)، فقد سألوا عن الهلال ما باله يبدو صغيراً فيكبرُ ثم يعودُ كما بدأ؟ فقد كان سؤالُهم عن السببِ، وكان الجوابُ عن الحكمةِ من تغيرِ الأهلَّة وهي مواقيتُ للناسِ والحجِّ[1].

نلحظ حكمته (عليه السلام) في تدريج الأوامر للحاكم بما يستوعبه وييسّر عليه العمل بوصايا الإمام (عليه السلام)، فالأوّل ذكر له الصفات العامّة لمن يجالسون الحاكم من البخلاء والجبناء والحرصاء، واستعمل لهؤلاء

(١) ينظر: الخلاصة في علوم البلاغة للشحود ٦٢.

ما يدلّ على العموم في اختيارهم لفظة البطانة؛ لأنّها دالّة على كلّ المقرّبين خيِّرهم وشرّيرهم، قال النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): " ما بعث الله من نبيّ ولا استخلف من خليفة إلّا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشرّ وتحضّه عليه، فالمعصوم مَن عصم الله تعالى"[1].

ثم خصّص (عليه السلام) الأقرب من هؤلاء المغربلين أوّلًا إلى غربلة ثانية بقوله مخصّصًا بعد تعميم "ممن لم يعاون ظالمًا على ظلمه" فهذا المعيار مهمّ جدًّا في تصنيف الأشخاص؛ لأنّه ينظر إلى الجانب العمليّ التطبيقيّ لأفعالهم فإنّ الإنسان إذا تشبّه بالأخلاق كشفه عمله، فيقول (عليه السلام): التمس من لا يعرف بالجُبن أو البخل، فإذا وجدت هؤلاء اكشف عن صدقهم بأنّهم لم يكونوا ممّن تلطّخت أيديهم بأعمال فسادٍ مع من كان قبلك من الحكومات.

واستعمل (عليه السلام) في تخصيصه لفظة (الخاصّة) دون البطانة، وأسلوب التخصيص بعد التعميم والتدرّج في إيصال الأوامر أسلوبٌ قرآنيّ معروف على ما نجد في تحريم الخمر، وما نجد من تفصيل بعد إجمالٍ في أنواع الأنعام {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ﴿الأنعام: ١٤٣﴾.

س: ثمّة فن بلاغيّ تجده في قوله (عليه السلام): " فاتّخذ أولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك".

في قوله (عليه السلام): خلواتك وحفلاتك طباق إيجاب، وهو أنْ تكون كلمتان مختلفتان في اللفظ والمعنى، ولكنّهما متقابلتان، والخلوات هي المجالس الخاصّة التي لا يحضرها إلا القلّة التي يعتمد عليها الحاكم في إدارة حكمه، أمّا الحفلات فهي المجالس العامّة التي يحضرها الحاكم برفقة كثير من الناس للخطبة فيهم.

---

(١) رواه البخاري.

المقطع الخامس: أسس التعامل مع البطانة

قوله (عليه السلام): "وَالْصقْ بِأَهْلِ الْورَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُم عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَلاَ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَة سَوَاء، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، لاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيء مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا. وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَثَةَ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ".

المعنى العام[1]

في هذا المقطع أمر (عليه السلام) الأشتر برعاية العدالة والحقّ بين الناس، وليس معنى هذا أنْ ينظر إلى جميعهم بنظرة واحدة ويكون المحسن والمسيء سواسيةً لديه، فذلك يوجب تزهيد أهل الإحسان في الإحسان وتمسّك أهل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/ ٤٥-٤٨.

الإساءة بها، ثمّ نبّهه على أنّ أفضل ما يتوجّه إليه الوالي هو جلب حسن ظنّ الرّعيّة وذلك يتمّ بأمرين:

الأول: الإحسان بالرعايا ببذل ما يحتاجون من المؤونة والحوائج.

والآخر: تخفيف ما يطلب منهم من الخراج والمؤونات وترك استكراههم على ما ليس في عهدتهم لجلب حسن ظنّهم واعتمادهم على الوالي، فحسن الظنّ بالوالي إذا عمّ الرعايا يسهّل الأمر عليه في طاعتهم، ولا يحتاج إلى بثّ العيون والمحافظين عليهم، وحسن الظنّ لا بدّ أنْ يكون بعد التجربة والامتحان.

ثمّ وصّاه برعاية السنن الصالحة الّتي عمل بها صدور الأمّة الإسلاميّة، وشاعت بين المسلمين وألفوا بها، فلا يصحّ نقض هذه السنن وتبديلها بالبدع أو تركها رأسًا، والمقصود منها السنن الحسنة الّتي عمل بها المسلمون اقتداء بالنبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم أو عملوها في مشهد من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأقرّهم عليها. فالسنن الحسنة يؤخذ بها وإنْ كانت للكفار كحلف الفُضول؛ إذ هو عُرفٌ صالح يُراد به نصرة المظلوم وإعانة الفقير.

وأوصاه عليه السلام بمدارسة العلماء والأخذ بالعلم الذي يستهدف خير البشرية كالأخذ من الحضارات التي سبقت أو الأمم المجاورة ما يفيد الناس في عيشهم بعد مناقشة الحكماء من قومه.

المستوى الصوتيّ

س: ما الفرق في التعليل الصوتيّ لقلب الصائت الطويل (الواو) صائتًا آخر (الألف) في الفعل (استقام) بين القدماء والمحدثين؟

(استقام) على وزن استفعل، وأصله (استقْوَم) فنُقلت حركت الواو إلى القاف الساكنة قبلها؛ لأنّ الصحيح أولى بالحركة من المعتلّ ثم قلبت الواو ألفًا لتحركها في الأصل وسبقها بفتحٍ الآن، وهذا تعليل القدماء. أما المحدَثون فرأوا أنّ الذي جرى في تشكيل هذا النمط من الأفعال هو حذفٌ للواو ومد الفتحة

قبلها وليس قلبًا للواو ألفًا؛ إذ الأصل: (إِـ س، ت ـَ ق، وـَ، م ـَ) ولمّا كان المقطع الثالث (وـَ) مزدوجًا صائتًا حذفت قاعدته الواو ومدّت قمّته (الفتحة) وأعيد التشكيل المقطعيّ بنقل القاف لتكون قاعدةً للمقطع الجديد كما في التشكيل: (إِـ س، ت ـَ، ق ـً، م ـَ).

س: علّل صوتيًّا حذف الألف من فعل الأمر (راض) في قوله (عليه السلام): " ثم رُضهم".

إنّ فعل الأمر يصاغ بحذف حرف المضارعة، وقطع الصائت القصير (الحركة) من آخره، والمضارع هو (يروضُ) حذفت الياء من أوله والضمة من آخره فصار (رُوْضْ) فالتقى فيه ساكنان فحذف أولهما (الواو) فصار (رُضْ).

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة الواردة في النصّ، واضبط حركة حرف المضارعة فيها، ثم بيّن دلالتها الصرفيّة.

١ـ يطروك: يحرّك حرف المضارعة (الياء) بالضمّ؛ لأنّ الماضي مزيد بهمزة القطع، والهمزة أفادت التعدية، طري الشيء طراوة: غضّ، ومنه قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا} ﴿النحل: ١٤﴾ أي: غضًّا جديدًا، وأطراه: أحسن الثناء عليه.

٢ـ ييجّحوك: يحرّك حرف المضارعة (الياء) بالضمّ أيضًا؛ لأنّ الماضي مزيد بتضعيف العين التي أفادت التعدية، بجح به على الباب الرابع: فرح، وبجّحته فتبجّح.

٣ـ تُحدث: يحرّك حرف المضارعة (التاء) بالضمّ؛ لأنّ الماضي مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية، حدث الشيء حدوثًا: صار بعد أنْ لم يكن، نقيض قدم، وأحدثه: أوجده.

٤ـ تُدني: يحرّك حرف المضارعة (التاء) بالضمّ؛ لأنّ الماضي مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية، دنا يدنو دنوًا: قرب {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى} ﴿النجم: ٨﴾، وأدناه: قرّبه.

٥ـ ألزمْ: فعل أمر ماضيه مزيد بهمزة القطع التي تحذف في المضارع ويؤتى بحرف المضارعة مضمومًا، وفي الأمر يؤتى بهمزة قطع مفتوحة، وأفادت الزيادة التعدية إلى المفعول الثاني، لزمه على الباب الرابع يلزمه لزمًا ولزومًا: لم يفارقه، وألزمه إيّاه فالتزمه.

٦ـ يجتمع: يُحرّك حرف المضارعة بالفتح؛ لأنّ الفعل ليس من الصيغ الأربع التي يأتي مضارعها مضمومًا، وهي: (أفعل، فعّل، فاعل، فعلل)، وهو مزيد بهمزة الوصل والتاء، وأفادت الزيادة المطاوعة لصيغة فَعَل، جمعته فاجتمع.

٧ـ أكثِرْ: على نحو ألزم، وهمزة القطع أفادت التعدية للمفعول الأوّل، كثُر الشيء: نقيض قلّ، وأكثره.

س: استخرج المصادر القياسيّة، واذكر طريقة اشتقاقها، مبيّنًا دلالتها الصرفيّة.

١ـ نَصَبًا: مصدر مقيس على الفعل بفتحتين؛ لأنّه من الباب الرابع؛ إذ تأتي الأفعال الدّالة على الصفات الطارئة من الامتلاء والخلوّ على الفَعَل، نحو: التَّعَب والفَرَح والغَضَب، ويقال: نصِب ينصَب نَصَبًا بمعنى تعِب تَعَبًا شديدًا.

٢ـ الورع: كسابقه، من أفعال الباب الرابع يدلّ على الامتلاء، ورع يرع ورعًا ووراعةً، أي تحرّج من الإثم.

٣ـ إطراء: مصدر على زنة إفعال، وهو قياس في صيغة أفعل، نحو: أذهب إذهابًا، دالّ على التعدية.

٤ـ تزهيد: مصدر على زنة (التفعيل) وهو قياس في صيغة فعّل، نحو: قرّب تقريبًا، وهو دالّ على التعدية، فالمجرّد (زهِد في الشيء) على الباب الرابع

زُهدًا وزَهادة، أي: رغب عن الشيء، قال تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} ﴿يوسف: ٢٠﴾ أي: الراغبين عنه.

٥ـ تدريب: مصدر على التفعيل، وهو قياس من فعّل، والزيادة أفادت التعدية، درِب بالشيء من الباب الرابع دربًا ودربة: لزمه ولصق به، وتسمّى العادة والتجربة دُربةً.

٦ـ إساءة: مصدر على إفَعْلة على رأي سيبويه مقيس من (أفعل) الذي مصدره الإفعال، وحصل تغيير إعلاليّ بحذف الألف لالتقائها بسكون العين المعتلّة بعد نقل حركتها إلى الفاء الصحيحة، وعوّض بالتاء، وهو دالّ على المبالغة، ساءه سوءًا: فعل به ما يكره فاستاء {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ} ﴿الإسراء: ٧﴾، وأساء إليه إساءة: ضدّ أحسن.

٧ـ الإحسان: مصدر على إفعال أيضًا، وزيادة همزة القطع أفادت التعدية، يقال: حسُن الشيء على الباب الخامس: نقيض قبُح، فهو حسنٌ، فهذا لازم و(أحسن) متعدٍّ، قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ} ﴿السجدة: ٧﴾.

٨ـ استكراه: مصدر على الاستفعال، من استكرهه المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة دالّة على المبالغة، فيقال: كره الشيء كُرهًا وكَرهًا، وأكرهه غيره على فعْله، أي أجبره واستكرهه عليه، أبلغ من أكرهه عليه وذلك بأنْ يجبره على فعله بالقوة والقهر مع عدم قدرته على فعله، فقولنا: (أكرهت فلانًا على فعل كذا) يعني إجباره على القيام بالفعل وهو قادرٌ عليه، لكنه يأبى ذلك، أما (استكرهته) فيعني إجباره على فعل لا طاقة له به، وهذا واضح في قوله عليه السلام (وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ) إذ المراد هو أنْ يترك الوالي إجبار الرعية على فعل شيء لا طاقة لهم به، فاستكره أكثر مبالغة من (أكره) الذي يعني الحمل على فعل الشيء المكروه {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} ﴿النور: ٣٣﴾ أما استكره

فيعني الحمل على فعل الشيء الذي يفوق القدرة والسعة، أمّا كرّه فيفيد الصيرورة، أي: جعل الشيء كريهًا، قال تعالى: {وَكَرَّهَ إليكمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} ﴿الحجرات: ٧﴾.

٩ـ أجر: مصدر على فَعْل قياسًا من الأفعال كلّها، أجر يأجر من الباب الأوّل أجرًا: جزاهن وهو الجزاء على العمل، وآجره غيره فالهمزة للتعدية، وأجرت المملوك: أكريته، واستأجرته: صيّرته أجيري.

١٠ـ مدارسة: مصدر على المفاعلة وهو قياس من (فاعل) المزيد بالألف، ويدلّ على المشاركة المحدّدة الجهة، أي: مشاركة الوالي للعلماء، أمّا الاشتراك فهو تبادل المشاركة دون تحديد البادئ بالمبادرة.

١١ـ مناقشة: مفاعلة من ناقش على فاعل، أي: الاشتراك في استقصاء الحقائق واستخراجها حتى لا يترك من المسألة شيئًا؛ لأنّه مأخوذ من النقش، وهو استخراج شيء واستيعابه حتّى لا يترك منه شيء، نقش الشعر بالمنقاش: نتَفه.

١٢ـ تثبيت: مصدر على التفعيل من ثبّت، المزيد بتضعيف العين، الدالّ على المبالغة، ثبت على الشيء فهو ثابت ضدّ الزوال، قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا} ﴿الأنفال: ٤٥﴾، وأثبتُّه: صيّرته ثابتًا محبوسًا، قال تعالى: {وَإِذْ يمكُرُ بكَ الَّذين كفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ أو يُخرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خيرُ الْمَاكِرِينَ} ﴿الأنفال: ٣٠﴾ فمعنى يُثبتوك: يحبسوك في دارك فلا تخرج منها، وكان هذا سبب هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) متخفّيًا؛ لأنّ القوم تربّصوا به ريب المنون، والتثبيت مبالغة في الثبات قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذين آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} ﴿إبراهيم: ٢٧﴾.

١٣ـ إقامة: مصدر على إفعلة أو إفالة من أفعل معتلّ اللام على الإفعال ثم حذف الألف التي هي إما عين الصيغة أو ألف الإفعال وعوّضت بتاء في الآخر.

١٤ـ تخفيف: مصدر على التفعيل من خفّفه، والزيادة أفادت التعدية، خفّ الثقل يخفّ، وخفّفته.

س: استخرج المشتقات من النصّ، وحدّد نوعها.

١ـ المُحسن: اسم فاعل على زنة مفعل من أحسن.

٢ـ المُسيء: اسم فاعل على مفعل من أساء يسيء، وحصل إعلال بالنقل.

٣ـ والٍ: اسم فاعٍ على زنة فاعل من ولي فهو الوالي، حذفت الياء لأجل التنوين.

٤ـ طويلًا: صفة مشبّهة على فعيل، من الباب الخامس طال يطول.

٥ـ أدعى: اسم تفضيل على أفعل، حصل إعلال للواو فقلبت ألفًا لفتح ما قبلها.

٦ـ أحقّ: اسم تفضيل أيضًا وحصل إدغام للمتجانسين.

٧ـ منزلة: مصدر ميميّ، نزل ينزل نزولًا. ويراد بها المكانة والمرتبة (أنزلوا الناس منازلهم)، وتأتي في سياق آخر اسم مكان، منزلة القافلة موضع نزولها.

٨ـ صالحة: صفة مشبّهة على زنة فاعلة، وتأتي صيغة (فاعل) دالّة على الثبوت إذا لم يسمع منها فعيل، نحو طاهر ومالح وغيرها، والصالحون ضدّ الطالحين، وهم الأخيار الذين لا يفسدون.

٩ـ الماضي: اسم فاعل من مضى يمضي وهو النفاذ، قال تعالى: {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ} ﴿الزخرف: ٨﴾، فهو ماض.

١٠ـ باطل: اسم فاعل من بطل الشيء يبطل على الباب الأوّل بطلًا وبطولًا وبطلانًا {فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ﴿الأعراف: ١١٨﴾، وهو ذهاب الشيء وقلّة مكثه، ثم سمّي به كلّ ما خالف الحقّ؛ لأنّه لا مكث له.

س: هل (علماء) في قوله (عليه السلام): "وأكثر مدارسة العلماء" جمع عليم أم عالم؟ولماذا؟

(علماء) جمع عليم قياسًا في فعيل صفة مشبّهة من الصحيح، نحو فقير وكريم جمعها فقراء وكرماء، أمّا عالم فهو اسم فاعل وقياس جمعه: عُلّام وعَلَمة، كطالب طُلّاب طَلَبة.

س: زن الكلمات الآتية، واذكر معانيها الصرفيّة.

١ـ العزّة: فعلة، مصدر هيأة من عزّ يعزّ على الباب الثاني عزًّا وعزازة: قوي بعد ذلّة. والعزّة حالة مانعة للإنسان من أنْ يُغلب، من قولهم: أرض عزاز، أي: صلبة قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} ﴿البقرة: ٢٠٦﴾. وهنا أمره (عليه السلام) بأنْ يمنعهم من كثرة الإطراء؛ لأنّها تجعل الوالي مزهوًّا بنفسه وتقرّبه من العزّة بنفسه، وهذه هيأة للعزّة مذمومة بأنْ يغترّ الإنسان بماله أو قوّته أو جاهه، والعزّة هيأة للقوّة والمنعة تحصل للمؤمن من الله منّة وتفضّلًا، قال سبحانه: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ﴿المنافقون: ٨﴾ أي جميع هذه الهيآت، فهو سبحانه يمنح المؤمن العزّة، ولا تكون له من نفسه.

٢ـ قِبَلهم بكسر ثم فتح: ظرف مكان مبنيّ على زنة فِعَل بمعنى (عند)، قال تعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} ﴿المعارج: ٣٦﴾. أمّا (قبل) فهو ظرف أيضًا يكون للزمان أو للمكان.

٣ـ سنّة: اسم على فُعلة وهي صيغة تدلّ على ظهور أثر الفعل في الموضع، والسّنّة هي الطريقة التي يظهر فيها أثر سيل الماء ومجراه، ويقال: سنّة الوجه: طريقة جريان الماء عليه، وسنّة الله: طريقة طاعته وحكمه، قال تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} ﴿الأحزاب: ٦٢﴾.

٤ـ الأُلفة: اسم على فُعلة من الائتلاف، يقال: ألّفت بينهم ألفة فائتلفوا، وهو الاجتماع والالتئام.

٥ـ سواء: اسم مصدر من ساوى بينهم يساوي مساواة، أي: عدل وجعلهم متساوين لا فرق بينهم. والسواء هو العدل من كلّ شيء، سواء الطريق، أي: المستقيم منه المعتدل المتساوي، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} ﴿آل عمران: ٦٤﴾، أي: عدل، وسواء النهار: منتصفه.

المستوى النحويّ

س: استخرج الجُمل التي لها محلّ من الإعراب، وبيّن محلّها الإعرابي؟

١ـ جملة "ليس شيء بأدعى" في محلّ رفع خبر (أنّه) قبلها.

٢ـ جملة "إنّه ليس شيء بأدعى" سدّت مسدّ مفعولي (اعلم) قبلها.

٣ـ جملة "يجتمع لك بها" في محلّ رفع صفة لاسم كان، وهو (أمر).

٤ـ جملة (عمل بها صدور هذه الأمّة) في محلّ نصب صفة ثانية للمفعول به (سنّة).

٥ـ جملة "تضرّ بشيء من ماضي تلك السّنن" في محلّ نصب صفة للمفعول به (سنّة).

٦ـ جملة (لم تفعله) في محلّ جرّ صفة للفظة (باطل) المجرورة بالباء.

٧ـ جملة (تحدث الزهو) في محلّ رفع خبر إنّ.

س: في النصّ مصدران عملا عمل فعليهما، استخرجهما، وعلّل سبب إعمالهما.

١ـ في قوله (عليه السلام): "وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم"، فالمصدر (استكراه) عمل عمل فعله (استكرههم)؛ وذلك لصحّة تأويله بأنْ والفعل، والتقدير: وترك أنْ يستكرههم على ما ليس له قبلهم، فالمصدر أضيف إلى فاعله، وهو (الوالي)، ونصب مفعولًا به هو الضمير المنفصل (إيّاهم).

٢ـ في "وتخفيفه المؤونات عنهم" المصدر (تخفيف) عمل عمل فعله (خفّف) لصحّة تأويله بأنْ والفعل، فأضيف إلى فاعله، ونصب المفعول وهو (المؤونات) وعلامة النصب الكسرة؛ لأنه جمع مؤنّث سالم.

س: كيف توجّه حذف النون من (يطروك) في: " ثم رضهم على ألّا يطروك "؟

ألّا أداة مكوّنة من (أنْ) المصدرية الناصبة و(لا) النافية، وأدغمت النون مع اللام؛ ولذا الفعل (يطروك) منصوب وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع فاعل، والكاف ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به.

س: بيّن نوع اللام في "وإنّ أحقّ من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده"؟

اللام هي المزحلقة التي تفيد التوكيد، دخلت على خبر إنّ وهو (مَن) الاسم الموصول، و(حسن) فعل ماض، و(بلاؤك) فاعل، و(عنده) ظرف مفعول فيه، والجملة الفعليّة صلة لـ(من)، واسم (إنّ) هو (أحقّ).

س: ما نوع الباء في: "ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيّته من إحسانه إِلَيْهِمْ "؟

يذكر النحويّون أنّها الباء الزائدة، والأظهر أنّها تفيد الإلصاق والتمسّك بالشيء وهذا هو المعنى الرئيس للباء، والمراد: لا يوجد شيء يتمسّك به الوالي في دعوته لجلب حسن ظن الناس به أفضل من التمسك بالإحسان إليهم، ثمّ المداومة على هذه الخصيصة لكسب ودّهم وضمان ولائهم.

س: ما نوع الفاء في (فيكون الأجر لمن سنّها) و(فليكن منك في ذلك أمر) و(فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان)؟

الفاء في الجملة الأولى هي السّببيّة مسبوقة بنفي، وبعدها فعل مضارع منصوب، والفاء في الجملة الثانية هي الفاء العاطفة، عطفت جملة "فليكن منك" على "واعلم أنّه ليس"، واللام هي لام الأمر، و(يكن) فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون، وحذفت عينه لالتقاء الساكنين، والفاء في الجملة الثالثة تعليليّة إذ بيّنت علّة المنع في مساواة المُحسن بالمسيء.

س: ما نوع (أل) في لفظتي: السنن والأجر في قوله (عليه السلام): " ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السّنن فيكون الأجر لمن سنّها"؟

(أل) في (السنن) هي العهديّة لسبق ذكرها في: "ولا تنقضنّ سنّة صالحة عمل بها صدور الأمّة"، أمّا في (الأجر) فهي لام التعريف.

س: ما إعراب (قِبَل) في "على ما ليس له قبلهم"، و(قَبل) في "وإقامة ما استقام به الناس قبلك"؟

(قِبَل): ظرف مكان بمعنى الجِهة في محلّ نصب مفعول فيه، وليس: فعل جامد ناقص مبنيّ على الفتح، واسمها مستتر يعود على (ما) الموصولة قبلها، أي: الشيء المكره، و(له) جارّ ومجرور خبر، وقد جاء الظرف (قبل) دالًّا على المكان في قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} ﴿البقرة: ١٧٧﴾، أمّا (قَبْل) فهو ظرف زمان في محلّ نصب مفعول فيه.

س: أعرب اسمي الإشارة وما بعدها فيما يأتي: " عمل بها صدور هذه الأمّة "، و" بشيء من ماضي تلك السّنن"؟

(هذه) اسم اشارة للقريب مبنيّ في محلّ جرّ بالإضافة، والأمّة بدل من اسم الإشارة مجرور. واسم الإشارة (تلك) للبعيد في محلّ جرّ بالإضافة، والسّنن بدل من اسم الإشارة مجرور.

المستوى المعجميّ

س: اكتسبت لفظة (السنّة) تخصيصًا دلاليًّا، فصارت تطلق على أقوال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلم وأفعاله، فهل هي بهذا المعنى في قوله (عليه السلام): " ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة"؟

إنّ لفظة (السّنّة) اكتسبت التخصيص من الناحية التّشريعيّة، أي ضمن استعمالها مع الشرع الإسلاميّ ومصطلحاته، أمّا من الناحية اللغويّة فهي مستعملة بقرينة دالّةٍ على هذا الأصل، وهي في النصّ موصوفة بجملة (عمل

بها صدور الأمّة) للتنبيه على إرادة غير المعنى الفقهيّ الذي صار عرفًا عند الناس. والمراد من كلامه (عليه السلام) السنة العرفية على الرغم من إشارته في المقاطع السابقة إلى دول الجور والعدل التي سبقته أنّ تحرّي العدل والصّدق لا يمنع من الأخذ بسنّة السابقين: عادلين وجائرين من سنن الصلاح؛ إذ قد يجري الله على يد الظالمين شيئًا من الحقّ[١]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " إن الله عز وجل يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر"[٢].

س: يفسّر الإطراء بالمدح والثناء، فما الفرق بين الألفاظ، هل هي مترادفة؟

إنّ الإطراء مَدْح فِي الْوَجْه وَمِنْه قَوْلهم الإطراء يُورث الْغَفْلَة يُرِيدُونَ الْمَدْح فِي الْوَجْه، وأما المدح فيكون مُوَاجهَة وَغير مُوَاجهَة، ويكون للحي وَالْمَيِّت، والتقريظ لَا يكون إِلَّا للحي وَخلَافَة التأبين وَلَا يكون إِلَّا للْمَيت، أما الثَّنَاء فمدح مُكَرر من قَوْلك: ثنيت الْخَيط إذا جعلته طاقين وثنّيته بِالتَّشْدِيدِ إذا أضفت إليه خيطًا آخر، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى (سبعًا من المثاني) يَعْنِي سُورَة الْحَمد؛ لِأَنَّهَا تكَرر فِي كلّ رَكْعَة. والإطراء أبلغ من المدح؛ لأنّ الإطراء مدحٌ بأحسنِ ما لدى الممدوح، وأصله من الطراوة التي هي الغضاضة والليونة، ومعنى أطراه جعله طريًّا من فرط المدح أيْ إنّ الإطراء يجمع المواجهة والتأثير في نفس الممدوح فيجعله ليّنًا غضًّا لِما يسمع. والمدح لا يؤدي هذا المعنى النفسي؛ لأنه لا يستدعي المواجهة ولا التأثير في النفس[٣].

س: ذكر (عليه السلام) لفظة النَّصَب " فإنّ حُسن الظّنّ يقطع عنك نصبًا طويلًا "، وهذه اللفظة فُسِّرت بالتعب واللغوب، فما الفرق بين هذه الألفاظ الثلاث؟

---

(١) ينظر: المفردات (سنن).

(٢) مسند أحمد رقم ٨٠٩٠.

(٣) الفروق اللغوية ٥١-٥٢.

النَّصَبُ بمعنى التَّعَبُ. قال تعالى: {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} ﴿الكهف: ٦٢﴾ وأصله من نَصْبِ الشيء: وَضْعُهُ وضعاً ناتئاً كنَصْبِ الرُّمْحِ، والبِنَاء والحَجَرِ، والنَّصِيبُ: الحجارة تُنْصَبُ على الشيء، أي إنّ التعب سمّي نصَبًا؛ لأنه يقعد بصاحبه فيجعله منتصبًا في مكانه كأنّه رمحٌ ما به حركة، وهو من لوازم المسافرين؛ لأنّهم يظهر عليهم التعب من السفر.

فعلى هذا النصب إعياء ظاهر، أمّا التعب فإعياء خفيّ يقال: تَعِبَ تَعَباً: أَعْيَا. وأَتْعَبَهُ غيرُه، فهو تَعِبٌ ومُتْعَبٌ. ولم ترد مشتقات (تعب) في التعبير القرآني. أمّا اللُّغُوبُ فهو مآل النصب ونتيجة له، وهو يعني الضعف في البدن، وذكر الراغب الأصفهانيّ أنّ أصله من قولهم: "سهم لَغِبٌ: إذا كان قذذه ضعيفة، ورجل لَغِبٌ: ضعيف بيّن اللَّغَابَة". فاللغوب نتيجة للنصب ومآل له كما في قوله تعالى: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} ﴿فاطر: ٣٥﴾ فقدم النصب؛ لأنه مقدمة للّغوب وأخر اللّغوب الذي هو نتيجة للنصب[1].

س: هل المراد بأهل الورع في قوله (عليه السلام): " والصق بأهل الورع " أهل التقوى، ما الفرق بين اللفظين؟

التقوى من الجذر (وقى) الذي تدل مشتقاته على "دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِه. وَوَقَيْتُهُ أَقِيه وَقْيًا. وَالْوِقَايَةُ: مَا يَقِي الشَّيْءَ. وَاتَّقِ اللَّهَ: تَوَقَّهُ، أَيِ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالْوِقَايَةِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ: اجْعَلُوهَا وِقَايَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا"[2].

---

(١) ينظر: المفردات (تعب، لغب، نصب).

(٢) مقاييس اللغة ٦/١٣١.

أما الورع فتدل مشتقاته عَلَى الْكَفِّ وَالِانْقِبَاضِ. مِنْهُ الْوَرَعُ: الْعِفَّةُ، وَهِيَ الْكَفُّ عَمَّا لَا يَنْبَغِي؛ وَرَجُلٌ وَرِعٌ. والورع في الشرع هو الكفّ عن الحلال مخافة الوقوع في الحرام[1].

س: ذكر (عليه السلام) لفظتي التدريب والرياضة بقوله: " فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة "، وقال (عليه السلام): " ثم رضهم على أنْ لا يطروك "، فما الفرق بين اللفظين؟

التدريب من الدَرْبُ وأصله المَضيق في الجبل. وقد دَربَ بالشيء إذا اعتاده ومضى فيه. تقول: ما زلت أعفو عن فلان حتى اتَّخّذَها دُرْبَةً. ورجل مُدَرَّبٌ ومَدَرِّبٌ، مثل مُجرَّبٌ ومُجَرِّبٌ. وقد دَرَّبَتْهُ الشدائد حتى قَويَ ومَرَنَ عليها. ودَرَّبْتُ البازيَ على الصيد، إذا ضَرَّبْتَهُ. فالتدريب مبالغة في طرق الدرب المعلوم والدأب عليه صالحًا كان أم طالحًا.

أما الرياضة فمن رُضْتُ المُهْرَ أَرُوضُهُ رياضاً، ورِياضَةً، إذا سهلته للركوب فهو مَروضٌ. وكذلك رَوَّضْتُهُ تَرْويضاً، شدِّد للمبالغة. أي إن الرياضة تعني التذليل والتسهيل بخلاف التدريب الذي يعني المضي في الدرب. وبهذا الملحظ سمي الروض روضًا؛ لأنه أرض سُهِّلت وأحييت بالنبات[2].

س: قال (عليه السلام): " وإنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده"، لماذا استعمل البلاء دون التجريب أو الاختبار؟

الْفرق بَين الِابْتِلَاء والاختبار أَنّ الِابْتِلَاء لَا يكون إِلَّا بتحميل المكاره والمشاق والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، أَلا ترى أَنه يُقَال اختبره بالإنعام عَلَيْهِ، وَلَا يُقَال: ابتلاه بذلك وَلَا هُوَ مبتلى بِالنعْمَةِ كَمَا قد يُقَال: إنّه

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ١٠٠/٦.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٢٧٤/٢ و ٤٥٩/٢.

مختبر بهَا وَيجوز أَنْ يُقَال: إِن الابْتِلَاء يَقْتَضِي اسْتِخْرَاج مَا عِنْد الْمُبْتَلى من الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة، والاختبار وُقُوع الْخَبَر بِحَالَة فِي ذَلِك[1].

الْفرق بَين الْفِتْنَة والاختبار، هو أنّ الْفِتْنَة أشد الاختبار وأبلغه، وَأَصلها عرض الذَّهَب على النَّار لتبيين صَلَاحه من فَسَاده، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} ﴿الذاريات: ١٣﴾ وَيكون فِي الْخَيْر وَالشَّر كقَوْله تَعَالَى {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} ﴿التغابن: ١٥﴾ وَ{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} ﴿الجن: ١٦﴾ فَجعل النِّعْمَة فتْنَة؛ لِأَنَّهُ قصد بهَا الْمُبَالغَة فِي اختبار الْمُنعم عَلَيْهِ بهَا كالذهب إِذا أُرِيد الْمُبَالغَة فِي تعرّف حَاله أَدخل النَّار وَالله تَعَالَى لَا يختبر العَبْد لتغيير حَاله فِي الْخَيْر وَالشَّر وإنّما الْمُرَاد بذلك شدَّة التَّكْلِيف[2].

أما التجريب فهُوَ تَكْرِير الاختبار والاكثار منه وَيدل على هَذَا أَن التفعيل هُوَ لِلْمُبَالَغَة والتكرير، وَأَصله من قَوْلك: جرّبه إِذا داواه من الجرب فَنظر أصلح حَاله أم لَا، وَمثله قرّد الْبَعِير إِذا نزع عَنهُ القردان، وقرّع الفصيل إِذا داواه من القرع، وَهُوَ دَاء مَعْرُوف، وَلَا يُقَال: إِن الله تَعَالَى يجرّب قِيَاسًا على قَوْلهم: يختبر ويبتلي؛ لِأَن ذَلِك مجَاز وَالْمجَاز لَا يُقَاس عَلَيْهِ[3].

س: قال (عليه السلام): " ثم رضهم على أنْ لا يطروك ولا يبجّحوك بباطل لم تفعله "، لماذا استعملت لفظة (يبجّحوك) دون يفرحوك أو يَسرّوك أو يبشروك؟

سبق التفريق بين هذه المترادفات في المقطع الثاني.

س: في قوله (عليه السلام): " فإنّ كثرة الإطراء تُحدث الزّهو " فُسّر الزهو بالكِبْر فهل ثمّة فرق معجميّ بينهما؟

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢١٦ -٢١٧.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٢١٧.

(٣) ينظر: الصحاح (جرب).

الْفرق بَين الْكِبْر والزهو هو أَنّ الْكِبْر كالتكبّر إظهار عظم الشَّأْن وَهُوَ فِي الإنسان يظهر من رفع النَّفس فَوق الاسْتِحْقَاق. والزهو أنْ يرفع الإنسان نفسه لا بشيء فيه بل بالمال أو الجاه وَمَا أشبه ذَلِك؛ إذ يُقَال زُهي الرجل وَهُوَ مزهو كَأَن شَيْئا زهاه أَي رفع قدره عِنْده[1].

المستوى البلاغيّ

س: اذكر الفنون البلاغيّة في النّصوص الآتية، وإلى أي قسم من علوم البلاغة تنتمي؟

١ـ "ولا تنقضنّ سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة": في النصّ مجاز مرسل، علاقته الجزئيّة إذ عبّر (عليه السلام) بلفظة (الصّدور) عن الولاة، نحو التعبير بالعين عن الشخص المتجسّس كما في (وأرسل العيون)، والصدر يعبّر به عن الإقدام إلى الشيء والقيام به، يقال: تصدّر فلان المجلس، أي: جلس فيه وتولّى الكلام؛ لأنّه يبرز صدره وهو يتحدّث.

٢ـ "ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء": في النصّ طباق إيجاب إذ قابلت لفظة المحسن لفظة المسيء، وهما لفظتان مختلفتان في المعنى واللفظ، وهو من أقسام علم البديع.

٣ـ "والصق بأهل الورع والصدق": في النصّ كناية، أي إنّه (عليه السلام) أمر الوالي بملازمة أهل الورع دون غيرهم، فاللصق الذي يفيد اتّصال الشيء بالشيء دون مفارقة، وبه يعبّر عن قتل الدّابّة بالسيف، يقال: الصق بالدابّة، أي: ألصق سيفه بها فعقرها، واللصيق مَن أقام في الحيّ وليس منهم بنسب. والكناية تبعث على التساؤل؛ إذ المراد بلصوق الوالي بأهل الورع هو تقريبهم له دون غيرهم وتفضيلهم على الآخرين، واستشارتهم في تفاصيل الحكم كلّها.

---

(١) الفروق اللغوية ٢٤٧.

٤ـ "فليكن منك في ذلك أمر": في النصّ تقديم لخبر (كان) وهو (في ذلك)، وتأخير لاسمها وهو لفظة (أمر)، والتقديم هنا باعث على التشويق لمعرفة المتأخّر، وهو الأمر الذي وصف بأنّه جامع لحسن ظنّ الرّعيّة في الوالي، وهو من أقسام علم المعاني. ومثله قوله (عليه السلام): " فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان".

٥ـ " فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها": في النصّ حذف للفعل الناقص (كان)، والتقدير: ويكون الوزر عليك، والحذف هو من علم المعاني إذ يراعى فيه حال السامع في تحرّي البلاغة وعدم الإطالة، فهو حذف في محلّه للاستغناء عن تكرار الفعل الناقص بحرف العطف.

٦ـ "على ألّا يطروك ولا يبجّحوك بباطل لم تفعله": في النصّ حذف أيضًا إذ حذفت (أنْ) المصدريّة الناصبة بعد واو العطف لتقدّم ذكرها في المعطوف؛ ولذا جاء الفعل (يبجحوك) بعد الواو منصوبًا بحذف نون الرفع على تقدير وجود (أنْ) المحذوفة.

٧ـ "فإنّ كثرة الإطراء تُحدث الزّهو وتدني من العزّة": في النصّ توكيد بحرف التوكيد (إنّ) وهو من علم المعاني، يراعى فيه احتياج المخاطب إلى توثيق الأوامر الصادرة من المتكلّم، وفي النصّ أيضًا توكيد بالنون الثقيلة، وهو الغالب في أوامره (عليه السلام) لواليه على مصر.

المقطع السّادس: التّقسيم العامّ للمجتمع على طبقات سبع

قولـه (عليـه السـلام): "وَاعْلَـمْ أَنَّ الرّعيّـة طَبَقَـاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُـهَا إلاَّ بِبَعْض، ولاَ غنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمنْهَا جُنُودُ الله، ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّة وَالْخاصّة، وَمنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، ومنها عُمَّالُ الإنصاف والرِّفْق، وَمنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَة وَالْخَراج مِنْ أَهْلِ الذِّمَّة وَمُسْلِمَة النَّاس، ومنها التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَات، ومنها الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَة وَالْمَسْكَنَة، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ، ووَضَعَ عَلَى حَدِّه وَفَرِيضَته فِي كِتَابه أَو سُنَّة نَبِيِّه (صلى الله عليه وآله وسلم) عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً. فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ الله، حُصُونُ الرّعيّة، وَزَيْنُ الْوُلاَة، وعِزُّ الدِّين، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيْس تَقُومُ الرّعيّة إلاَّ بِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُود إلاَّ بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَاد عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْه فِيمَا أَصْلَحهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاء حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إلاَّ بِالصِّنْف الثَّالث مِنَ الْقُضَاة وَالْعُمَّال وَالْكُتَّاب، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقد، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافع، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْه مِنْ خَوَاصِّ الأُمُور وَعَوَامِّهَا. ولاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إلاَّ بِالتُّجَّار وَذَوِي الصِّنَاعَات، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْه مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّق بِأَيْدِيهِمْ مِمّا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَة وَالْمَسْكَنَة الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ.

وَفِي الله لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ. وَلَيْس يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَة مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ إلاَّ بِالاهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَة بِالله، وَتَوْطِينِ نَفْسه عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْه فِيمَا خَفَّ عَلَيْه أَو ثَقُلَ".

المعنى العام[1]

عرض (عليه السّلام) في هذا المقطع من العهد الشريف لبيان طبقات النّاس والرّعيّة، وأثبت للرّعية طبقات سبع. ومقصوده عليه السّلام من قوله (واعلم أنّ الرّعيّة طبقات) ليس إثبات الطبقات بمعنى التمايز بينهم بحسب اللون والعرق والدين بل بيان اختلاف الرّعيّة في ما تتقنه من شؤون الحياة البشريّة حيث إنّ الإنسان مدني بالطبع يحتاج إلى حوائج كثيرة في معاشه من المأكل والملبس والمسكن، ولا يقدر فرد واحد ـ بل أفراد ـ على إدارة كلّ هذه الأمور، فلا بُدّ أنْ تنقسم الرّعيّة بحسب مشاغلهم إلى طبقات فتتصدّى كلّ طبقة إلى شأن من الشؤون وشغلًا من المشاغل، ثمّ يتبادل حاصل الأعمال بعضهم مع بعض فيتمّ أمر معيشتهم جميعًا وتكمل حوائج حياتهم عملًا بقوله تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} ﴿الزخرف: ٣٢﴾؛ ولذا جعل أمير المؤمنين الرّعيّة سبع طبقات هي: (الجنود، الكتبة، القضاة، عمّال الحسبة (الشرطة)، جباة الجزية والخراج، التّجّار، الطبقة السفلى)، وفي المقاطع السبعة اللاحقة تفصيل لواجبات كلّ طبقة وحقوقها.

وقد بيّن عليه السّلام في نظم طبقات الرّعيّة أنّه لا محلّ للعاطل، ومن لا يعمل عملًا يفيد المجتمع، فما ترى بين الأمّة من جماعات لا يتصدّون لواحدة من هذه المشاغل، ويعيشون أرغد عيش بين الرّعيّة ولكنّهم كاللّصوص وأرباب الربا والحيل والخدْع ممّن يدّعون السحر والشعوذة وأصحاب التعاويذ والدراويش ومن حذا حذوهم، والسائلون بأكفّهم يدورون في الأسواق والدّور ويستغيثون بالنّاس لتحصيل المعاش والرزق بالتكدّي.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/ ٤٩-٥٠.

المستوى الصوتيّ

س: علّل صوتيًّا حذف الواو من (سعة) الواردة في قوله (عليه السلام): "وفي الله لكلٍّ سعة"؟

السّعة من الوسع، وهي مصدر هيأة، والأصل فيه وِسْعة، نحو وِجهة، وعند مجيء الواو مكسورة ابتداء خفّفوها بالحذف مع نقل حركتها إلى ما بعدها، فصارت (سِعة) على وزن (عِلة)، ولو هُمزت الواو لصارت (إسعة) وفيها ثقل أيضًا فلجئ إلى حذف الواو تخفيفا.

وكذا كلّ ما جاء مصدر هيأة من المثال الواوي تحذف واوه كالزّنة والعدة والصفة ولم ترد الواو ثابتة إلا في ألفاظ قليلة منها (وجهة) في قوله تعالى {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا} ﴿البقرة: ١٤٨﴾ إذ أتمّوا في مصدر الهيأة (وجهة) فرقًا بينه وبين الظرف (جهة). وهذا القول يخالف ما ذهب إليه الصرفيّون من أنّ (سِعة وزِنة وصِفة) وأشباهها أصلها مصادر على (فَعل) أي (وَسع، وزن، وصف) ثم حذفت الواو وعوضت بتاء في الآخر[1]. فهذا القول ضعيف صوتيًا ومعنويًا؛ لأن هذه المصادر مستعملة في اللغة وليس فيها نقل لتحذف منها الواو من دون دليل صوتي. ومن حيث المعنى فإنّ الوزن غير الزنة، والوصف غير الصفة؛ لأن المصدر (فَعل) دالّ على حدث مجرّد على حين تدل (الصفة والزنة والسعة) على هيأة الفعل وحاله فهي مصادر هيأة.

س: ما علّة قلب الياء ألفًا في لفظتي قُضاة ووُلاة بين القدماء والمحدثين؟

رأى القدماء أنّ الياء قلبت ألفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها والأصل (قُضَيَة، وُلَيَة) على وزن (فُعَلَة)، على حين رأى المحدَثون أنّ الذي جرى هو حذف الياء ودمج الفتحتين، وأصل التشكيل المقطعي هو: قُضَيَةٌ = ق ـُ، ض ـَ، ي ـَ، ت ـُن، حذفت الياء في المقطع الثالث فصار. ق ـُ، ض ـَ،، ت ـُن. ودمجت

(١) ينظر: المنصف ١/ ٢٠٠ وشرح الملوكي ٣٤١ وارتشاف الضرب ١/١١٧.

الفتحتان فصارتا ألفا وصار اللفظ (قضاة) أي (ق ـُ، ض ـً، ت ـُ ن)، وكذا (ولاة).

المستوى الصرفيّ

س: علّل ضمّ ما قبل واو الجماعة في الفعل (يكفُونهم) في قوله (عليه السلام): "ويكفُونهم من الترفق بأيديهم"، وفتح ما قبل واو الجماعة في لفظة (يقوَون) في قوله (عليه السلام): "من الخراج الذي يقوون به على جهاد العدوّ"، مستعينًا بالقواعد الصرفيّة المتّبعة في إسناد الأفعال إلى ضمائر الرفع؟

الفعلان (يَكفي و يَقوى) معتلا اللام، وكلاهما يحذف لامه عند الإسناد إلى ضمير الرفع الساكن (الواو)، غير أنّ الفعل (يكفِي) ناقص من الباب الثاني، تحذف لامه الياء عند إسناده إلى واو الجماعة فيضمّ ما قبل واو الجماعة مناسبة للواو؛ لأن الكسرة ثقيلة قبل الواو، أمّا الفعل (يقوى) فهو من الباب الرابع ولامه (الياء) تقلب ألفًا في المضارع (يقوى) وتحذف الألف عند اتّصال الفعل بالضمير الساكن (الواو)؛ لالتقاء الساكنين، ويحرّك ما قبل الواو بالفتحة للدلالة على الألف المحذوفة فضلًا عن عدم ثقل الفتحة قبل الواو.

س: استخرج جموع التّكسير من النصّ، وبيّن نوعها، واذكر مفرداتها.

١ـ جُنود: جمع كثرة على (فُعول)، وهو جمع جُند، ولفظة جند اسم جمع واحده جُنديّ، ويجمع قلّة على أجناد.

٢ـ كُتّاب: جمع كثرة على (فُعّال) مفرده كاتب.

٣ـ قُضاة: جمع كثرة على (فُعَلة)، مفرده قاضٍ.

٤ـ عُمّال: جمع كثرة على (فُعّال)، مفرده عامل.

٥ـ تجّار: جمع كثرة على (فُعّال)، مفرده تاجر.

٦ـ حُصون: جمع كثرة على (فُعول) مفرده حِصن، وهو بناء يُتحصّن به لقوته.

٧ـ وُلاة: جمع كثرة على (فُعلة)، مفرده الوالي.

٨ـ معاقد: جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع (مفاعل)، مفرده (مَعقد) على مفعل، وهو مصدر ميميّ، من عقد يعقد عقداً، نحو عقد البيع أو العهد وغيرها. والعقد مصدر استعمل اسمًا فجمع: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} ﴿المائدة: ١﴾، والإمام (عليه السلام) استعمل المصدر الميميّ لما فيه من اختصاص يتميّز عن عموم دلالة العقد؛ إذ يتحدَّد بالزمان والمكان والهيأة وبذلك يلمح إلى تنوّع العقود بين الكتّاب والقضاة والعمّال.

٩ـ أمور: جمع كثرة على (فُعول) واحده أمْر.

١٠ـ منافع: جمع كثرة على مفاعل جمع منفعة، وهي اسم من نفعه ينفعه على الباب الثالث، والمصدر: النفع.

١١ـ مرافقهم: جمع كثرة على مفاعل جمع مِرفق بكسر الميم، وهو اسم آلة لما يوفّر للناس الراحة من الآلات والأدوات، أو جمع مَرفق بالفتح وهو مصدر ميميّ دالّ على ما يحقّق سهولة العيش وليونته بآلة مستعملة أو مادّة أوّلية، قال تعالى: {وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا} ﴿الكهف: ١٦﴾، وفعله رفق يرفُق من الباب الأوّل: أصلٌ دالّ على الراحة والموافقة بلا عنف.

١٢ـ أسواقهم: جمع قلّة على أفعال، مفرده سُوق، وهو مكان البيع والشراء.

١٣ـ أيديهم: جمع قلّة على أفعُل مفرده يد، وجمع الأيدي (أيادي) وهو جمع الجمع.

١٤ـ سُبُل: جمع كثرة على فُعُل بضمّتين، جمع سبيل، وهو الطريق، قياسًا في الاسم الرباعيّ الذي ثالثه مدّ.

١٥ـ خواصّ: جمع كثرة على (فواعل) جمع خاصّة، وهو جمع مطّرد في فاعلة اسمًا أو صفة أصله (خواصِص)، ثم أُدغم المتجانسان. والخاصّة اسم للمقرّبين من الولاة والرؤساء، فخاصّة الرجل: الذي يخصّه لنفسه، ويطلق على المفرد والجمع. {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ﴿الأنفال: ٢٥﴾، وفي حديث الرسول صلّى الله عليه

وآله: "إنّ الله عزّ وجلّ لا يعذّب العامّة بعمل الخاصّة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أنْ ينكروه، فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذّب الله الخاصّة والعامّة".

١٦ـ عوامّها: جمع كثرة على (فواعل) مفرده (عامّة).

س: ما نوع التاء المتصلة بـ(مسلمة الناس) وما دلالتها؟

هي تاء النقل إلى الاسمية كتاء الذبيحة والنطيحة، وليست هي تاء التأنيث؛ لأن مسلمة الناس لفظ يشمل المسلمين والمسلمات معًا، وليست هي تاء المبالغة التي غالبًا ما تأتي مع جموع الكثرة نحو: صيارفة وعبادلة وقياصرة، للتعويض عن ياء النسب أو للتعويض عن ياء منتهى الجموع، وأمارة تاء النقل إلى الأسماء أنها تدخل على الأسماء المشتقة كالصفة المشبهة واسم الفاعل واسم المفعول، وهي هنا داخلة على اسم الفاعل (مُسلم). وفي قوله (عليه السلام) "أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومُسلمة النّاس" ورد أهل الذمّة ومسلمة النّاس تفصيلًا للأهل الأوّل، فأهل الذمّة تفسير لأهل الجزية ومسلمة الناس تفسير لأهل الخراج.

س: استخرج المصادر المزيدة وبيّن دلالاتها.

١ـ جِهاد: مصدر جاهد على زنة فِعال الذي يكثر في الفعل المزيد بالألف أما المصدر المقيس لفاعلَ فهو المُفاعلة.

٢ـ تَرَفُّق: مصدر على تفعُّل، من المزيد بالتاء وتضعيف العين ترفَّق، الدال على مراعاة الرفق بهم على نحو متتابع متدرّج.

٣ـ اهتمام: مصدر على افتعال، من المزيد بهمزة الوصل والتاء (اهتمّ) على افتعل دالّ على إظهار الهمّة في التّوجّه إلى الله تعالى، يقال: همّه الأمر وأهمّه: أحزنه وشغله فاهتمّ به أي لزمه وأظهره.

٤ـ استعانة: مصدر على زنة (استفعلة) على رأي سيبويه، بحذف ألف الاستفعال؛ لالتقائها بسكون العين (الواو)، أو (استفالة) على رأي الأخفش بحذف عين الاستفعال، وهو طلب العون من الله تعالى.

٥ـ توطين: مصدر على زنة تفعيل، من وطّنه توطينًا المزيد بتضعيف العين، يفيد اتخاذ الحقّ وطنًا لنفسه، من وطَن به يطِن على الباب الثاني: أقام في الوطن.

٦ـ لُزُوم: مصدر على فُعول، من لزِم الحقّ يلزَمه على الباب الرابع، أي: لم يفارقه، والغالب في (فُعُول) أنْ يأتي من اللازم سوى بعض الأفعال نحو: ركب ركوبًا ولزم لزومًا.

س: ما دلالة أحرف الزيادة في الأفعال الآتية، بيّن ذلك بعد بيان نوع الزيادة؟

١ـ سمّى: فعل مزيد بتضعيف العين، التي أفادت الجعل، أي جعل الله له نصيبًا باسمه، من سما يسمو إذا ارتفع، وأسماه هو، وسمّاه كذا تسمية أي لقّبه، قال تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلمينَ منْ قَبْلُ} ﴿الحج: ٧٨﴾ و{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} ﴿النجم: ٢٣﴾، وسمّى الأجل: عيّنه وحدّده، أمّا في قوله تعالي: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ} ﴿الرعد: ٣٣﴾ أي الشركاء، قال صاحب المفردات: ليس المراد أنْ يذكروا أساميها نحو اللات والعزى، وإنّما المعنى إظهار تحقيق ما تدعونه إلهًا.

٣ـ يعتمدون: مزيد بهمزة الوصل والتاء، وحذفت الهمزة لصياغة المضارع (يفتعلون)، والزيادة تفيد الاتخاذ، أي اتخاذ الخراج عمادًا وسندًا في إصلاح حالهم.

٤ـ يُصلحهم: مضارع مزيد بهمزة القطع، من (أصلح إصلاحًا)، والهمزة تفيد التعدية والمجرّد صلَح يصلُح على الباب الخامس ضدّ فسُد.

٥ـ يحكمون: مزيد بهمزة القطع، من أحكمه إحكامًا، أي أتقنه فاستحكم، والزيادة تفيد المبالغة في الإتقان والمنع من الفساد، حكمه حكمًا أي: يتقنون عقده من المعاملات الاجتماعيّة.

٦ـ يؤتمنون: مزيد بهمزة الوصل والتاء، مبنيّ للمجهول من اؤتمن على الشيء، أي جعل أمينًا عليه.

٧ـ يجتمعون: مضارع اجتمع المزيد بهمزة الوصل والتاء، الذي يفيد المطاوعة، يقال: جمعته فاجتمع.

٨ـ يُقيمونه: مزيد بهمزة القطع، من أقامه يقيمه إقامة، والزيادة تفيد الجعل، أي يجعلون الأسواق قائمة معمورة بالبضائع، من أقام البناء والعود ونحوه: عدّله وأزال عوجه، قال تعالى: {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ} ﴿الكهف: ٧٧﴾، وأقام البناء: شيّده، وأقام الأسواق: عمّرها.

٩ـ تعالى: مزيد بالتاء والألف على تفاعل، قلبت الواو ألفًا لسبقها بالفتح، والزيادة تفيد المبالغة في العلوّ والتنزيه، علت عظمته وقدرته.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكما، وبيّن دلالاتها الصرفيّة.

١ـ قِوام: فعال، وهو مصدر قاوم الدال على المشاركة والمصدر المقاومة، ومعنى المشاركة مفهوم في سياق القول "ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ" فكأنّ الجنود قد قاوموا شدّة الحرب بالخراج، وعدم إعلال واو (قوام) ليصير: قيامًا سببه أنّ الواو لما صحّت في الفعل (قاوم) صحّت كذلك في المصدر (قوام) ومثله في التصحيح لواذ في قوله تعالى: { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا} ﴿النور: ٦٣﴾، إذ صحت واو (لواذ) لصحتها في الفعل (لاوذ فلان فلانًا) إذا لاذ كلّ بصاحبه. وأما القيام فمصدر المجّرد (قام يقوم) وفيه قلبت الواو ياء؛ لأنها أعلت في الفعل فأعلت في المصدر كذلك.

٢ـ سُفلى: فعلى، اسم تفضيل للمؤنّث والمذكر منه أسفل.

٣ـ طَبقة: فَعَلة، اسم دالّ على جماعة متشابهين في نواحٍ متعدّدة، فهم على مستوى واحد من العلم والمعرفة، فطبقة المحدّثين لمن يجتمعون في الشبه في العمر والشيوخ والتلاميذ، وطبقة الشعراء من يجمعهم زمن واحد وموضوعات واحدة، وهكذا. والتاء هي الداخلة على (فَعَل) لتأنيث الجماعة البشريّة التي تضفي عليهم خصوصيّة أدقّ ممّا في لفظة (طبق) الدّالّة على الجماعة المتشابهة في جانب واحد، وأصل الطبق هو الماعون واستعير للجماعة

المتشابهة في شيء دون أشياء أخرى، وقد تكون هذه الجماعة مشابهة لغيرها في زمان آخر؛ ولذا استعملت قرآنيًا: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} ﴿الانشقاق: ١٩﴾ أي: حالة مساوية لحالة طبق كان في زمان قبلكم، وهو ما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاريّ وغيره "عَنْ أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: "فَمَنْ"[1].

أمّا في تصنيف المجتمع فاستعملت الطبقة لتساوي أفرادها في جوانب عديدة ضمن زمن واحد.

٤ـ ذِمّة: فِعلة، اسم هيأة سُمّي به العهد الخاصّ بغير المسلمين، وجمعها ذِمَم، والذمام هو مطلق العهد؛ لأنّ الإنسان يُذمّ على إضاعته، فالذّمّ خلاف الحمد، ذمّه يذمّه على الباب الأوّل، وأهل الذّمّة أدّوا ما تعاهدوا عليه مع المسلمين وهو الجزية التي فرضت عليهم بعد نكثهم بعهودهم مع المسلمين، فأمنوا على دمائهم وأموالهم.

وسمّى أَهلُ العهد بأهلَ الذِّمَّةِ وهم الذين يؤدّون الجزية التزامًا بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم فإنْ ضيعوه لزمهم الذمّ.

٥ـ حاجَة: فَعَلة اسم من حاجَهُ يحوجه حوجًا: اضطرّه إلى الشيء، والحاجة بناء لتخصيص اسم لشيء معيّن فيه اضطرار، نحو حاجة يعقوب (عليه السلام) {وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} ﴿يوسف: ٦٨﴾ وهي إبعاد عين الحسد وإشعارهم بمرارة افتراق يوسف عنهم عندما يتفرّقون في الدخول؟ والحاجة: الحسد أو الغبطة {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا}

---

(١) رقم ٣٤٥٦.

﴿الحشر: ٩﴾. وفي النصّ المتقدّم هي الفقر، وجمعها: حوائج حملًا لحاجةٍ على حائجة.

٦ـ حقيقة: فعيلة من حقّ الأمر يحقّ حقًّا فهو حقيقة، والتاء نقلته للاسميّة فهو اسم مصدر، والجمع: حقائق، ومصاديق الحقيقة تختلف حسب الموضوع، فشرف الرجل من أهله وعياله حقيقة يلزمه حفظها والدفاع عنها، وحقيقة اللفظ: ما استعمل في معناه الأصليّ. والحقّ أصله المطابقة والموافقة، فحقّ الشيء: صحّت مطابقته للواقع، قال تعالى: {حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} ﴿الأعراف: ١٠٥﴾ أي واجب عليّ أنْ أثبت ما هو مطابق، وعليّ (عليه السلام) مع الحقّ والحقّ معه؛ لأنّ أفعاله مطابقة لواقع القرآن ثابتة في ذلك.

٧ـ جزية: فعلة، اسم لهيأة الجزاء، جزى فلانٌ فلانًا يجزي عليه وبه جزاء: كافأه عليه، فالجزاء الكفاية والغناء، وهو قيام الشيء مقام غيره ومكافأته إيّاه {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} ﴿لقمان: ٣٣﴾، أمّا الجزية فهي ما يؤخذ من أهل الذّمّة، وتسميتها بذلك للاجتزاء بها عن سلامة عيشهم وأمانهم في الدولة الإسلامية التي تعتمد في مواردها على الخراج، وهو في أموال المسلمين، وعلى الجزية وهي في أموال غير المسلمين. أما سائر الامبراطوريات التي نشأت قبل الدولة الإسلامية فكانت تعتمد في مواردها على الغزو والنهب والسلب واحتلال الأراضي وسلب كلّ شيء خفّ وزنه وغلا ثمنه تمامًا كمجتمع الغاب بين أنْ تَقتل أو تُقتل.

٨ـ الخَراج: اسم مصدر من أخرج يخرج إخراجًا، وجعل المعجميّون الخرج والخَراج بمعنى واحد وهو الأجر، وجمع الخرج: أخراج، وجمع الخراج: أخرجة كجناح أجنحة، واجتمع اللفظان في قوله تعالى: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ﴿المؤمنون: ٧٢﴾ فكأنّ الخراج

مجتمع الخرج فاستعمل الواحد للناس والجمع للباري عز وجل. ومنهم من فرّق بين الصيغتين، فجعل الخرج دالًّا على الجعل وما تبرّعت به، والخراج دالًّا على العطاء وما لزمك منه، وواضح أنّ اسم المصدر (الفَعال) يدلّ على ما هو محدّد معيّن ممّا يخرج؛ لذا جعل الخراج لما يفرض من ضريبة على الأراضي.

المستوى النحويّ

س: استخرج الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وبيّن محلّها ثم استخرج التي لا محلّ لها من الإعراب، مع ذكر السّبب؟

الجمل التي لها محلّ من الإعراب في النصّ هي:

١ـ جملة " أنّ الرّعيّة طبقات " (أنّ) حرف مشبّه بالفعل واسمها المنصوب (الرّعيّة) وخبرها المرفوع (طبقات) سدّ مسد مفعولي فعل الأمر: (اعلم).

٢ـ جملة " لا يصلح بعضها إلا ببعض"، (لا) النافية والفعل المرفوع وفاعله مع متعلّقاته في محلّ نصب صفة لاسم أنّ (الرّعيّة).

أما الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب:

١ـ الجمل الدّعائيّة: الجملة الاسميّة: "إنْ شاء الله"، والفعلية: " تعالى".

٢ـ الجملة الابتدائيّة: "منها جنود الله" والجملة المعطوفة على هذه الجملة وهي: "ومنها كتّاب العامّة" وما بعدها.

س: ما نوع (لا) في:

١ـ "ثمّ لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم".

لا نافية للجنس واسمها (قوام) مبني على الفتح، وخبرها محذوف وجوبًا تقديره: كائن أو متحقّق، و(للجنود) جارّ ومجرور متعلّق بالخبر المحذوف، وإلّا: أداة استثناء ملغاة، والباء حرف جرّ، و(ما) اسم موصول في محلّ جرّ، والجملة الفعليّة بعدها خبر.

٢ـ "ولا غنى ببعضها عن بعض": لا نافية للجنس واسمها (غنى) مبني على الفتحة المقدرة والخبر محذوف تقديره كائن أو موجود وما بعده جارّ ومجرور.

٣ـ "ممّا لا يبلغه رفق غيرهم": لا نافية غير عاملة لدخولها على الجملة الفعلية، من حرف جرّ، و(ما) موصولة في محلّ جرّ بالإضافة، و(يبلغه) فعل مضارع مرفوع، والهاء مفعول به، و(رفق) فاعل مضاف، وغيرهم مضاف إليه، والجملة الفعليّة المنفيّة صلة (ما).

٤ـ "ولا يصلح بعضها إلا ببعض". لا نافيه غير عاملة لدخولها على الجملة الفعلية.

س: ما نوع الإضافة فيما يأتي: (جنود الله)، (خواصّ الأمور)، (جهاد عدوّهم)؟

الإضافة في جنود الله، حقيقيّة بمعنى اللام وتسمّى بالمحضة، أي: نسبة الجنود إلى الله تعالى؛ لأنّهم يدافعون عن حرم الله لا عن رغبات الحاكم الشخصيّة، وكذا هي في تراكيب أخرى نحو: "حصون الرّعيّة" و"أهل الجزية". والإضافة في "خواصّ الأمور" هي غير حقيقيّة من إضافة الصفة لموصوفها، أي: الأمور الخاصّة. أما الإضافة في "جهاد عدوّهم" غير حقيقيّة من إضافة المصدر العامل عمل فعله إلى مفعوله، أي: جهادهم عدوّهم، وكذا في: "توطين نفسه"، و"لزوم الحقّ".

س: ما نوع (إلّا) في جمل المقطع كلّه، ولماذا؟

(إلا) أداة استثناء ملغاة أفادت الحصر؛ وذلك لأنّها لم تخرج قليلًا من كثير، وإنّما حصرت الحدث بفاعل معيّن، نحو: " لا يصلح بعضها إلّا ببعض " إذ حصرت قيام الرّعيّة بالجنود "وليس تقوم الرّعيّة إلا بهم" إذ حصرت قوام الجند بالخراج " ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج "، ويكون إعراب الجمل على ظاهرها فلا تعمل (إلا) النصب لما بعدها؛ لأنّها ليست دالّة على الاستثناء، ففي الجملة "لا يصلح بعضها إلا ببعض" (لا): نافية غير

عاملة، و(يصلح): مضارع مرفوع، و(بعضها) فاعل مضاف إلى الهاء، و(إلّا) أداة استثناء ملغاة تفيد الحصر، وما بعدها جارّ ومجرور.

س: هل يمكنك توجيه إعراب (عهدًا) في قوله (عليه السلام): "وكلّ قد سمّى الله له سهمه ووضع على حدّه فريضة في كتابه أو سنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) عهدًا منه عندنا محفوظًا" على أكثر من وجه إعرابيّ واحد، ولماذا؟

جوّز بعض الشارحين أنْ يعرَب لفظ (عهدًا) تمييزًا منصوبًا لرفع الإبهام في تسمية السهم، أو يعرب حالًا من المفعول به فريضة[1]. والأولى أنْ يكون منصوبًا على الإغراء أي: الزموا عهدًا من الله تعالى كما في قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} ﴿البقرة: ١٨٥﴾ فهُدى منصوب على الإغراء وبيّنات معطوف عليه.

س: ما مسوّغ الابتداء بالنكرتين: (سعة، كلّ) في قوله (عليه السلام): "وفي الله لكلّ سعة، ولكلّ على الوالي حقّ"؟

ساغ الابتداء بالنكرة (سعة)؛ى لأنّ خبرها (في الله) تقدّم عليها، و(لكلّ) متعلّق بـ(سعة)، وكذلك الابتداء بالنكرة (حقّ) لتقدّم خبرها الجارّ والمجرور (لكلّ) عليها.

س: عُطفت الطبقات الستّ بعضها على بعضها بحرف العطف (الواو)، على حين عطفت الطبقة السابعة بحرف العطف (ثم)، وضّح ذلك.

الواو حرف عطف يفيد الجمع غير الترتيبي، لذا استعمل لعطف الجمل التي توافقت في إظهار علّة اعتماد بعضها على بعض وبيان نقطة ارتكاز أحدهما على الأخرى بلفظة (القوام)، على حين (ثم) حرف عطف يفيد التعقيب والتراخي الذي نجده واضحًا في كون هذه الطبقة هي خاتمة الطبقات، وكذا اختلفت عن سابقاتها في كونها تعتمد عليهم وهم قوام لها.

---

(١) ينظر: منهاج البراعة للخوئي ١٤/١٩٤.

س: أعرب ما تحته خطّ ممّا يأتي:

١ـ " لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث". (الصنفين): بدل من اسم الإشارة المجرور بحرف الجرّ (هذين)، وهو مجرور بالياء لأنّه مثنى. و(الثالث): صفة للمجرور بالباء وهو الصنف، المجرور أيضًا بالكسرة.

٢ـ" فيما خفّ عليه أو ثقل "، خفّ: فعل ماض مبنيّ على الفتح، والفاعل مستتر يعود على (ما) الموصولة قبله في محلّ جرّ بـ(في)، والجملة من خفّ وفاعله صلة لـ(ما) لا محلّ لها من الإعراب، و(عليه) جارّ ومجرور متعلق بـ(خفّ).

٣ـ "من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوّهم". الذي: اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ بدل من الخراج.

٤ـ " ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور". يؤتمنون: فعل مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع بثبوت النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل مبنيّ في محلّ رفع نائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة "يجمعون من المنافع".

٥ـ "ولا قوام لهم جميعًا إلا بالتُّجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه". جميعًا: حال من الطبقات المذكورة المشار إليها بـ(ميم) الجماعة والجارّ والمجرور (لهم) متعلّق بخبر (لا) النافية للجنس المحذوف، وتقديره: متحقّق لهم، (ذوي): اسم معطوف على التّجّار، مجرور وعلامة جرّه الياء؛ لأنّه من الأسماء السّتّة، وهو مضاف، والصناعات مضاف إليه مجرور بالكسرة؛ لأنّه جمع مؤنّث سالم، و(ذوي) مفرده: ذو بمعنى صاحب، وتثنيته: ذوا، كما في قوله تعالى: {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ} ﴿المائدة: ٩٥﴾.

المستوى المعجميّ

س: ما التطور الدلالي للفظة الصلاة؟ وممّ اشتقّ فعلها (صلّى)؟

أصل اشتقاق الصلاة قديم عند العرب، وأصله من الصَّلوَين وهما العظمان البارزان على جانبي العجز ومعنى (صلّى فلان) حرّك صلويه، وهذا الاستعمال ورد ابتداء عند العرب قبل الإسلام لّما كانوا يركعون لأوثانهم فيحرّك كلّ منهم صلويه بحركة تشبه الركوع لدى المسلمين اليوم ثمّ تطوّر معنى الصلاة في الإسلام فارتقت دلالتها من الركوع للوثن إلى الركوع لله تبارك وتعالى، واتسعت دلالتها من تحريك الصَّلوَين فقط إلى حركات أخرى في السجود والقيام والتسليم والقنوت وسائر حركات الصلاة ثم انتقل مجرى الدلالة في الصلاة من المحسوس إلى المجرّد عندما أسند إلى الباري عزّ وجلّ والملائكة؛ إذ لا توجد حركات مرئية في صلاة الباري عزّ وجلّ وملائكته؛ ولذا فسّرت هذه الصلاة من الله بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء[1].

س: ما المراد بالجزية لغةً واصطلاحًا؟ وهل يُعدّ تطبيقها قدحًا في الشرع الإسلامي؟

في قوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} ﴿التوبة: ٢٩﴾ وردت لفظة الجزية دالّة على ما يؤخذ من أهل الذّمّة جزاء لمقاتلتهم المسلمين، ولا تؤخذ الجزية من عامّة أهل الكتاب بدليل صيغة المفاعلة الدّالّة على المشاركة في الأمر بالقتال إذ لم تقل الآية: واقتلوا الذين لا يؤمنون، وإنّما قال: قاتلوا؛ لأنّهم يقاتلونكم، فالقتال في الإسلام لا يكون إلّا دفاعًا عن النفس بدليل آيات القرآن الأخرى المفسّرة لهذه الآية منها: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} ﴿الممتحنة: ٨﴾، و{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} ﴿البقرة: ١٩٠﴾.

---

(١) ينظر: المفردات (صلو).

ولفظة الجزية بنفسها تدلّ على مقابلة عملٍ حصل، كما في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ﴿المائدة: ٣٨﴾ و{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} ﴿المائدة: ٨٥﴾، فهو ما يقابل الخير أو يقابل الشرّ، والدين الإسلاميّ لا يجبر الناس على الدخول فيه على نحو ما يفسّر به ظاهر الآية من مقابلة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يحرّم ما حرّم الدين الإسلاميّ، وإنّما المراد مقابلة المعتدين من هؤلاء المشركين الذين لم يحرّموا على أنفسهم خيانة العهود مع المسلمين، وآية الجزية وردت في سياق آية براءة من المعاهدين الناقضين {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} ﴿التوبة: ١٢﴾. وتعضدها آيات أخرى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٥٦﴾ ولا يوجد دليل على نسخها، و{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} ﴿يونس: ٩٩﴾ و{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ﴿النحل: ١٢٥﴾ و{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} ﴿البقرة: ٢٧٢﴾، {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} ﴿الرعد: ٧﴾[1].

فإذا ما انتهوا عن القتال ومحاربة الإسلام والمسلمين رُفعت عنهم الجزية، أمّا إذا استمرّوا بالعداء فتؤخذ منهم لإخضاعهم إلى قانون الدولة الإسلاميّة، وهو ما أشارت إليه لفظة (وهم صاغرون) أي: مذعنون لهذه القوانين

---

(١) ينظر: المفردات (جزي).

العادلة، فإذا حسنت أعمالهم رفع عنهم هذا الجزاء الذي يعيّن مقداره الحاكم بطريقة أوجب فيها الإسلام مراعاة الحالة الاقتصاديّة لمن تؤخذ منهم، كلٌّ حسب قدرته. وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو القرآن الناطق تؤكّد ذلك لمّا فرض للنصرانيّ الذي رآه يتسوّل في الكوفة جعلًا من بيت مال المسلمين، بعد أنْ كبِر في السّنّ قائلًا: "ما أنصفتموه، استعملتموه حتى إذا كَبِر وعجِز منعتموه، أجروا له من بيت المال راتبًا". وكذلك المنازعة التي جرت مع اليهوديّ؛ إذ حكم قاضي المسلمين لليهودي على أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لأنّه (عليه السلام) كان مدّعيًا أنّ الدرع له ولا يملك بيّنة، واليهوديّ منكرٌ لذلك.

س: تعدّ لفظة (وراء) من الأضداد، فهي تدلّ على (الخلف) و(الأمام) كما في قوله تعالى {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} ﴿الكهف: ٧٩﴾، فهل التضادّ متحقّق في هذه اللفظة؟

لفظة (وَرَاء) اختلفت فيها أقوال المفسرين واللغويين، فأصحاب كتب الأضداد يذهبون إلى أنها من ألفاظ التضادّ، مستدلّين على دلالتها على الخلف بقوله تعالى: {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} ﴿مريم: ٥﴾، وعلى الأمام بقوله تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} ﴿الكهف: ٧٩﴾، وقوله تعالى {مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ﴿الجاثية: ١٠﴾، وقيّد بعض اللغويّين دلالتها على الأمام، فاشترط أنْ تكون لفظة (الوراء) منساقة في المواقيت والأزمنة، وعليه قوله تعالى: ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾، و{وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} ﴿إبراهيم: ١٧﴾، و{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ﴿المؤمنون: ١٠٠﴾؛ ولذا أخرج بعض المفسّرين هذه اللفظة من باب التضادّ،

فقال الطبريّ المفسّر: " وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب (وراء) من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما هو خلفه... وقد أغفل وجه الصواب في ذلك، وإنّما قيل لما بين يديه هو ورائي؛ لأنّك من ورائه، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار إذ كان ملاقيك من ورائك وأنت أمامه "[1] وفسروا إرادة الخلف في قوله تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} ﴿الكهف: ٧٩﴾ بأنه خلفهم يتتبعهم. وصرف بعضهم دلالة (الوراء) إلى المواراة، أي الستر، ليشمل بذلك الخلف والأمام مادام فيه ما هو مستور، فالوراء اسم لما توارى عنك سواء كان أمامك أم خلفك[2].

والظاهر أنّ اللفظ ليس من التضادّ؛ لأنّ دلالة الوراء على الخلف تدخل في باب الترادُف لا حمل اللفظ على معنى وآخر ضده، فضلًا عن أنّ دلالة اللفظة على الأمام لا تستحصلُ إلا بالتأويل، وليست حاصلة بصورة مستقلّة عن السياق كما هو حال ألفاظ التضادّ الأخرى، فالمحصّل من مدلول لفظة الوراء إنّما هي من الْمواراة والاستتار، فما استَتَر عنك فهو وَراءك، خَلْفَكَ كان أو قُدّامَكَ، هذا إذا لم تَرَه أو تشاهده، فأمّا إذا رأيته فلا يكون الذي أمامك وَراء.

س: في النصّ المتقدّم اصطلح الإمام (عليه السلام) على تسمية كلّ طبقة باسم معيّن، تتبّع التطوّر الدلالي لتلك الأسماء في زماننا؟

١ـ طبقة الجنود تطوّرت إلى الجيش.

٢ـ طبقة كتّاب العامّة والخاصّة، تطوّرت إلى ما يعرف بموظّفي الدّولة من موظّفي الدوائر الخدميّة وموظّفي الوزارات خاصّة.

٣ـ طبقة القضاة يقابلها وزارة العدل إشارة إلى أهمّية استقلال القضاء.

---

(١) جامع البيان ١٨/٨٣-٨٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط٦/٤١٨.

٤ـ عمّال الإنصاف والرفق يقابلهم أصحاب المناصب من المحافظين ومديري النواحي والأقضية ورؤساء المجالس البلديّة وهكذا.

٥ـ أهل الجزية والخراج تقابلهم وزارة الماليّة ودوائر الضريبة.

٦ـ التجّار وأهل الصناعات تقابلهم وزارة التجارة والمعادن.

٧ـ الطبقة السّفلى وتقابلهم دائرة الرعاية الاجتماعيّة، وإنّما سمّيت بالسّفلى لملحظ أنّها لا تقدّم عملًا نافعًا تتبادل به مع أعمال الطبقات الأخرى، وإنّما هي تعتمد عليهم كلّيًا.

س: قال (عليه السلام): "من ذوي الحاجة والمسكنة"، فما الفرق بين المسكين والمحتاج والفقير والمُعدم والمُملق؟

إنّ الْفَقير الَّذي لَا يسْأل، والمسكين الَّذي يسْأل، وَيدل عَلَيْه قَوْله تَعَالَى (للْفُقَرَاء الَّذين أحْصرُوا فِي سَبِيل الله) إِلى قَوْله تَعَالَى (يَحْسبهُم الْجَاهِل أَغْنِيَاء من التعفف) فوصفهم بالفقر وَأخْبر مَعَ ذَلِك عَنْهُم بالتعفُّف حَتَّى يَحْسبهُم الجاهل بحالهم أَغْنِيَاء من التعفُّف وَلَا يَحْسبهم أَغْنِيَاء إِلَّا وَلَهُم ظَاهر جميل وَعَلَيْهِم بزّة حَسَنَة، وَقيل لأعرابي: أ فقير أَنْت؟ فَقَالَ: بل مِسْكين، وَأنْشد من الْبَسِيط:

أمَّا الفقيرُ الَّذي كانتْ حلُوبَتُهُ وَفْقَ العيالِ فَلَمْ يُتركْ لهُ سَبَد

فَجعل للْفَقير حلوبة، والْمسْكين الَّذي لَا شَيْء لَهُ. فَأما قَوْله تَعَالَى (فَكَانَت لمساكين يعْملُونَ فِي الْبَحْر) فَأثْبت لَهُم ملك سفينة وَسَمَّاهُمْ مَسَاكِين فإنّه رُوِيَ أَنهم كَانُوا أُجراء فِيهَا ونسبها إِلَيْهِم لتصرّفهم فِيهَا والكون فِيهَا كَمَا قَالَ تعالى (وَقرْن فِي بيوتكن) إذ نسب البيوت إليهنّ بحكم تصرفهنّ فيها إذ هي للنبي كما في قوله تعالى: (لَا تدْخلُوا بيُوت النَّبِي).

أمّا الفرق بين الْفقر وَالْحَاجة فهو أَنّ الْحَاجة هِيَ النُّقْصَان؛ وَلِهَذَا يُقَال: الثَّوْب يحْتَاج إِلى خزمة وَفُلَان يحْتَاج إِلى عقل، وَذَلِكَ إذا كَانَ نَاقصًا؛ وَلِهَذَا قَالَ المتكلمون: الظُّلم لَا يكون إِلَّا من جهل أو حَاجَة أي من جهل بقبحه أو

نُقْصَان زَاد جبره بظُلْم الْغَيْر. والفقر خلاف الْغنى فَأَمّا قَولْهم: فلَان مفتقر إلى عقل فَهُوَ استْعَارَة ومحتاج إلى عقل حَقِيقَة.

وأمّا الْفرق بَين الْفقر والإعدام فهو أَنّ الإعدام أبلغ فِي الْفقر، وَقَالَ أهل اللُّغَة: المعدم الَّذِي لَا يجد شَيْئًا، وَأَصله من الْعَدَم خلاف الْوُجُود وَقد أعدم كأنّه صَار ذَا عدم، وَقيل فِي خلاف الْوُجُود: عدم للْفرق بَين الْمَعْنيين، وَلم يقل: عَدمه الله وإنّما قيل: أعدمه الله، وَقيل فِي خِلَافه: قد وجد وَلم يقل وجده الله وإنّما قيل: أوجده الله، وَقَالَ بَعضهم: الإعدام فقر بعد غنى.

وأمّا الْفرق بَين الْفَقِير والُملق فهو أنّ الُملق مُشْتَقّ من الملق، وَهُوَ الخضوع والتضرع فَلَمَّا كَانَ الْفَقِير فِي أَكثر الْحَال خاضعًا متضرعًا سمي مملقا، وَلَا يكون إلّا بعد غنى كأنّه صَار ذَا ملق كما تَقول: أطفلت الْمَرْأَة إذا صَار لَهَا طِفْل وَيجوز أَنْ يُقَال: إنّ الإملاق نقل إلى عدم التَّمَكُّن من النَّفَقَة على الْعيَال؛ وَلهَذَا قَالَ الله تَعَالَى (وَلَا تقتلُوا أَوْلَادكُم خشيَة إملاق) أَي خشيَة الْعَجز عَن النَّفَقَة عَلَيْهِم.

المستوى البلاغيّ

س: في النصّ كنايات، استخرجها موضّحًا المراد بها.

تعدّدت الكنايات في النصّ، وهي في قوله (عليه السلام):

١ـ "وكلّ سمّى الله له سهمه" وهذا كناية عن نصيبه المفروض، فأراد (عليه السلام) بالسهم الاستحقاق لكلّ ذوي الاستحقاق إجمالًا، والسهم يطلق في الاقتراع إذ يسهم كلّ رجل بسهم ويفوز كلّ واحد بما يصيبه "فساهم فكان من المدحضين" ثم سُمّي السّهم الواحد كأنّه نصيب من أنصباء، وحظّ من حظوظ.

٢ـ قوله (عليه السلام): "في كتابه أو سنّة نبيّه"، والكتاب كناية عن القرآن الكريم.

٣ـ قوله (عليه السلام): " فالجنود بإذن الله" أراد (عليه السلام) بجملة (بإذن الله) التنبيه على أنّ المراد بهم جنود الحقّ، لا مطلق الجنود.

٤ـ قولـه (عليـه السـلام): " الطبقـة السـفلى"، كنايـة عـن طبقـة الفقـراء والمساكين؛ لأنّهم يعتمدون على الطبقات المنتجة السابقة.

٥ـ "ويكفونهم من الترفق بأيديهم": كناية عن جلبهم للبضائع من أماكن متعدّدة؛ لأنّ المرفق يستعمل في حمل الحقائب والمواد المختلفة.

س: استخرج المجاز في النصّ، واذكر نوعه.

المجاز في النصّ عباراته متعدّدة:

١ـ في قوله (عليه السلام) عن الجنود أنّهم: زين الولاة، وعزّ الدين، وسبل الأمن، فهذا مجاز مرسل بعلاقة السّببيّة، أي إنّ الجنود هم سبب أمن الناس وعزّ الدين وهيبة الولاة.

٢ـ في قوله (عليه السلام): "اعلم أنّ الرّعيّة طبقات" مجاز بعلاقة الحاليّة، أي: حالهم من حيث وظائفهم التي يقومون بها، على نحو: (إنّ الأبرار لفِي نعيم) أي: حالهم.

س: في النصّ تشبيه بليغ، استخرجه وعرّف بهذا النوع من التشبيه؟

التشبيه البليغ ما حُذف منه أداة التشبيه، ووجه الشّبه، وهو في قوله (عليه السلام): "الجنود حصون الرّعيّة" إذ شبّه (عليه السلام) الجنود بالحصون من حيث حفظهم الشعب وحياطتهم إيّاهم كحال الحصن الذي يُحيط ساكنيه ويمنعهم من الأخطار.

س: في النصّ طباق إيجاب، استخرجه وعرّف بهذا الفنّ.

طباق الإيجاب هو تقابل لفظين مختلفين في المعنى واللفظ في العبارة، وهو في قوله (عليه السلام): " كتاب العامّة والخاصّة" إذ قابل (عليه السلام) بين العامّة والخاصّة، وكذا المقابلة بين الخفّة والثقل في قوله (عليه السلام): "والصبر عليه فيما خفّ أو ثقل".

س: أي فنّ بلاغيّ تجده في قوله (عليه السلام): "وليس يُخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله"؟

هذا الفنّ يعرف بالمدح بما يشبه الذّمّ؛ لأنّه (عليه السلام) ذكر إلزام الله الوالي بأمور حقّة ثم استثنى ما يخرج من هذه الأمور بقوله: (الاستعانة بالله)، فهو برّز هذا المستثنى الذي يؤكّد المستثنى منه.

س: أي فنّ بلاغيّ تجده في تقسيم الإمام (عليه السلام) الناس على طبقا، ولماذا جمع القضاة والعمال والكتّاب في طبقة واحدة؟بيّن ذلك.

أسلوب التقسيم هو ممّا يعرف في علم البديع بأسلوب الحكيم لما فيه من تيسير الموضوع المطروح وتبسيطه إلى ذهن السامع، فتقسيم الرّعيّة إلى طبقات ييسّر على الوالي فهم متعلّقات كلّ واحدة من هذه الطبقات، وإنّما جمع (عليه السلام) الطبقات الأساسيّة الثلاث: القضاة، العمّال، الكتّاب؛ لأنّ وجه الحاجة اليهم واحد، وهو قوله (عليه السلام): لما يحكمون من المعاقد، وكذا أسلوب التفصيل بعد الإجمال هو من أسلوب الحكيم لما فيه من زيادة ترسيخ للمعارف في أذهان السّامعين، ونجده في عرض الإمام (عليه السلام) للصفات السّبع عمومًا، ثم الكلام عنها تفصيلًا، وكذا في قوله (عليه السلام): "ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذّمّة ومسلمة الناس"، فأهل الذّمّة تفصيل وبيان لأهل الجزية، ومسلمة الناس بيان لأهل الخراج.

س: أسلوب الحذف من علم البيان يراعى فيه حال المخاطب، وبلاغة الأسلوب في اجتناب التّكرار المخلّ، بيّن هذا الأسلوب في النصّ الذي بين يديك؟

يظهر الحذف في قوله (عليه السلام):

١ـ حذف المبتدأ في "ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذّمّة ومسلمة الناس " وتقديره: وهم من أهل الذّمّة ومسلمة الناس، وذلك استغناء عنه بحرف (من) الذي بعّض هذا المحذوف. وكذا قوله (عليه السلام): " الطبقة السّفلى من أهل الحاجة والمسكنة".

٢ـ حذف اسم كان في قوله (عليه السلام): "ويكون من وراء حاجتهم" لتقدّم ذكر المبتدأ في جملة: "ويعتمدون عليه فيما يصلحهم"، والتقدير: وما يكون من وراء حاجتهم، أي (ما) الموصولة.

٣ـ حذف خبر ليس في "وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام"، فاسم ليس هو الجملة الفعليّة "يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى"، وخبرها محذوف، والتقدير: وليس يخرج الوالي خروجًا كائنًا إلا بالاهتمام والاستعانة بالله.

٤ـ حذف المضاف إليه في: "وفي الله لكلٍّ سعة"، أي: لكلّ طبقة سعة، وإنّما استغنى عن ذكر لفظة طبقة؛ لأنّ مدار الكلام عنها، وذكرها يُعدّ إطنابًا مخلًّا ببلاغة الكلام.

المقطع السابع: الطبقة الأولى (الجنود)

وهو قوله (عليه السلام): "فَولِّ مِنْ جُنُودكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأفضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.

وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.

فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاَءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلى، وَلاَ تَضُمَّنَّ بَلاَءَ امْرِئٍ إِلى غَيْرِهِ، وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلاَ ضَعَةُ امْرِئٍ إِلى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَارْدُدْ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ وَالرَّسُولِ، فَالرَّدُّ إِلى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ".

المعنى العام[1]

وصف أمير المؤمنين الجنود في المقطع السابق بأنّهم:

١- حصون الرّعيّة وسور الوطن فلا حِفظ للبلدان ولا دفع للأعداء إلاّ بهم.

٢- زينة للولاة أمام العدوّ الخارجي والمخالف الدّاخلي.

٣- عزّ للدّين بجهادهم الأعداء الكافرين.

٤- سببٌ للأمن الداخليّ فلا يجترئ اللّصّ أنْ يسلب أموال النّاس خوفًا من الجنود.

وتعرّض عليه السّلام في هذا الفصل لبيان ما يلزم أنْ يتّصف به الجنديّ من الأوصاف حتّى يستحقّ مقام الولاية على السائرين، وهذا من أهمّ أمور النظام العسكريّ. وقد أنشئت في هذه العصور معاهد وكليّات ومدارس لتعليم النظام العسكريّ وإعداد الضبّاط والأُمراء في الجيوش. وتتضمّن هذه التعليمات تمرينات وتدريبات عسكريّة شاقّة في دورات متعدّدة. ولكنّ الإسلام يتوجّه إلى روحيّة الجنديّ أكثر ممّا يتوجّه إلى تدريبه العمليّ، فإنّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٥٢-٥٥.

الجنديّ إنّما يواجه العدوّ ويدافع عنه بروحه وإيمانه وقوّة عقيدته أكثر ممّا يعتمد على قوّة جسمه وأعماله، فالبطولة الفائقة تعتمد على قوّة الروح والإيمان في الجند والقادة أكثر ممّا تعتمد على قوّة الجسم والتدريبات العمليّة، وقد وصف عليه السّلام من يستحقّ مقام الولاية على الجند، وينبغي أنْ يكون أميرًا بسبعة أوصاف:

١ ـ أنْ يكون أنصح للّه ورسوله وللإمام المفترض الطاعة من سائر الأفراد.

٢ ـ أنْ يكون أطهر أفراد الجيش قلبًا وسريرة وتجنّبًا عن الفواحش والمنكرات.

٣ ـ أنْ يكون أثبتهم حلمًا وتسلّطًا على نفسه تجاه ما يثير الغضب.

٤ ـ أنْ يكون ممّن يقبل الاعتذار عمّن ارتكب خلافًا ويتّصف بالعفو والصفح عن المذنب.

٥ ـ أنْ يكون موصوفا بشدّة الشكيمة تجاه الأعداء رقيق القلب يرأف بالضعفاء.

٦ ـ أنْ يكون مقاومًا للمتمردين من المتنفذين في الدولة لإحراز المنافع الشخصية.

٧ ـ أنْ يكون حليمًا وصبورًا تجاه الشدائد ومفكّرا في حلّ ما ينوبه من العقد.

وإحراز هذه الصفات الكريمة في الأفراد يحتاج إلى درس كامل عن أحوالهم وإلى تجارب وامتحانات متتالية. فقرّر عليه السّلام أمارتين على وجود هذه الصفات العالية النفسانية.

الأولى: الأسرة والبيت، فذوو الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة هم المؤدّبون والمربّون تربية صحيحة.

والعلامة الأخرى ما يُستفاد من حال الفرد نفسه، فقد دخل في جماعة المسلمين خلقٌ كثير من سائر الشعوب لا يُعرف لهم أسرة أو بيت ويُعبّر عنهم

بالموالي فكان الاعتماد عليهم يرجع إلى ما يستفاد من أخلاقهم فبيّن لذلك أربعة أوصاف:

١ النجدة، وهي صفة تنبئ عن علوّ الهمّة وإظهار القيادة.

٢ الشجاعة، وهي صفة تنبئ عن الغيرة وسرعة الإقدام في الدفاع عما يجب حفظه.

٣ السخاء، وهي صفة تنبئ عن بسط اليد وعدم حبّ المال والادّخار وحبّ الإيثار على الأغيار.

٤ السّماحة، وهي صفة تنبئ عن التسلّط على الناس بحسن الخلق وبسط الجود.

فهذه صفات شخصية إذا اجتمعت في فرد تؤهله للإمرة وتوجب الاعتماد عليه في إعطاء الولاية على الجند.

ثمّ أشار في آخر هذا الفصل إلى أنّ أفضل رؤساء الجند وأمراء الجيوش من يواسيهم في المعونة ويوفّر عليهم فيما يجده من المؤونة ولا يقتصر على خصوص رواتبهم المقرّرة المحدودة بحيث يغنيهم عمّا يحتاجون إليه من مؤونة أنفسهم وأهلهم.

المستوى الصوتيّ

س: يصاغ فعل الأمر من المضعّف فيجوز الإدغام وفكّه عند أمر المخاطب، كيف تعلل اختيار فكّ الإدغام في قوله (عليه السلام): "وارددْ إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب"؟

يجوز أمر المفرد المخاطب من المضعّف بالإدغام، وذلك بتحريك آخره لأجل الإدغام، وتقدير السكون عليه بالجزم من فعل الأمر، والقياس فكّ الإدغام لتسكين آخر فعل الأمر الذي يناقض الادغام، وهو أنْ يكون الأوّل ساكنًا والثاني متحركًا، فيمكن أنْ يقال: وارددْ، أو: ردَّ، بفتح الدال، وإنّما اختار (عليه السلام) المقيس من أمر المخاطب المفرد لما في فكّ الادغام من

تكرار لصوت الدال المفخّم، وهذا يحدث تشديداً أبلغ من الادغام المرقّق بفتح الآخر.

س: كيف تفسّر صوتيًّا إبدال الواو تاء في لفظة (اتّكال) في قوله عليه السلام: "ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتّكالًا على جسيمها"، وضّح ذلك مستعينًا بمعطيات الدّرس الصوتيّ الحديث؟

الفعل (اتّكل) على صيغة افتعل يفيد الاتّخاذ، أي: اتّخذ وكيلًا. وفاء الفعل (وكل) عند صياغتها على افتعل يكون الأصل (اوتكل) فتبدل الواو تاء، ثمّ تدغم هذه التاء مع تاء الافتعال فيصير اتّكل؛ إذ تقتضي القاعدة الصرفيّة للإبدال في صيغة الافتعال جعل الواو أو الياء إذا كانتا فاء للصيغة تاء للمناسبة الصوتيّة بين الجهر في أصوات المدّ والهمس في التاء، هذا هو رأي القدماء أما الدرس الصوتي الحديث فلا يقرّ بهذه المبادلة بين الواو والتاء ويرى أنّ ما جرى هو حذفٌ للواو واجتلاب لتاء أخرى تدغم بتاء الافتعال، فوزن (اتّكل) هو (اتّعل) لدى الأصواتيين و(افتعل) لدى الصرفيين.

س: علّل صوتيًّا حذف صوت المدّ (الواو) من الألفاظ: (تدع، جدته، يسع) في قوله عليه السلام: "وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم "وقوله عليه السلام: "ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتّكالًا على جسيمها".

١ـ حذفت الواو في لفظة (جدة) وهي من الفعل: وجد يجد على الباب الثاني متابعة للقاعدة الصرفيّة في حذف الواو من صيغة فِعلة، إذا أريد بها الهيأة. أمّا (وجهة) فبقي صوت الواو على رغم ثقله مراعاة لأمن لبسه بالظرف (جهة)، فالمراد من قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا} ﴿البقرة: ١٤٨﴾ ليس هو الظرف، أي جهة الشّرق أو الغرب، وإنّما المراد القبلة التي قد تكون نحو جهة من الجهات الستّ، ووجهة المسلمين هي هيأة التّوجّه نحو الكعبة الشريفة أما غيرهم فله وجهة أخرى. أمّا ما قيل: إنّ (وِجهة) ظرف، و(جهة) مصدر فهذا ينافي الدلالة العامّة لصيغة فِعلة.

أمّا في (يسع) فالقاعدة المعتمدة عند صياغة الأفعال واويّة الفاء أنْ يحذف منها الصّائت الطّويل (الواو) إذا وقع بين فتح وكسر تخلّصًا من الثّقل المقطعيّ، أمّا إذا وقع الصّائت الطويل بين فتحتين فلا يحذف؛ لخفّة ذلك على اللسان، غير أنّه مع الفعل (وسع) تحذف (الواو) لكون لام الفعل من أصوات الحلق، فالعين تحدث تغييرًا مقطعيًّا يجعل النّطق بوجود الواو منقسمًا إلى مقطعين متباينين.

أمّا حذف الواو مع (تدَع) فهو حاصل للعلّة الصوتيّة المذكورة آنفًا، مع ملاحظة أنّ هذا الفعل ممّا روي بلا ماضٍ إذ لم يسمع ودَعَ ولا وادع، واستغنوا عنهما بـ(ترك وتارك) على حين استعمل المضارع والأمر (يدع، دع)، ووردت قراءة بذكر الواو من ماضيه في قوله تعالى {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} ﴿الضحى: ٣﴾ أي: لم يتركك، وفي قوله عليه السلام: لا تدع، أي: لا تترك.

س: كيف تعلّل صوتيًّا قلب الواو همزة في لفظة (بلاء)، وقلبها ياء في لفظة (حيطة)؟

١ـ تقلب الواو همزة إذا تطرّفت بعد ألف زائدة، وتعليل هذا صوتيًّا مردُّه إلى التخلص من المقطع المديد في آخر اللفظة بقفله بالهمزة، فلفظة (بلاء) أصلها (بلاو) وتشكيلها الصوتيّ هو: (بَ، لاو) والمقطع الثاني جاء مديدًا وفيه ثقل عند الوصل فحذفت الواو وجيء بالهمزة قفلًا للمد الذي ينشطر عند الوصل إلى مقطعين أوّلهما طويل مفتوح (لا) والآخر قصير مفتوح (ءُـ) بحسب حركة الإعراب.

٢ـ وأما (حيطة) فمصدر هيأة، والأصل (حِوْطة)، إلّا أنّ الواو تقلب ياء إذا سبقت بكسرة؛ وذلك للثقل الصوتيّ الحاصل من مجيء الواو بعد كسرٍ، وهذا تعليل القدماء، وفي الدرس الحديث حذفت الواو تخلصًا من المزدوج الصوتيّ بين الواو والكسرة ومدّت الكسرة قبلها فصارت ياء ساكنة.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة، واذكر أحرف الزيادة فيها موضّحًا المعاني الصرفيّة التي أفادتها هذه الأحرف.

١ـ ولِّ: فعل أمر من ولّى يولّي، مزيد بتضعيف العين التي أفادت التعدية إلى المفعول الثاني؛ لأنّ المجرّد: ولِي الأمر فهو والٍ، وولّيته الأمر فهو متولٍّ، و(ولِّ) على زنة (فعِّ) حذفت اللام لسكون الياء في صيغة الأمر.

٢ـ يُبطئ: مضارع مزيد بهمزة القطع من (أبطأ)، وأفادت الزيادة فيه التعدية إلى المفعول به بوساطة حرف الجرّ؛ لأنّ المجرّد لازم على الباب الخامس (بطُؤ يبطُؤ) وأبطأ إبطاء ضدّ أسرع، وأبطأ به الشيء: أخّره.

٣ـ يستريح: مضارع مزيد بهمزة الوصل والسّين والتّاء، وحذفت الهمزة لصياغة المضارع من استراح. والزيادة أفادت الصّيرورة، أي: إيجاد الراحة النّفسيّة إلى ما يقدّمه من عذر.

٤ـ يُثيره: مضارع مزيد بهمزة القطع، من أثاره، والزيادة أفادت التعدية؛ لأنّ المجرّد لازم يقال: ثار الغبار يثور ثوراً وثورانًا، وقد أثرته {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴿فاطر: ٩﴾.

٥ـ تفقّد: أمر من المضارع المزيد بالتاء وتضعيف العين، والزيادة تفيد طلب المفقود، قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} ﴿النمل: ٢٠﴾، أي: طلب ما فقده من الطير؛ لأنّ الفقد هو ضياع الشّيء بعد وجوده، أي: أسهر على مصلحتهم وأبحث عن احتياجاتهم وراءها.

٦ـ يتفاقمن: مضارع مزيد بالتاء والألف من (تفاقم)، والزيادة دالّة على المبالغة في الفقم، وهو الامتلاء والعظم، يقال: أصاب من الماء حتى فُقم، وفقِم الأمر على الباب الرابع فقْمًا وفَقَمًا بحركتين: عظُم ولم يجر على استواء، والمعنى أنّ ما تقدّمه لهم ممّا تقويهم هو فرضٌ عليك لا تفضّل منك، فلا يزداد العطاء في نظرك عظمة فتمنعه عنهم، وقيل: إنّ الفقم هو اعوجاج وقلّة

استقامة من: فقِم فلان على الباب الرابع إذا تقدّمت الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا.

٧ـ قوّيتهم: ماضٍ مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعديةن فالمجرّد على الباب الرابع قوِي فلان يقوى فهو قويّ، وقوّاه الله.

٨ـ تُحقّرنّ: مضارع مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت المبالغة، يقال: حقَر الشيءَ يحقِرُه على الباب الثاني: استصغره واستهان به، وفي الحديث: "لا تَحْقِرنّ من المعروف شيئًا ولو أنْ تلقى أخاك بوجه طلق"، وحقّر الشيء: بالغ في الاستهانة به واستصغاره.

٩ـ تعاهدتهم: ماضٍ مزيد بالتاء والألف، وأفادت الزيادة معنى المبالغة، أي، أكثرت من إعطائه إيّاهم والالتزام بإيصاله لهم.

١٠ـ تُعظّم: مضارع مزيد بتضعيف العين من عظُم، والزيادة أفادت التعدية: لأنّ المجرّد هو عظم الشيء فهو عظيم.

١١ـ تستصغر: مضارع مزيد بهمزة الوصل المحذوفة لصياغة المضارع والسين والتاء، والزيادة أفادت الصيرورة، أي: تجعله صغيرًا.

١٢ـ ينتفعون: مضارع مزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المطاوعة، نفعته فانتفع.

١٣ـ يستغنون: مضارع مزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة أفادت الصيرورة، استغنى: صار في غنى عن الشيء.

١٤ـ واساهم: ماض مزيد بالألف، والزيادة أفادت المشاركة، أي: مشاركتهم في الأسى وهو الحزن. ومجرّده من (أسا)، ويبدو أنّ المشتقات كلّها من هذا الأصل المهموز الفاء فما سمع منها بالواو إنما هو مقلوب من الهمزة؛ ولذا روي هذا الفعل في كلامه عليه السلام بلغتين (واساهم وآساهم). والأصل هو الهمز ووصف صاحب اللسان "واساه: لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ فِي آسَاهُ، يُبْنَى عَلَى يُواسي" يريد أنّ همزة المؤاساة قلبت واوًا تخفيفًا، ثمّ جرى القلب في الفعل فقيل: (واسى يواسي واسِ)، وما سمع من أصل مثالٍ واويّ من هذه

المادّة فمعناه يبتعد عن معنى الأسى الذي هو الحزن؛ لأنّه بمعنى الحلاقة، يقال: أوساه: حلقه وقطعه، والموسى: شفرة الحلاقة. وفي هذا الجذر بابان: الأوّل: أسا يأسو فهو آسٍ، بمعنى المداواة والعلاج، قال المتنبيّ يصف أسداً:

يطأُ الثّرى مُترفّعا من تيهه فكأنّه آسٍ يجسُّ عليلا

والثاني: من أسي يأسى أسىً من الباب الرابع بمعنى حزن، قال تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} ﴿المائدة: ٢٦﴾، أي: لا تحزن، وصرّح صاحب المفردات بأنّ الأصل من الباب الرابع، وأمّا الباب الأوّل فمبنيّ عليه وهو إزالة الأسى.

١٥- واصلْ: أمر مزيد بالألف، والزيادة دلّت على المبالغة، يقال: وصلت الشيء على الباب الثاني وصلًا وصلة: بلغته، وواصلته مواصلة ووصالًا إذا أكثر من الوصل.

١٦- تُحرّض: مضارع من حرّض المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت معنى السّلب، أي: إزالة الحرض، وهو المرض النّفسيّ، حرِض يحرَض حرضًا بفتحتين، بمعنى مرض، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} ﴿الأنفال: ٦٥﴾ أي: أزال حرضهم وهو عدم قيامهم للجهاد. ويقال لمن أشرف على الهلاك وذهب عقله: حَرَضٌ، {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} ﴿يوسف: ٨٥﴾ وهو من إذابة الهمّ، وفي قوله (عليه السلام) المراد من تحريض الناكل هو إزالة ما به من حرض في نكولهم أي: ضعفهم وعجزهم.

١٧- أبلى: ماضٍ مزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية المجازيّة، فالمجرّد لازم من الباب الرابع، يقال: بلي الثوب يبلى بلى وبلاء، وأبلاه هو، فهذه تعدية ماديّة لما هو محسوس كالثوب، أمّا أبلى في الحرب بلاء حسنًا فهي تعدية مجازيّة تشبيهًا ببلي الثوب، والمفعول محذوف للعلم به، أي: أبلى نفسه في الحرب إذا اجتهد في الحرب والقتال. أمّا الابتلاء وهو بمعنى الاختبار فهو من الباب الأوّل متعدٍّ بنفسه {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ

وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} ﴿محمد: ٣١﴾، وكذا بلاه الهمّ: كأنّه اختبره، ومنه يقال: فلان بلي أسفار وبلوها، أي: بلاه الهمّ والسفر والتجارب.

١٨- تقصّرنّ: مضارع من قصّر المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية المعنويّة، فالقُصر أنْ لا يبلغ الشيء مداه ونهايته من الباب الأوّل، يقال: قصَر السّهم عن الهدف: لم يبلغه، وقصَر الصلاة: لم يتمّ فيها لا أنّه لم يبلغ مداها، قال تعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} ﴿النساء: ١٠١﴾، وقصّر شعره: جزّ بعضه: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ} ﴿الفتح: ٢٧﴾، وقصّر في الأمر: توانى، وكأنّه قصّر همّته في الأمر، وقصّر عنه: لم يبلغه.

س: استخرج المصادر القياسيّة من النصّ، واذكر القاعدة الصرفيّة التي تحكمها.

١ـ الغضب: مصدر مقيس من الباب الرابع الدالّ على الانفعالات الطارئة والامتلاء النفسيّ بها، غضِب يغضب غضبًا، نحو فرح فرحًا.

٢ـ شجاعة: مصدر مقيس من أفعال الباب الخامس الدّالّة على الطبائع والغرائز، شجُع شجاعةً، ونحوها كالنظافة والطّهارة وكذا السماحة الواردة في هذا المقطع.

٣ـ سخاء: مصدر مقيس من أفعال الباب الخامس: سخُو يسخُو سخاءً وسخاوة فهو سخيٌّ، أي: جواد؛ لأنّ الأفعال الدالّة على الغرائز والطبائع قياسها الفَعال والفَعالة، أمّا سخِي على الباب الرابع فهو لما دلّ على داء، أي: أصابه ظلْع وهو أنْ تعترض الريح بين الجلد والكتف ومصدره سَخًى.

٤ـ بذل: الفَعْلُ مصدرٌ مقيس من الأفعال المجرّدة كلّها المتعدي منها واللازم، يقال: بذله يبذله: أعطاه، وكذا المصادر على هذه الصيغة في النصّ، نحو: (همّا) و(الترك).

٥ـ تفقّد: مصدر مقيس على التفعّل من الفعل المزيد بالتاء وتضعيف العين.

٦ـ جهاد: مصدر على فِعال، وهو شائع من فاعل، والقياس فيه المفاعلة، يقال: جاهد جهاداً ومجاهدة.

٧ـ استبطاء: مصدر على الاستفعال وهو مقيس من استفعل المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، استبطأ استبطاء. وكذا الاستثقال في النصّ نفسه من استثقل بمعنى إيجاد الشيء على صفةٍ ما، أي: إيجاد الجنود هذه الولاية ثقيلة وبطيئة في مدّتها.

٨ـ انقطاع: مصدر على الانفعال، وهو مقيس من (انفعل) المزيد بهمزة الوصل والنون، الذي يفيد المطاوعة، قطعت الشيء فانقطع.

٩ـ تعديد: مصدر على التفعيل، وهو مقيس من فعّل المزيد بتضعيف العين، من الفعل الصّحيح اللام عدّد تعديداً.

١٠ـ حُسن: مصدر على فعل بضمّ الفاء، وهو مقيس من أفعال الباب الخامس للدلالة على الصفات الثابتة، نحو: البعد والقرب والصغر، وكذا لفظة العنف في النصّ من الباب الخامس: عنُف عليه وبه ضدّ الرفق، وكذا لفظة اللطف من الباب الخامس: لطف لطفاً ولطافة فهو لطيف، أي: الرفق واللين.

١١ـ استقامة: مصدر على (استفعلة) على مذهب سيبويه، بحذف ألف الاستفعال؛ لالتقائها مع عين الفعل، أو استفالة على مذهب الأخفش في حذف عين الفعل وإبقاء ألف الاستفعال.

١٢ـ سلامة: مصدر على (فعالة) مقيس لما دلّ على الثبوت غير أنّه من الباب الرابع، يقال: سلم من الآفة الظاهرة والباطنة سلامة.

١٣ـ ظُهور: مصدر على (فُعول) مقيس من (ظهَر يظهَر) على الباب الثالث للدلالة على المفاجأة، أي: التغيير الطارئ للفعل نحو: الدُّخول والهُفوت والسُّجود.

س: وردت لفظتا (الجُنود) و(الجُند) في المقطع، فما الدلالة الصرفيّة لكلّ من هذين الجمعين؟

الجُند: اسم جنس جمعيّ يفرّق بينه وبين واحده بالياء، فمفرده: جنديّ، ومثلها: كُرد كرديّ ورُوم روميّ، وكذلك كلّ اسم جنس جمعيّ يفرّق بينه وبين واحده بالتاء نحو: تمر وتمرة وورد ووردة، أمّا الجنود فهو جمع كثرة على فُعول لاسم الجنس الجمعي جند، كما جمع التمر على تمور والزهر على زهور ويجمع في القلّة على الأجناد كالأوراق والأزهار جمعي وَرق وزَهر.

س: استخرج جموع التكسير الواردة في النصّ، مبيّنًا نوعها وذاكرًا مفرداتها؟

١ـ ضُعفاء: جمع كثرة على فُعلاء مقيس في (فعيل) وصفًا لمذكّر صحيح اللام، نحو كريم وكرماء، ورحيم رحماء.

٢ـ أقوياء: جمع كثرة على أفعلاء مقيس في (فعيل) وصفًا لمذكر معتلّ اللام أو مضعّف، نحو: وليّ وأولياء، وشديد أشدّاء.

٣ـ أحساب: جمع قلّة على (أفعال) مفرده (الحَسَب) وهو ما يعدّه الإنسان من مفاخر آبائه.

٤ـ بيوتات: جمع الجمع إذ المفرد: بيت، وجمعه في الكثرة (بُيوت)، ثمّ جمعت البيوت على بيوتات جمعًا سالمًا بالألف والتاء، ويفيد جمع الجمع بالألف والتاء التخصيص والتعظيم فالبيوتات أقلّ عددًا من البيوت، ولكنّها أعظم شرفًا وأعلى شأنًا وكذا الرجالات.

٥ـ سوابق: جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، وهو أنْ يأتي بعد ألف جمعها حرفان أو أكثرن وهو مقيس في جمع ما كان على (فاعلة) اسمًا أو صفة، وهنا مفرده (سابقة) اسمًا للأمر السابق منهم والمعروف عندهم.

٦ـ شُعب: جمع كثرة على فُعل، وهو جمع مقيس لما كان على زنة (فُعلة) من الأسماء، ومفرده شُعبة، نحو: غُرفة وغُرَف. وكذا (دُوَل) جمع كثرة على (فُعل) مفرده دُولة بالضم.

٧ـ أمورهم: جمع كثرة على (فُعول)، وهو جمعٌ مقيس لما كان اسمًا مفردًا على زنة (فَعْل)، نحو: قلب قلوب، قصْر قصور، صقْر صقور وكذا أمْر أمور.

٨ـ رؤوس: جمع كثرة مفرده: رأس.

٩ـ خلوف: جمع كثرة مفرده خلف بفتحتين: أي: الولد الصالح الذي تخلّف مع أهله، فالخلوف هم المتخلّفون، وهو جمع مقيس لفعل بمعنى مفعول.

١٠ـ قلوبهم: جمع كثرة مقيس من المفرد (فعل) وهو قلب، وكذلك لفظة (صدورهم) جمع صدر،

١١ـ وُلاة: جمع كثرة على (فُعَلة) مقيس في ما كان على (فاعل) صفة لمذكّر عاقل من معتلّ اللام نحو (الوالي الولاة، القاضي القضاة)، وحصل إعلال بقلب الياء ألفًا لتحرّكها وسبقها بفتح.

١٢ـ آمالهم: جمع قلّة على (أفعال)، مقيس من الاسم المفرد على (فعل) مفرده أمل، ثم حصل إعلال بقلب الهمزة الثانية ألفًا؛ لاجتماع همزتين أوّل الكلمة، الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة.

١٣- فِعالهم: جمع كثرة على (فعال) وهو جمع مقيس من الاسم المفرد (فعل)، نحو: ذئب وذئاب.

س: زن الكلمات الآتية، واذكر دلالتها الصرفيّة.

١ـ ولدهما: اسم جمع لا مفرد له من لفظة، نحو: الرهط، ويراد بالولد كلّ ما ولد، ويطلق على الذكر والأنثى والمثنى والجمع.

٢ـ داعية: فاعلة، اسم دالّ على المبالغة، والتاء للنقل إلى الاسميّة، نحو: رجل طاغية، وراوية للشعر، وهذا لطف داعية إلى الإخلاص لك كأنّ هذا اللطف حلّ محلّ دواع للإخلاص.

٣ـ رسول: فعول، صيغة مبالغة يستوي فيها المذكّر والمؤنّث.

٤- لطيف: فعيل، صفة مشبّهة من الباب الخامس، وكذا: جسيم ويسير وعظيم وصغير.

٥- مودّة: مفعلة، مصدر ميمي دالّ على كثرة الفعل في المكان، نحو: المقبرة والمطبعة، أي: الموضع الذي يكثر فيها المودّة والحبّ.

٦- موضع: مفعل، اسم مكان، وكذا موقع، وقياس اسم المكان من المثال أنْ يأتي على مفعِل بكسر العين.

٧- نصيحة: فعيلة، اسم لما يقدّم للإصلاح من القول؛ ولذا تجمع على (فعائل)، نحو: صحيفة وصحائف.

٨- حيطة: فِعلة، اسم دالّ على الهيأة من الحوط، وهو الالتفاف حول الوالي لحفظه وصيانته بالحذر من كلّ خطر.

٩- ضِعة: علة، مصدر هيأة أصله (وِضعة)، ثمّ حذفت فاؤه، وهو من الباب الخامس: وضع الرجل يوضع ضِعة بفتح الضاد وكسرها، أي: صار وضيعًا، والمراد به الرجل الدنيّ من الخفض والانحطاط. ويقال في حسبه ضعة، أمّا وضَع الشيء من الباب الثالث يضعه، أي: حطّه.

١٠- قُرّة: فُعلة من قرّ يقرّ على الباب الرابع دالّة على موضع الحدث في المكان؛ لذا اقترنت بالعين؛ لأنّ السكون والراحة تظهر في العين التي تبرد دمعتها لعدم اضطراب النّفس.

١١- نَجدة: فعلة، اسم دالّ على المرّة الواحدة، من (نجد) على الباب الخامس نجادة ونجدة، فهو نجيد، وهو المرتفع الهمّة.

١٢- مدّتهم: فعلة، اسم دالّ على موضع المدّ في الشّيء، ويراد بها الغاية من الزمان والمكان، والبرهة من الدّهر.

١٣- ثناء: فعال، اسم مصدر من أثنى إثناء، أو ثنّى عليه، أي: وصفه بالمدح.

١٤- بلاء: اسم مصدر على فَعال من أبلى إبلاء.

١٥- شجاع: فُعال، صفة مشبّهة من شجع على الباب الخامس الدالّ على الطبائع.

١٦- صالحة: فاعلة، صفة مشبّهة من صلح على الباب الخامس صلاحًا ضدّ فسد.

١٧-غاية: فعلة، من اللفيف المقرون، غوى يغوي على الباب الثاني، وهي اسم ذات معنويّ مفرد لاسم الجنس الجمعيّ (غاي) على زنة فَعَل، على وزن اسم الجنس الجمعيّ آي، مفرده آية، وشجر مفرده شجرة، والغاية تطلق ويراد بها أقصى الشيء ومداه.

١٨- أفضل: في العبارة الأولى دلّ على التفضيل، فهو اسم مضاف إلى المفضّل عليه، والفتحة على اللام علامة نصبه؛ لأنّه مفعول به ثانٍ لفعل الأمر: ولّ.

أمّا (أفضل) في العبارة الثانية فدلّ على الحدث فهو فعل ماضٍ فاعله مستتر، والفتحة على اللام علامة بناء الفعل الماضي.

المستوى النحويّ

س: ما نوع الفاء في:

١- (فولّ من جنودك أنصحهم).

الفاء هي فاء الاستئناف التي تأتي بعد انتهاء كلام سابق ثمّ تذكر كلامًا جديدًا ذا صلة، ولكنّه بأبعاد أخرى. ومثل هذه الفاء في النصّ قوله (عليه السلام): (فافسح في آمالهم).

٢- (ثمّ الصق بذوي المُروآت... فإنّهم جماع من الكرم)

الفاء في هذه الجملة هي فاء التعليل التي تأتي لبيان علّة ما سبق، فالأمر باللصوق بذوي المروءات تعليل لكونهم (جماع من الكرم). ومثلها عبارات كثيرة في هذا المقطع من العهد كما في قوله (عليه السلام): "فإنّ لليسير"، "فإنّه

داعية لهم إلى بذل النصيحة لك"، " فإنّ كثرة الذكر لفعالهم تهزّ الشجاع "، " فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك"، " فقد قال... ".

٣- (واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، فقد قال الله تعالى لقوم أحبّ إرشادهم)؟

الفاء هي التفريعيّة التي تسمّى الفاء الفصيحة؛ لأنّها تفصّل ما تقدّمها من إجمال، وكأنّ التقدير: فإنْ أردت أنْ تعرف ما الردّ إلى الله فهو كذا.

س: ما نوع الواو في: " وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ أمورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ"؟

الواو الأولى هي واو الاستئناف؛ لأنّها تتكلّم عن النصيحة المرجوّة من رؤساء الجند للوالي، وقبلها الكلام عن إيثار الوالي لهم. والواو الثانية هي العاطفة إذ عطفت أوصاف النصيحة للوالي والثالثة عاطفة أيضًا.

س: ما نوع (لا) في: "ولا يتفاقمنّ في نفسك شيء" و"ولا تصحّ نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم"؟

(لا) في الجملة الأولى هي الناهية، وإنْ دخلت على الغائب؛ لدلالة السياق على معناها، وهي نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} ﴿الحجرات: ١١﴾، والمضارع مجزوم بها وعلامة جزمه السكون، وحُرّك الفعل بالفتح لأجل نون التوكيد الثقيلة التي لا محلّ لها من الإعراب، و(شيء) فاعل يتفاقمنّ، و(في نفسك) متعلّق به. و(لا) في الجملة الثانية هي النافية، والفعل بعدها مرفوع بالضم، والفاعل نصيحتهم.

س: ما نوع (حتّى) في: " حتّى يكونَ همّهم همًّا واحدًا في جهاد العدوّ"؟

(حتّى) هي الجارّة التي تفيد الغاية، والفعل بعدها منصوب بأنْ مضمرة بعد حتّى، و(همّهم) فاعل (يكون)، والفعل والفاعل و(أنْ) المضمرة قبله في تأويل مصدر في محلّ جرّ بـ (حتّى).

س: علام يعود الضمير في: " فإنّهم جماع من الكرم"؟

الضمير المتّصل بأنّ هو اسمها في محلّ نصب، وهو يعود على ذوي المروءات والأحساب. ويجوز أنْ يعود على الفضائل المذكورة، أي هذه الفضائل من المروءات والإحسان والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة والنجدة والسخاء، فكلّها جماعٌ من الكرم أي: جامعة لأصناف الكرم؛ لأنّ غير العاقل يمكن أنْ يشار إليه بضمير العقلاء، نحو: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} ﴿الشعراء: ٧٧﴾ أي: الأصنام.

س: عيّن فعل الشّرط وجوابه في: "ولا تحقّرنّ لطفًا تعاهدتهم به وإنْ قلّ"، " فإنّ كثرة الذكر لحسن فعالهم تهزّ الشّجاع وتحرّض الناكل إنْ شاء الله".

فعل الشّرط في الجملة الأولى (قلّ) وهو ماضٍ مبني على الفتح، في محلّ جزم بـ(إنْ) والفاعل مستتر يعود على اللطف، وجوابه مقدّم عليه للاهتمام، أي: إنْ قلّ اللطف منك فلا تحقرنّه.

وفعل الشّرط في الجملة الثانية (شاء) وهو ماضٍ مبنيّ في محلّ جزم، ولفظ الجلالة فاعل، أمّا جواب الشّرط فهو مقدّم أيضًا للاهتمام، والتقدير: إنْ شاء الله تهزّ الشجاع، وجملة (إنْ شاء الله) جملة شرطيّة تخصّصت دلالتها بالدّعاء فهي لا محلّ لها من الإعراب.

س: ما نوع الإضافة في التراكيب: "بذل النّصيحة"، "جهاد العدوّ"، "ترك استبطاء"، "حسن الظّنّ"، "لطيف أمورهم"، "أهل النجدة"؟

الإضافة في بذل النّصيحة وجهاد العدوّ وترك الاستبطاء غير محضة، من نوع إضافة العامل إلى معمولهن أي إضافة الفعل إلى المفعول به، والأصل: بذلوا النّصيحة، وجاهدوا العدوّ، وتركوا الاستبطاء، والإضافة في حسن الظّنّ، ولطيف أمورهم غير محضة من نوع إضافة الصّفة إلى الموصوف، أي: الظّنّ الحسنن والأمور اللطيفة. وأمّا الإضافة في أهل النّجدة فهي إضافة محضة بمعنى اللام، أيك أهل للنجدة ينتمون.

س: بيّن مفعولي الفعل (ولّى) في: "فولّ من جنودك أنصحهم".

الفعل (ولّى) متعدّ بالتضعيف إلى المفعول الثاني إذا كان بمعنى الزعامة والرئاسة، إذ المجرد متعدٍّ إلى واحد كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} ﴿التوبة: ١٢٣﴾، ومع التضعيف يتعدى إلى اثنين لفظًا أو تقديرًا فمثال اللفظ الظاهر قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ﴿الأنعام: ١٢٩﴾ ومثال التقدير ما في قول أمير المؤمنين عليه السلام هذا؛ إذ المفعول الأوّل هو (أنصحهم)، والثاني مقدّر، ولم يذكر المفعول الثاني استغناء عنه بدلالة سياق الكلام، وهو أمره (عليه السلام) باختيار رؤساء الجنود، والتقدير: ولِّ أنصح جنودك قيادة الجن، على حين يأتي الفعل (ولّى) لازمًا إذا كان بمعنى هرب كما في قوله تعالى: {لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} ﴿الكهف: ١٨﴾.

س: استخرج الجمل التي لها محلّ من الإعراب في النصّ المتقدّم، ثمّ اذكر هذا المحلّ؟

١ـ جملة "قوّيتهم عليه" في محلّ رفع صفة للفاعل (شيء) قبلها، والفعل (قوّيتهم) ماض مبنيّ على السكون؛ لاتّصاله بتاء الفاعل، والهاء ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به، والميم للجماعة، و(عليه) جارّ ومجرور متعلّق بالفعل (قوِي).

٢ـ جملة " تعاهدتهم به" في محلّ رفع عطف على الجملة السابقة.

٣ـ جملة "ينتفعون به" في محلّ نصب صفة لاسم (إنّ) المتأخّر (موضعًا)، والفعل (ينتفعون) مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، و(به) جارّ ومجرور متعلّق بـ(ينتفعون).

٤ـ جملة "يعطف قلوبهم عليك" في محلّ رفع خبر (إنّ)، و(يعطف) مضارع مرفوع، والفاعل مستتر يعود على العطف، و(قلوبهم) مفعول به مضاف للضمير (هم).

٥ـ جملة "أحبّ إرشادهم" في محلّ جرّ صفة لـ(قوم) المجرور باللام، والفعل (أحبّ) ماض مبنيّ على الفتح، وفاعله مستتر يعود على لفظ الجلالة، و(إرشادهم) مفعول به منصوب مضاف إلى الضمير (هم).

٦ـ جملة "الآية القرآنيّة " في محلّ نصب مقول القول قبلها.

٧ـ جملة "تنازعتم" في محلّ جزم فعل الشّرط بعد إنِ الشّرطيّة، والفعل (تنازعتم) ماض مبنيّ على السكون لاتصاله بتاء الفاعل.

٨ ـ جملة "فردّوه" في محلّ جزم جواب الشّرط، وذلك لاقترانها بالفاء، والفعل (ردّوه) أمر مجزوم بحذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل، والهاء ضمير متصل في محلّ نصب مفعول به.

٩ـ جملة "الأخذ بمحكم كتابه" في محلّ رفع خبر للمبتدأ (الرّدّ) و(إلى الله) متعلّق بالفعل ردّ.

س: أعرب مفصّلًا ما تحته خطّ: "وأطهرهم جيبًا"، "ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتّكالًا على جسيمها"، "وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ"، "بما يسعهم ويسع من وراءهم"، "وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم"، "ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى"، "ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه"، " الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة"، (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر).

١ـ جيبا: تمييز منصوب رافع للإبهام عن النسبة، وعلامة نصبه تنوين الفتح.

٢ـ اتّكالًا: مفعول لأجله منصوب، وعلامة نصبه تنوين الفتح.

٣ـ من: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب خبر (ليكن)، والفعل (واساهم) فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف، والفاعل مستتر تقديره (هو)، والهاء مفعول به، والجملة من الفعل والفاعل والمفعول صلة الموصول (من) لا محلّ لها من الإعراب.

٤ـ من وراءهم: (من) اسم موصول في محلّ نصب مفعول به للفعل (يسع) الذي فاعله مستتر يعود على الاسم الموصول (ما) في: بما يسعهم، الذي هو في محلّ جرّ بحرف الجرّ الباء. و(وراءهم) ظرف مبنيّ على الفتح مضاف إلى (هم) متعلّق بمحذوف يعرب صلة لـ (ما)، وهذا المحذوف يقدّر بجملة: هو كائن.

٥ـ ما: اسم موصول مضاف إليه المصدر (تعديد)، وهو مضاف، و(أبلى) فعل ماض مبنيّ على الفتح، و(ذوو) فاعل مرفوع بالواو؛ لأنّه من الأسماء الخمسة، والجملة من الفعل والفاعل صلة لـ(ما) لا محلّ له من الإعراب.

٦ـ ما: اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به لفعل الأمر (اعرف)، والجملة (أبلى) بعده صلة.

٧ـ دون: ظرف مبنيّ على الفتح في محلّ نصب مفعول فيه، وهو مضاف، و(غاية) مضاف إليه وهو مضاف إلى بلائه.

٨ ـ غير: صفة ثانية للسنّة، مجرور وعلامة جرّه الكسرة مضافًا إلى (المعرّفة)، والصفة الأولى هي (الجامعة).

٩ـ أولي: اسم منصوب وعلامة نصبه الياء؛ لأنّه ملحق بجمع المذكّر السالم، وحذفت النون للإضافة، معطوف على الرسول، وهو مضاف، والأمر مضاف إليه.

المستوى المعجميّ

س: مشتقات (وجد) من المشترك اللغوي ما معانيه في العربيّة؟

لما تعددت معاني المشتقات من الجذر (وجد) تعدّدت المصادر المسموعة لهذا الفعل، فقيل: إنّ الفعل (وجد) إذا دلّ على الحزن أو الحب بتعديته بالباء، فيقال: وجد به، ومصدره الوِجد بكسر الواو، واذا دلّ على الغضب فيقال: وجد عليه، ومصدره موجدة. واذا أُريد به إيجاد الشيء، فيقال: وجد ضالّته ومصدره الوجود. وإذا أريد به الغنى فيقال: وجد المال أو المطلوب

يجده وَجداً وجِدة: استغنى ومصدره الوجدان والجِدة والوُجد بضم الواو، قال تعالى: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ} ﴿الطلاق: ٦﴾ أي: تمكّنكم وقدر غناكم. وفي هذا المقطع أمر عليه السلام الوالي بالإفضال على الجند من جدته، أي: قدر تمكّنه على العطاء، فالمراد الهيأة الحاصلة مما يجده متوفّرًا عنده، ومصدر الهيأة يأتي على فِعلة، أي: وجدة ثمّ تحذف فاؤه تخلّصًا من الثقل الصوتيّ الحاصل من كسر الواو، وكذا في كلّ ما كان واويّ الفاء، نحو هبة وعدة وصلة(١).

س: إذا كان الغيّ هو الضلال وما خالف الرشد، و(الغاية) مشتقّة من هذا اللفظ ودالّة على نهاية الشيء ومداه، فما الرابط بين هذين المعنيين؟ وكيف يمكن توضيح العلاقات الاشتقاقيّة المتباينة المنشعبة من هذه المادّة المعجميّة؟

الجذر (غوى) يدلّ على الاختفاء، وذلك من ملاحظة المعنى العامّ للنظائر المعجميّة لهذه المادّة الدّالّة على الخفاء، وهي الأفعال: غاب، وغام، وغار، أي: ابتعد واختفى في مكان منخفض، وغاص: اختفى في الماء. وكذا غوى: اختفى بسبب الخروج عن الحيّز المعلوم مكانيًّا أو زمانيًا، ومنه نلحظ الاشتقاقات المختلفة، فغوغاء من الناس هم الكثرة المختلطة التي لا يعرف فيهم العالم من الجاهل، أمّا الغاية المكانيّة والغاية الزمانية فهي النقطة التي تعلمها في ذهنك وتختفي عن حسّك؛ لأنّها شيء استقبالي لم يتحقّق حصوله إلّا بالذهاب إليه، كالغار الذي تجهل ما بداخله، وكذا سمّيت الغارة؛ لأنّها تخرج من الغار، أي من مكان مجهول. أمّا الغيّ فلُحِظ فيه نتيجة المعنى اللغويّ لهذه المادّة؛ إذ غلّب فيه نتيجة معنى الخروج عن المألوف وهو الضياع والتيه حتى صار نقيضًا للرشد الذي هو الإقامة على الطريق مع تصلّبٍ فيه، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} ﴿البقرة: ٢٥٦﴾.

---

(١) ينظر: المفردات (وجد).

س: في قوله (عليه السلام): " لا تحقرنّ لطفًا تعاهدتهم به ". يفسّر الحقير واللطيف بالصغير، فهل هذه الألفاظ مترادفة لتفسّر بعضها ببعض؟

إنّ الحقير من كلّ شَيْء مَا نقص عَن الْمِقْدَار الْمَعْهُود لجنسه، يُقَال: هَذِه دجَاجَة حقيرة إذا كَانَت نَاقِصَة الْخلق عَن مقادير الدَّجَاج، وَيكون الصغر فِي السنّ وَفِي الحجم، تَقول: طِفْل صَغِير وَحجر صَغِير، وَلَا يُقَال: حجر حقير؛ لأن الْحِجَارَة لَيْسَ لَهَا قدر مَعْلُوم فإذا نقص شَيْء مِنْهَا عَنهُ سمي حقيرا كَمَا أَن الدَّجَاج والحجل وَمَا أشبههَا لَهَا أقدار مَعْلُومَة فإذا نقص شَيْء من جُمْلَتهَا عَنهُ سمّي حَقِيرًا وَالصَّغِير يكون صَغِيرًا بِالْإِضَافَة إلى مَا هُوَ أكبر مِنْهُ وَسَوَاء كَانَ من جنسه أو لَا فالكوز صَغِير بِالْإِضَافَة إلى الجرّة والجمل صَغِير بِالْإِضَافَة إلى الْفِيل، وَلَا يقال للجمل: صَغِير على الإطلاق، وإنّما يَقُول: هُوَ صَغِير بِجنب الْفِيل.

واللطف هو التَّدْبِير الَّذِي ينفذ فِي صَغِير الْأُمور وكبيرها فَالله تَعَالَى لطيف وَمَعْنَاهُ أَن تَدْبيره لَا يخفى عَنهُ شَيْء وَالْأَصْل فِي اللَّطِيف التَّدْبِير ثمَّ حذف، وأجريت الصّفة للمدبر على جِهَة الْمُبَالغَة وَفُلَان لطيف الْحِيلَة إذا كَانَ يتَوَصَّل إلى بغيته بالرفق والسهولة ويكون اللطف حسن الْعشْرَة[1].

س: ذَكر (عليه السلام) لفظة الرسول والإمام بقوله: "فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامه"، فهل ثمّة فرق بين الرسول والإمام؟ وضّح ذلك معرجًا على لفظة النبيّ التي تستعمل مرادفة للرسول في الكلام؟

جاء في الأثر أنّ بعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام سأله، فقال: جُعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام؟ قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام أنّ الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل عليه السلام فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى، وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه

(١) ينظر: المفردات (حقر، لطف).

السلام، والنبيّ ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص[1].

وأما في اللغة فالنَّبي مشتقّ من النبوة وهي المكان المرتفع؛ ولذا ذكروا أنّ النبي يكون صَاحب معْجزَة[2]، أما الرَّسُول فقد يكون رَسُولًا لغير الله تَعَالَى فَلَا يكون صَاحب معْجزَة، والإنباء عَن الشَّيْء قد يكون من غير تحميل النبأ، والإرسال لَا يكون إلا بتحميل رسالة، والنبوّة يغلب عَلَيْهَا الإضافة إلى النَّبِي، فَيُقَال: نبوّة النَّبِي؛ لِأَنَّهُ يسْتَحق منْهَا الصّفة الَّتِي هِيَ على طَرِيقَة الْفَاعِل والرسالة تُضَاف إلى الله؛ لِأَنَّهُ الْمُرْسل بهَا؛ وَلذا ذكر التعبير القرآني (برسالاتي) في قوله تعالى: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} ﴿الأعراف: ١٤٤﴾ ولم يقل (بنبوتي)، والرسالة جملَة من الْبَيَان يحملهَا القائم بهَا ليؤديها إلى غَيره والنبوة تَكْلِيف الْقيام بالرسالة فَيجوز إبلاغ الرسالات وَلَا يجوز إبلاغ النبوات، وأما الإمام: فاسم لمن يؤتمّ به في أقواله وأفعاله، ويقوم بتدبير الإمامة وسياستها. ويطلق على المؤتمّ به، إنسانًا كأنْ يقتدى بقوله أو فعله، أو كتابًا، أو غير ذلك محقًّا كان أو مبطلًا، وجمعه: أئمة. قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} ﴿الأنبياء: ٧٣﴾، وقال تعالى: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} ﴿التوبة: ١٢﴾[3].

س: لِمَ أوثر لفظ (الجسيم) على (الكبير والعظيم) في قوله (عليه السلام): "ولا تدع لطيف أمورهم اتّكالًا على جسيمها" وما الفرق بين هذه الثلاثة؟

الْفرق بَين الْعَظِيم وَالْكَبِير أَنّ الْعَظِيم قد يكون من جِهَة الْكَثْرَة وَمن غير جِهَة الْكَثْرَة؛ وَلذَلِك جَاز أَنْ يُوصف الله تَعَالَى بِأَنَّهُ عَظِيم ولا يُوصف بِأَنَّهُ

---

(١) ينظر: نور الثقلين للحويزي ٣/٥١١.

(٢) ينظر: المفردات (نبو).

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ٢٨٩-٢٩٠.

كثير. وَقد يعظم الشَّيْء من جِهَة الْجِنْس وَمن جِهَة التضاعف وَفرق بَعضهم بَين الْجَلِيل وَالْكَبِير بِإِنْ قَالَ: الْجَلِيل فِي أَسمَاء الله تَعَالَى هُوَ الْعَظِيم الشَّأْن الْمُسْتَحق للحمد وَالْكَبِير فِيمَا يجب لَهُ من صفة الْحَمد وَالْأَجَل بِمَا لَيْسَ فَوْقه من هُوَ أجل مِنْهُ، وَأما الْأَجَل من مُلُوك الدُّنْيَا فَهُوَ الَّذِي ينْفَرد فِي الزَّمَان بِأَعْلَى مَرَاتِب الْجَلالَة، والجلال إذا أطلق كَانَ مَخْصُوصًا بعظيم الشَّأن، وَيُقَال: حكم جليلة للنفع بهَا ويوصف المَال الْكثير بِأَنَّهُ جليل وَلَا يُوصف الرمل الْكثير بذلك لما كَانَ من عظم النَّفْع فِي المَال وَسميت الجلّة لعظمها والمجلّة الصَّحِيفَة سمّيت بذلك لما فِيهَا من عَظِيم الحكم والعهود[1].

وأما الجسيم فاشتقاقه من الجسم وهُوَ الجرم المشتمل على الطُّول والعرض والعمق وَذَلكَ أَنه إذا زَاد فِي طوله وَعرضه وعمقه قيل: إِنَّه جسم وأجسم من غَيره. وقَوْلهم: أَمرٌ جسيم مجاز، وَلَو كَانَ حَقِيقَة لجاز فِي غير الْمُبَالغَة، فَقيل: أَمر جسيم وكل مَا لَا يُطلق إِلَّا فِي مَوضِع مَخْصُوص فَهُوَ مجَاز. ولجوء أمير المؤمنين إلى المجاز في وصف أمور الرّعيّة أليق بتجسيدها وتشخيصها للوالي فقابل بين اللطيف، وهو الدقيق الجسم، والجسيم، وهو العظيم الجسم منها[2].

س: الآمال في قوله (عليه السلام): "فافسح في آمالهم" جمع أمل، فهل هو مرادف للرجاء أو لا؟ وضّح ذلك؟

إنّ الرَّجَاء هُوَ الظَّن بِوُقُوع الْخَيْر الَّذِي يعترى صَاحبه الشَّك فِيهِ إِلَّا أَنّ ظَنّه أغلب وَلَيْسَ هُوَ من قبيل الْعلم، وَالشَّاهد أَنه لَا يُقَال: أَرْجُو أَن يدْخل النَّبِي الْجنَّة لكَون ذَلِك متيقنًا، وَيُقَال: أَرْجُو أَنْ يدْخل فلَان الْجنَّة إذا لم يعلم ذَلِك، فالرجاء الأمل فِي الْخَيْر وَلَا يكون الرَّجَاء إِلَّا عَن سَبَب يَدْعُو إليه من كرم المرجو أو مَا بِهِ إِليه، وَيَتَعَدَّى بِنَفسه، تَقول: رَجَوْت زيدًا، وَالْمرَاد رَجَوْت الْخَيْر من زيد؛ لِأَن الرَّجَاء لَا يتَعَدَّى إِلَى أَعْيَان الرِّجَال، أَمّا الأمل

(١) الفروق اللغوية ١٨٣.

(٢) ينظر: المفردات (جسم).

فرَجَاء يسْتَمرّ، فلأجل هَذَا قيل للنَّظَر فِي الشيء إذا اسْتمرّ وَطَالَ: تَأمل، وَأَصله من الأميل، وَهُوَ الرمل المستطيل(١).

س: تفسّر الرأفة في قوله (عليه السلام): "ويرأف بالضعفاء" بالرحمة، فهل ثمّة فرق دلاليّ بينهما بدلًا من القول بترادفهما؟

إن الرأفة أبلغ من الرَّحْمَة؛ وَلِهَذَا قيل: إن فِي قَوْله تعالى: (رؤوف رَحِيم) تَقْديمًا وتأخيراً؛ لأن التوكيد يكون فِي الأبلغ فِي الْمَعْنى فإذا تقدم الأبلغ فِي اللَّفْظ كَانَ مُؤَخرا في المعنى(٢).

س: في قوله (عليه السلام): "فإنّ قرّة عين الولاة... ظهور مودّة الرّعيّة، وأنّه لا تظهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم"، تفسّر المودّة بالحبّ، فهل اللفظان مترادفان أو ثمّة اختلاف بينهما؟

الْفرق بَين الْحبّ والودّ هو أنّ الْحبّ يكون فِي مَا يُوجبهُ ميل الطباع وَالْحكمَة جَمِيعًا والودّ ميل الطباع فَقَط، أَلا ترى أَنَّك تَقول: أُحبّ فلَانًا وأودّه، وَتقول: أُحبّ الصَّلَاة، وَلَا تَقول: أودّ الصَّلَاة، والمودّة والمحبّة كلاهما اسم لتكثير الفعل في موضعه، ونقطة ظهور المودّة من الرّعيّة تكون في طاعة الناس لوليّ أمرهم والتلفظ بكلمات التعظيم بلا نفاقٍ مع الإخلاص في العمل والامتثال للأوامر بلا تردّد. وهي لفظة لا تقتصر على الحبّ وحده؛ لمعناها المعجميّ ولصيغتها الصرفيّة الدالّة على موضع ظهور الودّ بصورة كثيرة، وبقرينة الظهور في "لا تظهر مودتهم إلا... " لذا تستلزم الطاعة، وهي كذلك في قوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} ﴿الشورى: ٢٣﴾ أي: الحبّ والطاعة للقربى، وعدم عصيانهم (٣).

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ١٩٣.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ١٢٢.

المستوى البلاغيّ

س: استخرج الكنايات الواردة في النصّ، وبيّن المعنى المراد منها، والغرض من هذه الكنايات؟

١ـ في قوله (عليه السلام): "وأطهرهم جيبًا" كنّى بالجيب عن الأمانة، وكنّى بقوله: " يبطئ عن الغضب" عن الحلم، وبقوله: "يستريح إلى العذر" بالتسامح، والغرض الرئيس لفنّ الكناية هو أنْ يراد من اللفظ لازمه، وذلك لبعث التساؤل عند المتلقّي ممّا يؤكّد الوصف في ذهن السامع.

وقوله: "ما يتفقّد الوالدان من ولدهما" كناية عن الشفقة بهمن والغرض من الكناية هنا ترقيق قلب الوالي في طريقة تعامله مع جنوده. وفي قوله (عليه السلام): "ما يضلعك من الخطوب" كناية عن الأمور الصعبة، والغرض منها المبالغة في وصف أثر هذه الأمور على الوالي، وكذلك قوله (عليه السلام): "ثمّ الصق بذوي المروءات" كناية عن طول الملازمة والاهتمام بهم، وغرضها المبالغة في القرب، وكذلك قوله (عليه السلام): "قرّة عين الولاة" كناية عن رضاهم وسرورهم.

س: استخرج المجاز، وبيّن نوعه.

١ـ في قوله (عليه السلام): "وليكن آثر رؤوس جندك عندك" مجاز مرسل بعلاقة الجزئيّة إذ عبّر عن قادة الجند بالرؤوس، وهي جزء من الشخص القائد، لملحظ أهمّيّة الرأس من الجسد، الذي بذهابه يموت الإنسان، وكذا بذهاب القائد يهزم الجيش.

٢ـ في قوله (عليه السلام): "فإنّهم جماع الكرم" مجاز مرسل بعلاقة المسبّبيّة، إطلاقًا لاسم اللازم على ملزومه، أي: الكرم ناتج فيهم عن البيوتات الصالحة وطهارة المنبت؟

س: استخرج الاستعارة، وبيّن نوعها.

١ـ في قوله (عليه السلام): "ينبو على الأقوياء" استعارة مكنيّة؛ إذ شبّه قائد الجند بالسيف الصارم على أقوى الفرسان، ثم حذف السيف (المشبّه به)، وأبقى لازمًا من لوازمه وهو النبوّ والارتفاع بالضربة الحاسمة.

٢ـ في قوله (عليه السلام): "ولا يقعد بك الضعف" جعل الضعف كأنّه إنسان حيّ يقوم بإقعاد صاحبه، فاستعارة هذا الفعل الذي هو للأحياء استعارة لما لا يعقل وهو الضعف، وهذه استعارة تمثيليّة، فهذا يعرف عند المحدَثين بالتشخيص، وهو من لطيف الاستعارة وبليغ المجاز على نحو ما نجد في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ} ﴿يونس: ٩٠﴾ و{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ} ﴿الأعراف: ١٥٤﴾ إذ نسبت صفات العقلاء وأفعالهم لغير العقلاء وللمعاني. ويمكن عدّه مجازًا لغويًّا.

س: في النصّ جناس وطباق، استخرجهما وبيّن المراد منهم.

١ـ في قوله (عليه السلام): " ولا يدع لطيف أمورهم اتّكالًا على جسيمها" طباق قوبل فيه بين اللطيف والجسيم، وهذا طباق إيجاب وهو فنّ معروف في علم البديع تتقابل فيه كلمتان مختلفتان لفظًا ومعنى، وكذا الطباق بين (الصغير) و(العظيم) في قوله (عليه السلام): "أن تعظّم من بلائه ما كان صغيرًا... أنْ تستصغر من بلائه ما كان عظيمًا".

٢ـ في قوله (عليه السلام): "فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك "جناس غير تام، وهما بمعنى واحد وبينهما ثلاثة أحرف متشابهة.

س: في النصّ اقتباسان، استخرجهما، ووضّح فائدة الاقتباس، وإلى أي فنون البلاغة ينتمي؟

الاقتباس ينتمي إلى علم البديع، والغرض منه تزيين الكلام بما يطيّب الأسماع، ونجده في اقتباس أمير المؤمنين (عليه السلام) من القرآن الكريم الآية التاسعة والخمسين من سورة النساء. وكذا في اقتباسه (عليه السلام) من القرآن الكريم لفظة التحريض في قوله تعالى لنبيّه مخاطبًا من تقاعس عن القتال من المؤمنين: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ

صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿الأنفال: ٦٥﴾، والإمام (عليه السلام) قال: "يحرّض النّاكل".

س: التّفصيل بعد الإجمال فنّ بلاغيّ من شأنه تعليم المتلقي وإفهامه بأيسر الأساليب، استخرجه ووضّح المراد منه.

هذا الأسلوب واضح في مواضع عدّة من النصّ، منها تفصيل الإجمال في قوله (عليه السلام): "أنقاهم جيبًا وأفضلهم حلما"، فوضّح (عليه السلام) هذا العموم بستّ جمل متتالية بعده وهي "مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. "

وكذا وضّح عليه السلام المراد بجملة "من وراءهم" بقوله: "من خلوف أهليهم"، أي: الذين تركهم وراءه؛ لكيلا يتصوّر أنّ المراد هو جهة الخلف وإنّما الباقون من أهله وعياله. وكذا تفصيل المراد بـ"الردّ إلى الله" بجملة توضيحيّة هي: "الأخذ بمحكم كتابه"، وتفصيل المراد بالردّ إلى الرسول بجملة الأخذ بسنّته.

س: أيّ فنّ بلاغيّ تجده في قوله (عليه السلام): "ثمّ أهل النجدة والشجاعة"؟

في النصّ إيجاز بالحذف إذ حذف الفعل (الصق)، وذلك للاستغناء عنه بتقدّم ذكره، وهذا إيجاز في محلّه، والتقدير: ثمّ الصق بأهل النجدة والشجاعة.

المقطع الثامن: الطبقة الثانية (القضاة)

قوله (عليه السلام): "ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أفضل رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، ممَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأمور، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إذا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَع، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْم دُونَ أَقصَاهُ، أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأمور، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، أُولئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا. "

المعنى العام(١)

إدارة شؤون الدولة تحتاج إلى قانون يتضمّن تعيين الحقوق والحدود بين الأفراد، ورفع الاختلاف بينهم عند النزاع، فضلًا عن قوّةٍ لإجراء هذه القوانين، وقد تعرّض عليه السّلام في هذا المقطع إلى القوّة القضائيّة وما يلزم في القاضي من الأوصاف والألقاب ليكون أهلًا للتصدّي لمنصب القضاء والحكم بين الناس، فأمر عليه السّلام باستقلال القوّة القضائيّة وأنْ يكون المتصدّي للقضاء من أفضل أفراد الأمّة؛ لأنّ المفضول لا يحكم على الفاضل والأفضل، ثمّ فسّر عليه السّلام الأفضل بأنّه الذي تجتمع فيه الشروط الستة، وهي:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٩-٦٨.

١ـ أنْ لا تضيق به الأمور لقلّة الإحاطة بوجوه تدبيرها وعدم قوّة التحليل والتجزئة للقضايا الواردة عليه فيحار فيها ويعرضه الشكّ والترديد في حلّها وفصلها.

٢ـ أنْ لا تمحكه الخصوم، أي لا يغلبه الخصم في النقاش والجدال.

٣ـ أنْ لا يتمادى في الزّلّة، فإذا عرض له رأى ثمّ تبيّن له أنّه خلافُ الحقّ ينبغي عليه العودة إلى الحق، وأنْ لا يخشى الرجوع إلى الحقّ حفظًا لجاهه وخوفًا من الشناءة كما يفعله قضاة السوء.

٤ـ أنْ لا يحصر في الحُجّة أي لا يعيا في المنطق؛ لأنّ من الناس من إذا زلّ حُصر عن أنْ يقنع المقابل لما أصابه من العيّ.

٥ـ أنْ لا يحدّث نفسه بالطمع في الاستفادة من المترافعين فيتوجّه إلى الأوفر منهم ثروة أو جاهًا ليفيد من ماله أو جاهه، ثمّ يجرّه ذلك إلى أخذ الرشوة والميل عن الحقّ.

٦ـ أنْ يكون دقيقًا في كشف تفاصيل القضيّة المعروضة عليه فلا يكتفي بالنظر السطحي في دعوى الخصوم، بل يتدبر القضيّة ويقلبها في نظره وصولًا إلى كشف الجرم.

ولم يكتف عليه السّلام بهذه الشروط؛ إذ أكملها بستّة أخرى هي:

١ـ أنْ لا يأخذ بأحد طرفي الشبهة حتّى يفحص فيظهر له الحقّ بدليلٍ علميّ يوجب الاطمئنان.

٢ـ أنْ يأخذ الخصم بالحجج، فلا يقصّر في جمع الدلائل والأمارات على فهم الحقيقة.

٣ـ أنْ لا ينهر الخصوم ولا يصيح في وجوههم ليسع لهم بيان الحال، قال الشارح المعتزلي: وهذه الخصلة من محاسن ما شرطه عليه السّلام، فإنّ القلق والضجر والتبرّم قبيح وأقبح ما يكون من القاضي.

٤ـ أنْ يكون أصبر الناس على كشف حقيقة الأمور بالبحث وجمع الدلائل.

٥ـ أنْ يحكم عند وضوح الحقّ صريحًا وقاطعًا ولا يؤخّر صدور الحكم.

٦ـ أنْ لا يؤثّر فيه المدح والثناء من المتداعيَينِ أو غيرهما فيصير متكبّراً. ولا يؤثّر فيه تحريض الغير فيجلب نظره إلى أحد الخصمين.

وأعلن عليه السّلام بعد بيان هذه الأوصاف أنّ الجامعين لها قليلون. وقد ظهر منه عليه السّلام في قضاياه الكثيرة ما يقضي منه العجب، فممّا ذكر من ذلك أنّه سافر عبد مع مولى له شابّ فادّعى العبد أثناء السفر أنّه هو المالك لسيّده وأنّه عبده وتعامل معه معاملة المسترقّ فدخلا الكوفة وترافعا عند عليّ عليه السّلام ولم يكن هناك بيّنةٌ لأحدهما ولم يعترف العبد المتجاوز للحقيقة بوجهٍ من الوجوه، فأحضرهما يومًا وأمر بحفر ثقبين في جدار وأمرهما بإخراج رأسيهما من الثقبين، ثمّ نادى بصوتٍ عالٍ: يا قنبر اضرب عنق العبد، فلمّا سمع العبد ذلك هابه وأخرج رأسه من الثقبة فوراً فصار ذلك اعترافًا له بالحقيقة.

المستوى الصوتيّ

س: علّل ضم الباء في الجمع (شُبُهات) بعد أنْ كانت ساكنة في المفرد (شُبْهة)؟

السبب هو التخلص من المقاطع الصوتية المتماثلة في الجمع؛ إذ لو قيل (شُبْهاتٌ) بسكون الباء لكان تشكيل الكلمة من ثلاثة مقاطع كلها طويلة هي (شُبْ، ها، تُن) وفراراً من توالي الأمثال حرّكت الباء بالضم اتباعًا لحركة الهاء وصار تشكيل الكلمة من أربعة مقاطع اثنين قصيرة واثنين طويلة كما في التشكيل: (شُ، بُ، ها، تُن).

س: ما أثر التعاقب الصوتيّ على لام (اغتال واغتاب)، وضّح ذلك من خلال تتبّع الصفات الصوتيّة للام والباء.

كثيراً ما تختلف رواية ألفاظ العهد في صوت واحد فيظهر بعد ذلك فرق دلالي بين الالفاظ؛ إذ نُقل أنّ (اغتيال الرجال) يروى - أيضًا (اغتياب

الرجال) والفرق بين اللفظين هو أنّ الاغتيال يعني الأخذ والقتل على غرّة وغفلة من المقتول، والاغتياب هو الغيبة والنميمة بالقول واللسان. وهنا لاءم صوت اللام في الاغتيال بجرسه المجهور الجانبي الرخو الدلالة على القتل غيلة وخفية على حين لاءم جِرس الباء المنفجر بين الشفتين الدلالة على التكلم خلف الناس بما يغمُّهم لو سمعوه.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة في النصّ، وبيّن أحرف الزيادة، والمعنى الصرفيّ المحصّل منها.

١ـ اختر: فعل أمر على زنة (افتل) من (افتعل) المزيد بهمزة الوصل والتاء. وحذفت عينه لالتقائها بسكون آخر الأمر، والزيادة دالّة على المبالغة من طلب ما هو خير، يقال: خار فلانٌ الرجلَ على غيره يخيره خيرة وخِيَرا: فضّله، وخار الشيءَ: انتقاه، واختار الرجل عليهم مبالغة في ذلك كقوله تعالى: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} ﴿الدخان: ٣٢﴾.

٢ـ يتمادى: مضارع على زنة (يتفاعل) مزيد بالتاء والألف، والزيادة تفيد التدرّج في الابتعاد عن الغاية، من المدى وهو الغاية.

٣ـ تُمحكه: مضارع على زنة (يُفعل) من أمحك، مزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية؛ لأنّ المجرّد محك الرجل يمحك بمعنى لجّ فهو ماحك. والمَحْكُ التمادي واللجاج، تماحك الخصمان: تلاجّا.

٤ـ تُشرف: مضارع على زنة (تُفعل) من أشرف، مزيد بهمزة القطع، والزيادة دلّت على الدخول في الشيء؛ لأنّ المجرّد لازم من الباب الخامس، يقال: شرُف الرجل فهو شريف، أي: عال، وأشرف عليه: اطّلع عليه من فوق.

٥ـ يكتفي: مضارع على زنة (يفتعل) من اكتفى المزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المطاوعة، كفيته فاكتفى.

٦ـ لا يزدهيه: مضارع على زنة (يفتعل) من ازدهى المزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المبالغة في جعله مزهوًا؛ لأنّ المجرّد متعدٍّ مبنيّ للمجهول، يقال: زُهي الرجل إذا تعظّم وتفخّر كأنّ شيئًا صيّره على حال الكِبر والفخر. وازدهاه الشيء: صيّره على نحو المبالغة.

٧ـ يستميله: مضارع على زنة (يستفعل)، من استمال المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة تفيد الصيرورة، يقال: مال إليه ميلًا، وأماله وميّله إليه، دالّة على التعدية. واستماله إليه: صيّره مائلًا.

٨ـ أكثر: أمر على (أفعل) من أكثر المزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية، يقال: كثر الشيء على الباب الخامس وأكثره هو.

٩ـ أفْسِح: أمر على زنة (أَفْعِل) من أفسح المزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية، يقال: فسُح المكان: اتّسع، وأفسح المكان له: وسّعه، وتفسّح: صار واسعًا بالتدريج {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} ﴿المجادلة: ١١﴾.

١٠ـ يزيل: مضارع على (يفعل) من أزال المزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية، زال الشيء يزول زوالًا: تنحّى عن مكانه، وأزاله {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} ﴿إبراهيم: ٤٦﴾. وأمّا زاله المجرّد المتعدّي فهو بمعنى تمييز الشيء عن غيره، يقال: زال الشيء يزيله زيلًا إذا مازه منه.

١١ـ أعطه: أمر على زنة (أفع)، حذفت لامه (الياء) لتسكينها بصيغة الأمر. وهو من الفعل أعطى على زنة أفعل، المزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} ﴿الكوثر: ١﴾، وهو الإنالة، ومجرّده غير مستعمل بهذا المعنى وما سمع منه قولهم: ظبي عطو: يرفع رأسه لتناول الأوراق.

س: استخرج المصادر المقيسة من النصّ المتقدّم، وبيّن دلالاتها الصرفيّة.

١ـ تكشُّف: مصدر تكشّف المزيد بالتاء والتضعيف للدلالة على التدرّج.

٢ـ اتّضاح: مصدر على الافتعال وهو قياسيّ من (افتعل) المزيد بهمزة الوصل والتاء، أبدلت الواو تاء لوقوعها عينًا لهذه الصيغة، وهو يدلّ على المبالغة في الوضوح.

٣ـ إطراء: مصدر على الإفعال مقيس من أفعل المزيد بهمزة القطع، قلبت الواو همزة لتطرّفها بعد ألف زائدة: إطراو، والزيادة دالّة على التعدية.

٤ـ إغراء: مصدر على الأفعال، من (أفعل) المزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية، غري به: أولع غرا، والغراء: ما يلصق به، وأغريت فلانًا به: ألهجته به {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} ﴿المائدة: ١٤﴾.

٥ـ تعاهد: مصدر على التفاعل من تعاهد، المزيد بالتاء والألف، والزيادة دالّة على المبالغة في إحداث العهد به، أي: أكثر من الإلمام به والاطلاع على قضائه في الأمور.

٦ـ اغتيال: مصدر على الافتعال من اغتال (افتعل) المزيد بهمزة الوصل والتاء، وهو دالّ على المبالغة في القتل الخفيّ، وهو فعل مشتقّ من (الغيل) وهو الشجر المجتمع الملتفّ، الذي يختفي من تحته، ويسمّى الماء الجاري تحت هذا الشجر غيلًا، وتسمّى الخديعة غيلة؛ لأنّها أمر يجري في خفاء، واغتاله: قتله غيلة، أي: خديعة، فذهب به إلى موضع خفيّ فقتله.

٧ـ طمع: مصدر على (فعل) وهو قياس من أفعال الباب الرابع الدالّة على الامتلاء بالصفات العارضة، طمِع يطمَع والمصدر الطَمَع قال تعالى: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ﴿الأعراف: ٥٦﴾ وهو نزوع النفس إلى الشيء.

٨ـ تبرّمًا: مصدر على (تفعّل) من تبرّم، المزيد بالتاء وتضعيف العين، والزيادة أفادت الإظهار، أي: إظهار البرم، وهو الإعياء من الأمر والضجر، والمجرّد على الباب الرابع الدالّ على الأمراض الجسديّة والنفسيّة، برِم بكذا يبرَم برمًا: ضجره، وبرمت بالأمر: عييت به، وأبرمني: أعياني، قال الحسين

(عليه السلام): "ولا أرى الحياة مع الظالمين إلّا برمًا" أي: إعياء، وأمّا برمه وأبرمه فهو من الباب الثاني بمعنى أحكم فتله.

٩ـ مراجعة: مصدر على المفاعلة من راجعه على فاعل المزيد بالألف الدالّة على المشاركة.

س: زن الألفاظ الآتية، ثمّ اذكر دلالتها الصرفيّة.

١ـ زلّة: على زنة (فَعلة) من المضعّف زلّ، وهي دالّة على المرّة الواحدة من الزلل.

٢ـ علّة: (فِعلة) من المضعّف علّ، وهو مصدر هيأة للفعل اللازم علّ المريض يعلّ فهو عليل، وأعلّه الله تعالى فهو معلّ.

٣ـ منزلة: اسم مكان من نزل نزولا على الباب الثاني، والتاء للتخصيص، على زنة مفعلة.

٤ـ بليغًا: فعيل من بلُغ يبلُغ على الباب الخامس بلاغة فهو بليغ صفة مشبّهة.

٥ـ أسير: فعيل، صفة مشبّهة من أسَرَه يأسِرُه على الباب الثاني أسرًا فهو أسير، قال تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} ﴿الإنسان: ٨﴾.

٦ـ قضاء: فعال مصدر سماعيّ من قضى يقضي على الباب الثاني قضيا وقضاء، أي: حكم.

٧ـ أشرار: أفعال، جمع قلّة مفرده شرّ، يقال: رجل شرّ، مبالغة في الوصف من المصدر كزند وأزناد على رأي يونس، وقال الأخفش واحده: شرير كيتيم وأيتام، أمّا شرّير فصيغة مبالغة يجمع سالمًا على شرّيرين.

٨ـ خصم: الخَصْمُ مصدر خَصَمْتُه، أي: نازعته خَصْماً، يقال: خاصمته وخَصَمْتُهُ مُخَاصَمَةً وخصَاماً، قال تعالى: (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ) ﴿البقرة ٢٠٤﴾، (وَهُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ) ﴿الزخرف ١٨﴾، ثم سمّي المُخَاصِم خصما، واستعمل للواحد والجمع، وربّما يثنّى إذا أريد به الفريق قال تعالى: {هَذَانِ

خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} ﴿الحج: ١٩﴾ ويجمع على خصوم، وأمّا الخصيم صفة فيجمع على خصماء، وهو أيضًا بمعنى المخاصم صفة ثابتة غير مقيّدة بزمن المضيّ.

٩ـ حُجّة: فُعلة، اسم لما يحجّ ويقصد به الحقّ، قال تعالى {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} ﴿الأنعام: ١٤٩﴾.

١٠ـ قليل: فعيل، صفة مشبّهة من قلّ الشيء يقِلّ على الباب الثاني، قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} ﴿سبأ: ١٣﴾، وشيء قليل جمعه قُلُل مثل: سرير وسُرُر، وقوم قليلون وقليل قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} ﴿الأعراف: ٨٦﴾.

١١ـ الناس: لفظ مختلف في وزنه، فمن الصرفيّين من جعله مشتقًّا من الأُنس؛ لأنّ الإنسان بطبعه يأنس بغيره، فيكون الأصل في صياغته على (أُناس) بزنة فعال، اسم جمع، ولمّا دخلت عليه (أل) التعريف حذفت همزته (فاء اللفظة) تخفيفًا، فصار: الناس على زنة (العال) بدل الأناس.

ومنهم من جعله مشتقًّا من (النوس) وهو الحركة وتذبذب الشيء في الهواء، والإنسان من شأنه أنْ يتحرّك لطلب الرزق، فيكون وزن (ناس) على (فعل)، ثمّ قلبت الواو (عين اللفظة) ألفًا لسبقها بالفتح، والناس بزنة (الفعل). ومن جعله مشتقًّا من النسيان، وهو صفة غالبة للإنسان قال بحصول قلبٍ مكانيّ في اللفظة فقدّمت اللام على العين وصار: نيس من نسي، ثمّ أعلّت الياء لسبقها بالألف، وصار ناس على زنة (فلع)، والأظهر الوجه الثاني.

المستوى النحويّ

س: ما نوع اللامين في قوله (عليه السلام): "ليأمن بذلك اغتيال الرجال له"؟

اللام الأولى هي لام التعليل، والفعل المضارع بعدها منصوب بأنْ مضمرة بعد اللام، واللام الثانية هي الجارّة، والهاء ضمير متّصل في محلّ جرّ بها.

س: كيف تعرب الألفاظ: عند، لدى، دون، في قوله (عليه السلام): "ولا تكتفي بأدنى فهم دون أقصاه" و"وأصرمهم عند اتّضاح الحكم" و"أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره" و"ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك"؟

١ـ دون: ظرف مكان مبنيّ وهو مضاف، و(أقصاه): مضاف إليه مجرور بالفتحة التي منع ظهورها التعذّر، وهو مضاف للهاء.

٢ـ عند: ظرف زمان مفعول فيه مبنيّ على الفتح، وهو مضاف، و(اتّضاح) مضاف إليه.

٣ـ لدى: ظرف مكان مبنيّ وقلبت ألفه ياء لأجل الإضافة إلى ضمير الكاف.

٤ـ عند: ظرف مكان مبنيّ على الفتح، مضاف إلى الكاف، متعلّق باغتيال الرجال، و(له) جارّ ومجرور متعلّق باغتيال الرجال أيضا. نحو: {وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا} ﴿الكهف: ٨٦﴾.

س: عيّن الفاعل للفعلين: يزيل وتقلّ في قوله (عليه السلام): "وافسح له في البذل ما يُزيل علّته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس".

يُزيل: فعل مضارع مرفوع بالضمّ، وفاعله مستتر يعود على (ما) قبله، و(علّته) مفعول به منصوب بفتحة الياء، وهو مضاف للهاء. أمّا (تقلّ) فهو فعل مضارع مرفوع بالضمّ، وفاعله لفظة (خاصّته).

س: عيّن نائبي الفاعل للفعلين: يُعمَل وتُطلَ.

يُعمل: فعل مبنيّ للمجهول مرفوع بالضمّ، ونائب الفاعل هو الجارّ والمجرور (فيه). وتُطلب: مضارع مرفوع بالضمة، و(الدنيا) نائب الفاعل.

س: عيّن مفعولي (أعطى) في قوله (عليه السلام): " وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره.

أعطى فعل أمر مجزوم بحذف حرف العلّة، والفاعل: مستتر تقديره أنت، والمفعول الأوّل هو الضمير (الهاء) المتصل بالفعل، والمفعول الثاني هو الاسم الموصول (ما) في محلّ نصب على المفعوليّة الثانية، و(لا) نافية، و(يطمع) مضارع مرفوع، فاعله مستتر يعود على القاضي، والجملة صلة لـ(ما) لا محلّ لها من الإعراب.

س: ما إعراب (نظرًا) في قوله (عليه السلام): " فانظر في ذلك نظرًا بليغًا؟ وهل يمكن أنْ تعرب حالًا، ولماذا؟

انظر: فعل أمر مبنيّ على السكون، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(نظرًا) مفعول مطلق منصو، و(بليغًا) صفته، ولا تعرب حالًا؛ لأنّ الحال وصف منتقل مشتقّ، وهذا مصدر.

س: بيّن نوع الإضافة في العبارات الآتية "أفضل رعيّتك" و"اغتيال الرجال" و"تعاهد قضائه"؟

١ـ الإضافة محضة بمعنى (من)، أي: أفضل رجل من رعيّتك.

٢ـ الإضافة محضة بمعنى اللام، أي: اغتيال للرجال.

٣ـ الإضافة غير محضة فهي من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: تعاهدك قضاءه.

س: هل يمكنك أنْ تذكر أكثر من وجه إعرابيّ للفظة (ما) في قوله (عليه السلام): "وافسح له في البذل ما يزيل علّته"؟

(ما) اسم موصوف بالجملة الفعليّة بعدها، ويمكن أنْ تعرب مفعولًا للفعل افسح، أي: افسح شيئًا يكفيه ويزيل علّته، ويمكن أنْ تعرب مفعولًا لفعل محذوف دلّ عليه البذل، أي: يبذل له ما يزيل علّته، ويمكن إعرابها مفعولًا مطلقًا، أي: يفسح له فسحًا يزيل علّته، وبذا تكون (ما) في معنى مصدر. ويمكن إعرابها بدلًا من لفظة (البذل).

س: أعرب ما تحته خطّ ممّا يأتي: " وأولئك قليل" و"لا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه" و"أقلّهم تبرّما بمراجعة الخصم" و"فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً بأيدي الأشرار" و"ممّن لا تضيق به الأمور".

١ـ قليل: خبر مرفوع بتنوين الضمّ، للمبتدأ (أولئك) وهو اسم إشارة مبنيّ.

٢ـ إذا: اسم شرط غير جازم.

٣ـ تبرّما: تمييز مزيل للإبهام من النسبة في التفضيل.

٤ـ الدين: بدل من اسم الإشارة (هذا) الواقع اسمًا لـ(إنّ)، (أسيرًا): خبر لكان قبلها، واسمها مستتر يعود على الدين، (أيدي) اسم مجرور بحرف الباء، وعلامة جرّه الكسرة، منع من ظهورها الثقل، وهو مضاف، والأشرار مضاف إليه.

٥ـ (ممّن) جارّ ومجرور متعلّق بظرف تقديره: مستقر، يعرب حالًا من فاعل أفضل في قوله: ثمّ اختر للحكم أفضل رعيّتك ممّن لا تضيق".

س: استخرج الجمل التي لها محلّ من الإعراب، مع ذكر محلّها الإعرابيّ؟

١ـ جملة "قد كان أسيرًا" في محلّ رفع خبر (إنّ) في: إنّ هذا الدين.

٢ـ جملة "يعمل فيه بالهوى" في محلّ نصب حال من الدين.

٣ـ جملة " تطلب به الدنيا" في محلّ نصب عطفًا على الجملة الحاليّة قبلها.

٤ـ جملة "يزيل علّته" في محلّ نصب صفة لـ (ما) قبلها، إذا كانت (ما) اسميّة، أي: بمعنى شيء. أو بدلًا، والتقدير: بدلًا يزيل علّته أو شيئًا يزيل علّته.

المستوى المعجميّ

س: ذكر (عليه السلام) لفظة (الحصر)، وفسّرت بالعيّ في النّطق أو الحُبسة، فما الفرق بين هذه الثلاث بحسب تحرّي الجذور المعجميّة لها؟

الحَبْس: المنع من الانبعاث، قال عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ} ﴿المائدة: ١٠٦﴾ والحُبسة في الكلام عاهة في النطق ينعقد فيها اللسان برهة ثم ينطلق. أما الْحَصَر فهُوَ الْحَبْس مَعَ التَّضْيِيق يُقَال: حصرهم فِي الْبَلَد أي مَنعهم عَن الانفساح فِي الرَّعْي وَالتَّصَرُّف فِي الْأُمور، والحَصَر في المنطق أقوى من الحُبسة؛ إذ هو عيب نطقي دائم كالعرج والخرس يحول دون الانطلاق بالكلام. أما العيّ فعجز يلحق البدن بسبب التعب من تولّي الأمر قال تعالى: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} ﴿ق: ١٥﴾ والْعِيُّ في المنطق عجز عارض في أثناء استرسال الكلام كأنّ المتكلم يعيى فجأة أي يتعب. وهذه العيوب النطقية لا تؤهل الشخص لأنْ يكون قاضيًا بين الناس[1].

س: ذكر (عليه السلام) لفظتي البذل والعطاء والهبة، فما الفرق الدّقيق بينهما؟

إن الْإِعْطَاء هُوَ اتِّصَال الشَّيْء إِلى الْآخذ لَهُ، أَلا ترى أَنَّك تُعْطِي زيدًا الْمَال ليَرُدهُ إِلى عَمْرو وتعطيه ليتجر لَك بِهِ، وَالْهبَة تَقْتَضِي التَّمْلِيك فإذا وهبته لَهُ فقد ملكته إِيَّاه ثمَّ كثر استعْمَال الْإِعْطَاء حَتَّى صَار لَا يُطلق إِلَّا على التَّمْلِيك، فَيُقَال أعطَاهُ مَالًا إذا ملّكه إِيَّاه وَالْأَصْل مَا تقدّم. وأما البذل فضدُّ المَنْع، وهو إعطاء الكثير عن طيب نفس وقريب منه التبذير، وكلّ من طابتْ نفسُه بإعطاءِ شيءٍ فَهُوَ باذلٌ، والبِذْلَةُ من الثِّياب مَا يُلْبَسُ فَلَا يُصان[2].

س: ذكر (عليه السلام) الفيء إلى الحقّ، فما فرقه عن الرجوع إلى الحقّ؟

سبق أنْ فرقنا بين الفيء والرجوع في المقطع الثاني.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١١٤-١١٥.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ١٦٧-١٦٨.

س: في لفظة (الأسير) تطوّر دلالي ما نوعه.

أصل الأسر كان يطلق على الشدّ بالإسار وهو القدّ، وسمّي الأسير؛ لأنّهم كانوا يشدّونه بالقدّ، يقال: هذا لك بأسره أي: بقدّه، يعني جميعه كما يقال: برمّته. ثمّ سمّي كلّ أخيذ أسيرًا وإنْ لم يشدّ بإسار، أي إنّ لفظة الأسير حصل لها تطور دلالي، فعممّت دلالتها بعد أنْ كانت خاصّة بالمشدود بالقيد(١).

س: المقطع يتحدّث عن القضاء وصفات القضاة، وعبّر الإمام (عليه السلام) عنه بالحكم بين الناس، فما الفرق بين القضاء والحكم؟

الفرق بَين الحكم وَالْقَضَاء أَنّ الْقَضَاء يَقْتَضِي فصل الْأَمر على التَّمام من قَوْلك قَضَاهُ إذا أتمه وقَطع عمله، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} ﴿الأنعام: ٢﴾ أي فصل الحكم به، {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} ﴿الإسراء: ٤﴾ أي فصلنا الْإِعْلَام به. وَقَالَ تَعَالَى {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} ﴿سبأ: ١٤﴾ أَي فصلنا أمر مَوته، {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} ﴿فصلت: ١٢﴾ أي فصل الْأَمر بِهِ، وَالْحكم يَقْتَضِي الْمَنْع عَن الْخُصُومَة من قَوْلك: أحكمته إذا منعته.

وَيجوز أَنْ يُقَال: الحكم فصل الْأَمر على الْإِحْكَام بِمَا يَقْتَضِيه الْعقل وَالشَّرْع فَإِذا قيل: حكم بِالْبَاطِلِ فَمَعْنَاه أَنه جعل الْبَاطِل مَوضِع الْحق، وَيسْتَعْمل الحكم فِي مَوَاضِع لَا يسْتَعْمل فِيهَا الْقَضَاء كَقَوْلِك: حكم هَذَا كَحكم هَذَا، أَي هما متماثلان فِي السَّبَب أو الْعلَّة أو نَحْو ذَلِك(٢).

---

(١) ينظر: المفردات (أسر).

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ١٩٠.

المستوى البلاغيّ

س: أسلوب الفصل والوصل من فنون علم البيان، عرّف به، واستخرج أمثلته من النّصّ.

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل: ترك هذا العطف بين الجملتين، وإنّما يترك العطف بين الجمل؛ لأنّ الثانية إمّا تكون جوابًا عن الأولى، نحو قول الشاعر:

لیسَ الحجابُ بمقصٍ عنك لي أَمَلا   إنّ السَّماءَ تُرجّى حين تحتجبُ[1]

أو توكيدًا

والنّاسُ بالنّاسِ من حَضْرٍ وبادِيَة، بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يَشعُروا، خدَم[2]

أو بيانًا لها نحو وقله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} ﴿الرعد: ٢﴾.

وفي قوله (عليه السلام): "فإنّ هذا الدين قد كان أسيرًا في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا" فجملة "يعمل فيه بالهوى" جاءت بالفصل؛ لأنّها بيان لما قبلها وهو جملة " كان أسيرًا في يد الأشرار"، وجملة " تطلب به الدنيا" جاءت بالوصل لاختلاف المعنى.

س: استخرج أسلوب التوكيد، وبيّن طريقته والغاية منه.

في الجملة السابقة "فإنّ هذا الدين قد كان أسيرًا "استعملت (إنّ) المشبّهة بالفعل التي تفيد التوكيد، و(قد) حرف التحقيق الذي يزيد التركيب تأكيدًا، ثمّ الجملة التوضيحيّة بعدها، وهذه المؤكّدات تجري في علم البيان مراعاة لمقتضى حال المتلقّي؛ إذ تفيد عدم الاغترار بمظاهر الدين؛ إذ هو أفضل سبيل للتغطية على الفساد.

---

(١) ديوان أبي تمام ٤٤.

(٢) ديوان أبي العلاء المعري ١ / ١٢٠٣.

س: كثُرت الكنايات في النصّ، عرّف هذا الفنّ، واستخرج أمثلته، وبيّن المراد منها.

الكناية لفظ أريد به غير معناه الموضوع له، وإنّما أريد لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصليّ، وفي قوله (عليه السلام): "لا تضيق به الأمور" كناية عن ذكائه وفطنته في التّوصّل إلى حلّ ما صعب من الأمور.

وفي قوله (عليه السلام): "ولا تمحّكه الخصوم" كناية عن كونه حليمًا، فهو لا يغضب ولا تصيبه اللجاجة بسبب المهاترات بين الخصوم، فلا تمسّ هيبته.

وفي "لا يتمادى في الزّلّة" كناية عن كونه من المتّقين {وَالَّذِينَ إذا فَعَلُوا فَاحِشَةً أو ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ﴿آل عمران: ١٣٥﴾.

وفي "لا يحصر من الرجوع إلى الحقّ إذا عرفه" كناية عن نزاهته وحبّه للعدل، فالإنسان الذي لا يهمّه إحقاق الحقّ عندما تتضح له المسألة التي حكم خلاف العدل فيها يحصل له عيّ إذا ما رجع في حكمٍ صدر منه وبأنّ جهله في الوصول إلى الحقيقة فيحتبس لسانه ويتلعثم، أمّا من كان خلقه حبّ الحقّ فهو يفرح بالتّوصّل إلى الحقيقة، وينطلق لسانه بالنطق بها. وليس اللفظ على ظاهره من حصول عيّ في نطق الحاكم يمنع من اختياره.

وفي "لا تشرف نفسه على طمع": كناية عن كونه من أهل الغنى والعزّة، فلا يقبل الرشى وإنْ أصابه فقر، فلا يطلب الخير من نفوس جاعت ثم شبعت.

وفي "لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه" كناية عن صبره في متابعة القضايا وتحرّي بواطنها.

وفي "أوقفهم في الشّبهات" كناية عن ورعه.

وفي "أقلّهم تبرّمًا بمراجعة الخصم" كناية عن سعة صدره.

وفي "أصرمهم عند اتّضاح الحقّ" كناية عن عدم تأخير النطق بالحكم، وعدم تأخير تنفيذه.

س: في النصّ استعارة، استخرجها، وبيّن نوعها.

وفي: "فإنّ هذا الدين قد كان أسيرًا" شبّه (عليه السلام) الدين بالرجل المأسور عند الأعداء، فحذف المشبّه به (الرجل)، وأبقى لازمًا من لوازمه، وهو الأسر ولكن بصيغة الوصف الثابت، وهذه استعارة مكنيّة.

س: في النصّ إيجاز، وهو فنّ بلاغيّ من فنون علم البيان، عيّن موضعه، واشرح المراد منه.

في قوله (عليه السلام) واصفًا حال الدين بأنّه "يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدّنيا" عبارة فيها إيجاز بضغط المعنى الكبير بألفاظ قليلة، فهذه العبارة تجري مجرى الحِكَم القصار، فهي تختصر كلامًا طويلًا عن كون الدين بثقليه: الكتاب والحديث النبويّ الشريف حمّال أوجه، ويمكن لمن لا صدق له أنْ يحمل الآيات والنّصوص على هواه، ويتّخذ هذا سبيلًا لتحقيق رغباته الشّخصيّة وأطماعه، فعلى الإنسان أنْ يتحرّى التفسير الصحيح من أهله، وهم (أهل الذكر): {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ﴿النحل: ٤٣﴾، وحمل المتشابه على المحكم، والتعمّق في العلم ومحاربة الجهل.

المقطع التاسع: الطبقة الثالثة (العمّال)

قوله (عليه السلام): "ثُمَّ انْظُرْ فِي أمور عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِماعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَة.

وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الإسلام الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأمور نَظَراً. ثُمَّ أَسْبغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَو ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ، مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأمورهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلى خِيَانَة اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِه، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ. "

المعنى العام(١)

المراد بعمّال الوالي هم الذين يستعين بهم في إدارة شؤون الدولة المترامية الأطراف، فهم الرؤساء الإداريّون، ويقابلهم اليوم رؤساء المحافظات والأقضية والنواحي، وليس عمّال الخراج؛ لأنّه (عليه السلام) خصّهم بكلام دقيق يلي هذا المقطع، وهم عمّال السواد والصدقات والوقوف والمصالح وغيرها، فأمره أنْ يستعملهم بعد اختبارهم وتجربتهم وأنْ لا يولّيهم محاباة لهم ولمن يشفع فيهم ولا أثرة ولا إنعامًا عليهم؛ لأن ذلك يجمع ضروب الجور والخيانة، فأما الجور فلأنه قد عدل عن المستحق إلى غيره. وأما الخيانة فلأن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٦٩-٧٠.

الأمانة تقتضي تولية الأكفاء ومن لم يولِّهم فقد خان الله، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "من استعمل رجلًا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين".

ثمّ أمر عليه السّلام بانتخاب العمّال من أهل البيوتات الصالحة والمتقدّمة في الإسلام، ولم تكن هناك شهادة على صلاحية الفرد غير النظر في البيت والأسرة الّتي رُبّي فيها ونشأ في ظلّها، وهؤلاء المربَّون في البيوت الصالحة موصوفون بكرم الأخلاق وصيانة العرض وقلّة الطمع والنظر في عواقب الأمور، ثمّ أوصى بوفور الأرزاق والرواتب عليهم؛ لئلا يضطرّوا إلى الاختلاس ممّا في أيديهم من أموال الخراج ويتمّ الحجّة عليهم إنْ خانوا، ثمّ أوصى بتفقّد أعمالهم وبثّ العيون عليهم لحثّهم على حفظ الأمانة والرفق بالرّعيّة، ثمّ شرّع عقوبة الخائن الّذي ثُبتت خيانته باتّفاق أخبار العيون والمتفقّدين في البلد بعرضهم على السياط وعزلهم عن العمل وإعلان خيانتهم للعموم وتقليدهم بعار التهمة وانفصالهم عن شغلهم أبدًا.

المستوى الصوتيّ

س: علّل صوتيًّا قلب الواو ياء في لفظة الخيانة في قوله (عليه السلام): "فإنّهما جماع من الجور والخيانة"، على حين لا يعلّ هذا الصائت الطويل في ألفاظ أخرى نحو: قوام، لواذ.

خيانة أصلها (خِوانة) على فِعالة من خان يخون، ولما أعلّت الواو في الفعل الماضي بقلبها ألفًا قلبت كذلك في المصدر ياء تخفيفًا فضلًا عن أمن اللبس بغيرها. أمّا قِوام فاسمٌ على فِعال ولو قلبت واوه ياء لالتبس بمصدر الثلاثي (قام يقوم) وهو (قيام) الذي قلبت فيه الواو ياء تخفيفًا، وأما (لِواذ) فمصدر (لاوذ) المزيد بالألف وهو بمنزلة (الملاوذة) ولما لم تعلّ الواو في الماضي لم تعلّ كذلك في المصدر.

س: ميم الجماعة صامت ساكن، علّل صوتيًا ضمّها في قوله (عليه السلام): "فاستعملهمُ اختبارًا" و"أسبغ عليهمُ الأرزاق" وعدم تحريكها في: "فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأمورهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَة"؟

الأصل في ميم الجماعة المتصلة بالأفعال أنْ تكون ساكنة ولكنها تحرك بحركة ما قبلها من باب الاتباع إنْ وليها حرف ساكن وذلك تخلصًا من التقاء الساكنين كما في "فاستعملهمُ اختبارًا" و"أسبغ عليهمُ الأرزاق"، على حين تلازم السكون إنْ وليها حرف متحرّك كما في (لأمورهِمْ حَدْوَةٌ).

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة، وبيّن نوع الزيادة، ومعناها الصرفيّ.

١ـ استعملهم: فعل أمر مزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة تفيد الصيرورة، أي: اجعلهم وصيّرهم عمّالًا عندك.

٢ـ لا تولّهم: مضارع على (تفعّل) من فعّل المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول الثاني، وهو غير مذكور استغناء بالسياق، أي: لا تولّهم الرئاسة والإدارة، والهاء هو المفعول الأوّل.

٣ـ توخّ: فعل أمر محذوف اللام لتسكينه بصيغة الأمر، من (تفعّل) المزيد بالتاء وتضعيف العين. والزيادة أفادت المبالغة من وخت الناقة تخي وخيًا، إذا سارت في قصد، والوخي سير في قصد.

٤ـ أسبغْ: أمر من أسبغ المزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية، سبغ الشيء: طال وتمّ، وأسبغ الوضوء: أتمّه، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} ﴿لقمان: ٢٠﴾.

٥ـ خالفوا: ماض مزيد بالألف على (فاعل)، والزيادة أفادت الدلالة على المشاركة، كأنّ كلّ واحد يأخذ طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، يقال: خلفه يخلفه: جاء بعده، والخلف ضدّ قدّام، وخلف عن أصحابه: تخلّف،

وأخلفه الوعد: قال ولم يفعله، وخالف أحدهما الآخر: صارا ضدّين، فالمعنى يدلّ على المبالغة؛ لأنّ الضّدّيّة معنويّة؟

٦ـ تحفّظ: أمر من تحفّظ على (تفعّل) المزيد بالتاء وتضعيف العين، والزيادة أفادت الإظهار، نحو: تحرّج: أظهر الحرج من الأمر، فتحفّظ: أظهر حفظه ورعايته للأمر بنفسه ولم يركن إلى عمّاله فهو محترز منهم.

٧ـ اجتمعت: ماض مزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة دالّة على المطاوعة، يقال: جمعه يجمعه فاجتمع، ومثله كفيته فاكتفى.

٨ـ أصاب: ماض مزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية، يقال: صابت السحابة عليه تصوب على الباب الأوّل أي: أمطرت، والصيّب السحاب المختصّ بالصوب، والصّوب هو نزول المطر، والصّواب هو نزول شيء واستقراره، ولملحظ نزوله واستقراره جعل الصّواب لما خالف الخطأ. وأصله عامّ فيما ينزل ويستقرّ.

٩ـ قلّدته: ماض على فعّل، مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول، يقال: قلدت الحبل فهو قليد أي: فتلته، والقلادة: المفتولة التي تجعل في العنق وبها شبّه كلّ ما يتطوّق به، وكلّ ما يحيط بشيء. وقلّدته كذا ألزمته إياه كأنه قلادة في عنقه، قال تعالى: {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} ﴿الزمر: ٦٣﴾ أي: ما يحيط بها، وقيل خزائنها، إشارة إلى قدرته تعالى وحفظه لها.

س: استخرج المصادر المقيسة من النصّ، واذكر أوزانها، ثمّ بيّن دلالاتها الصرفيّة.

١ـ اختبار: مصدر على الافتعال من اختبر، دالّ على إظهار الْخَبَر بِحَالَة هؤلاء العمال، وَالْخَبَر الْعلم بحقيقة الشَّيْء.

٢ـ محاباة: مصدر على المفاعلة من حابى يحابي والمصدر دالّ على المشاركة؛ لأن مَن حاباك فقد حابيته والمراد بـ (وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً) أي لا تبادل الولاة الحبوة، وهي القرب منهم والميل اليهم يقال: حبا يحبو: دنا.

٣ـ خيانة: فعالة، مصدر من المجرّد خانه يخونه خونًا وخيانة، كأنّها حرفة له لا ينفكّ عنها.

٤ـ تجربة: مصدر على تفعلة، من فعّل مضعّف العين، يقال: جرّبه تجريبًا وتجربة، إذا اختبره. والتجربة تفيد المرّة من التجريب. والمجرّد على الباب الرابع يفيد داء يصيب الإنسان والحيوان من شيء ينبت على الجلد من جنسه، ثمّ اشتقّ منه المجرّب لمن قد جرّبته الأمور وأحكمته.

٥ـ إشرافًا: مصدر على الإفعال من المزيد بهمزة القطع أشرف، وهو دالّ على الاطّلاع على الشيء من موضع عالٍ.

٦ـ استصلاح: مصدر على الاستفعال من استصلح المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، للدلالة على صيرورتهم صالحين في أنفسهم.

٧ـ تناول: مصدر على التفاعل، من تناول المزيد بالتاء والألف، هو دالّ على مطاوعة (فاعل)، يقال: ناولته الشيء فتناوله، أي: أخذه، وهو من النول بمعنى العطاء، يقال: نلته أنوله على الباب الأوّل، ونوّلته: أعطيته، وهذا الفعل استعمل قرآنيًا من الباب الرابع في قوله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ﴿آل عمران: ٩٢﴾ فالأفعال نحو (نال ينال، ونام ينام، وخاف يخاف وغيرها) كلها من الباب الرابع لخلوّ عينها أو لامها من أحرف الحلق فلا تحمل على الباب الثالث فضلًا عن دلالتها على الانفعالات النفسيّة العارضة كالفرح والغضب والحزن.

٨ـ أمانتك: مصدر على فعالة من المجرّد أمُن يأمُن على الباب الخامس مثل: بلغ بلاغة وفصح فصاحة، وهو مقيس للدلالة على الصفات الثابتة، أمّا أمِن من الباب الرابع فهو دالّ على الامتلاء بمعنى ضدّ الخوف، ومصدره أَمْنا وأَمَانا، وفي النصّ استعملت الأمانة اسمًا لما يؤمن عليه الوالي، على نحو استعمالها في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ﴿الأنفال: ٢٧﴾، أي: ما ائتمنتم عليه، وقال تعالى: "{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} ﴿الأحزاب: ٧٢﴾ مع اختلافهم في مصداق هذه الأمانة؛ إذ قيل: هي العقل أو كلمة التوحيد أو العدالة أو حروف التّهجّي، وعن أهل البيت (عليهم السلام) أنّها الولاية، ومن ادّعاها بغير حقّها فقد كفر، قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) - كما في عيون أخبار الرضا وبصائر الدرجات -: "إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح أصحاب الكساء، وقال: إنّهم أحبّاؤه وحججه على خلقه وإنّه خلق جنّته لمن تولّاهم وناره لمن خالفهم وعاداهم وادّعى منزلتهم، فولايتهم أمانة عند خلقه، فأيّكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه؟ فأبتِ السموات والأرض والجبال وأشفقن من ادّعاء منزلتها وتمنّي محلّها من عظمة ربّهم "

٩ـ تعاهدك: مصدر على التفاعل، من تعاهد المزيد بالتاء والألف، وهو دالّ على المبالغة في رعاية أمورهم وحفظها، والتي هي أمور الوالي نفسه التي أوكلها إليهم، فالعهد هو الحفظ والرعاية للشيء حالًا بعد حال، عهد فلان إلى فلان: ألقى إليه العهد والوصاية بالحفظ، وعاهده: اشترك معه في الحفظ، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدبارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا} ﴿الأحزاب: ١٥﴾ إذ عاهدوا الله على الإيمان ونصرة الرسول وعهد الله لهم الجنّة.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، واذكر دلالاتها الصرفيّة؟

١ـ عقوبة: اسم مصدر على فعولة، من عاقبه معاقبة وعقوبة، فالعقاب والمعاقبة مصدران مقيسان، والعُقوبة اسم مصدر يختصّ بالعذاب؛ لأنّه يكون بتتبع الذنب، وهذه كلّها مبنيّة على العقب وهو مؤخّر القدم، يقال: عقب فلان فلانًا: إذا جاء عقبه أي بعده وتلاه. أمّا العاقبة فهي اسم ذات لما يأتي تاليًا في الخير والشّرّ {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} ﴿الأعراف: ١٢٨﴾ أي: الجنّة،

وأما في سياق الشرّ فقوله تعالى: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} ﴿الطلاق: ٩﴾.

٢ـ أثرة: اسم مصدر على فَعَلَة من استأثر فلان بالشيء استئثارًا: استبدّ به، وفي الحديث " سترون بعدي أثرة" أي: استئثارًا بالفيء، والأثر: بقيّة الشيء.

٣ـ حياء: مصدر على فَعال كالجَمال والكَمال والبَهاء وغيرها من أفعال السجايا الثابتة، وأصل الهمزة واو، ثمّ قلبت همزة لتطرّفها بعد ألف زائدة، من حيي يحيا على الباب الرابع حياة: ضدّ الموت، واستحيى استحياء وهو شعور بالتضايق من إظهار ما يمجّه الآخرون ويأباه الأدب والحشمة. وأحياه: جعله حيًّا، واستحياه: صيّره حيًّا فاستبقاه ولم يقتله، قال تعالى: {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} ﴿الأعراف: ١٤١﴾.

٤ـ وفاء: اسم مصدر على فعال من (أوفى) المزيد بالهمزة كأنبت نباتًا، والمجرّد يأتي لازمًا ومتعديًا فأما اللازم فيقال منه: وفى الشيءُ وُفِيًا، كصُلِيٍّ: تَمَّ، وكثُرَ، فهو وَفِيٌّ وواف، والمتعدي يقال منه: وَفى بالعَهْدِ، كَوَعَى، وفيًا: ضِدُّ غَدَرَ. وإنّما قلنا: إنّ الوفاء اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصادر التي على الفعال تأتي من الباب الخامس لما دلّ على الثبوت، نحو: الجمال والكمال والرشاد والبهاء. ولم يأت فعل من الوفاء على الباب الخامس.

٥ـ حَدوة: فعلة، مصدر دالّ على المرّة، من حدا إبله يحدوها حدواً، أي: غنّى لها لتسير في ليل، أمّا حداهُ على فمعناه: ساقه، والإمام (عليه السلام) قال: حدوةً لهم، أي: دافعًا لهم على حفظ الأمانة لما يرونه منك من متابعتهم.

٦ـ مَقام: مصدر ميميّ على زنة مَفعل من قام يقوم، ثمّ حصل إعلال بالنقل إلى الصحيح الساكن (القاف) ثمّ قلبت عين الفعل ألفًا؛ لتحرّكها بعد فتح الفاء.

٧ـ تُّهَمَة: فُعَلَة (ضمّ ففتح ففتح): اسم مصدر من أوهم ايهامًا، يقال: أوهمت في الحساب: إذا تركت منه شيئًا، أي: أسقطت. أمّا المجرّد فهو على الباب الرابع من وهم يهِم إذا غلط، ووهم في الشيء يهم على الباب الثاني: ذهب وهمه إليه، وهذا من خطرات القلب، أي: ظننت، ومراد الإمام (عليه السلام) ـ أنّه من المزيد بهمزة القطع ـ أي: ما يرتكبه بيده من التلبيس على الآخرين حتى يُكشف.

س: استخرج جموع التكسير الواردة في النصّ، وبيّن نوعها ثمّ اذكر مفرداتها.

١ـ عمّال: جمع كثرة على زنة فُعّال ومفرده: عامل، نحو: طالب وطلّاب.

٢ـ أعمال: جمع قلّة على زنة أفعال، ومفرده: عمل، نحو: قلَم وأقلام.

٣ـ أعراض: جمع قلّة على زنة أفعال، ومفرده: عِرض بكسر الفاء، نحو: ثِقل وأثقال وعرض الرجل: حسبه، وقيل: هو نفسه؛ لأنّه يعرض للآخرين ويظهر مصانًا. وفلان نقيّ العرض، أي: بريء من أنْ يُشتم أو يساب، مأخوذ من العرض بفتح الفاء خلاف الطول.

٤ـ مطامع: جمع كثرة على وزن منتهى الجموع (مفاعل)، ومفرده: مطمع، نحو: مكتب ومكاتب.

٥ـ عواقب: جمع كثرة على وزن منتهى الجموع (فواعل)، ومفرده: عاقبة، نحو ناصية ونواص.

٦ـ أرزاق: جمع قلّة على أفعال، ومفرده: رِزق بكسر الفاء.

أنفسهم: جمع قلّة على أفعل، ومفرده: نفس، صحيح العين واللام على فعل.

٧ـ عُيون: جمع كثرة على فُعول، ومفرده: عين.

٨ـ الأعوان: جمع قلّة على أفعال، ومفرده: عون، معتلّ العين على فَعْل، وهو الظهير على الأمر من العون وهو المعاونة والمظاهرة، فلان عوني: أي:

معيني، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} ﴿الفرقان: ٤﴾.

٩ـ أخبار: جمع قلّة على أفعال: ومفرده: خَبَر على فَعَل محرّك العين.

المستوى النحويّ

س: بيّن نوع الفاء في قوله (عليه السلام): " ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم" و"لا تولّهم محاباة وأثرة فإنّهم جماع من شعب الجور" و" وتحفّظ من الأعوان فإنْ أحدُ منهم بسط يده" و" اكتفيت بذلك شاهدًا فبسطت عليه العقوبة".

١ـ الفاء في (فاستعملهم) عاطفةٌ طلبًا على طلب، وفيها عطف استعماله العمال على النظر في أمورهم عطفًا مرتبًا.

٢ـ الفاء في (فإنهم) هي التعليليّة؛ لأنّها بمعنى اللام، أي: تجيب عن تساؤل سابق وهو: لماذا لا تولّهم محاباة؟

٣ـ الفاء في (فإنْ أحدٌ) هي الاستئنافيّة التفسيرية؛ لأنّها تذكر حالة جديدة تحصل من هؤلاء العمّال يبيّن فيها الإمام (عليه السلام) كيفيّة معالجتها.

٤ـ الفاء في (فبسطت) هي العاطفة؛ لأنّها تعطف بسط العقوبة بعد الاكتفاء بحصول الشهادة على الجرم، وفيها رُتِّبت العقوبة على حصول الإدانة.

س: علّل استعمال حرف العطف (أو) بدلًا من الواو في قوله (عليه السلام): "وحجّة عليهم إنْ خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك"؟

الواو حرف عطف يفيد التشريك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه، أمّا (أو) فهو حرف عطف يفيد المغايرة بين المعطوفين في الحكم، والمراد أنّ بسط الرزق على العمّال لا يدع لهم حجّة إنْ فعلوا أحد أمرين: مخالفة أمر الوالي أو خيانته، أي: إنْ أتوا بواحد من هذين الأمرين تقوم عليهم الحجّة، أمّا إن استعملت الواو فلا تقام الحجّة إلّا بحصول الأمرين منهم معًا، وهذا ما لا يقوم معه استقرار للرعية، وهو مثل استعمال (أو) في قوله تعالى: {وَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} ﴿النساء: ٣﴾ إذ جعل أغلب المفسّرين الواو بمعنى (أو).

وتأويل الواو بـ(أو) في غاية الاعتساف؛ ذلك أنّ (أو) هي للاختيار في أصل وضعها، فلو كان المراد انكحوا من النساء (مثنى أو ثلاث أو رباع) لفُهم منه أنّ نكاح الواحدة باطلٌ شرعًا؛ لأنّه ليس مذكورًا بين هذه الاختيارات، ثم يكون الخوف من الإقدام على واحد من هذه الاحتمالات في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ نقيضًا للأمر بالتعدد ابتداء. فضلًا عن أنّ الرجل مخيّر في واحد من هذه الاختيارات، فإمّا أنْ ينكح اثنتين فلا يحق له التثليث أو ينكح ثلاثة فلا يحق له نكاح الرابعة، وبعد هذا كلّه لا يتحقق النكاح أصلًا مع وجود (أو)؛ لأن (أو) يستدعي أنْ يعقد الرجل على اثنتين أو ثلاث أو أربع في آن واحد ويبني عليهن في ليلة واحدة ليتحقق له نكاح المثنى أو الثلاث أو الرباع، وهذا متعذّرٌ عرفًا وباطل شرعًا، فينبغي القول ببقاء (الواو) على معناها العامّ وهو الجمع، ولكن ليس جمعًا لرجل واحد فتكون المحصلة تسع نسا؛ لأن المذكور أوّلًا جنس الرجال وهو الضمير في (انكحوا)، فيكون المعنى: يجوز لجنس الرجال أنْ يقدموا على أربعة أنواع من الزيجات، وهي: الزواج بواحدة، والزواج باثنتين، والزواج بثلاث، والزواج بأربع، والعطف بالواو في هذا المقام أليَق ومتعيَّن؛ إذ يفهم منه حريّة الانتقال من نوع إلى آخر صعودًا أو نزولًا؛ لأنّها لا تفيد الترتيب.

س: ثمّة وجهان في إعراب (ما) في قوله (عليه السلام): " وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم"، بيّن هذين الوجهين، مرجّحًا واحدًا منها؟

(ما) إمّا أنْ تكون موصولة فتعرب اسمًا موصولًا مبنيًا في محلّ جرّ بالإضافة، و(تحت) بعدها ظرف يعرب خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: هو تحت أيديهم، والجملة الاسميّة من المبتدأ المحذوف وخبره صلة لـ(ما) لا محلّ لها من الإعراب. وهذا الوجه هو الراجح. ويمكن أنْ تعرب (ما) اسمًا بمعنى (شيء)

مضاف إلى المصدر قبله وهي موصوفة، وما بعدها صفتها، والتقدير: تناوُلُ شيءٍ مجبيّ، وفي هذا بُعد.

س: ثمّة عدّة أوجه لتقدير عامل الرفع للفظة (أحد) في قوله (عليه السلام): " فإنْ أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة"، اذكر هذه الوجوه، ورجّح أيسرها تعلُّما.

الوجه الأوّل: أنْ يعرب (أحد) فاعلًا لفعل محذوف يفسّره الفعل المذكور بعد (أحد)، أي: فإنْ بسط أحدٌ منهم يبسط يده. وهذا ما قال به أغلب البصريّين في إعرابهم الاسم المرفوع بعد (إنْ وإذا) الشرطيتين كقوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} ﴿التوبة: ٦﴾.

والوجه الثاني: أنْ يكون (أحد) فاعلًا متقدّمًا للفعل المذكور بعده وهو رأي الكوفيين. ويمكن أنْ يعرب (أحد) مبتدأ، والفعل بعده خبره، وهذا هو مذهب الأخفش. ويمكن أنْ نرجّح الوجه الثاني لما فيه من تيسير في الإعراب الموافق للمعنى، فالاسم المرفوع بعد أداة الشرط هو الفاعل الحقيقي سواء تقدّم عليها أم تأخّر عنها، وهذا الإعراب يحافظ على ظاهر النصّ دون القول بالحذف أو احتمال الابتداء والخبر مع أنّ السياق يستعمل أسلوب الشّرط الذي هو سياق زمني أظهر ما يتّضح في الجملة الفعليّة التي منع البصريّون تقدّم الفاعل على فعله في سياقها مع أنه في المعنى هو هو سواء تقدّم أم تأخّر، وينبغي أنْ يُراعى في النحو المعنى لا التركيب اللفظيّ.

س: استخرج الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وبيّن محلّها الإعرابيّ.

١ـ جملة "اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك" في محلّ جرّ صفة للفظة خيانة قبلها.

٢ـ جملة "اكتفيت بذلك شاهدًا" في محلّ نصب حال، وهذا رأي ضعيف لعدم اشتمال الجملة الفعليّة هذه على ضميرٍ يعود على صاحب الحال، وهي لا محلّ لها من الإعراب لعدم اقترانها بالفاء.

٣ـ جملة "فبسطت عليه العقوبة في بدنه" في محلّ جزم جواب الشرط لاقترانها بالفاء.

٤ـ جملة "وأخذته بما أصاب" في محلّ جزم عطف على جملة جواب الشرط المجزومة قبلها.

٥ـ جملة "فإنّ ذلك قوّة لهم" الجملة الاسميّة من (إنّ) حرف التشبيه واسمها (اسم الإشارة في محلّ نصب) وخبرها المرفوع (قوّة) في محلّ جزم جواب الشرط: إنْ خالفوا أمرك.

س: أعرب المنصوبات: (اختباراً، محاباة، أخلاقًا، شاهداً، أهل التجربة، عار التهمة، أمانتك).

١ـ اختباراً: منصوب على أنّه مفعول لأجله، أي: لأجل اختباري لك وتأكّدي من صلاحك استعملتك. وكذلك إعراب محاباة وأثرة.

٢ـ أخلاقًا: تمييز رافع للإبهام من صيغة التفضيل (أكرم). وكذلك (شاهداً) تعرب تمييزاً رافعًا للإبهام من الفعل اكتفى، والفعل (اكتفيت) فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بتاء الفاعل.

٣ـ أهل: مفعول به لفعل الأمر توخَّ، وهو مضاف للتجربة.

٤ـ عار: مفعول به ثانٍ للفعل (قلّدته)، وهذا الفعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، والهاء مفعول به أوّل.

٥ـ أمانتك: مفعول به للفعل (ثلموا)، وهو فعل ماض مبنيّ على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة التي تعرب فاعلًا، و(أمانة) مضاف إلى الضمير الكاف.

س: روي الضمير في قوله (عليه السلام) "فإنهما جماع من الجور والخيانة" مثنّى تارة ومجموعًا أخرى أي (إنّهما، إنّهم) فما معنى العبارة في كلتا الروايتين؟

المقصود برواية (إنّهما جماعٌ من شعب الجور والخيانة) هو أنّ المحاباة والأثرة جماع من شعب الجور. فعلى الوالي أنْ لا يولّي العمال محاباة وأثرة، كأن يعطونه شيئًا على الولاية فيولّيهم ويستأثر بذلك دون مشاورة فيهم،

ولأجل ذكر المحاباة والأثرة روي الضمير بلفظ المثنى بعدهما (فإنّهما جماع من شعب الجور والخيانة)، أمّا الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المأمور به شرعًا، وأمّا الخيانة فلأنّ التحرّي في اختيارهم من الدين وهو أمانة في يد الناصب لهم، فكان نصبهم من دون ذلك بمجرّد المحاباة والأثرة خروجًا عن الأمانة ونوعًا من الخيانة، وربما يكون في تفسير جملة (جماع من شعب الجور والخيانة) بالتولية بالمحاباة والأثرة تكلّف وتعسّفٌ، فلا إشكال في أنّ هذه التولية جور وخيانة، ولكن لا ينطبق عليها أنّها جماع من شعب الجور والخيانة إلاّ بالتكلّف.

فالأظهر أنّ هذه الجملة راجعة إلى العمّال الشاغلين للأعمال قبل حكومته عليه السّلام، ففي نسخة أخرى من العهد وردت العبارة بلفظ (فإنهم جماع من الجور والخيانة)، والمراد هو أنّ العمّال الشاغلين للأعمال في زمان عثمان ومن تقدّمه كانوا جمعًا من شُعب الجور والخيانة، فإنّ الخلفاء الّذين تقمّصوا الخلافة بغير حقّ خافوا على مقامهم من ثورة طلاّب الحقّ واستعملوا في أعمالهم من يوافقهم في نفاقهم ويعينهم على جورهم وشقاقهم ممّن ينحرف عن الحقّ ويميل إلى الباطل لضعف عقيدته ورقّة ديانته وإيمانه.

المستوى المعجميّ

س: استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة البَدن في قوله: "فبسطت عليه العقوبة في بدنه" فهل يمكن استعمال لفظة جسده أو جسمه لتأدية المعنى ذاته؟

الْفرق بَين الْجَسَد وَالْبدن أَنّ الْبدن هُوَ مَا علا من جَسَد الإنسان بلا رأس ولا يدين؛ وَلِهَذَا يُقَال للدرع الْقصير الَّذِي يُلبس على الصَّدْر: بَدن لأَنَّهُ يَقع على الْبدن. قال تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} ﴿يونس: ٩٢﴾. وَلما كَانَ الْبدن هُوَ أَعلى الْجَسَد وأغلظه قيل لمن غلظ من السّمن: قد بدن وَهُوَ بدين، وَالْبدن الْإِبِل المسمّنة للنحر ثمَّ كثر ذَلِك حتى سمِّي مَا يتَّخذ للنحر بُدنة سمينه كَانَت أَو مَهْزُولَة.

والجسد الجسم تامًّا ولكن بلا حياة، قال تعالى: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} ﴿الأعراف: ١٤٨﴾. فقد صنعوا عجلًا من الذهب سمعوا خوار الريح فيه الريح، فخُيِّل إليهم أنّ فيه حياة. أما الجسم فللحيّ ولا يطلق على الميت إلا من باب التشبيه كما قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} ﴿المنافقون: ٤﴾[١].

س: في قوله (عليه السلام): "ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق"، هل يعني هذا إكمالها أو إتمامها، بيّن ذلك في ضوء مقابلة هذه العبارة بقوله تعالى: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} ﴿لقمان: ٢٠﴾ وقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا} ﴿المائدة: ٣﴾؟

الْفرق بَين الْكَمَال والتمام هو أنّ الكامل خلاف الناقص والتام خلاف القبيح، نقول: صلاة كاملة إذا لم ينقص ركن منها، ونقول: صلاة تامّة إذا جيء بها على أحسن وجه من حيث حضور القلب والتأني في القراءة، أي أنّ في التمام زيادة على الكمال ففي قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا} معنى الآية أنّ دين الله قد اكتمل بلا نقص، ولكنه ليس بأبهى صورة؛ ولذلك اعتراه التفسير العقليّ الذي قاد إلى هذا الاختلاف الكبير بين المسلمين. وأما نعمته تعالى وهي العترة الطاهرة فعيّنت للمسلمين بأفضل ما يكون التعيين بدءًا بأمير المؤمنين وانتهاء بالحجة القائم فلا مجال للاختلاف والجدل في النعمة. وهذه الآية بمنزلة حديث الثقلين المشهور، فإكمال الدين بالقرآن الكريم وإتمام النعمة بالعترة الطاهرة[٢].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١٦٠.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٢٦٣.

وأما الإسباغ فأصله من قولهم: درع سَابغٌ أي: شامل واسع. قال الله تعالى: {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ﴿سبأ: ١١﴾، ومنه استعير إِسْبَاغُ الوضوء أي إنْ يغطي الماء الأعضاء كلّها كما يُغطي الدرع البدن، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} ﴿لقمان: ٢٠﴾ أي نشر عليكم نعمته ظاهرة وباطنة فأحاطت بكم كما يحيط الدرع بالبدن. وكل هذا يلحظ فيه الامتداد والانتشار والإحاطة بلحاظ النظائر الصوتيّة وهي سبب، سبل، سبر، سبق، سبح وغيرها[1].

س: قال (عليه السلام): "وحجّة عليهم إنْ خالفوا أمرك" هل يمكن استبدال لفظة البرهان أو الدليل بالحجة؟ بيّن ذلك.

الدَّليل أصله لمن يتَقَدَّم الْقَوْم فِي الطَّرِيق ويلحظ فيه معنى التقدم في التفريق بينه وبين الحجة والبرهان. فالاسْتِدْلَال يعني طلب الشَّيْء من جِهَة غَيره وتقديمه للخصم.

الدليل هو أعمّ هذه الألفاظ؛ لأنه العلامة التي تُرشد وتهدي، والدليل الهادي الذي يهتدى به، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} ﴿الفرقان: ٤٥﴾.

والْحجَّة هِيَ الاسْتِقَامَة فِي النّظر والمضي فِيهِ على سَنَن مُسْتَقِيم من ردّ الْفَرْع إِلى الأَصْل، وَهِي مَأْخُوذَة من المحجّة وَهِي الطَّرِيق الْمُسْتَقيم، فالْحجَّة مُشْتَقَّة من معنى الاسْتِقَامَة فِي الْقَصْد، يقال: حجّ يحجّ إذا استقام فِي قَصده، والحجّة أخص من الدليل بملمح مواجهة الخصم فهي من القص، وهي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، كأنّها الدليل المبين للمحجة أي القصد

---

(١) ينظر: المفردات (سبغ).

المستقيم، قال تعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} ﴿الأنعام: ١٤٩﴾.

والبرهان مستعمل في القرآن بمعنى أخصّ من الدليل والحجّة؛ لأنّه يدل على الدليل القطعي اليقيني الصادق الذي لا يعتريه الشك ولا التكذيب، وقد اقترن البرهان بالصادقين في التعبير القرآني، قال تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ﴿البقرة: ١١١﴾ والفرق بين الدّلَالَة والبرهان أنّ الْبُرْهَان لَا يكون إِلَّا قولًا يشْهد بِصِحَّة الشَّيْء، وَالدّلَالَة تكون قولًا وغيره كالرموز والعلامات الشائعة في زماننا[١].

س: قال (عليه السلام): "وابعث العيون" ولم يقل: أرسل، فما الفرق بينهما؟ ولم أوثر الإرسال على نظيره في هذا السياق القوليّ؟

إنّ الْفرق بَين الْإِرْسَال والبعث هو أنّ إرسال فلان إلى فلان يَقْتَضِي حمله رسالة إليه أو خبرًا أو مَا أشبه ذَلِك من عذاب أو رحمة، والإرسال أشبه بالامتداد في المكان. أما البعث فيجوز أَنْ يُبْعَث الرجلُ إلى آخر لِحَاجَة تخصه، وهو دون الباعث أو المبعوث إليه كَالصَّبِيِّ تبعثه إلى البستان يأكل منه، فَتَقول بعثته وَلَا تَقول أَرْسلتهُ؛ لِأَن الْإِرْسَال لَا يكون إِلَّا برسالة وَمَا يجْرِي مجْراهَا، والبعث أمضى من الإرسال وأشدّ في طلب الأمر، وهو أشبه بالبحث والإثارة كما في بعث الموتى؛ ولذا فرّق التعبير القرآني بينهما في لفظ قصّة موسى والسحرة: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} ﴿الأعراف: ١١١-١١٢﴾، فعقّب بذكر (ساحر)؛ لأنه ذكر الإرسال في سياقه على حين ذكر (سحّار) الدال على المبالغة لما ذكر البعث في قوله تعالى: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} ﴿الشعراء: ٣٦- ٣٧﴾[٢].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٧٠-٧١.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٢٨٩.

المستوى البلاغيّ

س: لأيّ فنّ بلاغيّ يمكنك أنْ تنسب قوله (عليه السلام): "والقدم في الإسلام المتقدّمة"؟

في لفظ (القَدم) مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ ذُكرت القدم ـ والمراد نفس المسلم ـ التي قادته إلى الإسلام كما في قوله تعالى: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} ﴿الأنفال: ١٢﴾ فذكر البنان وأراد مجمل الجسد. ولفظة (القدم) تدلّ على السبق والتقدّم في الإسلام، ومثله ما في قوله (عليه السلام) "وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم"، فهو مجاز مرسل علاقته الجزئيّة؛ إذ عبّر بالعين عن الجواسيس الذين يعتمدهم الوالي في متابعة أحوال العمّال ومدى صدقهم وعدلهم. فعبّر بالعين الجارحة عن هؤلاء الأشخاص.

وفي لفظ (المتقدمة) توكيد بالترديد الاشتقاقيّ، أي تكرار اللفظ المتقدّم بآخر من مادّته، فـ(المتقدّمة) صفة تعود على القدم، وليس على الإسلام، والمتقدّمة تعني السابقة في الإسلام.

س: استخرج الاستعارة من النصّ، وبيّن نوعها.

١ـ في قوله (عليه السلام): "ووسمته بالخيانة" إذ إنّ الوسم يختصّ بالأنعام التي يرعاها صاحبها، فيسمها بوسم خاصّ به ليميّزها عن غيرها، وذلك بالكيّ بواسطة الميسم، فشبّه الإمام (عليه السلام) ما يفعل بهذا العامل من عقوبة، بالحيوان الذي يسمه صاحبه، ثمّ حذف المشبّه به وهو الحيوان وأبقى لازمه وهو الوسم، فالاستعارة مكنيّة.

٢ـ في قوله (عليه السلام): "وقلّدته عار التهمة" استعارة مكنيّة أيضًا؛ لأنّه (عليه السلام) شبّه نسبة التهمة إلى العامل المقصّر المشهود عليه بالجرم وعدم انفكاكه عنه بتقليد القلادة إذ تقلّد البدنة بتعليق شيء في عنقها ليعلم أنّها هدْيٌ، ثمّ حذف القلادة وأبقى لازمها وهو التقليد إذ استعار لفظ التقليد لتعليق نسبة التهمة إليه ملاحظة لشبهها بما قلّد به من الشعار المحسوس.

٣ـ في قوله (عليه السلام): "أو ثلموا أمانتك" استعار لفظ الثّلم للدلالة على الخيانة في أمر من أمور الحكم المكلّفين بحفظها وإدارة شؤونها، فشبّه التجاوز في أمر واحد دون باقي الأمور والجوانب بثلم الإناء، وهو كسرةٌ من شفته، أي: حافته وطرفه دون كسره كلّه، ثمّ أطلق على الخلل في الحائط أو الطريق، فحذف الإناء وأبقى لازمه وهو الثلم، فهي استعارة مكنيّة.

س: استخرج الكنايات الواردة في النصّ، وبيّن المراد منها.

١ـ في قوله (عليه السلام): " أخذته بما أصاب من عمله، ثمّ نصبته بمقام المذلّة" في هذا النصّ كنايتان: الشطر الأوّل أراد بها العقوبة المادّيّة، أي: عقوبة التعزير بالجلد أو قطع اليد للسرقة، وكذا العقوبات الماليّة بإرجاع المسروق ومصادرة أمواله وأموال عائلته التي أخذت بفعل خيانته. وفي الشطر الثاني أراد (عليه السلام) أنْ يكنّي عن العقوبة المعنويّة بقوله: نصبته بمقام المذلّة، فالنّصب: إقامة الشيء بحيث يراه الجميع، فلا يتكتّم على فعله؛ لأنّه خائن، وإنّما يصرّح به بين الناس وفي الأسواق وكلّ مكان ليكون عبرة لغيره.

٢ ـ في قوله (عليه السلام): " أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدّمة" كنّى (عليه السلام) بالقدم عن البيوت المتقدّمة في الدين أو الخير، ولهم في ذلك أصل معروف.

س: الإيجاز من فنون علم البديع، وهو فنّ بلاغيّ دقيق، يأتي لأغراض يراعى فيها المقام وحال السامع، استخرجه وبيّن نوعه.

في قوله (عليه السلام): " فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم" في هذا النصّ ايجاز بالحذف، الأوّل عن طريق استعمال اسم الإشارة (ذلك) ليدلّ على الجملة المتقدّمة بكاملها، وهي: "ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق" إذ استغني عن إعادة هذه الجملة بالإشارة إليها بلفظة واحدة. ومثل هذا الإيجاز ما في قوله (عليه السلام): " اكتفيت بذلك شاهداً"، أي: باجتماع أخبار العيون عندك، وكذا إيجاز عن طريق

العطف بالواو؛ إذ أغنى العطف عن إعادة العامل، فقال: " وغنى لهم "بدل أنْ يقول: " وإنّ ذلك غنى لهم.

المقطع العاشر: الطبقة الرابعة (عمّال الخراج)

قوله (عليه السلام): " وَتفقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صلاَحه وَصلاَحهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِه.

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لأَنَّ ذلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بَالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً.

فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْب أَوْ بَالَّة، أَوْ إِحَالَةَ أَرْض اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّه ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلاَدِكَ، وَتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

المعنى العام[1]

في هذا المقطع توجّه (عليه السلام) إلى أمر الخراج، وهو المصدر الرئيس في ذلك العصر لخزانة الحكومة وما يلزمها من المصارف في شتّى حوائجها من أرزاق الجند ورواتب العمّال على اختلاف طبقاتهم، فما من غنيّ ولا فقير إلا وينتفع من موارد الدولة العادلة. ونبّه على أنّ المبدأ الوحيد للخراج هو

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٧١-٧٥.

عمران البلاد بالزرع والغرس وما يتحصّل منه من عوائد جديدة، وبيّن أنّ التحصيلات المثمرة إنّما هي من الزراعة وتربية المواشي.

وأمره أنْ يرفع الثقل في مقدار الخراج المضروب عليهم وجور العمّال في أخذ الخراج، وأمره بالتوجّه إلى الآفات الطارئة في المحاصيل الزراعيّة والحيوانيّة؛ لئلّا يصيب الغلّة آفة كالجراد والبرق والبرد وغيرها، أو أنْ ينقص الماء في النهر أو طمّ القنوات في أثر السيول أو الزلازل ونحوها، أو قلّة الأمطار في ما يسقى بماء المطر أو كثرة الأمطار الموجبة للسيول الجارفة للزرع والشجر، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، يعني أنّ الأرض قد تحوّلت في أثر السيول أو تكرار الزرع فلم يحصل منها زرع؛ لأنّ الغرق غمرها وأفسد زرعها، أو أجحف بها عطش فأتلفها، فلا بدّ من سماع الشكوى والتحقيق عنها والتخفيف على الزرّاع وبذل المساعدة لهم بحيث يصلح أمرهم ويتمكّنوا من الاشتغال بالعمران.

ونبّه على أنّ هذا التخفيف والمساعدة لم يذهب هدرًا؛ لأنّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وزينة لولايتك، فإنّ زينة الوالي عمران البلاد وراحة العباد. وبهذا يكتسب الوالي حسن ثناء رعيته عليك ويسرّ باستفاضة العدل فيهم، وربّما حدث للوالي حادث ويحتاج إلى الاقتراض منهم أو طلب المعونة منهم أو مساعدتهم بنفوسهم فيجيبونه ويساعدونه بطيب أنفسهم.

وخلص (عليه السلام) من ذلك إلى ضابطين مهمين، أولّهما: أنّ العمران محتمل ما حمّلته، والآخر: أنّ خراب الأرض يكون من فقر أهلها وإعوازهم مصارف عمرانها. ثمّ نبّه على أنّ إعواز أهل الأرض ناشئ عن وُلاة السّوء الّذين لا همّ لهم إلاّ جمع المال والأخذ من الرّعيّة بكلّ حال، لسوء ظنّهم ببقائهم على العمل وخوفهم من العزل وعدم انتفاعهم بالعبر ولا اعتقادهم بالعقوبة من الله في الآخرة.

س: علّل حذف الصّائت الطّويل (الواو) إذا كان عينًا لفعل الأمر، على وفق معطيات الدرس الصوتيّ الحديث من خلال معالجة الفعلين (كان) و(استقام) في قوله (عليه السلام): "وليكن نظرك" و"لم يستقم أمره".

(ليكن) أصله (ليكوْنْ) ولما دخلت عليه لام الأمر سكنت نونه فالتقى ساكنان (الواو والنون) فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وفي الدرس الصوتيّ الحديث أنّ الواو لم تحذف كليًّا بل قصّرت لتؤول إلى ضمة وذلك في التشكيل (يَ، كو، نُ) وبعد حذف ضمة النون للجزم وتقصير الواو المديّة إلى ضمّة تخلّصًا من المقطع المديد (كونْ) في الطرف صار التشكيل (يَ، كُن).

أما (يستقيمُ) فلما جُزم سكن آخره فحذفت الياء لالتقاء الساكنين لدى الصرفيين، أما علماء الصوت المحدَثون فرأوا أنّ الياء لم تحذف بل قُصّرت فصارت كسرة تخلّصًا من المقطع المديد (قِيمْ) في الآخر فتحوّل إلى (قِم).

س: كيف تفسّر صوتيًّا تحريك ما قبل واو الجماعة بالضّمّ مع الفعل (احتمل) في قوله (عليه السلام): " احتملُوه طيّبة أنفسهم"، وتحريك ما قبل واو الجماعة بالفتح مع الفعل (شكا) في قوله (عليه السلام): "فإن شكَوا ثقلًا"؟

(احتملَ) فعل ماض صحيح عند إسناده إلى واو الجماعة يُبنى على الضمّ فيصير (احتملُوا)، وأمّا (شكا) فمعتلّ الآخر وعند إسناده إلى واو الجماعة يلتقي ساكنان الألف وواو الجماعة في (شَكَاوا) فتحذف الألف تخلصًا من التقاء الساكنين وتبقى الفتحة بعدها أمارة لها فيصير (شكَوا)، ولكن الدرس الحديث لا يقبل بهذا التعليل ويرى أنّ ما جرى هو تقصير للألف ليؤول إلى فتحة وليست الألف محذوفة حذفًا تامًّا، وأصل التشكيل المقطعي هو (شَ، كا + و) = (شَ، كاو) فصار المقطع الثاني مديدًا وللتخلص من ثقله قُصّر الصائت الطويل (الألف) إلى صائت قصير (الفتحة) فصار

اللفظ (شكَو) بلا حذف للألف ولكن بتقصيرها، ثمّ زيدت الألف الفارقة خطًّا لا نطقًا.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة من النصّ المتقدّم، وبيّن نوع الزيادة، والمعاني الصرفيّة التي خرجت إليها؟

١ـ يُدرَك: مضارع مبنيّ للمجهول من (أدرك) المزيد بهمزة القطع، والزيادة للتعدية؛ فالدَّرك محرّك يدلّ على لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه، وأدرك الفرس الطريدة: لحقها ولم يفوّتها، وأدركت القدرُ: بلغت أناها، قال تعالى {حَتَّى إذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ} ﴿يونس: ٩٠﴾ و{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} ﴿الأنعام: ١٠٣﴾، ودارك الرجل صوته: تابعه، وتدارك القوم: لحق آخرهم أوّلهم.

٢ـ أخرب: فعل ماض مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية، فالمجرّد لازم، خرب الموضع خرابًا على الباب الرابع، فهو خرب، وأخربه وخرّبه مبالغةن ومنه قوله تعالى: {يُخْرِبُونَ بيوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} ﴿الحشر: ٢﴾ بهمزة القطع التي تفيد قيامهم بهذا العمل وإيقاع الخراب على بيوتهم.

٣ـ أهلك: فعل ماض مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية، فالمجرّد لازم على الباب الثاني، هلك الشيء يهلك هلاكًا وأهلكه غيره {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ} ﴿الأنفال: ٤٢﴾ {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} ﴿الجاثية: ٢٤﴾ والهلاك في حقّ العباد يكون بمعنى إنزال الفقر بهم والخوف، وهلاك الشيء: فساده كما في قوله تعالى: {وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} ﴿البقرة: ٢٠٥﴾، وهلاك شخصٍ موته {إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ} ﴿النساء: ١٧٦﴾.

٤ـ يستقم: مضارع مجزوم من (استقام) المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة أفادت المطاوعة من أفعل، أقمته فاستقام أو الصيرورة أي: يصير مستقيمًا.

٥ـ اغتمرها: ماض مزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة دلّت على المبالغة، غمر الماء الأرض: علاها على الباب الأوّل، والغمر هو إزالة أثر الشيء، وقيل للماء الكثير الذي يزيل أثر سيله: غمر وغامر، واغتمر مبالغة في ذلك.

٦ـ خفّفت: ماض على فعّل بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية، خفّ الحمل على الباب الثاني لازم، وخفّفته.

٧ـ عوّدتهم: ماض على فعّل بتضعيف العين، والزيادة افادت التعدية إلى المفعول الثاني، ولم يظهر في النصّ لتبعيضه، والتقدير: عوّدتهم العدلَ. ويقال: عاد يعود إليه: رجع، وأعاده إليه: أرجعه. ويقال أيضًا: عادَهُ واعْتادَهُ. وتَعَوَّدَهُ، أي صار عادة له.

٨ـ عولت: ماض على فعّل مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت المبالغة؛ لأنّ العول أصله النقصان في الميزان، يُقَالُ: عَالَ الميزانُ إذا ارْتَفَعَ أَحدُ طَرَفيه عَنِ الْآخَرِ؛ وتوسعوا فيه فقالوا: عَالَ الرجلُ يَعُولُ إذا افْتقر، وعَالَ يَعُولُ إذا كَثُر عِيالُه؛ وقد صرّح أمير المؤمنين في نهج البلاغة بأنّ الفقر وكثرة العيال قرينان فقال في الحكمة (١٤١): " قِلَّةُ اَلْعِيَالِ أَحَدُ اَلْيَسَارَيْنِ" ونظيره قولهم: "العيال سوس المال" وقولهم: "لا مال لكثير العيال"؛ ولذا يمكن فهم دلالة الفعل (عال يعول) على الفقر وكثرة العيال معًا؛ لأن المحصّل واحد.

ومَعْنَى قَوْله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} ﴿النساء: ٣﴾ ذلكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولوا، أَي ذَلكَ أَقرب أَنْ لَا تَجُوروا وتَميلوا، وقِيل ذَلكَ أَدْنى أَنْ لَا يَكْثُر عِيَالكم، والأظهر صرفيًّا أنْ يقال: عَالَ الرجلُ يَعُول إذا جَارَ، وأَعالَ يُعِيلُ إذا كَثُر عِياله.

ثم توسّعوا في المعنى أكثر فاستعمل العول للدلالة على صوت المحتاج، فقالوا: العَوْل والعَوْلة رَفْع الصَّوْت بالْبُكَاء،، والعَوْلُ والعَوِيل: الاسْتِغاثَةُ، وأَعْوَلَ الرجلُ والمرأَةُ وعَوَّلا: رَفَعا صَوْتَهُمَا بِالْبُكَاءِ وَالصِّيَاحِ؛ والتعويل مبالغة

في العويل ومجاز منه؛ إذ يقال: عوّلت على فلان إذا اتّكأت عليه واعتمدت، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مُعَوَّلِي عَلَى فُلَانٍ أَي اتِّكالي عَلَيْهِ واسْتِغَاثَتِي بِهِ.

٩ـ احتملوه: ماض مزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المطاوعة، يقال: حمّلته فاحتمل.

١٠ـ أعوز: الزيادة أفادت المبالغة في الحاجة، يقال: عوِز الرجلُ يعوز من الباب الرابع والمصدر (العَوَز) بفتح الواو: افتقر. وأعوز الأمر: اشتدّ، فالإعواز مبالغة من العوز، وإذا لم تجد شيئًا عازني يعوزني من الباب الأول، والمصدر العوْز بسكون الواو.

س: استخرج المصادر المقيسة من النصّ، واذكر معناها الصرفيّ.

١ـ صلاح: مصدر على فعال، وهو مصدر مقيس من أفعال الباب الخامس التي تدلّ على الغرائز، يقال: صلُح يصلُح صَلاحًا: ضدّ الفَساد، ونحو ذلك الكَمال والجَمال، فهو صليح، ومن الباب الثالث فهو صالح.

٢ـ عمارة: مصدر على فعالة دالّ على الحرفة، قال تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ﴿التوبة: ١٩﴾، والفعل عمَر يعمُر من الباب الأول، قال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} ﴿التوبة: ١٨﴾، (عمارة المسجد الحرام) أي: حفظ بنائه، وهو نقيض الخراب.

٣ـ عمران: هو مصدر من عمَر المكانُ عَمْرًا وعِمرانًا، وهو مصدر دالّ على المبالغة في العمر، وهو البقاء زمانًا أطول، وهو نحو: الكُفران والخُسران والشُّكران، أي: مضاعفة العمارة، وسمّيت الزيارة التي فيها عِمارة المسجد: عُمرة، ثمّ توسعوا فيها فأطلقت في زماننا على قصد البيت الحرام وإنْ لم يكم فيها عمارة له.

٤ـ استجلاب: مصدر على الاستفعال مقيس من استفعل، مزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، وهو يفيد الطلب، أي طلب جلب الخراج، والمجرد جلَب يجلُب على الباب الأوّل بمعنى نقل المتاع أو الأنعام من موضع إلى آخر، وهذا يصاحبه الحداء والصياح، فقالوا: جلب على فرسه: صاح به من خلفه واستحثّه للسبق، وأجلب فلان على فلان: إذا صاح عليه، والجلبة: الصوت، قال تعالى: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ} ﴿الإسراء: ٦٤﴾ أي: أجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء إلى طاعتك، فللشيطان خيل ورجل، أي: مشاة من الجنّ والإنس ممّن يعصي الله.

٥ـ انقطاع: مصدر على الانفعال، مزيد بهمزة الوصل والنون، يفيد المطاوعة، قطعته فانقطع.

٦ـ الغرق: مصدر مقيس من أفعال الباب الرابع الدّالّة على الامتلاء والخلوّ، غرِق يغرَق غرَقًا نحو فرِح فرحًا وعطِش عطشًا.

٧ـ تزيين: مصدر على التفعيل من فعّل المزيد بتضعيف العين، وهو دالّ على المبالغة في الزين الذي هو ضدّ الشين، يقال: زانه وزيّنه إذا أظهر حسنه، قال تعالى: {حَبَّبَ إليكمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} ﴿الحجرات: ٧﴾.

٨ـ وِلاية: مصدر على الفعالة دالّ على الحرفة، ولي الأمر يليه ولاية على الباب السادس.

٩ـ إجمامك: مصدر على الإفعال من أجمّ المزيد بهمزة القطع، بفكّ الإدغام، نحو: أعدّ إعدادًا، والهمزة للتعدية، يقال: جمّ الماءُ يجمّ إذا تُرك ولم يُسقَ منه فكثُر واجتمع جمًّا وجمومًا، وأجمّه هو: تركه يجتمع، وجُمّة الماء: معظمه وكثيره، ومنه قوله تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} ﴿الفجر: ٢٠﴾، أي: كثيرًا، وجمّ الفرس جمامًا: ذهب إعياؤه، وأجمّه: ترك ركوبه ليرتاح، وإجمامك لهم، أي: تركهم ليرتاحوا إذا ما تعبوا.

١٠ـ استفاضة: مصدر على استفعلة بحذف ألف الاستفعال، أو على استفالة بحذف عين الفعل، والأصل: استفياضًا على الاستفعال، ومعنى (تَبَجُّحكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ) هو جعلك العدل فائضًا بينهم، يقال: فاض الخير يفيض شاع، واستفاض: صار فائضًا.

١١-انتفاعهم: مصدر على الافتعال من (انتفع) على افتعل، دالّ على المطاوعة نفعته فانتفع.

١٢ـ إحالة: مصدر على إفعلة أو إفالة، من أفعل المزيد بهمزة القطع، والأصل أفعل إفعالًا، أي: أحال إحوالًا، ثمّ حصل إعلال بنقل فتحة العين إلى الفاء وحذف أحد الساكنين. والمعنى المبالغة في تغيّر الأرض؛ لأنّ المجرّد يدلّ على التغيّر، يقال: حال الشيء، أتى عليه حول، أي سنة واحدة فتغيّر، وحالت الدار تحول حولًا: أتى عليها حول فتغيّرت، وإحالة الأرض في قوله (عليه السلام) تغيّرها عمّا عليه من الاستواء فلم ينبت زرعها ولا أثمر نخلها، وذلك يكون على أثر السيول والأمطار الغزيرة.

س: كيف تفرّق صرفيًا بين الثِّقْل والثُّقْل الثِّقَل والثَّقَل؟

اختلفت النسخ في ضبط اللفظ في هذا الموضع، والمعنى مختلف بحسب الضبط بالشكل فالثِّقَل بكسر ففتح مصدر يكون في المنزلة الثابتة والشأن كالكِبر والصِّغر والعِظم، يقال للشيء: ثقِل يثقَل ثقَلًا إذا عظمت منزلته وعلا شأنه. والثّقل بفتحتين وهو أشبه بالانفعال العارض نحو الفرح والغضب. ويستعار الثَّقَل بفتحتين لما هو نفيس من الأشياء، فيطلق على متاع المسافر؛ لأنه نفيس عنده في طريق سفره. وبهذا الملحظ ورد اللفظ في الحديث: "إني تارك فيكم الثَّقَلين: كتاب الله وعترتي"[1]، واستعمل التعبير القرآني (الثقلان) للجنّ

---

(١) الحديث في مسند أحمد٣ ١٧ وصحيح الترمذي٢ ٣٠٨ والمستدرك للحاكم٣ ١٠٩وذخائر العقبى للطبري١٦وينابيع المودة للقندوزي الحنفي٢٥ والسلسلة الصحيحة للألباني١٧٦١ وورد في صحيح مسلم بلفظ: " قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم

والإنس؛ إذ هما أهم مخلوقين على الأرض. وأما (الثُّقل) بالضم فيكون في الحجم من الباب الخامس (ثقُل يثقُل). أمّا الثِّقْل بكسر فسكون فهو اسم لما هو ثقيل من الأشياء المادّيّة، ويجمع على أثقال كما في قوله تعالى: {وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} ﴿الزلزلة: ٢﴾ ثمّ يستعار للذنوب.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًا محكمًا، واذكر دلالتها الصرفيّة.

عيال، عباد، علّة، قلّة، طيّبة، ثِقة، بالّة، مؤونة، معتمِدا، ذُخر.

المستوى النحويّ

س: بيّن عمل المشتقات والمصادر في ما يأتي واذكر السبب:

١ـ (معتمدا فضلَ قوّتهم): (معتمدًا) اسم فاعل عامل؛ لأنّه حال من ضمير (خفّفت). و(فضل) مفعول به لاسم الفاعل.

٢ـ (طيّبة أنفسُهم): طيّبة صفة مشبهة عملت عمل فعلها اللازم فرفعت فاعلًا وهو (أنفسهم) لوقوعها حالًا من ضمير الفاعل وهو واو الجماعة في (احتملوه).

٣ـ (استجلابك حسنَ ثنائهم)، عمل المصدر (استجلابك) المضاف إلى فاعله (الكاف) عمل فعله فنصب المفعول (حسن) المضاف إلى (ثنائهم)؛ وذلك لأنّه مصدر مضاف يصحّ تقديره بـ(أنْ) والفعل للمضارع والمستقبل، أو (ما) والفعل إنْ أردنا المضيّ.

٤ـ (فإنّ العمران محتملٌ ما حمّلته)، محتمل: اسم فاعل عمل عمل فعله فنصب (ما) بعده؛ لأنّه واقع خبرًا لـ(إنّ).

س: ما نوع اللام فيما يأتي؟

١ـ "وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج".

الخليفتين من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض".

اللام هنا هي لام الأمر جزمت الفعل المضارع الناقص (يكون)، بالسكون فحذفت عين الفعل لالتقائها بسكون لامه. و(نظرك) اسم كان، وخبرها (أبلغ) اسم تفضيل منصوب بالفتح.

٢ـ "لأنّ الناس كلّهم عيال على الخرج وأهله".

اللام هنا هي لام التعليل، و(أنّ) حرف مشبّه بالفعل، و(الناس) اسمها، و(كلّهم) توكيد، و(عيال) خبرها.

٣ـ "وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع". اللام هنا هي لام السّبب، وهي جارّة لما بعدها (إشراف)، وهو مضاف و(أنفس) مضاف إليه وهو مضاف أيضًا إلى (الولاة) نحو: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً} ﴿الإنسان: ٩﴾.

٤ـ "من إجمامك لهم". اللام هنا هي الجارّة للضمير بعدها.

س: بيّن نوع (مَن) فيما يأتي:

١ـ "ومَن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد". (مَن) هنا اسم شرط جازم في محلّ رفع مبتدأ، و(طلب) فعل ماض مبنيّ على الفتح في محلّ جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر يعود على الوالي، و(الخراج) مفعول به، و(أخرب) فعل ماض مبنيّ على الفتح في محلّ جرّ جواب الشرط، والفاعل مستتر، و(البلاد) مفعول به.

٢ـ " فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سواهم". (من) هنا هي اسم موصول في محلّ جرّ باللام و(سواهم) سوى: ظرف مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتعذّر، مضاف إلى (هم) في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم سواهم، والجملة صلة لـ(من) الموصولة التي لا محلّ لها من الإعراب.

س: ما نوع (ما) فيما يأتي؟

١ـ "فإنْ شكوا ثقلًا... خفّفت عنهم بما ترجو أنْ يصلح به أمرهم".

٢ـ " وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله ".

٣ -" بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم".

٤ـ " بما عوّدتهم من عدلك ".

(ما) في هذه الجمل هي الموصولة، في محلّ جرّ بحرف الجرّ قبلها، والأفعال التي بعدها صلتها.

٥ـ " فربّما حدث من الأمور ما إذا عولّت فيه عليهم من بعد احتملوه".

(ما) الأولى هي الكافّة؛ لأنّها كفّت (ربّ) عن عملها فهي حرف زائد يكفّ ما قبله عن العمل (ربّما كافّة ومكفوفة)، و(حدث) فعل ماض مبنيّ على الفتح و(من الأمور) جارّ ومجرور. و(ما) الثانية هي اسم موصول في محلّ رفع فاعل، و(إذا) أداة شرط غير جازمة، (عولّت) فعل ماض مبنيّ على السكون لاتّصاله بتاء الفاعل، و(احتملوه) فعل ماض مبنيّ على الضّمّ لاتصاله بواو الفاعل، والهاء مفعول به، وجملة فعل الشرط وجوابه صلة (ما) لا محلّ لها من الإعراب.

٦ـ " فإنّ العمران محتمل ما حمّلته". (ما) هنا اسم موصول في محلّ نصب مفعول به لاسم الفاعل (محتمل)، والجملة بعدها من الفعل والفاعل والمفعول صلتها لا محلّ لها من الإعراب.

س: ما نوع (لا) في:

١ـ "ولا صلاح لمن سواهم إلّا بهم".

(لا) هنا هي النافية للجنس، و(صلاح) خبرها مبنيّ على الفتح في محلّ نصب اسم (لا)، وخبرها محذوف وجوبًا، تقديره: كائن، و(لمن) جارّ ومجرور.

٢ـ "لأنّ ذلك لا يدركُ الّا بالعمارة".

(لا) هنا نافية غير عاملة لدخولها على الجملة الفعلية.

٣ـ "ولا يثقلنّ عليك شيء".

(لا) هنا هي الناهية، والفعل بعدها مضارع مبنيّ على الفتح لاتصاله بالنون الثقيلة، في محلّ جزم بلا الناهية، و(شيء) فاعله.

س: استخرج الجمل التي لها محلّ من الإعراب، ذاكرًا نوع المحلّ.

١ـ جملة "اغتمرها غرق" في محلّ جرّ صفة للفظة (أرض).

٢ـ جملة "شكوا ثقلًا" في محلّ جزم فعل الشرط بأداة الشرط (إنْ)، وكذا جملة جواب الشرط، والفعل والفاعل (خفّفت) في محلّ جزم؛ لأنّ الفعل ماض لا يشترط اقترانه بالفاء نحو {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} ﴿آل عمران: ٩٧﴾.

٣ـ جملة "خفّفت به المؤونة عنهم" في محلّ رفع صفة لـ (شيء).

٤ـ جملة "يعودون به عليك" في محلّ رفع صفة لخبر (إنّ) وهو (ذخر).

٥ـ جملة "لا يدرك" في محلّ رفع خبر (لأنّ)، واسمها هو اسم الإشارة المبنيّ في محلّ نصب.

٦ـ الجملتان "ومن جلب الخراج... أخرب البلاد" مِن فعل الشرط وجوابه في محلّ رفع خبر لاسم الشرط الجازم وهو (مَن) الذي هو في محلّ رفع مبتدأ.

س: أعرب ما تحته خطّ في هذا المقطع.

المستوى المعجميّ

س: في قوله (عليه السلام): "أو أجحف بها عطش" هل يمكن استبدال الظمأ أو الصدى بلفظ العطش؟ وضّح ذلك بالوقوف على الفروق المعجميّة الدقيقة بين الألفاظ.

كلّ من الظمأ والعطش والصدى مصادر لأفعال الباب الرابع الدالّة على الخلوّ، والفرق بينها أنّ العَطَش ضِدُّ الرِّيَ وهو الحاجة إلى شُرب الماء بغية الارتواء فهو كالجوع إزاء الشبع، يقال: عطش عَطَشاً وأعْطَشْته وعَطَّشْت الإبل إذا زِدتّ على ظمئها في حَبْسها عَن المَاء وَذَلكَ أَنْ يكونَ نوبتُها في الْيَوْم الثالث أو الرابعِ فتسْقِيها فوْقَ ذَلك بيَوْم فإذا لم تُبالغْ قلت أَعْطَشْتها. والصَّدَى هو شِدَّة العَطَش وَقد صَدِي صَدًى فَهُوَ صاد وصَدٍ وصَدْيانُ وَالْأُنْثَى

صَدْيى وَالْجمع صِدَاءٌ، وأما الظَّمَأ فهو أهونُ العَطَش وَقد ظَمِئ ظَمَأً، كأنّه أول العطش[1].

س: عبّر الإمام (عليه السلام) عن فرح الوالي وسرووه بلفظة التبجّح، فما الفرق بين الفرح والسرور والتبجّح؟

سبق التفريق بينها في المقطع الثاني في تحليل قوله عليه السلام (ولا تبجّحن بعقوبة).

س: ذكر (عليه السلام) (إعواز أهل الأرض)؛ فلم لم يستعمل (فقرهم)؟

العوز مقدمة للفقر فالذي يزرع أرضه يأمل في نفسه أنْ يكتفي منها بسدّ حاجته. فإذا لم يظفر منها بشيء فهو مُعوزٌ، يقال: أعْوَزَهُ الشيء، إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه. وعَوِزَ الرجل وأَعْوَزَ، أي افتقر ابتداء. وأَعْوَزَهُ الدهر، أي أحوجه[2]. وأما الفقر فمتمكّن في صاحبه وإنّما سمي الفقير كذلك؛ لأنه كمن كسرت فقار ظهره من الحاجة.

س: ذكر (عليه السلام) سوء الظّنّ معلّلًا به نفسيّة الوالي الظالم لأهله، فهل الظّنّ بمعنى الشّكّ؟

سبق التفريق بينهما في المقطع الرابع.

المستوى البلاغيّ

س: استخرج الكنايات الواردة في النصّ، ووضّح المراد منها.

١ـ في قوله (عليه السلام): "لإشراف أنفس الولاة على الجمع" كناية عن الطمع.

٢ـ "وسوء ظنّهم بالبقاء" كناية عن كون الرئاسة عندهم تشريفًا وليست خدمة للعباد، فهم لا يحرصون على بلادهم.

---

(١) ينظر: الصحاح (صدي، ظمأ، عطش).

(٢) ينظر: الصحاح (عوز).

٣ـ " وقلّة انتفاعهم بالعبر" كناية عن عدم تقواهم.

س: عيّن نوع الفنّ البلاغيّ فيما يأتي:

١ـ "لم يستقم أمره": فيه استعارة تمثيليّة، فالأمر لا يستقيم؛ لأنّه لا يعقل، وإنّما الاستقامة من شأن العقلاء. فاستعير للأمر مبالغة في شبه الأمر بشخص له استقامة.

٢ـ "فإنّه ذخر": تشبيه بليغ حذف منه أداة الشّبه ووجه الشّبه؛ إذ شبّه (عليه السلام) ما يقوم به الوالي من تخفيفه المؤونة عنهم بما يدّخره الإنسان من الكنوز ليوم شدّته، والأصل أنّه كالذّخر في الانتفاع به.

٣ـ "الناس كلّهم عيال على الخراج" فيه استعارة مكنيّة إذ شبّه (عليه السلام) الخراج بالرجل الذي يعول أسرته، ثمّ حذف الرجل وأبقى لازمه وهو إعالته لعياله.

٤ـ "وتبجّحك باستفاضة العدل": فيه استعارة مكنيّة؛ إذ شبّه (عليه السلام) العدل بالبحر الذي يفيض ماؤه ثمّ حذف المشبّه به وأبقى لازمه وهو الفيضان.

س: في النصّ أساليب متنوّعة للتوكيد، وهو فنّ مهمّ من علم المعاني، عيّن هذه الأسالي.

١ـ أسلوب الحصر بأداة النفي (لا) والاستثناء (إلّا) الملغاة، وهو أقوى أنواع التوكيد، وهو في قوله (عليه السلام): "لا يدرك إلّا بالعمارة" و"لم يستقم إلّا قليلًا" و"لا صلاح لمن سواهم إلّا بهم".

٢ـ أسلوب القصر بإنّما، كما في قوله (عليه السلام): "وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها" وقوله: "وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع".

٣ـ التكرار اللفظيّ لكلمة (الصلاح) بالترديد الاشتقاقيّ، ممّا يزيد في تأكيد هذا الأمر بقوله (عليه السلام): "بما يصلح أهله، فإنّ صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سواهم، ولا صلاح.. " إذ تكرّرت اللفظة باشتقاقاتها خمس مرّات.

٤ـ توكيد لفظيّ في قوله (عليه السلام): "لأنّ الناس كلّهم عيال" إذ أكّدت لفظة الناس وهي اسم (إنّ) بـ(كلّ) المضاف إلى الهاء توكيداً لفظيًّا.

٥ـ استعمال الحرف المشبّه بالفعل (إنّ) نحو: "فإنّه ذخر"، " فإنّ العمران..."

٦ـ استعمال النون الثقيلة وهي حرف التوكيد المتّصل بآخر الفعل في "ولا يثقلنّ عليك شيء ".

س: للفاصلة الصوتيّة أثر في تنغيم الكلام، وهي في علم البديع تسمّى في الكلام المنثور بالسجع، وضّح المراد بهذا المصطلح، وبيّن لِمَ كان استعمال السجع في نهج البلاغة شبهة لدى المرجفين بنسبة النهج إلى أمير المؤمنين؟

احتواء النهج على السجع من الشبهات الكبيرة لدى المشكّكين بنهج البلاغة؛ لأنه ظاهرة أدبية متأخّرة، وأمّا السجع قبل الإسلام فقد نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما ورد في النهج يخالف ذلك النهي. وردّ مناصرو النهج ومؤيدوه ذلك بأنّ السجع على نوعين:

الأول: السجع المتكلّف الذي يغلّب اللفظ على المعنى كسجع الكهّان الذين يُعنون بالكلمات المنمّقة ذات الفواصل المشتركة على حساب المعاني، وهذا النوع من السجع مرفوض، وهو الذي نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن الإتيان به في الكلام.

والآخر: هو السجع المستحسن، وفيه تنساب الكلمات فتغمر السامع بالتأثير والشدّ، وهذا السجع محمود عند الأدباء، وقد أخذ به القرآن الكريم في سوره المكيّة، كالذاريات والواقعة والرحمن والقمر، وما ورد في القرآن من العبارات المسجوعة يفوق ما ورد في النهج جميعه، وكذا أخذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسجع في كثير من أقواله. ولّما وقف بعض الشرّاح على قوله (عليه السلام): (هَلْ مِنْ مَناصٍ أو خَلاصٍ أو معاذٍ أو ملاذٍ أو فرارٍ أو مَحارٍ) وقوله (عليه السلام): (فاتّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ من سَمِعَ فَخَشَعَ واقْتَرَفَ فاعْتَرَفَ ووَجِلَ فعَمِلَ) قال: "إنّك إذا لاحظت كلّ لفظة منها وجدتها آخذة

برقبة قرينتها، جاذبة إليها، دالّة عليها بذاتها، ومحسنات كلامه (عليه السلام) غنيّة عن الإظهار، غير محتاجة إلى التذكار"[1] بل إنّ بعض المشكّكين لم يعترف بهذه الشبهة، كمحمد طاهر درويش الذي قال: "استناد بعض المشكّكين في نهج البلاغة إلى شيوع السجع فيه لا يصلح دليلًا على إطلاقه؛ لأنّ الرسول والخلفاء قبل عليّ وغيرهم من الفصحاء كانوا يسجعون"[2].

وقد أُعجب البلغاء والأدباء بأسجاع أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومنهم قدامة بن جعفر الذي قسّم السجع على أنواع، ومثّل لكلّ نوع فقال: "... فمما أتى في نهاية النظم قول أمير المؤمنين. رض - في بعض خطبه: " أينَ من سعى واجتهَدَ، وجَمَعَ وعدّدَ، وزخْرفَ ونجّدَ، وبنَى وشيَّدَ) فأتبع كلّ حرف بما هو في جنسه، وما يحسن معه نظمه، ولم يقل: أين من سعى ونجد، وزخرف وشيد، وبنى وعدد، ولو قال ذلك لكان مفهومًا ومن قائله مستقيمًا، وكان مع ذلك فاسد النظم، قبيح التأليف"[3] يريد أنّ اختلال الترتيب في كلمات الإمام (عليه السلام) يفسد النظم والتأليف.

(١) منهاج البراعة للخوئي ٧٠/٦.

(٢) الخطابة في صدر الإسلام ٣٣٣/١.

(٣) نقد النثر ٧٧.

المقطع الحادي عشر: الطبقة الخامسة (الكُتّاب)

قوله (عليه السلام): " ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمورِكَ خَيْرَهُمْ، اخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الاخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَفٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأٍ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ. ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ للهِ وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمْرَهُ. وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ".

المعنى العام(١)

اختلف الشراح في المراد من الكتّاب، فذهب بعضهم إلى أنّهم الوزراء؛ لأنّ الوزير تصل إليه مكتوبات العمّال، وعنه تصدر الأجوبة. ورأى آخر أنّ الوزير وإنْ كان يشتغل بالكتابة وإنشاء ما يهمّ من الكتب في بعض الأزمان، إلّا أنّه ليس هو الكاتب فلا يصح لغةً وعرفًا توصيف الوزراء بالكتّاب. ويبدو أنّ المراد بالكتّاب هم غير الوزراء؛ لأنّ الوزراء هم الحكام الذين يُعيّنهم الوالي وقد خصّهم (عليه السلام) بالكلام في أوّل العهد، أمّا الكتّاب فمنهم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٧٦-٨٣.

كتّاب الوالي الذين يحرّرون أوامره ومرافق الدولة وفروعها، وهم المسؤولون عن تنظيم ما يرد على الوالي من مكاتبات وقضايا، ومنهم كاتب السّرّ الذي أوصى (عليه السلام) أنْ يكون أجمع الكتّاب للأخلاق الصالحة.

ومنهم كاتب الدّيوان العامّ الذي ترد عليه مكاتبات العمّال ويجيب عنها على وفق منهج الوالي. ومنهم عامّة الكتاب الذين أشار إليهم (عليه السلام) بقوله: "واجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأسًا منهم"، وتتجلى أهمية إفراد الكتّاب بمقطع خاص من العهد الشريف بأنّ من أهمّ النظم الرّئيسة في الدّول الرّاقية والمتمدّنة آنذاك هو نظام الديوان والكتابة، فقد عُني به الملوك والرّؤساء من عهد قديم، وتمثّل في النظام الإسلامي في عهد النّبي صلّى اللّه عليه وآله في كتابة آي القرآن، ودار حول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر كاتبًا يوصفون بكتّاب الوحى يرأسهم أمير المؤمنين عليه السلام، وقد عُني النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم بالكتّاب في زمن البعثة حتّى جعل فداء أسرى الحروب الكاتبين تعليم الكتابة لعشر نفر من المسلمين، وكان عليّ عليه السّلام هو الكاتب المخصوص للنّبي صلّى اللّه عليه وآله، يتولّي كتابة العهود والمواثيق بينه وبين النّاس في مواقف كثيرة، منها كتابه عهد الصّلح بين المسلمين وقبائل اليهود الساكنين حول المدينة في صدر الهجرة، ومنها العهد التاريخي المنعقد بينه صلّى اللّه عليه وآله وسلم وبين قريش في واقعة الحديبية حيث منعت قبائل قريش المسلمين من دخول مكّة المكرّمة لأداء العمرة وصدّوهم في وادي حديبية وعرّضوهم للحرب، فامتنع النبيّ صلّى اللّه عليه وآله عن إثارة حرب في هذه الواقعة وتردّد بينه وبين قريش عدّة من الرّجال حتّى تمكّن سهيل بن عمرو من عقد صلح بين النبيّ صلّى اللّه عليه وآله مع قريش في ضمن شروط ثقيلة على المسلمين وتولّى عليّ عليه السّلام كتابة هذا العهد، كما في سيرة ابن هشام(١).

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٥/٤ وما بعدها.

المستوى الصوتيّ

مكائد أصلها (مكايد) لأنها من الكيد، كيف توجّه هذا الإعلال؟

معنى "مكائدك: خططك الخفية ضد أعدائك"(١)، والمفرد (مكيدة) على وزن (مفِعلة) واشترط أنْ لا تقلب كلّ من الواو والياء والألف همزة في الجمع (مفاعل) إلا إذا كانت مدة زائدة في المفرد؛ ولذا ورد لفظ (معايش) بالياء في قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} ﴿الأعراف: ١٠﴾ و{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} ﴿الحجر: ٢٠﴾، قال الزمخشري: " مَعَايِش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها، وما يتوصل به إلى ذلك، والوجه تصريح الياء.

وعن ابن عامر: أنه همز، على التشبيه بصحائف"(٢). ولّما كانت ياء مكيدة مدّة أصلية لأنّها عين الكلمة من (كاده يكيده كيدًا) يكون همزها في قول أمير المؤمنين من باب التشبيه بصحيفة صحائف. وعلّة التشبيه يمكن الاحتكام إليها في توجيه كثير من الإجراءات الصوتية في أبنية الكلم العربي التي وجهت تسمّحًا بالشذوذ لدى الصرفيين كجمع (مدير) على (مدراء) والقياس (مديرون) لأنّ (مدير على وزن مفعل) ولكنه أشبه ما وزنه (فعيل) فجمع على فُعلاء. وكمنع أشياء من الصرف في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} ﴿المائدة: ١٠١﴾ فأشياء على وزن أفعال وحقّها أنْ تصرف، ولكنّها أشبهت وزن فعلاء فمنعت من الصرف. وغير هذا كثير في كلام العرب الذي لا ينبغي حمله على الشذوذ بل على التشبيه.

---

(١) في ظلال نهج البلاغة.

(٢) الكشاف ٢/٨٥.

المستوى الصرفيّ

س: اذكر أحرف الزيادة في الأفعال الآتية، وبيّن معناها الصرفيّ.

١ـ تُبطره: مضارع من (أبطر) المزيد بهمزة القطع المحذوفة لصياغة المضارع، والبطر هو شدّة المرح، وتجاوز الحدّ فيه من الباب الرابع، وبطر الحقّ: أنْ يتكبّر عنه فلا يفعله، وبطر النعمة: سوء احتمالها وقلّة القيام بحقّها وصرفها إلى غير وجهها {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ} ﴿الأنفال: ٤٧﴾ و{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} ﴿القصص: ٥٨﴾ أصله بطرت معيشته فصُرف عنها الفعل ونُصب.

٢ـ يجترئ: مضارع ماضيه مزيد بهمزة الوصل والتاء (اجترأ) والزيادة أفادت معنى إظهار الجرأة، يقال: جرؤ على الباب الخامس فهو جريء، والجُرأة الإقدام على الشيء بلا خوف، واجترأ فلان على غيره أظهر جرأته وإقدامه.

٣ـ اعتقده: ماض مزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت معنى الاتخاذ؛ إذ يقال: عقد الحبل فانعقد، أي: جمع بين أطرافه، وأعقده غيره، واعتقد مالًا: اقتناه، كأنه اتخذ كيسًا معقودًا مشتملًا على المال، واعتقد الضيعة: اتّخذها، ويستعار للمعاني كالاعتقاد الذي هو اتخاذ عقيدة معينة.

٤ـ يتعرّضون: مضارع مزيد بالتاء وتضعيف العين (تعرّض) على تفعّل والزيادة تفيد التدرّج في حصول الفعل، يقال: عرض الشيء له على الباب الثاني: أظهره له، وتعرّض له: تصدّى، يقال: تعرّضوا لنفحات رحمة الله، وتعرّضَ للمسألة: تصدّى لها وطلبها، أو واجهها، وتعرّض للمعروف: تصدّى.

٥ـ يتشتّت: مضارع مزيد بالتاء وتضعيف العين (تشتّت) على تفعّل، والزيادة تفيد المطاوعة، يقال: شتّ الشيء: تفرّق وشتّته فتشتّت.

٦ـ تغابيت: ماض مزيد بالتاء والألف على تفاعل (تغابى) يفيد التّكلّف وهو إظهار الشيء على غير حقيقته، أي: إظهار الغباء. ويكون في الأمور غير

المحمودة، نحو: تغافل وتجاهل وتثاقل، والمجرّد غبِي على الباب الرابع بمعنى قلّة الفطنة. وغبيت في الشيء: جهلته.

٧ـ وُلّيت: ماض مبنيّ للمجهول مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول الثاني، والأصل: ولّى الله تعالى إيّاك أمره ثمّ بُني للمجهول، ولّيتَ أمرَه والتاء نائب فاعل.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكَمًا، واذكر دلالتها الصرفيّة.

كرامة، فِراسة، استنامة، تصنُّع، الصّواب، نصيحة، مكائد، وجود.

المستوى النحوي

س: ما نوع (ما) في: "ولكن اختبرهم بما ولّوا للصالحين قبلك"؟

(ما) موصولة، فهي اسم مبنيّ في محلّ جرّ بالباء، والتقدير: بالولاية التي ولّوها، والعائد محذوف.

س: ما نوع (كان) في: " فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثرًا "؟

يجوز أنْ تكون ناقصة، واسمها مستتر يعود على (أحسنهم)، وخبرها الجارّ والمجرور (في العامّة)، و(أثرًا) تمييز لأفعل التفضيل (أحسنهم). ويجوز أنْ تكون زائدة غير عاملة سماعًا؛ إذ توسّطت بين اسم التفضيل وتمييزه. ومن مواضع زيادة كان أنْ تأتي بين المتلازمين كالفعل ومفعوله والصفة والموصوف والمبتدأ والخبر وغير ذلك.

س: علّل إعمال المصدر في قوله (عليه السلام): "ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك".

عمل المصدر (اختيارك) عمل فعله، فنصب مفعولًا به وهو الضمير المنفصل (إيّاهم)، والفاعل ضمير الكاف الذي أضيف المصدر إليه فبقي المفعول به منصوبًا. والمصدر (اختيار) اسم (كان) الناقصة، وخبرها محذوف يتعلّق به الجارّ والمجرور (على فراستك).

س: علّل الابتداء بالنّكرة في قوله (عليه السلام): "وليس وراء ذلك من النّصيحة والأمانة شيء"؟

النّكرة (شيء) هي اسم للفعل الماضي الناقص (ليس)، وخبرها ظرف المكان (وراء) المبنيّ على الفتح، وإنّما ساغ الابتداء بالنّكرة لتقدّم خبرها عليها.

س: أعرب مفصّلا قوله (عليه السلام): (ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت عنه أُلزمته).

المستوى المعجميّ

س: قال (عليه السلام): "ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك"، لماذا اختار الإمام (عليه السلام) لفظة الغفلة دون السهو أو النسيان؟

سبق أنْ فرّقنا بين هذه الثلاثة في تحليل المقطع الثالث من الجزء الأول.

س: يفسّر التّشتّت معجميًا بالتّفرّق والتفكيك، فهل تؤدّي هاتان اللفظتان المعنى ذاته في قوله (عليه السلام): "ولا يتشتّت عليه كثيرها"؟

(التشتت) تفريق في انتشار وتبعثر، يقال شتّ جمعهم شتًّا وشتاتًا، وجاءوا أشتاتًا أي متفرّقي النظام، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} ﴿الزلزلة: ٦﴾ والتشتت خلاف الألفة فقال تعالى: {وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} ﴿الحشر: ١٤﴾ أي هم بخلاف من وصفهم بقوله تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} ﴿الأنفال: ٦٣﴾. والتفكيك خلاف الاستمساك والالتصاق؛ لأن التفكيك ما يصعب من التفريق وهو تفريق الملتزقات من المؤلفات، أما التفريق فخلاف الجمع ويكون في الملتزقات وفي غيرها؛ ولهذا لا يقال: فككت النِّخالة بل فرّقتها.

س: وضّح انتقال مجرى الدلالة في الألفاظ الآتية:

١ـ لفظة البطر في قوله (عليه السلام): "ولا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك".

البطر، أصله من الشّق، بطر بطنه: شقّه، والبيطار هو معالج الدّواب بشقّ بطنها، البيطر: المشقوق، وهو أصل مادّي، ثمّ انتقلت الدلالة من المجال المادّيّ إلى المجال المعنويّ، فصار يعبّر به عن تجاوز الحدّ في المرح. وبطر النعمة كأنّه انشقّ عن الوجه المحمود للنعمة فلم يتحمّلها.

٢ـ الفراسة "ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحسن الظّنّ منك".

الفراسة: أصل اللفظة من الفَرس وهو وطْءُ الشيءِ الشيءَ بالأرجل ودقُّه، ثمّ انتقلت من المجال المادّيّ (المحسوس) إلى المجال المجرّد (المعنويّ) فصارت تدلّ على إصابة النظر في الأمر والمسألة كأنّه وطأها ووقف على علّتها.

٣ـ لفظتا الإصدار والجواب في قوله (عليه السلام): "وإصدار جواباتها على الصواب عنك".

الإصدار: أصله من صرف الرعاء لدوابّهم عن الماء بعد إيرادهم ايّاه، أصدر الرعاء دوابّهم: سقوها وصرفوها عن الماء، والمجرّد صدر عن الماء {لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} ﴿القصص: ٢٣﴾ ثمّ انتقلت الدلالة من المجال المادّيّ إلى المعنويّ فقيل: أصدر الأمر: إذا أنفذه وأذاعه. والأصل في إرجاع المواشي عن الماء بعد سقيها، ثمّ انتقل إلى إرجاع الجوابات إلى أصحابها بعد النظر. أمّا جواباتها: فأصل الجواب هو القطع والخرق على الباب الأوّل {وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} ﴿الفجر: ٩﴾ يقال: جبت الأرض جوبًا: قطعتها، والجوبة كالغائط؛ لأنّه كالخرق في الأرض، ثمّ انتقلت الدلالة من قطع الأرض إلى مراجعة الكلام بمرحلتين: الأولى جواب الكلام وهو ما يقطع الجوب فيصل من فم القائل إلى سمع المستمع، ثمّ حصل تخصيص بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} ﴿الأعراف: ٨٢﴾

فالجواب يقال في مقابلة السؤال. يقال: أجاب عن سؤاله إجابة، والاسم الجابة كالطاعة والطاقة.

٤ـ الصّواب: أصله نزول المطر واستقراره، والنازل صوب، قال تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} ﴿البقرة: ١٩﴾ وأصابهم: إذا وصل إلى المرمى، ثمّ انتقلت الدلالة للمجرّد فصار الصواب في القول أو الفعل كأنّه أمر نازل مستقرّ قراره وهو خلاف الخطأ.

٥ـ الملأ في (فِي خِلَافِ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأٍ) الملأ على وزن فَعَل، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه يدلّ على الجماعة من الأشراف وعلية القوم الذين يملؤون العين رواء ومنظرًا، والنفوس بهاء وجلالًا، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} ﴿البقرة: ٢٤٦﴾، وهو من الفعل ملأ يملأ على الباب الثالث والمصدر المَلْء، والمِلْء: اسم لمقدار ما يأخذه الإناء إذا امتلأ، وفلان مِلْء العين أي: معظّم عند من رآه كأنّه ملأ عينه من رؤيته.

المستوى البلاغيّ

س: اذكر الفنون البلاغيّة في العبارات الآتية:

١ـ "فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل".

في العبارة أسلوب الإيجاز، وهو من فنون علم المعاني؛ إذ تعدّ العبارة حكمة بليغة اختصر فيها (عليه السلام) معنى واسعاً، وهو أنْ لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فيرفعها فوق محلّها ومرتبتها.

٢ـ " واجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأسًا منهم ".

في العبارة استعمال مجازيّ إذ شبّه (عليه السلام) الأمر المهمّ بالرأس، وهو مجاز لغويّ؛ لأنّ الأمور لا رأس لها، ولكن لأهمّية بعضها يوصف بالرأس. و"رأسا منهم": مجاز مرسل بعلاقة الجزئيّة إذ عبّر بلفظة الرأس الثانية عن الكاتب المختصّ بأمر مهمّ من بين الأوامر المهمّة الأخرى.

٣ـ "واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق".

في استعمال لفظ (المكيدة) استعارة تمثيليّة، فهذه اللفظة لم تستعمل على حقيقتها؛ إذ إنّ الكيد بمعنى: المكر والخبث، وهو ضرب من الاحتيال، وهو مذموم على حقيقته {فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ} ﴿الصافات: ٩٨﴾، وإذا استعير في الانتصار للخير صار محموداً، ومكائد الوالي العادل تكون في نصرة الحقّ وأمن الرّعيّة، وذلك بالتّورية في الكلام أو التّعريض فيه فـ "في المعاريض مندوحة عن الكذب"؛ وبذا شبّهت هيأة هذه الأساليب من الوصول إلى مجازاة الظلمة بهيأة الكائد الذي يخفي إنزال ضرّه، ويظهر أنّه لا يريده، ومثل هذا قوله تعالى: {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} ﴿يوسف: ٧٦﴾ أي: مكّناه من استرجاع أخيه بلا خداع أو كذب[١]، وإنّما كانت تورية من قول المنادي بالسّرقة؛ إذ لم يكن يعلم يعلم بحقيقة الأمر. وكذا قوله تعالى: {وَأَكِيدُ كَيْدًا} ﴿الطارق: ١٦﴾ أي: أجازيهم على عملهم بإمهالهم في الدّنيا دون عقوبة، فهو انتقام من حيث لا يشعرون جزاء على كيدهم وإرادتهم الضّرّ.

٤ـ "وإصدار جواباتها على الصّواب عنك".

في هذه العبارة أسلوب التعريض؛ إذ ينبّه فيه الإمام (عليه السلام) على ما جرى في عهد عثمان من إصدار مروان بن الحكم لجوابات عثمان إلى الولاة، وتصرّفه في الحكم دون الرجوع إلى وليّه حتى جرى ما جرى من انقلاب الناس عليه وقتله.

---

(١) ينظر: المفردات (كيد).

المقطع الثاني عشر:

الطبقة السادسة (التّجّار وذوو الصناعات)

قوله (عليه السلام): "ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ. وَاعْلَمْ مَعَ ذلِكَ أَنَّ فِي كَثِير مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّة لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلاَةِ، فَامْنَعْ مِنَ الاْحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْل، وَأَسْعَار لاَ تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَاف.

المعنى العام[1]

التجارة شُغل شريف حثّ عليها الشرع الإسلامي لكونها وسيلة لتبادل الحاصلات الزراعيّة والمنتجات الصّناعيّة، وهذا التبادل ركن رئيس في ديمومة حياة المجتمع، وقد وردت أخبار كثيرة في مدح التجارة والترغيب إليها، ففي الخبر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تسعة أعشار الرزق في التجارة وواحدة في سائر المكاسب[2]. والأخبار في فضل التجارة كثيرة مستفيضة، وكفى في فضل التّجارة أنها كانت شغل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل أنْ يبعث نبيًّا، وقد سافر إلى الشّام في التجارة مع عمّه أبي طالب

(١) شرح نهج البلاغة ١٧/ ٨٣-٨٥.

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر ٣٥٢/٧.

عليه السلام وهو غلام لم يبلغ الحلم، ثمّ صار عاملًا لخديجة بنت خويلد وسافر إلى الشّام للتجارة مرّة اخرى، وقد أعجبت خديجة بأمانته وكفايته فتزوّجها[1].

وقد وصف عليه السّلام التجّار بما لا مزيد عليه من خدمتهم في الاجتماع الإنسانيّ وحمايتهم المدنيّة البشريّة، فقال: (والمضطرب بماله) أي من يجعل ماله متاعًا يدور به في البلاد البعيدة يقطع المفاوز ويعرّض نفسه للأخطار ليصل حوائج كلّ بلد إليه. ووصفهم بأنّهم موادّ المنافع وأسباب المرافق.

وفي العصر الحديث صارت التجارة محورًا للسّياسة العامّة للدّول العظمى وصارت المنافع التجاريّة أساسًا لسياسة الدّول ومثارًا للحروب الهائلة ومدارًا للمعاملة مع الشّعوب، ونبّه عليه السّلام إلى أنّ الروابط التجّاريّة تفيد الشّعوب وعامّة البشريّة من جهة أنها سبب لاستقرار السّلم والصّلح بين أفراد الأمّة وبين الشّعوب، فقال عليه السّلام (فإنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته) فيا لها من جملة ذهبيّة حيّة فيها الحلّ الناجع لاستقرار الصّلح العالميّ والسّلم العامّ بين الشعوب.

وأمر عليه السّلام بتفقّد أحوال التجار تكميلًا لتوصيته لهم بالخير والحماية لرؤوس أموالهم عن التّلف والسّرقة بأيدي اللّصوص، وهذه توصية بإقرار الأمن في البلاد وفي طرق التّجارة بحرًا وبرًّا، وقد التفتت الأمم الرّاقية إلى ذلك فاهتمّوا باستقرار الأمن في البلاد والطّرق، وفي حفظ رؤوس الأموال التجّاريّة عن المكائد والدسائس المذهبة لها، فقال عليه السّلام: (تفقّد أمورهم بحضرتك) أي في البلد (وفي حواشي بلادك) أي في الطّرق والأماكن البعيدة.

ثمّ نبّه عليه السّلام على أخلاق التجّار، وأهمّها رعايتهم المحتاجين في معاشهم، وتجنّبهم خلق الشحّ وطلب الادّخار والاستكثار من المال الكامن في طبع كثيرٍ منهم، فإنّه يؤول إلى الاستعمار والتسلّط على أجور الزرّاع والعمّال

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ١/١٨٨.

إلى حيث يؤخذون عبيدًا وأسرى لأصحاب رؤوس الأموال فوصفهم بقوله عليه السّلام: إنّ في كثير منهم (ضيقًا فاحشًا) أي حبًّا بالغًا في جلب المنافع وازدياد رقم الأموال المختصّة بهم ربما يبلغ إلى الجنون ولا يقف بالملايين والمليارات.

و(وشحًّا قبيحًا) يمنع من السّماح لسائر الأفراد بما يزيد على حاجته بل بما لا يقدر على حفظه وحصره و(احتكارًا للمنافع) بلا حدّ ولا حساب حتّى ينقلب إلى جهنّم. و(تحكّمًا في البياعات) أي يؤول ذلك الحرص الجهنّمي إلى تشكيل الشركات والانحصارات الجبّارة فيجمعون حوائج النّاس بمكائدهم وقوّة رؤوس أموالهم ويبيعونها بأيّ سعر أرادوا وبأيّ شروط خبيثة تحفظ مزيد منافعهم وتقهر النّاس وتشدّد سلاسل مطامعهم ومظالمهم على أكتافهم. واستنتج عليه السّلام من ذلك مفسدتين مهلكتين: أولهما: (باب مضرّة للعامّة) وأيُّ مضرّة أعظم من الأسر الاقتصادي في أيدي ثعابين رؤوس الأموال. والآخر: (وعيب على الولاة) وأيّ عيب أشنأ من تسليم الأمّة إلى هذا الأسر المهلك. فشرّع عليه السّلام لسدّ هذه المفاسد، المنع من الاحتكار للمنافع. والاحتكار على وجهين، الأول: احتكار الأجناس كحبس الطّعام، أو مطلق الأقوات بغية انتظار الغلاء. والآخر: احتكار المنافع، وهو الحرص على أخذ الربح زائدًا عن المقدار.

المستوى الصوتيّ

س: علّل صوتيًّا قلب الصّائت الطويل (الياء) همزة في لفظة (البائع)، وقلبها ألفًا في لفظة (المبتاع) من قوله (عليه السلام): "وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع"؟

البائع أصله (البايع) ورأى الصرفيّون القدماء أنّ الياء لما وقعت عينًا في اسم فاعل أعلّت في فعله (باع) بقلبها ألفًا، أُعلت كذلك في اسم الفاعل فقلبت همز. أما علماء الأصوات المحدَثون فلم يرضوا بهذا التعليل ورأوا أنّ

الذي جرى في اللفظة هو حذف الياء وبقاء كسرتها بعد الألف فاجتلبت الهمزة وسطًا بين الألف والهمزة كما في التشكيل: (با، يِ، عُ) والمقطع الثاني مكوّن من مزدوج صوتي (الياء والكسرة) فحذفت الياء وبقيت الكسرة كما في التشكيل (با ـِ) فظهر المقطع الأول من قمّتين وهذا لا يجوز في مقاطع العربيّة فانزلق النطق من الألف إلى الكسرة بصوت الهمزة.

أمّا (مبتاع) فاسم مفعول من (ابتاع) وأصل الألف في الفعل واسم المفعول ياء؛ لأنهما من البيع (ابتَيَع، مبتَيَع) ولما تحركت الياء وسبقت بفتح قلبت ألفًا فيهما على وفق توجيه الصرفيّين القدماء، لكن الأصواتيّين المحدَثين رفضوا هذا التعليل ورأوا أنّ الذي حصل هو حذف الياء واجتماع الفتحتين فصارتا ألفًا كما في التشكيل:

ابتَيَع = (إِب، تَ، يَ، عَ) المقطع الثالث مزدوج صوتي فخفف بحذف الياء.

= (إِب، تَ ـَ، عَ) فاجتمعت الفتحتان على التاء فصارتا ألفًا.

مبتَيَع = (مُب، تَ، يَ، عُ) المقطع الثالث مزدوج صوتي فخفف بحذف الياء

= (مُب، تَ ـَ، عُ) فاجتمعت الفتحتان على التاء فصارتا ألفًا.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج جموع التّكسير الواردة في النصّ، وبيّن نوعها، واذكر مفرداتها.

١- تُجّار: فعّال جمع كثرة، مفرده تاجر، من تجر يتجر على الباب الأوّل، وهو الذي يبيع ويشتري، واسم الجمع منه تَجْر بفتح وسكون.

٢- موادّ: فواعل، جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، مفرده مادّة على زنة فاعلة، والمادّة هي الزيادة المتّصلة، من مدّ الله في عمره يمدّ مدًّا على الباب الأوّل: طوّل له وأمهله، وهو أصل يدلّ على الجرّ واتّصال شيء بشيء، مدّ

النهر ومدّه نهر آخر، أي: زاد فيه وواصله. ومدّ النهار: ارتفاعه {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} ﴿الفرقان: ٤٥﴾.

٣- المنافع: مفاعل، جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، مفرده منفعة على زنة مفعلة، وهي مصدر ميمي من نفعه ينفعه نفعًا على الباب الثالث ضدّ ضرّه.

٤- أسباب: أفعال، جمع قلّة مفرده سبب، وهو الحبل وكل شيء يتوصّل به إلى غيره.

٥- المرافق: مفاعل، جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، مفرده على زنة مفعل، ويجوز أنْ يكون اسم مكان من رفق يرفق على الباب الأوّل ضدّ العنف، والمرفق بكسر العين هو موصل الذراع في العضد، ومرافق الدار: مصابّ الماء فيها، ويجوز أنْ يكونا مصدرًا ميميًّا بمعنى الرفق وهذا هو الرّاجح؛ لأنّه (عليه السلام) أضاف إليه لفظة الأسباب، أي: الطّرق المؤدّية لرقّة العيش وسهولته.

٦- جلّابها: فُعّال جمع كثرة، مفرده جالب على زنة (فاعل)، نحو: طالب وطلّاب، من جلب يجلب على الباب الثاني جلبًا: أتى بالشيء من موضع آخر، والجلب: المتاع.

٧- المَباعد: مَفاعل، جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، مفرده مَبعد على (مَفعل)، وهو اسم مكان لما هو بعيد، يقال: بعُد يبعُد على الباب الخامس ضدّ القرب.

٨- المطارح: مَفاعل، جمع كثرة مفرده مَطرح على (مَفعل) وهو المكان المطروح لصعوبة الوصول إليه، من طرح الشيء يطرحه على الباب الثالث أي: رماه.

٩- مَواضعها: مفاعل جمع كثرة، مفرده (موضع) على (مفعل) اسم مكان من وضع الشيء يضعه على الباب الأوّل وضعًا، دالّ على الخفض والحطّ.

١٠- حواشي: فواعل، جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، مفرده حاشية، وهي جانب الشيء، من حشا يحشو حشوًا على الباب الأوّل، والحشو: ما يملأ به الوسادة، وفلان حشو بني فلان، أي: من رذّالهم؛ لأنّ الذي تُحشى به الأشياء لا يكون من أفخر المتاع بل أدونه. وحاشية الثوب: جانبه، وكذا الحشو: فضل الكلام. وأراد (عليه السلام) بحواشي البلاد: أطرافها؛ لأنّها بعيدة عن المركز الذي عبّر عنه بقوله (بحضرتك).

١١- موازين: مفاعيل، جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، مفرده ميزان على (مفعال)، وهو آلة الوزن. وهذه اللفظة ممنوعة من الصرف، وإنّما صرفت وجرّت بالكسرة بدل الفتحة لإضافتها لما بعدها.

١٢- أسعار: أفعال، جمع قلّة مفرده: سعر بكسر الفاء، من سعر النار يسعرها على الباب الثالث إذا هيّجها وألهبها. وسمّي سعر الطعام؛ لأنّه يرتفع ويعلو، كما أنّ سعير النار هو توقّدها وارتفاعها، والسّعر بضمّ الفاء هو الجنون؛ لأنّه يستعر في الإنسان ويشتعل، ناقة مسعورة لحدّتها وهياجها كأنّها مجنونة. قال تعالى: {فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} ﴿القمر: ٢٤﴾.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، واذكر دلالتها الصرفيّة.

استوص، أوص، بائقة، غائلة، يلتئم، حضرتك، احتكارًا، حُكرة، تحكّمًا، البياعات، بائع مضرّة، قارفَ، نكّلْ، عاقبْ.

المستوى النحويّ

س: استخرج الجمل التي لها محلّ من الإعراب، ذاكرًا محلّها الإعرابيّ؟

١ـ جملة "لا تخاف بائقته" في محلّ رفع صفة لخبر (إنّ) النكرة (سلم). وكذا جملة "لا تخشى غائلته" صفة لـ(صلح).

٢ـ جملة "إنّ في كثير منهم ضيقًا فاحشًا" - إنّ واسمها (ضيقًا) الموصوف بـ(فاحشًا) وخبرها (في كثير) ومتعلّقه (منهم) - في محلّ نصب؛ لأنّها سدّت مسدّ مفعولي (اعلم).

٣ـ جملة "منع منه" من الفعل (منع) وهو ماض مبنيّ على الفتح وفاعله المستتر الذي يعود على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومتعلّقه (منه) في محلّ رفع خبر (إنّ)، أمّا اسمها فهو لفظة (رسول) المضافة إلى لفظ الجلالة.

٤ـ جملة "لا تجحف بالفريقين" (لا) النافية والفعل المضارع المرفوع ومتعلّقه (بالفريقين) في محلّ جرّ صفة للفظة (أسعار) النّكرة.

٥ـ جملة الأمر "فنكّل به" من فعل الأمر وفاعله المستتر (أنت) والجار والمجرور (به) في محلّ جزم جواب الشّرط لأداة الشّرط (من).

س: ما فائدة تعريف الجمعين (مواد المنافع) بأل التعريف والإضافة في دلالة النص؟

أبلغ عليه السّلام في إفادة ما للتّجارة من الأهمّية في أمر الاقتصاد فجاء بكلمة الموادّ جمعًا مضافًا مفيدًا للعموم، وبكلمة المنافع جمعًا معرّفًا باللام مفيدًا للاستغراق، فأفاد أنّ كلّ مادّة لكلّ منفعة مندرج في أمر التّجارة، فالتّجارة تحتاج إلى ما يتّجر به من الأمتعة وإلى سوق تباع تلك الأمتعة، ثمّ يؤخذ بدلها متاع آخر ويبدّل بمتاع آخر، فيستفاد من هذه المبادلات كلّها أرباحًا.

س: أعرب ما تحته خطّ في هذا المقطع.

المستوى المعجميّ

س: قيل: إن البيع والشراء يدلّان على معنيين مختلفين فهما من الأضداد، كيف توجّه ذلك انطلاقًا من استعمال لفظة (مبتاع) في هذا المقطع؟

المبتاع وهو المشتري وابتاعه بمعنى اشتراه، ويبدو أنّ ما يحصل في عمليّة البيع هو تبادل السلعة الذي لا يتمّ إلّا بوجود طرفين: بائع ومشترٍ؛ لذا اشترك الطرفان في هذه العمليّة، فيقال: باع للبائع، والمشتري والمساوم، ويقال: ابتاع، إذا باعه وإذا اشتراه، فصارت هذه الصيغ من الأضداد مع أنّ اسم الفاعل يحدّد الطرف المعطي والآخذ منهما، فيقال: بائع ومشترٍ.

وقد استعمل التعبير القرآني الاشتراء والشراء مع مفعولين أحدهما صريح والآخر مقترن بالباء والفرق بين الاشتراء والشراء يتّضح في اقترانهما بمفعوليهما فمع الاشتراء يكون المفعول الصريح مأخوذًا وغير الصريح مطروحًا بالباء كما في (اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى)، و{وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا} و{اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} و{يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} ﴿آل عمران: ٧٧﴾ و{ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ } ﴿آل عمران: ١٧٧﴾ و{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } ﴿النحل: ٩٥﴾ و{يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} ﴿لقمان: ٦﴾ فمعنى (اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى): أخذوا الضلالة وتركوا الهدى. وذلك أنّ كلّ كافر بالله فإنّه مستبدلٌ بالإيمان كفرًا، باكتسابه الكفرَ الذي وُجد منه، بدلًا من الإيمان الذي أمر به وكلّ مشترٍ شيئًا فإنما يستبدل مكانَ الذي يُؤخذ منه من البدل آخرَ بديلًا منه.

فكذلك المنافقُ والكافر، استبدلا بالهدى الضلالةَ والنفاق فأضلهما الله، وسلبهما نورَ الهدى، فترك جميعَهم في ظلمات لا يبصرون، وإنّما جاء الاشتراء مذمومًا في معظم التعبير القرآنيّ؛ لأنّه يجري على رغبة المشتري وهواه فإن كان بشرًا جاء اشتراؤه قبيحًا؛ لأنه يترك الخير ويأخذ غيره، ولم يأت الاشتراء جميلًا إلا مع الباري عزّ وجلّ في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) ﴿التوبة: ١١١﴾.

أمّا الشراء فمستعمل في التعبير القرآني مع مفعولين الصريح منهما مطروح وغير الصريح هو المأخوذ أي على النقيض من (اشترى)، وبهذا الاستعمال يكون الشراء بمعنى البيع كما في شأن إخوة يوسف {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ

دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} ﴿يوسف: ٢٠﴾ والمعنى: وباع إخوة يوسف يوسف، وكذا قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} ﴿البقرة: ٢٠٧﴾ فالآية في أمير المؤمنين عليه السلام لّما بات على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة فباع نفسه في سبيل الله[1].

س: استعمل الإمام (عليه السلام) لفظتي الخوف والخشية في قوله: "لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته" فما الفرق بين هاتين اللفظتين؟

(الخشية) هي ما يتبع الأمر المخوف منه من نتائج تتعلّق بمنزلة المكروه، ولا يسمّى الخوف من نفس المكروه خشية، وهي حدث عارض أيضًا؛ لأن فعلها خشي يخشى من الباب الرابع {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} ﴿التوبة: ٢٤﴾، فالخوف من خسارة التجارة لعدم الربح فيها، والخشية من كسادها وهو عدم رجوع أصل المال فيها[2].

وقد اجتمع الخوف والخشية في {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} ﴿طه: ٧٧﴾، أي: لا تخف من لحوق فرعون بك وبقومك، ولا تخشى الغرق. وكذلك {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} ﴿النساء: ٩﴾، أي يخافون عليهم الفقر إذا أكلوا من مال اليتيم، ويخشون تبعات الفقر من تعريض اليتيم للقتل والامتهان وضياع المستقبل. أو ليخافوا من أكل مال اليتيم لأنه حرام، وليخشوا ما يتبعه أكلهم لهذا المال من أنْ يصار ويخلف في ذريته كما صنع هو بهؤلاء اليتامى. وعلى هذه الشاكلة يمكن تأويل معنى اللفظتين في قول الإمام (عليه السلام).

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي ١٢٦/٢.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٢٤١.

س: اقترنت لفظة الإسراف بالتبذير في المال، فما الفرق بين اللفظتين، في ظل استعمال الإمام (عليه السلام) للفظة الإسراف مع العقوبة بقوله: "وعاقبه من غير اسراف"؟

التبذير في المال خاصّة وهو التفريق، وأصله إلقاء البذر وطرحه، فاستعير لكلّ مضيّع لماله، فتبذير البذر: تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه. قال الله تعالى: إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴿الإسراء ٢٧﴾، وقال تعالى: وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿الإسراء ٢٦﴾ والتبذير تضييع للمال المملوك في الحلال أو الحرام[1].

أما الإسراف فتجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، وقد يكون في المال المملوك[2] كما في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) ﴿الفرقان ٦٧﴾ أو في المال غير المملوك كأكل مال اليتامى {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا} ﴿النساء: ٦﴾ ويكون الإسراف في الكبائر كالزنا كما في قوله تعالى: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} ﴿الأعراف: ٨١﴾ والقتل: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً} ﴿الإسراء: ٣٣﴾، والإسراف في القتل أنْ يقتل وليّ الدم غير قاتله، أو بالعدول عنه إلى من هو أشرف منه، أو بتجاوز قتل القاتل إلى غيره حسبما كانت الجاهلية تفعله.

س: قال (عليه السلام): "واعلم - مع ذلك - أنّ في كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشحًّا قبيحًا"؛ فهل يمكن استبدال لفظة البخل أو الضّنّ بالشّح؟ وضّح ذلك.

(١) ينظر: المفردات (بذر).

(٢) ينظر: المفردات (سرف).

إنّ الشُّحّ هو الْحِرْص على منع الْخَيْر؛ يُقَال: زند شُحاح إذا لم يورِ نَاراً، وسمّي الحريص بذلك لمنعه الخير وهو قادر عليه. وَالْبخل منع الْحق فَلَا يُقَال لمن يُؤَدِّي حُقُوق الله تَعَالَى بخيل. أمّا الضنّ فأصله أَنْ يكون بالمعاني وَالْبخل بالهيآت؛ وَلِهَذَا تقول: هُوَ ضنين بعلْمه، وَلَا يُقَال: بخيل بعلمه؛ لأَن الْعلم معنى لا هيأة، قَالَ الله تَعَالَى (وَمَا هُوَ على الْغَيْب بضنين) وَلم يقل ببخيل[1].

المستوى البلاغيّ

اذكر نوع الفنّ البلاغيّ في ما يأتي:

١- "المضطرب بماله، والمترفّق ببدنه".

في هذه العبارة كنايتان، فالمضطرب بماله كناية عن التاجر الذي يسافر، يقال: اضطرب التاجر بماله: انتقل من بلد إلى بلد، ومن معاني (الضّرب) السّير في الأرض، قال تعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} ﴿النساء: ١٠١﴾.

وفي (المترفّق ببدنه) كناية عن أرباب الصّناعات، للذي يعتمد عليه في الكسب بكدّ عضلاته، وارتفق: اتّكأ على مرفق يده، أي: المعتمد على يديه وقوّة بدنه في طلب رزقه.

٢- "فإنّهم موادّ المنافع".

في الجملة توكيد بالأداة (إنّ) الحرف المشبّه بالفعل، ودخول (أل) الجنسيّة على لفظة (المنفعة) مجموعة لتدلّ على الاستغراق، أي: كلّ المنافع التي يحصّلها البلد هم أساسها ومدادها، فالتّجارة من فوائدها نشر العقيدة الإسلاميّة على ما نجد من إسلام دول كاملة في أفريقيا كتونس والجزائر وفي آسيا كأندنوسيا والصّين واليابان وفي أوربا كجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

٣- " في برّك وبحرك وسهلك وجبلك".

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١٧٦.

في العبارة طباق إيجاب إذ تشتمل على كلمتين مختلفتين في اللفظ والمعنى، كلّ منهما يقابل الآخر، فالبَرّ يقابل البحر، والسّهل يقابل الجبل.

٤- "فإنّهم سلم لا تخاف بائقته": في هذه العبارة توكيد بالحرف المشبّه، وكذا استعمال المصدر (سلم) لوصف المبتدأ والإخبار عنه، ويعدّ الوصف بالمصدر أسلوبًا بلاغيًّا يفيد المبالغة في إثبات الصّفة لموصوفها حتّى كأنّ بينهما مطابقة كاملة؛ اذ إنّ التّجّار وذوي الصّناعات هم وسائل لتحقيق السّلم بين الشّعوب لما يعقدونه من معاهدات ومبايعات تطفئ نار الحرب بين الأمم، والإخبار عنهم بالمصدر (سلم) يفيد التّأكيد على أنّهم السّبب الرئيس في حصول الأمن والسلام. فالتّجارة تكون أساسًا للسلم بين الشّعوب، ووصف السّلم بأنّه لا يخاف بائقته تأكيد على أنّ المقصود بالتّجّار هم الذين تكون تجارتهم بلا دهاء ولا مكر أو قصد سوء.

٥ـ "إنّ في كثير منهم ضيقًا فاحشًا... واحتكارًا للمنافع وتحكّمًا في البياعات".

في العبارة أسلوب فصل بين الجملتين (احتكارًا للمنافع) وجملة (تحكّمًا في البياعات) بحرف العطف الواو، مع أنّ ظاهر الجملتين يوحي بأنّ معناهما واحد إلّا أنّ ثمّة فرقًا بينهما استلزم الفصل، فاحتكار المنافع هو المعروف في الشّريعة الإسلاميّة من حبس الطعام عن السّوق حتى يكثر الطّلب عليه فيرتفع سعره.

أمّا التّحكّم في البياعات فهو تشكيل الشّركات الجبّارة فيجمعون رؤوس أموال الناس ويبيعونها بأي سعر أرادوا وبأي شروط، فالمراد الحرص على أخذ الأرباح من التجارات زائدًا عن المقدار المشروع بحيث تؤدّي إلى تشكيل الشّركات وتحالفها على أسعار معيّنة فيخرج وضع السّوق عن طبعه، وحينئذ لا بدّ من تدخّل الحكومة لتعيين الأسعار لكلّ جنس من البضائع بصورة عادلة.

٦ـ "وذلك باب مضرّة للعامّة": في الجملة تشبيه بليغ؛ إذ حُذفت أداة التّشبيه ووجه الشّبه، وبقي المشبّه وهو الاحتكار للمنافع والتّحكّم في البياعات، شبّهه (عليه السلام) بباب المضرّة، أمّا وجه الشّبه فواضح؛ لأنّ الباب هو وسيلة لدخول الأشياء الخارجيّة إلى داخل البيت، والاحتكار هو وسيلة لدخول الضّرر الاقتصاديّ على البيت الكبير وهو البلاد الإسلاميّة.

المقطع الثالث عشر: الطّبقة السّابعة (الطّبقة السّفلى)

قوله (عليه السلام): "ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فإِنَّ فِي هذه الطَّبَقَةِ قَانعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحفَظْ لله ما اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجعَلْ لَهُمْ قِسماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإِسلام فِي كُلِّ بَلَد، فإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُم بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ.

فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأُولئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بَالإِعْذَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيهِ. وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَام طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ. "

المعنى العام(1)

التعبير عن ذوى الحاجة والمسكنة بالطبقة السفلى جاء إمّا من كونهم لا يقدّمون عملًا نافعًا في المجتمع فيحصل التبادل بين عملهم مع أعمال الطبقات الأخرى، فكان لا بدّ لمن هم في الطبقة السفلى أنْ يعيشوا من عمل سائر الطبقات، أو جاءت تسميتهم بالطبقة السفلى نظرًا إلى ظاهر حالهم عند النّاس؛ لإنّهم عاجزون عن الحيلة والاكتساب وهم المساكين والمحتاجون

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٦-٨٧.

والمبتلون بالبؤس والزّمانة، ولكنه (عليه السلام) سوّاهم مع سائر النّاس في الحقوق وأظهر بهم أشدّ العناية، وقسّمهم على ثلاثة أقسام.

١ـ القانع، وقد فُسّر بمن يسأل لرفع حاجته ويرضى بما يكسب.

٢ـ المعترّ، وهو السّيِّئ الحال الّذي لا يسأل الحاجة بلسانه، ولكن يعرض نفسه أملًا بأنْ يُرحم ويتوجّه إليه فكأنه يسأل بلسان الحال لا باللسان.

٣ـ من اعتزل في زاوية بيته لا يسأل بلسانه ولا يعرض نفسه على الناس لقضاء حوائجه، إمّا لرسوخ العفاف وعزّة النّفس فيه، وإمّا لعدم قدرته على ذلك كالزّمنى وهم الّذين بيّن (عليه السلام) حالهم في قوله عليه السّلام (وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم، ممّن تقتحمه العيون وتحقره الرّجال) وقد وصّى (عليه السلام) فيهم بأمور:

١ـ حفظ حقوقهم والعناية بهم طلبًا لمرضاة اللّه وحذرًا من نقمته؛ لأنهم لا يقدرون على الانتقام ممن يهضم حقوقهم.

٢ـ جعل لهم قسمًا من بيت المال العام الّذي يجمع فيه الصّدقات الواجبة والمستحبّة وأموال الخراج الحاصل من الأراضي المفتوحة عنوة.

٣ـ جعل لهم قسمًا من صوافي الإسلام في كلّ بلد، والصوافي هي الأرضون الّتي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وكانت صافية رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فلمّا قبض صارت لفقراء المسلمين، ولما يراه الإمام من مصالح الإسلام.

٤ـ أنْ لا يصير الزهو بمقام الولاية موجبًا لصرف النّظر عنهم وعدم التوجّه إليهم مغترًا باشتغاله بأمور هامّة عامّة، فبيّن عليه السّلام أنّ إحكام الأمور المهمّة الكثيرة لا يصير كفّارة لصرف النظر عن الأمور الواجبة القصيرة.

٥ـ العناية بهم وعدم العبوس في وجوههم عند المحاضرة والمصاحبة لإظهار الحاجة.

ثمّ أوصى بالتفقّد عن القسم الثالث المعتزل بإيفاد رجال ثقات من أهل الخشية والتواضع وخصّص طائفتين من العجزة بمزيد التّوصية والاهتمام هما:

أ: الأيتام الّذين فقدوا آباءهم وحُرموا من محبّتهم وعطفهم.

ب: المعمّرون إلى أرذل العمر الّذين أنهكتهم الشيبة وأسقطت قواهم فلا يقدرون على إنجاز حوائجهم بأنفسهم، وأشار إلى أنّ رعاية هذه الطبقة على الولاة ثقيل بل الحقّ كلّه ثقيل.

المستوى الصوتيّ

س: علّل صوتيًا على وفق معطيات علم الأصوات الحديث ما يأتي:

١- حذف الصّائت الطّويل (الواو) في لفظة (ثقة) في قوله (عليه السلام): " ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتّواضع".

(ثِقة) على زنة (عِلة) أصلها (وِثقة) على (فِعلة) فهي مصدر هيأة، وحذفت الواو تخفيفًا وذلك أنّ حقها أنْ تقلب همزة لمجيئها طرفًا وهي مكسورة ولكنّ الهمز لا يزيل الثقل فحذفت حذفًا تامًّا ونقلت حركتها إلى ما بعدها، كما في التشكيل (وِث، قَ، تُن)، وعند حذف الواو يبقى التشكيل (ث، قَ، تُن) وهذا يقتضي نبر الكسر لمجيئها ابتداء فتتولد الهمزة، ولكن ذلك يزيد اللفظة ثقلًا فأُخّرت الكسرة لتكون حركة للثاء كما في التشكيل (ثِ، قَ، تُن).

٢- قلب الصّائت الطّويل (الواو) ياء في لفظة (حيلة) في قوله (عليه السلام): " ومن الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين".

حِيلة أصلها (حِوْلة) على (فِعْلة)؛ لأنّها هيأة التحول أي التقلب من حال إلى غيره، ولما سكنت الواو بعد كسرة قلبت ياء وهذا هو تعليل القدماء، أمّا في الدرس الحديث فإنّ ما جرى للواو هو حذف تامّ تبعه مدّ الكسرة قبلها فصارت ياء كما في التشكيل: (حِو، لَ، تُن) وفي المقطع الأوّل مزدوج صوتيّ غير متجانس مكوّن من الواو والكسرة فحُذفت الواو ومُدّت الكسرة قبلها كما في التشكيل (حي، لَ، تُن).

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة، ثمّ اذكر أحرف الزيادة، وبيّن معانيها الصرفيّة.

١- استحفظك: ماض مزيد بهمزة الوصل والسين والتاء على استفعل، والزيادة أفادت معنى الطلب، أي: طلب الله تعالى منك الحفظ فلا تضيّعه.

٢- استرعيت: ماض مبنيّ للمجهول من استرعى على (استفعل) المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، وقلبت ألف استرعى ياء لاتّصال الفعل بتاء الفاعل، والزّيادة أفادت الطّلب، أي: طلب منك رعايته، أي: مراقبة الله في حفظ حقّه، من رعيت النجوم: رقبتها، ورعيته: رقبته ولاحظته حفظًا له.

٣- تُعذر: ماضٍ مبنيّ للمجهول من (أعذر) على أفعل، مزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت الصيرورة، أعذر: صار ذا عذر، والعذر هو تحرّي الإنسان ما يمحو به ذنوبه، والمعنى: أنّك لا تأتي بعذر مقبول إذا ضيّعت هؤلاء. وقيل: " أعذر من أنذر" أي: أتى بما صار به معذورًا.

٤- تُشخص: مضارع من (أشخص) على أفعل المزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول الأوّل؛ لأنّ المجرّد لازم؛ إذ يقال: شخص بصره يشخص على الباب الثالث فهو شاخص: إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف، وشخص من بلد إلى بلد أي: حجّ {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} ﴿إبراهيم: ٤٢﴾، والشخص هو سواد الإنسان المرئيّ من بعيد، وشخص الشيء: ارتفع، وشخص النجم: طلع، والمراد أنْ لا يرفع الوالي همّه عنهم.

٥- تُصعّر: مضارع من صعّر المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت المبالغة في الصعر وهو إمالة العنق كبرًا، وهو من الصعر وهو داء في البعير يجعله يلوي عنقه، صعر يصعر على الباب الرابع صعرًا بفتحتين فهو أصعر، وفي الإنسان ميل الوجه أو أحد الشّقّين، وأصعره: أماله عن النظر إلى الناس، وصعّر خدّه: أماله كبرًا.

٦- تقتحمه: مضارع من (اقتحم) على زنة افتعل، مزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المبالغة في بذل الجهد في قحم الشيء، فالاقتحام: توسّط شدّة مخيفة {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} ﴿البلد: ١١﴾ و{هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ} ﴿ص: ٥٩﴾ أي: دخل عنوة في مكان يخيفه. من المجرّد (قحم) الفرس فارسه يقحمه على الباب الثالث: توغّل به ما يخاف عليه، وقحم فلان نفسه في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رويّة، وأقحم بهمزة القطع تفيد التعدية إلى المفعول الثاني: أقحم فرسه النّهر، أي: أدخله. والمعنى: تنظر العيون إليه نظرًا يدخله في مكانة يكرهها، فهي تحتقره وتزدريه.

٧- ففرّغ: أمر من فرّغ على زنة فعّل المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول إذ المجرّد لازم، فيقال: فرغ يفرغ على الباب الأوّل فراغًا وفروغًا: خلاف الشّغل، قال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} ﴿الشرح: ٧﴾. وفرّغ نفسه لكذا، أي: جرّدها من الانشغال بغير هذا الأمر، أمّا أفرغ الماء من الدّلو فهو من فرغ على الباب الرابع، يقال: فرغ الشيءُ وأفرغه غيره ثمّ استعير للمعنويات كقوله تعالى: {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} ﴿الأعراف: ١٢٦﴾.

٨- تعهّد: ماضٍ على تفعّل، مزيد بالتاء وتضعيف العين، والزيادة أفادت التدرّج، من عهد إلى فلان بكذا يعهد عهدًا على الباب الرابع، أي: أوصاه بحفظ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال، والتّعهّد: التّحفّظ بالشّيء وتجديد العهد به.

٩- يخفّفه: مضارع على يُفعّل، من خفّف المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية والمبالغة، فيقال: خفّ الثقلُ يخفّ على الباب الثاني ضدّ ثقل، وخفّفه فلانٌ.

١٠- صبّروا: ماض من صبّر على فعّل مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت الجعل، يقال: صبر على البلاء يصبر على الباب الثاني، وصبّره: جعل له صبرًا، وأصبره: أمره بالصّبر، وصابر: بالغ في الصبر ومجاهدة النفس، قال

تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ﴿آل عمران: ٢٠٠﴾.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، ثمّ اذكر دلالتها الصرفيّة.

١- البؤسى: فُعلى اسم مصدر من البؤس بالضّمّ مثل قربى اسم للأقارب، والفعل من بئس ييأس على الباب الرابع وهو الشّدّة والمكروه، وفي الحرب يقال: بأس، وفي العذاب والنكاية: بأساء، قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ﴿البقرة: ١٧٧﴾، وإن كان في العيش فهو بؤسى، أي: اشتدّت حاجته.

٢- الزّمنى: فَعلى جمع كثرة مفرده زَمِن، أي مبتلى لكِبر سنّه بأمراض الشّيخوخة، يقال: أزمن الرجل: أتى عليه الزمان، من زمِن يزمَن فيما دلّ على الأدواء، والجمع على فَعلى لِما دلّ على هلاك فهو مرضى وهلكى وموتى.

٣- قانعًا: اسم فاعل من قنع، أمّا من الباب الثالث بمعنى رفع رأسه يسأل من الصّدقة، يقال: قنع يقنع قُنوعًا، وفي قوله تعالى: {مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} ﴿إبراهيم: ٤٣﴾ المهطع هو المسرع والمقنع هو الذي رفع رأسه، أو من قنع على الباب الرابع يقنع قناعة، أي: رضي بالقسم، واختلفوا في تفسير القانع والمعترّ في قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ﴿الحج: ٣٦﴾ ويمكن القول: إنّ القانع إمّا أنْ يكون فقيرًا فيكون بمعنى السّائل الذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط ولا يلوي شدقه غضبًا

من قنع يقنَع على الباب الرابع أو أنْ يكون غير محتاج فهو الراضي بما يعطى عند ذبح البدن فهو يرضى بما أرسلت إليه من البضعة فما فوقها. وفي قول الإمام (عليه السلام) هو السّائل المحتاج الذي يرضى بما يُعطى.

٤- معترّا: مفتعل، اسم فاعل من اعترّه بمعنى اعترضه، وهو الذي يمرّ بك ولا يسأل، أي: المارّ بك لتطعمه فهو يقصدك ولا يسأل، من عرّه يعرّه إذا رماه بشرّ، والعرّ: الجرب يلازم صاحبه ويعترض بدنه، وقيل للمضرّة معرّة تشبيهًا بالجرب. فمن معنى الملازمة قيل: المعترّ الذي يلمّ بك ولا يسأل، أما الذي يسأل فهو المسكين.

٥- غلّات: جمع مؤنّث سالم، مفرده غلّة على زنة فعلة، وهي ما يتناوله الإنسان من دخل الأرض، أي: فائدتها، وأغلّت الضّيعة: أعطت الغلّة، واغتلّ القوم: بلغت غلّتهم، وسمّي نتاج الأرض غلّة؛ لأنه يدخل في حيازة صاحب الأرض، فالغلّة اسم ذات مثل سلّة، يحتوي نتاجها، فالغلّ هو إدخال الشّيء وتخلّله حتى ينغرز في شيء آخر، غللت الشيء في الشيء: إذا أثبتّه فيه، أي: توسّط فيه؛ لذا يسمّى الحقد غلّا؛ لأنّه يتوسّط القلب، ويدخل الصّدر، والعطش يسمّى غلّة بالضّمّ؛ لأنه كالشّيء ينغلّ في الجوف بحرارة، والماء الجاري فيما بين الشجر يسمّى غلل بفتحتين، والقيد غلّ؛ لأنّه يجعل الأعضاء وسطه، وكذا تسمّى الخيانة إغلالًا؛ لأنّه يدخل في حوزته ما يخفيه، والغلّان بالضمّ الأودية الغامضة؛ لأنّ سالكها ينغلّ فيها.

٦- صوافي: فواعل جمع كثرة مفرده (صافية) على زنة فاعلة، وهي أرض الغنيمة التي صفت وخلصت للمسلمين، فهي أرض غير مملوكة لشخص، والصفو خلاف الكدر، وهو خالص الشيء، والمراد أنّ سهم الفقراء في ميزانيّة الدولة فلا تحرمهم من الأموال التي هي مشاع بين المسلمين، بل من هذه وتلك، أي إنّها الأراضي التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكانت صافية لرسول الله صلّى الله عليه وآله فلّما قبض صارت لفقراء المسلمين.

٧- خشية: فَعلة، مصدر خشيه يخشاه على الباب الرابع خشيًا وهو خوف يشوبه تعظيم، والخشية: المرّة الواحدة منهن وقيل: إنّ الخشية مصدر لخشي، ومصدر المرّة: خشية واحدة.

٨- يُتم: فعل بضمّ الفاء، مصدر من يتِم ييتم على الباب الرابع، وهو في الإنسان لمن فقد أباه قبل بلوغه، وفي البهائم لمن فقد أمّه. فهو يتيم قال تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} ﴿الإنسان: ٨﴾، ويقال لكلّ منفرد يتيم؛ لأنّه انقطع عن مادّته التي خرج منها وجمع يتيم أيتام ويتامى.

٩- الرّقّة: فِعلة مصدر من رقّ يرِقّ على الباب الثاني فهو رقيق، ضدّ غلظ، ورقَقت له أرِقّ رقّة، أي: الرحمة. والرِّقّ: جلد رقيق يكتب فيه، والرّقيق: المملوك من العبيد، والرّقّة: كلّ أرض إلى جانبها ماء لما فيها من الرّقّة بالرطوبة الواصلة إليها.

١٠- العاقبة: فاعلة، والتاء للنقل إلى الاسميّة، فهي اسم لآخر كلّ شيء، نحو: خاتمة الكتاب قال تعالى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} ﴿الأعراف: ١٢٨﴾ ورأى صاحب المفردات أنّ الأصل في العاقبة للثواب، وتستعار للعقوبة من باب المزاوجة كقوله تعالى: {فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} ﴿الحشر: ١٧﴾ وفي المقطع وردت عاقبة الخير للولاة العادلين.

١١- موعود: مفعول من وعده يعده وعدًا على الباب الثاني، فهو واعد، والمفعول الثاني هو الموعود، وعدته كذا، فوعدت يقتضي مفعولين الثاني منهما مكان أو زمان أو أمر من الأمور، نحو: وعدت زيدًا يوم الجمعة مكان كذا وأنْ أفعل كذا، وقوله تعالى {وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ} ﴿البروج: ٢﴾ إشارة إلى يوم القيامة. والوعد عامّ في الخير والشّرّ، أمّا الوعيد ففي الشّرّ خاصّة كما في قوله تعالى: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} ﴿إبراهيم: ١٤﴾.

وفي النصّ يذكر الإمام (عليه السلام) ولاة الحقّ الذين يطلبون عاقبة الخير ثقة منهم بصدق وعد الله لهم {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ﴿يونس: ٥٥﴾.

١٢- مهمّ: مفعل، اسم فاعل من أهمّه الأمر: إذا أقلقه وأحزنه، والهمّ: الحزن، همّه المرض: أذابه يهمّه على الباب الأول همًّا. وأهمّه بزيادة همزة القطع يفيد المبالغة، يقال: أهمّني كذا، أي: حملني على أنْ أهمّ به، قال تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} ﴿آل عمران: ١٥٤﴾، فزيادة الهمزة للمبالغة، فيقال: همّ وأهمّ كـ(سرى وأسرى).

المستوى النحويّ

س: أعرب ما تحته خطّ في ما يأتي:

١- "ثمّ اللهَ اللهَ في الطبقة السفلى".

الله: يعرب لفظ الجلالة الأوّل منصوبًا على التحذير، والتقدير: احذروا الله أو اتّقوا الله. ولفظ الجلالة الثاني يعرب توكيدًا للفظ الجلالة الأوّل. والسّفلى: صفة للطبقة مجرورة، وهي (فعلى) لأفعل التفضيل (أسفل).

٢- "واحفظ الله ما استحفظك من حقّه فيهم".

(ما): حرف مصدريّ ظرفيّ، و(استحفظك): فعل ماض مبنيّ على الفتح، والفاعل مستتر يعود على الله تعالى، والكاف مفعول به، والمصدر المؤوّل في محلّ نصب ظرف زمان متعلّق بـ(احفظ): احفظ الله مدّة استحفاظك من حقّه فيهم، أو يعرب المصدر المؤوّل في محلّ نصب مفعول مطلق من الفعل (احفظ) والتقدير: احفظ الله استحفاظك....

٣- "فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلٌّ قد استرعيت حقّه".

مثل: اسم إنّ منصوب، مضاف إلى الاسم الموصول (الذي).

و(كلّ): مبتدأ مرفوع، والتنوين عوض عن المضاف إليه، والتقدير: وكلّهم.

٤ـ "ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه".

يوم: مفعول فيه منصوب بالفتح، مضاف إلى الجملة الفعليّة بعده.

٥ـ " وتعهّد أهل اليتم وذوي الرّقّة في السّنّ، ممّن لا حيلة له ولا ينصب".

ذوي: اسم معطوف على المفعول به (أهل اليتم) وهو منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنّه جمع مذكر سالم وهو مضاف، والرّقّة مضاف إليه، وحيلة: اسم (لا) النافية للجنس مبنيّ على الفتح في محلّ نصب، وخبرها محذوف وجوبًا، تقديره: كائنة، أي: لا حيلة كائنة أو موجودة له.

س: استخرج الجمل التي لها محلّ من الإعراب، واذكر محلّها الإعرابيّ.

١- جملة: "قد استرعيت حقّه" الجملة من الفعل المبنيّ للمجهول المبنيّ على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، مع الفاعل والمفعول به (حقّه) في محلّ رفع خبر للمبتدأ (كلّ).

٢- جملة: "لا تعذر بتضييع التّافه" الجملة من الفعل المجزوم بـ(لا) الناهية وفاعله المستتر المقدّر بأنت، ومتعلقه الجارّ والمجرور (بتضييع) والمضاف إليه (التافه) في محلّ رفع خبر (إنّ) المشبّهة بالفعل، واسمها الضمير المتّصل بها (الكاف).

٣- جملة: " تلقاه" الجملة من الفعل المضارع المرفوع بالضّمة المقدّرة على الألف، والفاعل المستتر الذي يعود على المخاطب وهو (الوالي)، والمفعول به الضمير (الهاء) في محلّ جرّ بإضافة (يوم) إليها.

٤- جملة: " فأعذر إلى الوالي " الجملة من الفاء الفصيحة وهي لتفريع الكلام. وفعل الأمر المبنيّ على السكون، وفاعله المستتر فيه (الوالي) ومتعلقه الجارّ والمجرور في محلّ رفع خبر للمبتدأ (كلّ).

٥- جملة "طلبوا العافية" الجملة من الفعل الماضي المبنيّ على الضّمّ لاتّصاله بواو الجماعة (ضمير الفاعل) والمفعول به (العاقبة) في محلّ جرّ صفة لـ (أقوام).

المستوى المعجميّ

س: ذكر (عليه السلام) المساكين والمحتاجين، فهل اللفظتان بمعنى الفقراء والبائسين؟ وضّح ذلك.

الفرق بين المحتاج والفقير هو أنّ المحتاج هو الذي نقصت مؤنته فجأة ذلك أنّ الحاجة هي النقصان؛ ولهذا يقال: الثوب يحتاج إلى خزمة، وفلان يحتاج إلى عقل، وذلك إذا كان ناقصًا؛ ولهذا قال المتكلّمون: الظلم لا يكون إلا من جهل أو حاجة، أي من جهل بقبحه أو نقصان زاد جبره بظلم الغير، والفقر خلاف الغنى فأما قولهم: فلان مفتقر إلى عقل فهو استعارة ومحتاج إلى عقل حقيقة.

والفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل، فالمسكين أضعف حالًا وأبلغ في جهة الفقر، ويدل عليه قوله تعالى {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٧٣﴾ فوصفهم بالفقر، وأخبر مع ذلك عنهم بالتعفّف حتى يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف ولا يحسبهم أغنياء إلا ولهم ظاهر جميل وعليهم بزة حسنة. والمسكين الذي لا شيء له فقوله تعالى: {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} ﴿البلد: ١٦﴾ يعني هو المطروح على التراب لشدة الاحتياج. {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} ﴿الكهف: ٧٩﴾ فإنما أثبت لهم ملك السفينة، وسماهم مساكين؛ لأنهم كانوا أُجراء فيها ونسبها إليهم إذ هم يعملون في البحر.

والبائس الذي يسأل بيده، وإنّما سمي من هذه حاله بائسًا لظهور أثر البؤس عليه بمد يده للمسألة، وهو على جهة المبالغة في الوصف له بالفقر، وهو أشد حالًا من المسكين؛ لأن المسكين هو الذي يكون في نهاية الفقر، وقد ظهر عليه السكون للحاجة وسوء الحال، ولكنه لا يسأل بيده بل يسأل بلسان الحال بخلاف البائس الذي يمد يده من شدة الفقر(1).

س: في قوله (عليه السلام): "وذوي الرّقّة في السّنّ" هل يمكن عدّ لفظة السنّ من المشترك اللفظيّ؟

يمكن أنْ يكون المراد بلفظة (السنّ) العمر فيكون المراد بذوي الرقّة في السن هم الشيوخ الكبار الذين بلغوا في السنّ غاية يُرقّ لهم ويرحم عليهم، ويمكن أنْ يكون بالسن واحد الأسنان، فيكون الكلام مجازًا مرسلًا علاقته الجزئية؛ إذ ذكر السنّ والمراد الجسد كله، والتعبير عن الشيخوخة برقّة السن نظير لوهن العظم في التعبير عن المعنى نفسه في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} ﴿مريم: ٤﴾.

س: هل المراد بلفظة التّافه في قوله (عليه السلام): "فإنّك لا تعذر بتضييع التّافه لإحكامك الكثير المهمّ" صغائر الأمور أو قليلها أو حقيرها، وضّح ذلك مستعينًا بالسّياق فضلًا عن المعنى المعجميّ؟

يفاد من سياق القول أنّ التافه بمعنى القليل؛ لأنه ذكر الكثير بعده ويبدو أنّ التافه يجمع بين القلة والخسّة معًا؛ إذ يقال: تفه الشيء كفرِح تفهًا بالتحريك على القياس: قل وخسّ، فهو تفِه وتافه، وتفُه فلان تفهًا وتفاهة إذا حمُق ورجل تافه العقل قليله.

س: أمر الإمام (عليه السلام) الوالي بأنْ يجعل للطبقة السّفلى قسمًا من بيت المال بقوله: "اجعل لهم قسمًا من بيت مالك"، فلماذا لم يستعمل لفظة (نصيبًا) أو (حصّة) أو (حظًّا) أو قسطًا) بدلًا عن (قسمًا)؟

---

(1) ينظر: الفروق اللغوية ١٧٧-١٨٠.

إنّ الحصّة تعني القطع والظهور، وأصلها من الحصص وهو أنْ يحص الشعر عن مقدم الرأس حتى ينكشف، قال تعالى: { قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} ﴿يوسف: ٥١﴾ أي بانَ عن الباطل وانكشف، فالحصّة تعنى التبيين والكشف بلا تكافؤ ولا مساواة، وهو معنى لا يتضّمنه النصيب الذي يقتضي أنْ يكون عن مقاسمة متكافئة بين اثنين فأكثر، والفرق بين النصيب والحظ أنّ النصيب يكون في المحبوب والمكروه، يقال: وفاه الله نصيبه من النعيم أو من العذاب، ولا يقال: حظّه من العذاب إلا على استعارة بعيدة؛ لأنّ أصل الحظّ هو ما يحظّه الله تعالى للعبد من الخير، والنصيب ما نصب له ليناله سواء كان محبوبًا أو مكروهًا.

والفرق بين النصيب والقسط هو أنّ النصيب يجوز أنْ يكون عادلًا وجائرًا وناقصًا عن الاستحقاق وزائدًا، يقال نصيب مبخوس وموفور، والقسط الحصّة العادلة في الماديّات والمعنويّات من قولك: أقسط إذا عدل.

وأما القِسم فكل ما كان عن مقاسمة متكافئة في المال وشبهه، وما لم يكن عن مقاسمة فليس بقسم فالإنسان إذا مات وترك مالًا ووارثًا واحدًا، قيل: هذا المال كله حظّ هذا الوارث ولا يقال: هو قسمه؛ لأنّه لا مقاسم له فيه فالقسم ما كان من جملة مقسومة، والحظّ قد يكون ذلك وقد يكون الجملة كلها. فالأليق بسياق القول في هذه الجملة أنْ يستعمل لفظ القسم؛ لأن الكلام عن مال يتقاسم بالتساوي بين مستحقيه.

س: ما التّطوّر الدلاليّ الحاصل للفظة (العذر) الواردة في قوله (عليه السلام): " فإنّك لا تعذر بتضييع التّافه لإحكامك الكثير المهمّ".

في هذه اللفظة حصل رقيّ في الدلالة؛ لأنّ الأصل هو من العذرة وهو الشيء النجس، يقال: عُذّر الصّبيّ إذا طُهّر وأُزيلت عذرته[1]، ثمّ انتقلت من إزالة العذرة إلى إزالة الذنب، فقيل: عذّرت فلانًا: أزلت نجاسة ذنبه بالعفو

(١) ينظر: لسان العرب (عذر).

عنه، كقولك غفرت له، أي: سترت ذنبه، وعذّر يفيد كثرة ترديد العذر، ويكون لغير المحقّ في عذره، قال تعالى: {وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْإِعراب لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ﴿التوبة: ٩٠﴾ أمّا المحقّ في العذر فهو المعتذر، واعتذر يفيد الإتيان بالعذر أيضًا، ولكن على سبيل المبالغة والجهد، قال تعالى: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ﴿التوبة: ٩٤﴾، وعذرته المجرّد بمعنى قبلت عذره، وتعذّر: تكلّف العذر في الحجة لنفسه.

المستوى البلاغيّ

س: استخرج الفنون البلاغيّة المستعملة في النصّ المتقدّم.

١-في النصّ فنّ الاقتباس، وهذا الفنّ من علم البديع وفي النصّ اقتباس من القرآن الكريم في موضعين: قوله (عليه السلام): "فإنّ في هذه الطّبقة قانعًا ومعترًّا" وهذا اقتباس من قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ﴿الحج: ٣٦﴾. وكذا الاقتباس في قوله (عليه السلام): " ولا تصعّر خدّك لهم " إذ هو من قوله تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} ﴿لقمان: ١٨﴾.

٢-في النصّ كنايات، ففي قوله (عليه السلام): " الطّبقة السّفلى" كناية عن الفقراء والمساكين؛ إذ عبّر (عليه السلام) بالسّفلى وهو فُعلى التفضيل مؤنّث أسفل؛ لأنّهم لا يشاركون طبقات المجتمع في تبادل المنافع، وتقديم الخدمات؛ نظرًا إلى ظاهر حالهم عند الناس فهم عاجزون عن الاكتساب، وليس في ذلك انتقاص لهم، وإنّما من حيث المشاركة في المجتمع.

وفي قوله (عليه السلام): " أهل البؤسى" كناية عن أصحاب الحاجة الذين هم في شدّة، وضائقة ماليّة "والزّمنى" كناية عن أصحاب العاهات والأمراض المزمنة.

وقوله (عليه السلام): " قانعًا ومعترًّا" فإنّ القانع هو السائل لحاجته ويرضى بما يعطى، أمّا المعترّ فهو كناية عن سيّئ الحال الذي لا يسأل بلسانه وإنّما يعرض نفسه في أماكن الترحّم، ولا يسأل، فكأنّه يسأل بلسان حاله.

وقوله (عليه السلام): " ولا تصعّر خدّك لهم" كناية عن تكبّر الوالي، فإنّه يميل وجهه عنهم كثيرًا تشبيهًا بالمتكبّر، وهو مأخوذ من الصعر، وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه، وصعّر تكلّف إظهار الصعر وتمثيل التصعير؛ لأنّ مصاعرة الخدّ هيأة المحتقر المستخفّ في غالب الأحوال.

"ذوي الرقّة في السّنّ" كناية عن المعمّرين إلى أرذل العمر الذين أهلكتهم الشيبة فلا يقدرون على انجاز حوائجهم بأنفسهم، فهم بلغوا في الشيخوخة حدًّا رقّ معه جلدهم وضعف عظمهم.

"العاقبة": كناية عن حسن الخاتمة ومجازاتهم خيرًا، والانتقام من الظالمين.

"موعود الله" كناية عن رضا الله واستخلافهم في الأرض، ومجازاتهم بالجنّة.

٣- في النصّ مجاز عقليّ في قوله (عليه السلام): " ممّن تقتحمه العيون" إذ نسب إلى العيون الاقتحام، بعلاقة السّببيّة، فالعيون سبب في ايحاءات النّظر.

٤- في النصّ تفصيل بعد إجمال في قوله (عليه السلام): " الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزّمنى، فإنّ في هذه الطبقة قانعًا ومعترًّا " إذ أجمل (عليه السلام) هذه الأصناف بقوله: "الطّبقة السفلى" ثمّ فصّلهم بذكر المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى والقانع والمعترّ، وإن كان بعضهم يدخل في بعض، إلّا أنّه (عليه السلام) عدّدهم بحسب تعدّد صفاتهم لمزيد من العناية بهم، فلا يتثاقل الوالي عنهم. ومثل هذا نجده في قوله (عليه السلام): "وتعهد أهل اليتم وذوي الرّقّة في السّنّ

ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه" فـ(من لا حيلة له) تفصيل لأهل اليتم، و(لا ينصب نفسه للمسألة) هو تفصيل لذوي الرّقّة في السّنّ ممّن لا يقوى على المجيء للسّؤال مع حاجته وفقره.

٥- في النصّ استعمل الإمام (عليه السلام) أسلوب التّرغيب، بعبارات: "والحقّ كلّه ثقيل" ليوطّن نفس الوالي على تحمّل أعباء العمل بالحقّ، وكذا في "وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العافية" إذ رغّبه (عليه السلام) في اتّباع هذا المنهج ناسبًا تخفيف ثقل هذا الطريق إلى الله تعالى تشجيعًا للوالي على استسهال الصعوبات على نهج من طلبوا العافية واستسهلوا ذلك.

٦- في قوله (عليه السلام): " وكلٌّ قد استرعيت حقّه " أسلوب إيجاز بالحذف؛ إذ حذف المضاف إليه من (كلّ)، وتقدير الكلام: وكلّ الأصناف المذكورة بتفصيلاتها قد استرعيت حقّها، وهو حذف في محلّه إذ لا حاجة إلى إعادة ذكره مع تقدّمه.

المقطع الرابع عشر: تقسيم أوقات الوالي

قوله (عليه السلام) "وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (عليه السلام) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: "لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ". ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالأَنَفَ، يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ! ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ.

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ للهِ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: "صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً".

المعنى العامّ(١)

بعد أنْ فرغ عليه السّلام من وصف النّظام العامّ وتقرير القوانين لتشكيلات الدّولة وتنظيم أمر طبقات الأمّة، توجّه إلى بيان ما يرتبط بالوالي نفسه في ثلاث نقاط:

الأولى: ما يلزم على الوالي بالنسبة إلى عموم من يرجع إليه في حاجة ويشكو إليه في مظلمة، فوصّاه بأنْ يعيّن وقتًا من أوقاته لإجابة المراجعين إليه وشرط عليه:

١ـ أنْ يَظهر لهم في مكانٍ يَصلون إليه بلا حاجبٍ، ويأذن للعموم من ذوى الحاجات في الدخول عليه.

٢ـ أنْ يستقبلهم بتواضع وحسن خلق مستبشرًا برجوعهم إليه في حوائجهم.

٣ـ أنْ يمنع جنده وأعوانه من التعرُّض لهم وينحّى الحرس والشّرط الّذين يُرعَب النّاس منهم عن هذه الجلسة ليقدر ذوو الحاجة من بيان مقاصدهم وشرح مآربهم ومظالمهم بلا رعب وخوف وحصَرٍ في الكلام.

٤ـ أنْ يتحمّل من السّوقة والبدويّين خشونة آدابهم وكلامهم العاري عن كلّ ملاحة وأدب.

٥ـ أنْ لا يضيّق عليهم في مجلسه ولا يفرض عليهم آدابًا يصعب مراعاتها ولا يلقاهم بالكِبْر وأبهّة الولاية والرّياسة.

٦ـ أنْ لا يقرن عطاءه لهم بالمنّ والأذى والخشونة والتآمر حتّى يكون هنيئًا وإنْ لم يقدر على إجابة ما طلبوا يردّهم ردًّا رفيقًا جميلًا ويعتذر عنهم في عدم إمكان إجابة طلبتهم.

الثانية: ما يلزم عليه فيما بينه وبين أعوانه وعمّاله المخصوصين به من الكتّاب والخدمة كما يأتي:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٨-٩٠.

١ـ يجيب عمّاله وكتّابه في حلّ ما عجزوا عنه من المشاكل الهامّة.

٢ـ يتولّى بنفسه إصدار الحوائج الّتي عرضت على أعوانه ويَصعب عليهم إنفاذها لما يعرض عليهم من التّرديد في تطبيق القوانين أو الخوف ممّا يترتّب على إنفاذها من نواحٍ شتّى.

٣ ـ أنْ لا يؤخّر أيّ عمل عن يومه المقرّر ويتسامح في إمضاء الأمور في أوقاتها المقرّرة.

الثالثة: ما يلزم عليه فيما بينه وبين اللّه فوصّاه بأمرين رئيسين:

١ـ إنّ الولاية بما فيها من المشاغل والمشاكل لا تحوْل بينه وبين ربّه وأداء ما يجب عليه من العبادة والتوجّه إلى اللّه، فقال عليه السّلام: اجعل أفضل أوقاتك وأجزل أقسام عمرك بينك وبين اللّه في التوجّه إليه والتضرّع والدعاء لديه وإنْ كان كلّ عمل من أعمالك عبادة للّه مع النيّة الصالحة وإصلاح حال الرّعيّة.

٢ـ أنْ يحرص على إقامة الفرائض المخصوصة وإنْ كانتْ شاقّة ومتعبة لبدنه كالصّوم في الأيّام الحارّة، والصّلاة بما لَها من المقدّمات في شدّة البرد وفي الفيافي والأسفار الطائلة بحيث لا يقع خللٌ فيما يؤدّيه من الأعمال ولا منقصةٌ فيه من التّسامح والإهمال.

المستوى الصوتيّ

س: ما الإيحاء الصوتيّ الذي يحمله التّكرار المقطعيّ في لفظة (تعتع) في قوله عليه السلام: "حتى يكلّمك متكلّمهم غير متعتع"؟

أفضل ما قيل في تأصيل الرباعيّ المضاعف في العربيّة الذي تشابه فيه الحرفان الأول والثالث والحرفان الثاني والرابع هو أنه أصلٌ مركّب من أصلين ثنائيين متشابهين، وهذا التشابه المقطعيّ في الرباعي المضاعف أكسب اللفظة معنى مردّدًا متواليًا فكأن الفعل يردّد مرّة بعد أخرى حتّى الفراغ، وتكاد تطبق أقوال المفسّرين والمعجميّين على أنّ أمثلة الرباعيّ المضاعف الواردة في

القرآن الكريم تفيد الدلالة في الأصل على ترجيع الحدث مرّة بعد أخرى وصولًا إلى اكتماله، وهذا يعضد نشأتها من أصلٍ ثنائيّ كُرِّر تكريرًا جزئيًّا تارة فدلّ على اكتمال الحدث في الأصول الثلاثيّة وتكريرًا تامًّا تارة أخرى في الأصول الرباعية؛ ليدلّ على تكرير ذلك الحدث وترجيعه مرة بعد أخرى، فلفظة (صرصر) في قوله تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} ﴿الحاقة: ٦﴾ أصلها الثنائي (صرّ) الذي ينشأ منه بعد تكريره جزئيًا المضعّف (صرّ)، ومعناه جمع الشيء بشدّة حتى يسمع له صوتًا ومنه قوله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} ﴿الذاريات: ٢٩﴾.

ومعنى (في صرّة) في صيحة ولم تُقبل من موضع إلى موضع إنما هو كقولك: أقبل يشتمني، أي أخذ يشتمني فكأنّها اقتربت منه واجتمعت إليه ثم صاحت، والصرّة الجماعة المنضمّ بعضهم إلى بعض كأنهم صُرّوا أي جُمعوا في وعاء. ويكرّر الأصل الثنائي تكريرًا تامًّا فينشأ منه (صرصر) وهو ترجيع لمعنى جمع الشيء بشدة حتى تسمع له صوتًا وجلبة، فالريح وصفت بالصرصر في الآية؛ لأنّها متكرّرٌ فيها البرد كما تقول: قد قلقلت الشيء وأقللت الشيء إذا رفعته من مكانه، إلا أنّ قلقلته رددته، أي كررت رفعه، وأقللته رفعته، فليس فيه دليل تكرير، وكذلك صرصر وصرّ إذا سمعت الصوت غير مكرّر قلت: قد صرّ، وإذا أردت أنّ الصوت تكرر قلت: صرصر، وكذا التعتعة؛ لأنها عيب نطقيّ وعِيّ في الكلام يردّد فيه المتكلم الحروف مرّة تلو الأخرى في أثناء النطق.

المستوى الصرفيّ

س: استخرج الأفعال المزيدة، واذكر أحرف الزيادة فيها، وبيّن دلالتها الصرفيّة.

١ـ تتواضع: مضارع من تواضع على زنة تفاعل، مزيد بالتاء والألف، والزيادة أفادت الإظهار، أي: أظهر التذلّل وعدم التكبّر والمجرّد: (وضع يضع وضْعًا) على الباب الثالث دالّ على الخفض.

٢- تُقعد: مضارعٌ من أقعد على أفعل، مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية؛ لأنّ المجرّد لازم، (قعد - عن جلوس – يقعد) على الباب الأوّل، وأقعد عنهم جنده.

٣- يكلّمك: مضارع من (كلّم) على زنة (فعّل) بتضعيف العين، وأغلب المعجميّين على أنّ هذا الفعل لا مجرّد له، كلّمه أي: حدّثه وخاطبه تكليمًا وكلامًا. أمّا المجرّد فهو بمعنى الجرح، (كلمه كلْمًا) بفتحتين على الباب الثاني أي: جرحه فهو مكلوم، ومن المعجميّين من جعل الكلام من المجرّد (كلم) لأنّ كليهما مُدرك بإحدى الحاسّتين، فالكلام مدرك بحاسة السّمع والكلم بحاسّة البصر، يقال: جرح اللسان كجرح اليد.

٤- تُقَدَّس: فعل مضارع مبنيّ للمجهول، من المجرّد (تقدّس) على تفعّل مزيد بالتاء وتضعيف العين، والزيادة أفادت التدرّج، (قدس الشيء قداسة) على الباب الخامس: وقدّست الله، نزّهته عمّا لا يليق بألوهيّته، وتقدّس، تطهّر وتقدّس الله: تنزّه.

٥- احتمل: فعل أمر من احتمل المزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المبالغة، حمل الشّيء واحتمله، وفي النصّ احتمل الخرق.

٦- أمضِ: فعل أمر من أمضى على زنة أفعل المزيد بهمزة القطع، وحذفت لامه لجزمها بصيغة الأمر، والزيادة أفادت التعدية، مضى الشيء يمضي مضيًّا، وأمضى الأمر: أبعده.

٧- تقرّبت: فعل ماض على تفعّل مزيد بالتاء وتضعيف العين، والزيادة أفادت التدرّج في القرب إلى الله تعالى.

٨- وجّهني: فعل ماض على فعّل، مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية؛ إذ المجرّد لازم، وجُه الرجل وجاهة على الباب الخامس: صار وجيهًا،

أي: ذا جاه وقدر، ووجّهه في حاجة فتوجّه، وواجهت فلانًا: جعلت وجهي لقاء وجهه، أي: الاشتراك في ذلك.

٩- تُخلص: مضارع من أخلص، مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية، خلص الشيء خلوصًا على الباب الأوّل: صار خالصًا، وهو تنقية الشيء وتهذيبه، قال تعالى: {فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أو يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} ﴿يوسف: ٨٠﴾، أي: انفردوا خالصين عن غيرهم، وخلّصه من كذا فخلص.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، مع ذكر دلالتها الصرفيّة.

متتعتع، العِيّ، الخُرق، الأَنَف، هنيئًا، مباشرة، إجمال، النّيّة، منفّر، مضيّع، أجزلُ.

س: استخرج جموع التّكسير الواردة في النصّ، واذكر مفرداتها.

المستوى النحويّ

س: لم نصبت الألفاظ (مجلسًا، هنيئًا، غير متتعتع، كاملًا، خاصّة، بالغًا، منفّرًا، الخرق، بينك، حين)؟

١- مجلسًا: منصوب على أنّه مفعول مطلق؛ لأنّ مجلسًا مصدر ميميّ، ويجوز أنْ يكون منصوبًا على أنه مفعول فيه إذا أريد بمجلس اسم المكان.

٢- هنيئًا: حال من الإعطاء، ويجوز أنْ يعرب تمييزًا رافعًا للإبهام عن النّسبة.

٣- غيرَ متتعتع: غير، منصوب على أنه حال من المتكلّم، وهو مضاف، ومتتعتع مضاف إليه، والإضافة أفادت التخصيص لا التعريف، وأمّا (غير مثلوم) في "وفّ ما تقرّبت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملًا غير مثلوم" فحال ثانية و(بالغًا) حال ثالثة.

٤- كاملًا: حال من المتقرّب به؛ لأنّ (ما) في "ما تقرّبت" موصولة بمعنى الّذي في محل نصب مفعول به لـ(وفّ) الذي يعرب فعل أمر مجزومًا بحذف الياء وفاعله مستتر فيه.

٥- خاصّة: حال من (إقامة الفرائض) في قوله (عليه السلام): "وليكن في خاصّة ما يخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة".

٦- بالغًا: حال ثالثة من المتقرّب به؛ ولذا نصب اسم الفاعل (بالغًا) مفعولًا وهو (ما) الاسم الموصول، وصلتها (بلغ) فعل ماض مبنيّ وفاعله مستتر.

٧- منفّرًا: خبر (كان)، واسمها هو الضمير المستتر في (تكوننّ) وهو فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وبني على الفتح لاتّصاله بنون التّوكيد الثّقيلة.

٨- الخرق: منصوب لأنّه مفعول به لفعل الأمر (احتمل).

٩- بينك: ظرف مكان متعلّق بكون محذوف يعرب صلة لـ(ما) الموصولة، والتقدير: في ما هو كائن بينك، و(بين) معطوف على الأولى.

١٠- حين: ظرف مبني على الفتح أنّه مفعول فيه مضاف، والجملة بعده في محل جرّ مضاف إليه.

س: اذكر الوجه الإعرابيّ لرفع الألفاظ الآتية: أمور، إجابة، اقامة، العلّة، حقّه، صدور.

١- أمور: مرفوع على أنّه مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: هنا أمور، أو هناك أمور أو هذه أمور، وإنّما جاز الابتداء بالنّكرة؛ لأنّ الخبر المحذوف مقدّم عليها.

٢- إجابة: مرفوع على أنه مبتدأ، وهو مضاف إلى عمّالك، والخبر مقدّم وهو الجارّ والمجرور (منها).

٣- إقامة: مرفوع على أنه اسم لـ(يكن)، مضاف إلى فرائضه، والجارّ والمجرور (في خاصّة) متعلق بمحذوف تقديره (كائنة) يعرب خبراً لكان، وقدّم

الجار والمجرور على اسم كان في قوله (عليه السلام): "وليكن في خاصّة ما يخلص به لله دينك إقامةُ فرائضه التي هي له خاصّة".

٤- العلّة: مرفوع على أنّه مبتدأ، و(به) جارّ ومجرور متعلّق بالخبر المقدّر، أي: العلّة كائنة به، والجملة الاسميّة من المبتدأ والخبر صلة للموصول (من) الذي يعرب اسمًا لـ (إنّ) في " فإنّ في النّاس من به العلّة ".

٥- حقّه: مرفوع على أنّه نائب فاعل للفعل (يؤخذ) وهو مضاف والهاء مضاف إليه.

صدور: مرفوع على أنّه فاعل للفعل (تحرج) في: " بما تحرج به صدور أعوانك " أي: تضيّق، من حرِج صدره يحرج على الباب الرابع.

س: ما المحلّ الإعرابيّ للمبنيّات الآتية:

١ـ (بُدّ) في: " لا بدّ لك من مباشرتها"، (بدّ): اسم (لا) النّافية للجنس، مبنيّ على الفتح في محلّ نصب، و(لك) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف يعرب خبر (لا) النافية للجنس، أي: لا بدّ حاصلة لك، وجملة (لا بدّ من مباشرتها) في محلّ رفع صفة لـ (أمور).

٢ـ (ما) في: "وإنّ لكلّ يوم ما فيه" وفي: " وأعط ما أعطيت"، (ما): اسم موصول مبنيّ على السّكون في محل نصب اسم إنّ، و(فيه) صلة لـ (ما)، و(ما) في "وأعط ما أعطيت" يجوز أنْ تكون موصولة في محلّ نصب مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف تقديره: المحتاجين، والفعل بعدها صلتها. ويجوز أنْ تكون مصدريّة، وهي والفعل بعدها مصدر مؤوّل في محلّ نصب مفعول مطلق، أي: وأعط إعطاء هنيئًا.

٣ـ (تلك) في "أفضل تلك الأقسام". (تلك): اسم إشارة للمؤنّث وهو (المواقيت) مبنيّ في محلّ جرّ بإضافة (أفضل) إليه، والمواقيت بدل من اسم الإشارة.

٤ـ الّتي في "التي هي له". (التي): اسم موصول مبنيّ في محل جرّ صفة لـ(فرائضه)، و(هي): مبتدأ، و(له) خبرها، والجملة الاسميّة من المبتدأ والخبر صلة الموصول.

٥ـ كيف في "كيف أصلّي بهم". كيف: اسم استفهام مبنيّ في محل نصب حال، و(أصلّي) مضارع مرفوع بالضّمّ المقدّر على الياء للثّقل.

٦ـ (الّذي) في: "فتتواضع فيه لله الذي خلقك". (الذي): اسم موصول مبني في محل جر صفة للفظ الجلالة.

س: ما المحلّ الإعرابيّ للجمل الآتية:

١ـ "حتى يكلّمك متكلّمهم". جملة في محلّ جرّ بحرف الجرّ (حتى) الذي يفيد الغاية. والفعل يكلّمك: منصوب بأنْ مصدريّة مضمرة بعد حتى، والكاف في محلّ نصب مفعول به، ومتكلّمهم فاعل.

٢ـ "يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته". جملة في محلّ جزم جواب الطّلب؛ لأنّها واقعة في سياق الأمر: ثمّ احتمل ونحّ، والفعل المضارع (يبسط) مجزوم بالسكون، وحرّك بالكسر منعًا لالتقاء سكون الجزم بسكون اللام في (لفظ الجلالة).

٣ـ " لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ ". جملة في محلّ رفع صفة للنكرة (أمّة).

س: أين مفعول القول في: " يقول في غير موطن... "، وأين مفعولي أعط في "فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك"؟

جملة "لن تقدّس أمّة لا يؤخذ فيها للضعيف حقّه من القوي غير متتعتع" في محلّ نصب مقول القول. والمفعول الأوّل لـ(أعط الله) هو لفظ الجلالة، و(بدنك) هو المفعول الثاني، ومن زائدة للتبعيض والتقدير (بعضًا من بدنك).

المستوى المعجميّ

س: في النصّ المتقدّم وردت لفظة القُدس، فهل هي ملازمة لمعنى الطُّهر أو ثمّة فرق بينهما؟ وضّح ذلك.

التقديس إزالة الخبث المعنويّ الكامن في النفوس بخلاف التطهير الذي قد يعني إزالة النجاسة المحسوسة، وقوله (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أي نطهر الأشياء ارتساماً لك، وقيل: نقدّسك أي؛ نَصفك بالتقديس، وقوله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} ﴿النحل: ١٠٢﴾ يعني به جبريل عليه السلام من حيث إنه ينزل بالقدس من الله، أي بما يطهّر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي، والبيت المقدس هو المطهر من الشرك، وكذلك الأرض المقدّسة.

أما الطهارة فتكون في الخلقة والمعاني؛ لأنها تقتضي منافاة العيب، يقال: فلان طاهر الأخلاق، وتقول: المؤمن طاهر مطهَّر، يعني أنه جامع للخصال المحمودة، والكافر خبيث؛ لأنه خلاف المؤمن وتقول: هو طاهر الثوب والجسد. وخلاف الطهارة الرجس والنجس، قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} ﴿الأحزاب: ٣٣﴾[١].

س: هل يمكن استبدال لفظة الجسم أو الجسد بلفظة البدن الواردة في قوله (عليه السلام): "فأعط الله من بدنك"؟

سبق أنْ ذكرنا الفرق بين البدن والجسم والجسد في المقطع التاسع.

س: قال (عليه السلام): "وفِّ ما تقرّبت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملًا غير مثلوم" فهل الثلم رديف الكسر أو هناك فرق بين اللفظتين؟

(الثلم) فصل طرف الشيء، ويكون في الجرم الرخو كالرغيف ونحوه، أما الكسر فليس له موضع معيّن من الجرم الذي لا يكون إلّا صلبًا كالحجر والزجاج ونحو ذلك.

---

(١) ينظر: المفردات (طهر، قدس).

س: نبّه الإمام (عليه السلام) إلى ضرورة مراعاة المرضى في إمامة الصلاة بقوله: "فإنّ في الناس من به العلّة "فهل المرض والعلّة والسّقم والداء كلّها بمعنى واحد؟ وضّح ذلك معجميًّا؟

العلَّةُ بمعنى المرض مشتقة من العلَلُ وهو الشربُ الثاني. يقال: عَلَلٌ بعد نَهَلٍ. وعلَّه يَعُلُّهُ ويَعِلُّه، إذا سقاه السقية الثانية. كأنَّ تلك العلَّةَ صارت شُغلاً ثانياً منَعَت العليل من شُغله الأول. وهذا المعنى ملائم لاختيار العبارة في هذا المقطع؛ لأنّ العلّة شغلت صاحبها عن عمله الرئيس وهو الصلاة.

أما السَّقَم فهو المرض المختصّ بالبدن، قال تعالى: {فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ} ﴿الصافات: ١٤٥﴾ وهو يقعد بصاحبه عن أيّ عمل كما في خبر نبيّ الله إبراهيم عليه السلام لّما رام هدم الأصنام {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} ﴿الصافات: ٨٩﴾ كي يقعد في البلدة ولا يخرج مع قومه للعمل، والمرض قد يكون في النفس كالجبن والبخل والنفاق، قال تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} ﴿البقرة: ١٠﴾ فهذا مرض في النفس، وقد يكون في البدن كما في قوله تعالى: { وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ } ﴿الفتح: ١٧﴾، وأما الداء فمرض ينتقل من أحد إلى آخر، أي يدور بين الناس وأصله في الجوف وقد يطلق على سائر أعضاء البدن، يقال: رجلٌ دَوِ بكسر الواو، أي فاسد الجوف من داء؛ وامرأةٌ دَوِيَةٌ. ودَويَ صدره أيضاً، أي ضَغِنَ. وللحظ الانتقال والشيوع في اشتقاق الداء اشتق منه دويّ الريح والشجر، فقالوا: دوّت الريح، أي انتقلت وسمع صوتها[1].

س: تتبّع تطوّر دلالة لفظة الصلاة معجميًّا على وفق المنهج التاريخي؟

إنّ الأصل في هذه اللفظة من الصلا، وهو وسط الظّهر من الإنسان والدّواب، يقال: صلّى الفرس في السّباق: جاء مصلّيًا، وهو الثاني في السّباق، أي الذي يتلو السّابق؛ لأنّ رأسه عند صلوي السابق، أي مغرز ذنبه، وتحريك

(١) ينظر: المفردات (دوأ، سقم، علل، مرض).

الصّلوين وهما العظمان النّاتئان أسفل الظهر كان من الكفّار لتعظيم أصنامهم، ثمّ انتقل هذا اللفظ من المعنى الماديّ في تحريك الظهر إلى المجرّد، وهو الدّعاء أثناء عبادة الأصنام وطلب الحوائج منها.

ثمّ ارتقى هذا المعنى في زمن البعثة النبوية من الدّعاء بالباطل إلى الدّعاء الحقّ وهو الدّعاء من الله تعالى؛ لأنّه الخالق وهو المعبود بحقّ، والصّلاة لهذا اسم مصدر من صلّى، ولا يقال: تصلية؛ لأنّها اسم وضع موضع المصدر، صلّى صلاة بمعنى دعا، والصّلاة من الله رحمة وتزكية؛ لأنّ الصّلاة الانعطاف، فصلاته تعالى انعطافه على الرسول بالرحمة انعطافًا مطلقًا، ومن النّبيّ على المؤمنين استغفار ومن الملائكة على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) استغفار ومن النبيّ لأمّته دعاء لهم ومن المسلمين على النبيّ دعاء؛ إذ إنّه بالصلاة على النبيّ تنال الرحمة. ثمّ تخصّصت دلالة هذه اللفظة بالحركات المعلومة في التّشريع الإسلاميّ من سجود وركوع وقنوت؛ إذ هي العبادة المخصوصة تسمية للشيء باسم بعض ما يتضمّنه.

وثمّة أصلٌ آخر هو الصلي، أي حرّ النار، صليت العود بالنار على الباب الرابع صَلَى بفتحتين: أحرقته، {وَيَصْلَى سَعِيراً} ﴿الانشقاق: ١٢﴾، وحاول بعض اللغويين أنْ يجعل الصّلاة بمعنى الدّعاء من هذا الأصل، فذهب إلى أنّ صلّى الرجل بمعنى السّلب، أي: أزال عن نفسه بهذه العبادة الصلي وهو نار الله الموقدة.

المستوى البلاغيّ

استخرج الفنون البلاغيّة المبرّزة في النصّ.

١-في النصّ اقتباس من الحديث النبويّ الشّريف، وهو أسلوب يستلزم استمالة نفس المخاطب إلى القيام بما أمر به امتثالًا للرسول صلى الله عليه وآله.

٢-في قوله (عليه السلام): " تفرّغ فيه شخصك" كناية عن الجدّ في متابعة قضايا الرّعيّة؛ والشخوص وهو الارتفاع، فالشّخص سواد الإنسان وغيره يرى من بعيد؛ لأنّه يرتفع واقفًا، ويقال: أشخص الرامي إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه، وشخص البصر: توسّع بلا حركة، فمراد الإمام (عليه السلام) أنْ يكون الوالي هو من يقابل هؤلاء دون غيره، ويكون في أتمّ الاستعداد لذلك.

٣-في قوله (عليه السلام): "وله الحاجة" كناية عن أصحاب الحِرَف والعمّال الذين يشتغلون بصناعتهم، وهم غير متفرّغين، أي مرتبطين بأوقات عملهم.

٤-في قوله (عليه السلام): "التي هي له خاصّة" كناية عن العبادات من صيام وصلاة، وهي من الفرائض التي لا يطّلع عليها سوى الله تعالى، والتي من شأنها أنْ تقوّي إيمان الوالي وتورثه الورع والتّقوى، وكذلك هذه الكناية وردت بعبارة أخرى هي: "أعط الله من بدنك"، أي: اجتهد في الصّلاة والقيام لله.

٥-في النصّ "وصلِّ بهم صلاة أضعفهم" تشبيه من النّوع المجمل؛ إذ ذكر المشبّه وهو صلاة الوالي والمشبّه به صلاة الأضعف من رعيّته، وأداة التّشبيه الكاف، أمّا وجه الشّبه فلم يذكر وذلك لدلالة السّياق عليهم، فصلاة الأضعف تكون قصيرة في الآيات التي تقرأ فيها فضلًا عن تقصير مدّة الرّكوع والسّجود واختصار الدّعاء في القنوت.

٦-في النصّ طباق إيجاب في قوله (عليه السلام): " في ليلك ونهارك " ولم يقل في يومك لإرادة شمول اليوم كلّه في العبادة.

٧-في النصّ استعمال ما يعرف بأسلوب الحكيم، وهو تقديم النّصح بطريقة السّؤال والجواب، وذلك واضح في قوله(عليه السلام): "وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين وجّهني إلى اليمن: كيف أصلّي بهم، فقال: ... ".

٨-في قوله (عليه السلام): " ثمّ أمور من أموركـ... منها" أسلوب إيجاز بالحذف إذ حذف الخبر وذكر المبتدأ نكرة، وذلك لتشويق الأذهان إلى سماع ما يفهم عن الخبر المحذوف، وهو (الأمور) التي سيذكرها الإمام(عليه السلام) لاحقًا.

المقطع الخامس عشر (الإعلام وأثره في الحكم)

قوله (عليه السلام): " وَأَمَّا بَعْدَ هذا، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْم بِالأمور، وَالاْحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُم عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَه فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظَمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ، أَو مُبْتَلَىً بِالْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ. "

المعنى العامّ[1]

هذا المقطع يصف فيه أمير المؤمنين عليه السلام حاجة الوالي إلى التواصل مع رعيته تمامًا كوسائل الإعلام في عصرنا التي يطلّ من خلالها الحاكم على الجماهير، وفي ذلك الزمن كانت وسائل التواصل بين الراعي والرّعيّة محدودة وأهمّها أنْ يشخص الوالي بنفسه محدثًا الناس بلا حجب ولا أستار. وقد سعى الإسلام في رفع الحجاب بين الوالي والرّعيّة إلى النّهاية، فكان النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله يختلط مع النّاس كأحدهم فيجتمعون حوله للصّلاة في كلّ يوم خمس مرّات، وكانوا يفدون إلى بيته لاستماع آي القرآن والوعظ وعرض الحوائج في أيّ وقت حتّى يقبلوا على أبواب دور نسائه ويدخلونها من دون استئذان فنزلت الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ} ﴿الأحزاب: ٥٣﴾، وكانوا يصيحون عليه من وراء الباب ليستحضروه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩١-٩١-٩٦.

حتّى نزلت الآية {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} ﴿الحجرات: ٤﴾. وأول من وضع الحاجب بينه وبين الرّعيّة هو عمر بن الخطاب كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وفي صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما أنّ عمر كان يحتجب عن الصحابة[١]، واشتدّ الحجاب في أيّام بني أميّة فكان المراجعون يُحجبون وراء الباب شهوراً وسنة، قال الشارح ابن أبي الحديد: "أقام عبد العزيز بن زرارة الكلابي على باب معاوية سنة في شملة من صوف لا يؤذن له"[٢].

وموضوع كلامه عليه السّلام هذا أنّ الحجاب ليس بهذا المعنى، بل المقصود النّهي عن غَيبة الوالي عن النّاس وعدم الاختلاط معهم بحيث يعرف أحوالهم وأخبارهم، فربّما ينتهز خواصّه هذه الفرصة فيموّهون عليه الحقائق كما يريدون، ويعرضون عليه الأمور بخلاف ما هي عليه فيستصغر عنده الكبير وبالعكس، ويقبح بإضلالهم عنده الحسن وبالعكس ولا يتميّز عنده الحقّ من الباطل إذ الوالي بشر لا يعلم الغيب وليست للحقّ علامات محسوسة كي يعرف الصدق من الكذب.

المستوى الصوتيّ

س: عُني علماءُ الصوت المحدَثون بما يعرف بمصطلح التنغيم وأثره في توجيه معنى الكلام، قف على هذا المصطلح بتوجيهك لموسيقى الكلام في قوله (عليه السلام): " ففيم احتجابك من واجب حقّ تعطيه" مبيّنًا كيفيّة الأداء الصوتيّ لهذه العبارة.

(١) ينظر: صحيح البخاري الحديث رقم ٢٠٦٢ و ٧٣٥٣ وصحيح مسلم ٢١٥٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/ ٩٦.

التنغيم[1]: هو الارتفاع أو الانخفاض في درجة الصّوت أثناء الكلام، نتيجة تذبذب الوترين الصوتيّين اللّذين يحدثان النغمة الموسيقيّة التي هي عامل مهمّ في أداء المعنى من تعجّب وتحسّر واستفهام ونفي وأمر ونهي ونداء وغير ذلك، وقديمًا ألمح ابن جنيّ إلى هذه الظّاهرة، ونبّه الجاحظ عليها في أثر الأصوات في الحيوانات من حدو الإبل لتسرع في مشيها وتزيد نشاطها.

وفي سؤال الإمام (عليه السلام) للوالي عن سبب احتجابه عن الرّعيّة استفهامٌ فيه دلالة التّعجّب واضحة؛ إذ كيف يقصّر عن أمر لا بدّ له من القيام به في إعطاء أو منع، وهو بذلك يزيح الشّبهات عنه؛ ولذا فإنّ الاستفهام التّعجّبيّ في هذه العبارة يؤدّى بالنغمة فوق العالية (الصّاعدة) لما فيها من مشاعر الانفعال والتّأثّر من تصرّف في غير محلّه، ونلحظ أنّ التنغيم له علامات ترقيم كالنّقطة والفاصلة والشّرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التّأثّر؛ لذا نضع بعد انتهاء العبارة هذه علامة الاستفهام يتلوها علامة التّعجّب (؟!).

المستوى الصرفيّ

س: زن الكلمات الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، واذكر دلالتها الصرفيّة.

١- تطوّلنّ: فعل مضارع على (تفعّلَنّ) من (طوّل) على زنة فعّل المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت المبالغة والتعدية، يقال: طال الشيء يطول طولًا: ضدّ العرض على الباب الأوّل، أي: امتدّ، وأطاله غيره وطوّله.

٢- احتجابك: (افتعالك)، مصدر من احتجب على افتعل المزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المطاوعة، يقال: حجبه يحجبه على الباب الأوّل، أي: منعه، فاحتجب هو.

٣- شُعبه: فُعله، اسم دالّ على أثر الحدث في الموضع، من شعب الشيء يشعبه على الباب الثالث: فرّقه، وجمع الشّعبة الشُّعب، وهي الفرقة من

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي١٩٤ومناهج البحث في اللغة١٦٤وعلم اللغة العام / الأصوات ٢١٢والمدخل إلى علم اللغة١٠٦.

الشيء، يقال: شُعب الجسم: أطرافه، أمّا الشَّعْبُ فهو القبيلة المتشعّبة من حيّ واحد، وجمعه: شُعُوبٌ[1].

٤- الحُسن: مصدر على فُعل من حسُن يحسُن على الباب الخامس فهو حَسن: ضدّ القبيح.

٥- القبيح: فعيل، صفة مشبّهة من قبُح يقبُح على الباب الخامس.

٦- يُشابُ: (يُفعل) فعل مضارع مبنيّ للمجهول من شاب الشيء يشوبه شوبًا على الباب الأوّل، أي: خلطه قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} ﴿الصافات: ٦٧﴾ أي: خليطًا[2].

٧- بشر: (فعل) اسم جنس إفراديّ يطلق على الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث، ويجمع على أبشار، من البشرة وهي ظاهر الجلد، وسُمّى به الإنسان اعتبارًا بظهور جلدة من الشّعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصّوف أو الشّعر أو الوبر، يقال: أبشرت الرجل وبشّرته: أخبرته بخبر سارّ يبسط بشرة وجهه، وبشِر به: فرح وسُرّ[3].

٨- توارى: (تفاعل) فعل ماض مزيد بالتّاء والألف، والزيادة أفادت المطاوعة: واريت الشّيء فتوارى، أي: استتر، قال تعالى: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} ﴿ص: ٣٢﴾، والمجرّد: وري يري وريًا على الباب السادس، أي: خرجت ناره من وراء المقدح، وأوراه غيره، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} ﴿الواقعة: ٧١﴾.

٩- تسديه: (تفعله) فعل مضارع من أسدى على (أفعل) مزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول الثاني بوساطة حرف الجرّ، والمجرد متعدٍ، سدت المرأة النّسج: أقامت سداه ومدّته، أي رتّبت خيوطه الطّويلة، والسّدى والسّداة من الثوب: خيوطه التي تمدّ طويلًا، الواحدة سداة، يقال: ما

---

(١) ينظر: المفردات للراغب (شعب).

(٢) ينظر: المفردات للراغب (شوب).

(٣) ينظر: المفردات (بشر).

أنت بلحمة ولا سداة، أي: لا تضرّ ولا تنفع، وأسدت المرأة النسيج: أقامت سداه مبالغة في ذلك، ومن هذا المعنى الماديّ انتقلت الدلالة إلى المجرّد بملحظ امتداد خيوط السّدى.

قيل: أسدى فلانٌ معروفًا إلى فلان بمعنى أدّاه له وقدّمه، وبملحظ أنّ السّدى خيوط ممتدّة لا تجتمع مع بعضها وإنّما تمدّ انتظارًا للحمة عُبِّرَ عن الإهمال فقيل: إبلٌ سدى، بمعنى مهملة، وعليه قوله تعالى: "أ يحسب الإنسان أنْ يترك سدى القيامة " أيْ: مهملًا لا يؤمر ولا يُنهى.

١٠- أيسوا: (عفلوا)، فعل ماض حصل فيه قلب مكانيّ، والأصل: يئس من الشيء ييأس على الباب الرابع يأسًا، واليأس: قطع الرجاء، أي: القنوط، قال ابن فارس في مقاييس اللغة: ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلّا هذه، وأمّا (أيس) فهو لغة من يئس.

١١- شكاة: (فعلة)، وأصل اللام فيها واو ثمّ قلبت ألفًا لتحرّكها وفتح ما قبلها، وهو مصدر من شكاه يشكوه على الباب الأوّل شَكوًا وشَكايةً وشكاةً، والاسم: الشّكوى، أي: أظهر توجّعه من شيء ما. وهو مأخوذ من أصل ماديّ هو فتح الشّكوة وإظهار ما فيها، وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء كأنّه أظهر ما في قلبه من حزن، ومنه المشكاة آلة للإضاءة وهي كوّة غير نافذة فيها مصباح، قال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} ﴿النور: ٣٥﴾(١).

١٢- مظلمة: (مفعلة)، اسم دالّ على كثرة الظلم في المكان، والظلامة وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم لما أخذه منك ظلمًا. والظلم من ظلمه يظلمه على الباب الثاني ظُلمًا، وهو وضع الشيء في غير موضعه، إمّا بنقصان أو زيادة، وإمّا بعدول من وقته أو مكانه، يقال: ظلمت السّقاء: تناولته من غير

---

(١) ينظر: لسان العرب (شكو).

وقته، وظلمت الأرض: حفرتها ولم تكن موضعًا للحفر، والظُلم عرفًا مجاوزة الحقّ، لهذا يستعمل في الذّنب الكبير والصّغير[1].

١٣- معاملة: (مفاعلة)، مصدر من المزيد بالألف: عامله يعامله معاملة، وهو مصدر دالّ على المشاركة في الفعل، يقال: عامل فلان فلانًا: إذا تصرّف معه في بيع أو شراء أو غير ذلك. وعامله بالمثل: تصرّف معه بمثل تصرّفه معه، أي: تبادلا الفعل.

المستوى النحويّ

س: بيّن نوع الإضافة ودلالتها فيما يأتي:

١- (احتجاب الولاة)، الإضافة محضة بمعنى اللام، والمعنى: احتجاب للولاة، والمراد أنْ يتّخذ حجابًا على بابه يمنع عن ورود الناس إليه إلّا مع الإذن، واليوم يعرف بالحمايات والحرس الشّخصي.

٢- (أحد رجلين)، الإضافة محضة، بمعنى (من) أي: أنت واحد من رجلين، فالمراد بيان حاله وإلى أي نوع ينتسب.

٣- (قلّة علم بالأمور)، الإضافة غير محضة فلا يكسب المضاف شيئًا من المضاف إليه؛ لأنّها من إضافة الصّفة إلى موصوفها، والمعنى: الاحتجاب عن الرّعيّة ناشئ من (العلم القليل بالأمور).

س: اذكر المحلّ الإعرابيّ للجمل الآتية:

١- (يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه)، الجملة في محلّ رفع خبر للمبتدأ (الاحتجاب)، و(يقطع) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر يعود على الاحتجاب، و(علمَ) مفعول به مضاف إلى (ما) الموصولة، وصلتها الجملة الفعلية بعدها: احتجبوا.

(١) ينظر: المفردات (ظلم).

٢- (لا يَعرف ما توارى عنه النّاس)، الجملة في محلّ رفع صفة للخبر (بشرٌ)، وهو خبر للمبتدأ (الوالي)، والفعل (يعرف) فاعله مستتر يعود على المبتدأ (الوالي)، ومفعوله (ما) الموصولة وصلتها جملة توارى عنه الناس.

٣- (تُعرف بها ضروب الصّدق)، الجملة في محلّ رفع صفة لـ(سمات) التي تعرب اسمًا لـ(ليست) وخبرها (على الحقّ) أو محذوف تقديره كائنة على الحقّ، والفعل (تُعرف) مبنيّ للمجهول، و(ضروب) نائب عن الفاعل مضاف إلى الصّدق.

٤- (سخت نفسك بالبذل في الحقّ)، الجملة في محلّ رفع صفة لـ(امرؤ) الذي يعرب خبرًا لمبتدأ محذوف، تقديره أنت، و(أمّا) هي حرف تفصيل، والتقدير: أمّا أنت امرؤ سخت نفسك... أو مبتلى بالمنع.

٥- (تعطيه) الجملة في محلّ جرّ صفة للفظة (واجب) المجرور بـ (من) قبلها، و(واجب) مضاف إلى حقّ في (واجب حقّ تعطيه).

س: أعرب ما تحته خطّ في هذا المقطع من العهد.

المستوى المعجميّ

هل يمكن استبدال لفظ (العلامات) بلفظ (السمات) في: "وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ"؟

السمات جمع سمة بمعنى الوسم، يقال: وسمه يسمه على الباب الثاني وسْمًا: إذا أثّر فيه بسمة وكيٍّ، والميسم: المكواة، أي: آلة الوسم، فالوسم: التأثير، والسّمة هي الأثر، قال تعالى: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} ﴿الفتح: ٢٩﴾ و{سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} ﴿القلم: ١٦﴾ أي: نعلّمه بعلامة يعرف بها، فالفرق بين السمة والعلامة[1] أنّ السمة ضربٌ من العلامات مخصوص وهو ما يكون بالنار في جسد حيوان مثل سمات الإبل

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٧١.

وما يجري مجراها، أما العلامة فعامّة في كلّ ما يحصل به عِلم، مادّة كان أم معنى كعلامات الإعراب وعلامات الساعة وعلامات المدينة وغير ذلك، فالسمة أخصّ من العلامة؛ لأنّها تعني الوسم، وهنا اختار أمير المؤمنين لفظ السمة تجسيداً لمعنى الصدق والكذب للمتلقي فاستعمل لفظ السمات لهما تشبيهاً لهما بالأحياء.

س: قال (عليه السلام): " فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك"، فهل اليأس بمعنى القنوط أو الخيبة، أو ثمّة فرق معجميّ بينها؟

الفرق بين القنوط والخيبة واليأس هو أنّ القنوط أشدّ مبالغة من اليأس، وأما الخيبة فلا تكون إلّا بعد الأمل؛ لأنّها امتناع نيل ما أُمِّل، أمّا اليأس فقد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده، والرجاء واليأس نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر، والخائب المنقطع عمّا أُمّل، والفرق بين الخيبة واليأس أنّ الخائب منقطع عمّا أَمّل[1].

س: السّخاء والجود والكرم ألفاظ مترادفة ظاهراً، فلماذا استعمل الإمام (عليه السلام) مع نفسيّة الوالي الفعل (سخا) دون (جاد) أو (كرُم) في قوله (عليه السلام): "إمّا امرؤ سخت نفسك بالبذل"؟

الفرق بين السخاء والجود أنّ السخاء هو أنْ يلين الإنسان عند السؤال ويسهل مهره للطالب من قولهم: سخوت الأديم أسخوه سخواً إذا ليّنته، وأرض سخاوية ليّنة[2]؛ ولهذا لا يقال لله تعالى: سخيّ، والجود كثرة العطاء من غير سؤال من قولك: جادت السماء، إذا جادت بمطر غزير، والفرس الجواد الكثير الإعطاء للجري والله تعالى جواد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة، والفرق بين الجود والكرم أنّ الجواد هو الذي يعطي مع السؤال. والكريم: الذي يعطي من غير سؤال مرّة بعد أخرى[3].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢٤٥.

(٢) ينظر: الصحاح (سخو).

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ١٧٤.

المستوى البلاغيّ

س اذكر أبرز الفنون البلاغيّة في النصّ المتقدّم.

١- في النصّ أسلوب إيجاز بالحذف في قوله (عليه السلام): " إمّا امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحقّ... أو مبتلى بالمنع "إذ حذف المبتدأ بعد (إمّا)، وكذلك بعد (أو)، والتّقدير: إمّا أنت امرؤ... أو أنت مبتلى، وذلك لدلالة سياق الخطاب عليه.

٢ـ في النصّ أسلوب القصر في قوله (عليه السلام): " وإنّما الوالي بشر" وقوله (عليه السلام): "وإنّما أنت أحد رجلين"، فإنّما أداة قصر، و(ما) كفّت إنّ عن العمل، والمعنى المراد هو تخصيص المذكور الأوّل بالثّاني؛ إذ حصر حال الوالي بحال البشريّة، والمراد تلمّس العذر للوالي الناصح على زلّة ليست مقصودة قد تصدر منه.

٣- في النصّ أسلوب استفهام خرج إلى معنى التّعجّب في قوله (عليه السلام): "ففيم احتجابك من واجب حقٍّ تعطيه أو فعل كريم تسديه؟!" وما يثير التّعجّب أنْ لا حجّة في احتجاب الوالي إنْ كان سخيًّا؛ لأنّ الجواد لا يتضايق من البذل للناس.

٤-في النصّ أسلوب التّعجّب بالصيغة القياسيّة (ما أفعله) في قوله (عليه السلام): " فما أسرع كفّ النّاس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك" وهو أسلوب يدلّ على الدّهشة والاستغراب لاستعظام شيء فيه صفة بارزة؛ لذا تعجّب (عليه السلام) من احتجاب الوالي عن رعيّته في الحالة الثانية، وهي كونه بخيلًا؛ لأنّه بمنعه العطاء على الطّالبين سيحملهم على اليأس من جوده فيسرعون إلى الابتعاد عنه ولا يصيبه ضرر من لقائهم.

٥- في النصّ ما يعرف في علم البديع بأسلوب الحكيم، نجده في قوله (عليه السلام): " وإنّما أنت أحد رجلين: إمّا امرؤ... أو مبتلى" فهذا التّقسيم لحال الوالي مع رعيّته على أمرين أسلوب حكيم في إيصال الأمر إلى المخاطب.

٦-في النصّ طباق إيجاب في قوله (عليه السلام): "فيصغر عندهم الكبير، ويعظم عندهم الصّغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشابُ الحقّ بالباطل".

٧- في قوله (عليه السلام): "وإنّما الوالي بشر" كنّى الإمام (عليه السلام) بلفظة البشر عن كونه لا يعلم الغيب، ولا يعرف ما استتر عنه إلّا بعلامة تدلّ عليه، وليست للحقّ علائم محسوسة ليعلم الصّدق من الكذب، فهو يعتمد على أقوال الخواصّ الذين يوهمون عليه الحقائق؛ وبذا يختلط الحقّ بالباطل، فعليه أنْ لا يحتجب عنهم.

المقطع السادس عشر: (الحكم الديمقراطيّ)

قولـه (عليـه السـلام): " ثُـمَّ إِنَّ لِلْـوَالِي خاصّـة وبِطَانَـةً، فِـيهِمُ اسْـتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنصاف فِي مُعَامَلَة، فَاحْسِمْ مادّة أُولئكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ، وَلاَ تُقْطِعَنَّ لأَحَد مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعةً، وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَة، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْب أَو عَمَل مُشْتَرَك، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالاْخِرَةِ. وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقعاً ذلكَ مِنْ قَرَابَتِكَ خَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذلكَ مَحْمُودَةٌ. وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيّة بِكَ حَيْفاً، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذلكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ فِيه حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ ".

المعنى العامّ[1]

للحاكم أتباع وحاشية وأقارب يرون سلطانه سلطانًا لهم، فيتجبّرون على الناس زاعمين بأنّ لهم أنْ يصدروا الأوامر، وأنّ على الناس أنْ تسمع وتُطيع، وإذا كان الحاكم شخصية ضعيفة تغلّبوا على أمره، واتّخذوا مال اللّه دُولًا، وعباده خوِلًا، والصالحين حَربًا، والفاسقين حِزبًا، فتمتلئ قلوب الرّعيّة عليه حقداً وكراهية، وحدث له ولهم ما حدث لعثمان وبطانته، والإمام يحذّر عامله من الذين يمتّون إليه بسبب من الأسباب، ويبيّن له كيف ينبغي أنْ يعاملهم ويروضهم على العدل.

فأمر (عليه السلام) الأشتر بأنْ يقتلع أسباب الظلم والغطرسة في خاصته وبطانته من الجذور بأنْ لا يتخذ منهم مستشارين له، ولا يسند إليهم أي منصب، ولا يمنحهم الضِّيع أو الأرض بما يضرّ الآخرين من المزارعين، وإذا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٩٧-١٠١ وفي ظلال نهج البلاغة ٥/ ٣٨٠.

أُوذي الحاكم وتضرّر من جفوة أقاربه لنصرته الحقّ فعليه أنْ يصبر ويحتسب عند اللّه، فإنّ للصابر المحتسب حسن العاقبة دنيا وآخرة، هذا هو رأي الإمام عليه السلام في الحاكم؛ إذ هو أجير مؤتمن، وعليه أنْ يُخلص ويُتقن العمل، وإذا اتّهمه الناس بالتقصير وجب عليه أنْ يبرّئ نفسه بالحجّة والدليل.

وللرعية أنْ تحاسب وتعارض؛ لأنّ الحقّ لها تمارسه وتعتصم به ساعة تشاء. ولا صورة للديمقراطيّة التي تحلم بها الإنسانية إلا هذه الصورة المشرقة التي سبقت الحكم الديمقراطي الحاضر بمئات السنين بعد أنْ مرّت الدول الديمقراطية بحقبة سوداء من الشعارات الزائفة، والانقلابات العسكرية، والانتخابات المزوّرة التي تُنفق عليها الأموال الطائلة من قوت الشعب والشركات وحملة الأسهم.

المستوى الصوتيّ

س: علّل صوتيًا قلب الواو ياء في اللفظتين (الدنيا، رياضة).

علل القدماء قلب الواو ياء في (الدنيا) ونحوها بأنّ الواو إذا وقعت لامًا لوصفٍ على (فُعلى) قلبت ياء تخفيفًا، فالدنيا أصلها (الدُنوى) والعليا أصلها (العُلوى) فقلبت الواو ياء للسبب المذكور آنفًا، ولم يرضَ المحدَثون بهذا التعليل ورأوا أنّ الذي جرى في الدنيا والعليا وأشباههما هو وجود مزدوج صوتي ثقيل في الطرف لتباعد قاعدته عن قمته هو المقطع الطويل المفتوح (وـَ)؛ لأنّ الواو شفوي والألف حنجري فلجأوا إلى التقريب بين ركني المقطع بأنْ حذفوا الواو واجتلبوا الياء؛ لأن الياء من شجر الفم وهي أقرب من الواو إلى مخرج الألف.

وأما (رياضة) فأصلها رِواضة، فقال القدماء: إنّ الواو إذا وقعت عينًا في مصدر أو جمع تكسير مسبوقة بكسر ومتلوة بالألف قلبت ياء نحو: صيام أصله صِوام، ورياض أصله رِواض، وزيارة أصله زِوارة، ورياضة أصله رِواضة. ولم يرضَ المحدَثون بهذا التعليل فرأوا أنّ الذي جرى في مثل هذه

الألفاظ هو وجود مثلث صوتي متجاور ومتنافر مؤلّف من تتابع الكسرة والواو والألف في نسق صوتي واحد، فلجأوا إلى التقريب بين أركان هذا المثلث الصوتيّ روماً للخفة فحذفوا الواو واجتلبوا الياء ليكون التتابع مقبولًا من الكسرة إلى الياء إلى الألف.

س: زنِ الألفاظ الآتية وزنا صرفيًّا محكمًا، واذكر دلالتها الصرفيّة.

١- استئثار: مصدر على الاستفعال قياسًا من استأثر على زنة (استفعل)، والزيادة أفادت الطّلب، استأثر بالشيء استئثاراً، يقال: خصّ به نفسه وجعل أثره باقيًا عنده، فالأثر هو ما بقي من الشيء، والاسم: الأثرة، واستأثر بالسلطة: استبدّ بها وانفرد بها، واستأثره بالشيء: أعطاه إيّاه دون غيره من الناس.

٢- تطاوُل: مصدر على التفاعُل، من الفعل تطاول، المزيد بالتاء والألف، والزيادة أفادت التّكلّف في إظهار الطول، تطاول على غيره: وارتفع وتكبّر، كأنّه أظهر طوله عليه، والطّول ضدّ العرض، طال الشيء: امتدّ، وبه يكنّى عن مدّ الجسم تكبّراً، تطاول إلى الشيء: مدّ عنقه ليراه، وتطاول عليهم الليل: امتدّ، قال تعالى: {وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} ﴿القصص: ٤٥﴾.

٣- حامّتك: حامّة على زنة (فاعلة)، والتاء للنقل إلى الاسميّة، وهو اسم جمع لا مفرد له دالّ على الخاصّة من الأهل والولد، أي: القرابة، وجمعه: حوامّ، من الحمّة وهي العين الحارّة، والحميم هو الماء الشّديد الحرارة، يقال: حمّ الماءَ يحمُّه على الباب الأوّل: سخّنه، والحميم: القريب المشفق، قال تعالى: {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا} ﴿المعارج: ١٠﴾، فكأنّه الذي يحتدّ حماية لذويه، وقيل لخاصّة الرجل حامّته لذلك، واحتمّ فلان لفلان: احتدّ[1]، وذلك أبلغ من اهتمّ لما فيه من معنى الاحتمام.

---

(١) ينظرك المفردات للراغب (حمم).

٤- تُقطعنّ: فعل مضارع من أقطع، المزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية للمفعول الثاني، يقال: قطع الشيء يقطعه على الباب الثالث قطعًا، وقطع رحمه قطيعة: هجرهم وصدّهم بترك البرّ والإحسان إليهم، وأقطعه الشيء منحه إياه.

٥- قطيعة: اسم على (فعيلة) من أقطعه الحاكم قطيعة: أي: قطعة من الأرض، فالتاء للنقل إلى الاسميّة، أي: إنّ القطيعة اسم خاصّ بما يملّكه الحاكم لمن يريد من أتباعه منحة من أرض المسلمين.

٧- مهنأ: مفعل، مصدر ميميّ من هنأه كذا يهنأه على الباب الثالث، وهو كلّ ما لا يلحق فيه مشقّة ويأتيه بلا تعب، أصله من هنُؤ فهو هنيْء.

٨- الآخرة: اسم على (فاعلة) يدلّ على النّشأة الثانية، قال تعالى: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى} ﴿الضحى: ٤﴾، والتأخير ضدّ التقديم، قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أو يَتَأَخَّرَ} ﴿المدثر: ٣٧﴾ فالآخر والآخرة بكسر الخاء صفة على فاعل، يقال: جاء آخِر، أي أخيرًا، والجمع أواخر، والآخرة مقابل الأولى. أمّا الآخَر فهو اسم على أفعل التفضيل والأنثى أخرى. والآخِرة مقابل الدّنيا وهي فاعلة والتاء فيها للنقل إلى الاسميّة، أي: اسم يراد به دار الحياة والبقاء بعد الموت.

٩- محتسبًا: اسم فاعل على (مفتعل) من احتسب المزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت الصيرورة، أي: صيرورة المعدود ضمن ما يعدُّ من أعماله في الآخرة، فالحساب من العدّ، يقال: حسَب الشيء يحسِبه حسبًا وحسابًا، أي: عددته، قال تعالى: {لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} ﴿يونس: ٥﴾، والحَسَب بفتحتين: الشرف في الآباء، واحتسب فلان ابنه: إذا مات كبيرًا فعدّ من الأشياء المذخورة له عند الله تعالى، يقال: احتسب الشيء: ضحّى به وطلب ثواب الله يوم الحساب[1].

---

(١) ينظر: لسان العرب (حسب).

١٠- مغبّة: مفعلة، اسم لتكثير الحدث في المكان، فهي عاقبة كلّ شيء وآخره، وتكون حسنة أو سيّئة، "غبّ الصباح يُحمد القوم السرى"، يقال: غبّ الأمر يغبّ على الباب الثاني: صار إلى آخره ونتيجته، وهو مأخوذ من الغبّ وهو أنْ تردّ الإبل يومًا وتدع يومًا، فهو دالّ على زمان وفترة فيه، ويقال: لحم غابّ إذا لم يؤكل لوقته، بل يترك وقتًا وفترة، وكذلك غبّ الأمر: إذا بلغ آخره.

١١- أصحرْ: فعل أمر من أصحر على أفعل، مزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت الدّخول في المكان، يقال: أصحر: دخل الصّحراء، نحو: أجبل أي دخل الجبل، وأغار: دخل الغور.

١٢- تقويمهم: مصدر على التفعيل من قوّمهم على (فعّل) مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت الصّيرورة، قام الشيء يقوم قيامًا: إذا انتصب، قال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} ﴿آل عمران: ١٩١﴾، وأقامه غيره، وقوّمت الشيء تقويمًا؛ لأنّك تقيم هذا مكان ذاك، قوّم المعوجّ: عدّله وأزال عوجه، وقوّم الأخلاق: هذّبها وأصلحها، وقوّم الخطأ: صحّحه، وهو أصل دالّ على الانتصاب في القامة ثمّ أخذ منه معنى العزم على الحفاظ على الشيء ومراعاته.

س: كيف تفرق صرفيًّا بين القرب والقرابة والقربى والقربان والمقربة؟

١ـ القُرب مصدر الثلاثي (قرَب يقرَب) من الباب الثالث، ويستعمل في المكان كما في قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} ﴿البقرة: ٣٥﴾ والزّمان كما في {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} ﴿الأنبياء: ١﴾.

٢ـ القَرابة على فَعالة، مصدر بمعنى الدنوّ في النسب، من قرُب يقرُب من الباب الخامس، أي: دنا ضدّ بعُد.

٣ـ القُربى: اسم مصدر على فُعلى، وذكر اللغويّون أنّ القرابة في النّسب، والقربى في الرّحم، قال تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} ﴿الشورى: ٢٣﴾.

٤ـ القربان: ما قُرّب إلى الله تعالى وهو اسم مصدر من التقريب، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} ﴿المائدة: ٢٧﴾.

٥ـ المقربة في قوله تعالى: {يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} ﴿البلد: ١٥﴾ معناه ذا قرابة في النسب[1]، والمقربة تدلّ على الزمن والمكان والحدث معًا؛ لأنها في الأصل مصدر ميمي واسم مكان واسم زمان، أي إنّ ذا المقربة أخص وأقرب مكانًا وزمانًا ومن ذوي القرابة.

المستوى النحويّ

س: بيّن الوجه الإعرابيّ من رفعٍ أو نصب أو جرّ ظاهر على الألفاظ الآتية؟

١- (استئثارٌ) في قوله (عليه السلام): "فيهم استئثارٌ أو تطاول... "

استئثار: مرفوع؛ لأنّه مبتدأ، وإنّما ساغ الابتداء بالنّكرة لتقدّم خبرها وهو الجارّ والمجرور (فيهم) عليها.

٢- الأحوال في قوله (عليه السلام): " بقطع أسباب تلك الأحوال ".

الأحوال: اسم مجرور؛ لأنّه يعرب بدلًا من اسم الإشارة (تلك) الذي هو مضاف إليه، والأسباب مضاف.

٣- محتسبًا وواقعًا في قوله (عليه السلام): "وكن في ذلك صابرًا محتسبًا واقعًا ذلك من قرابتك حيث وقع".

محتسبًا: منصوب بتنوين النّصب؛ لأنّه يعرب خبرًا ثانيًا للفعل الناقص كان، و(كن) فعل أمر مجزوم بالسكون، واسمها ضمير المخاطب المستتر فيها.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٩/٥.

أمّا لفظ (واقعًا) فهو منصوب؛ لأنّه يعرب حالًا من الإلزام في قوله (عليه السلام): " وألزم الحقّ" أي: واقعًا ذلك الإلزام؛ ولذا عمل اسم الفاعل (واقعًا) لأنه حال فرفع فاعلًا، وهو اسم الإشارة (ذلك).

٤- الحقّ في قوله (عليه السلام): " وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد".

الحقّ: مفعول به أوّل لفعل الأمر (ألزم) المزيد بهمزة القطع التي تفيد التعدية إلى المفعول الثاني وهو (من) الموصولة، والجملة الفعلية (لزمه) صلة الموصول.

٥- حيفًا في قوله (عليه السلام): " وإنْ ظنّت الرّعيّة بك حيفًا فأصحر لهم"؟

حيفًا: مفعول أوّل للفعل (ظنّ) وهو من أفعال القلوب، يأخذ مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، و(بك) جارّ ومجرور متعلّق بالمفعول الثاني لـ(ظنّ)، والتقدير: ظنّت الرّعيّة حيفًا كائنًا بك.

س: بيّن المحلّ الإعرابيّ للجمل الآتية:

١- "تضرّ بمن يليها". الجملة في محلّ جرّ صفة للفظة عقدة.

٢- "يحملون مؤونته على غيرهم". الجملة في محلّ نصب (حال) من الناس في "اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم".

٣- "فأصحر لهم بعذرك". الجملة في محلّ جزم جواب الشّرط للأداة (إنْ)، وفعل الشّرط هو جملة (ظنّت الرّعيّة).

٤- "تبلغ به حاجتك". الجملة في محلّ نصب صفة للفظة (إعذارا) التي هي اسم إنّ الحرف المشبّه بالفعل.

س: في قوله (عليه السلام): " وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإنّ مغبّة ذلك محمودة" يفسّر حرف الباء بأنّه بمعنى (مع)، ما رأيك في مسألة تناوب حروف الجرّ؟

ذكر اللغويّون للباء عدّة معانٍ أوصلوها إلى ثلاثة عشر معنى، واقتصر سيبويه على المعنى الرّئيس، وهو الإلصاق حقيقة، نحو: أمسكت به، أي: ممسكًا بشيء من جسمه أو ثوبه أو مجازًا، نحو: مررت به، أي: ألصقت مروري بمكان يقرب من زيد، وأبرز ما قيل في مجيء الباء بمعنى حرف آخر هو مجيؤها بمعنى (في)، أي: بمعنى الظّرف الزّماني أو المكاني، وجعلوا منه {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ} ﴿القمر: ٣٤﴾ و{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ﴿آل عمران: ١٢٣. وأنْ يكون بمعنى (عن) وجعلوا عليه {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} ﴿الفرقان: ٥٩﴾ أي: عنه، و{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} ﴿المعارج: ١﴾ أي: عن عذاب، وأنْ تكون بمعنى (على)، وجعلوا عليه {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ﴿آل عمران: ٧٥﴾ أي: على قنطار، وأنْ يكون بمعنى (مع) وتسمّى باء المصاحبة، وجعلوا عليه {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} ﴿هود: ٤٨﴾ أي: مع سلام، و{وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ} ﴿المائدة: ٦١﴾ أي: مع الكفر، وغيرها من المعاني، وفي النصّ، قيل: إنّ معنى قوله (عليه السلام) المتقدّم هو: وابتغ عاقبته مع ما يثقل عليك منه فإنّ مغبّة ذلك محمودة ".

والقول بتناوب الصّيغ محلّ خلاف؛ لأنّه يخرج النصّ عن ظاهره دون مسوّغ من قرينة حاليّة أو مقاميّة فإبقاء الحرف على معناه اللغويّ يحفظ للنّصّ معناه الذي أورده المتكلّم في ذلك النّظام مستعملًا هذا الحرف دون غيره، والإمام (عليه السلام) أراد أنْ يذكّر الوالي بأنّ عاقبة فعله من تحرّيه الحقّ مع قرابته يوصله إلى رضا الله تعالى وإنْ عانى الأمرّين من إلحاح القرابة والخاصّة ومكائدهم، فالإمام (عليه السلام) أكّد على كون الوالي لا مفرّ له من تحمّل

ثقلهم؛ لأنّهم لن يسكتوا عن تأخيرهم بالعطاء مع قربهم من الوالي وهو القائم عليه؛ لذا عبّر عن هذا الأمر المحتوم التصاقه بالوالي بحرف الباء التي تفيد الإلصاق. ولو استعمل (عليه السلام) (مع) بدلًا عن (الباء) لفهم مصاحبة الوالي لثقل هؤلاء دون انغماسه في مشكلاتهم أو قد يتكفّل بشكاواهم وزيره أو صاحبه، وبذا لا يلامس تذمّرهم من القريب وهذا خلاف ما أراده (عليه السلام).

المستوى المعجميّ

س: ورد الحسم والقطع في قوله (عليه السلام): "فاحسم مؤونة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال" فما الفرق بينهما؟

القطع يكون ظاهرًا وخافيًا كالقطع في الشيء الملزق المموّه فأما الظاهر فقطع السبب وهو الحبل، ويقال: قطعه في المناظرة؛ لأنه قد يكون ذلك من غير أنْ يظهر ومن غير أنْ يقطع شغبه وخصومته. أما الحسم فإزالة أثر الشيء، يقال: قطعه فحسمه، أي: أزال مادته، وبه سُمي السيف حسامًا أي إنّ الحسم هو نهاية القطع، وهنا جاء قطع الأسباب مقدمةً لحسم المؤونة تمامًا كالفرق اللغوي بين اللفظتين إذ القطع مقدمة والحسم نتيجة[1].

س: قال (عليه السلام): "وإنْ ظنّت الرّعيّة بك حيفًا" يفسّر الحيف بالظلم والجور، فهل هذا على وجه المطابقة أو ثمّة خطّ فاصل بين هذه المترادفات؟

الحيف: الحمل على الشيء حتى ينقصه، وأصله من قولك: تحيّفت الشيء إذا تنقّصته من حافاته. أما الظلم فيعني إخفاء الحقّ وتغطيته، ومنه اشتق الظلام والفرق بين الجور والظلم أنّ الجور خلاف العدل والاستقامة في الحكم، يقال: جار الحاكم في حكمه والسلطان في سيرته إذا فارق الاستقامة في ذلك، ويكون الجور على جهة القهر. والحيف في هذه العبارة موافق لسياق

---

(١) ينظر: الصحاح (حسم وقطع).

القـول الـذي ورد فيـه لفـظ (ظـن الرّعيّـة)، والظلـم والجـور لا يكونـان ظنًّـا واعتقادًا بل يقينًا وجزمًا. أما الحيف فهو أقلّ منهما؛ لأنه يعني نقصان حافة الشيء لا كلّه وهذا ملائم للظنّ المذكور قبله[1].

المستوى البلاغيّ

س: اذكر أبرز الفنون البلاغيّة الواردة في النصّ المتقدّم، مبيّنًا الغاية منها.

١-في النصّ استعارة مكنيّة في قوله (عليه السلام): "فأصحر لهم بعذرك" إذ شبّه الإمام (عليه السلام) إظهار الوالي لعذره إلى رعيّته بخروج الرجل إلى الصحراء؛ إذ ينكشف الرجل ويظهر للعيان؛ لأنّ الصحراء فضاءٌ واسع لا نبات فيه، فلا يواريه شيء، قالت أم سلمة رض لعائشة: "سكّن الله عقيراك فلا تصحريها، أي: لا تبرزيها إلى الصحراء "[2]، وإصحار الرجل معناه ظهوره وعدم اختفائه؛ وبذا حذف المشبّه به وهو الرجل وبقي لازم من لوازمه وهو دخوله الصحراء وانكشاف أمره.

٢-في النصّ كنايات بألفاظ هي: الخاصّة، البطانة، الحامّة، القرابة، إذ كنّى (عليه السلام) عن القريبين إليه نسبًا بالقرابة والحامّة، غير أنّ الحامّة من درجة النسب منهم أقرب من المذكورين بلفظة (القرابة)، وكذا كنّى (عليه السلام) عن القريبين إليه بلفظتي: الخاصّة والبطانة، فخاصّة الرجل من يفضي إليهم بأسراره وقد يكونون من غير ذوي نسب له، أمّا البطانة فهم مستشاروه، وقد لا يأتمنهم على أسراره، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ " مَا مِنْ وَالٍ إلاَّ وَلَهُ بِطَانَتَان؛ بطانةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوه خبَالاً، أَيْ لَا تُقَصر فِي إِفْسَادِ حَالِه"[3].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢١٥.

(٢) تهذيب اللغة ٤/١٣٩.

(٣) سنن الترمذي ٤/١٤.

٣-في النصّ أسلوب توكيد باستعمال نون التّوكيد الثّقيلة: (لا تقطعنّ)، (لا يطمعنّ) وكذلك بالحرف المشبّه بالفعل (أنّ)، وهذا من مراعاته (عليه السلام) للمخاطب؛ إذ عُني (عليه السلام) بالتأكيد على البطانة فكرّر توصية الوالي بالحذر منهم مع أنّه (عليه السلام) نبّهه على ذلك في أوّل رسالته، وهذا لعظم خطرهم على البلاد، فتقريبهم وإعطاؤهم من مال المسلمين فيه ظلم للرعيّة وأذى على الوالي نفسه، وليس ما حصل لعثمان بن عفّان ببعيد؛ إذ بتقريبه أبناء عمومته وأقاربه حملَ الناس على الثّورة عليه وقتله.

المقطع السابع عشر: (السّياسة الخارجيّة)

قوله (عليه السلام): "وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إليه عَدُوُّكَ لله فيه رِضىً، فإنَّ في الصُّلْحِ دَعَةً لجُنُودكَ، ورَاحَةً مِنْ هُمُومكَ، وأَمْناً لبِلاَدكَ، وَلَكنِ الْحَذَرَ كلّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّك بَعْدَ صُلْحه، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّما قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، واتَّهِمْ فِي ذلكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَ عَدُوٍّ لَكَ عُقْدَةً، أو أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فإنّه لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ عز وجل شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْه اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فإنّه لاَ يَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلى مَنَعَتِهِ، يَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ، فَلاَ إِدْغَالَ، وَلاَ مُدَالَسَةَ، وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ، وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ، إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طَلِبَةٌ، لاَ تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ. "

المعنى العامّ(١)

تعرّض عليه السّلام في هذا الفصل إلى الرّوابط الحكوميّة الإسلاميّة الخارجيّة وحثّ على رعاية الصلح وقبول الدّعوة إليه، وهذا الدّستور ناشئ من جوهر الإسلام الّذي كان شريعة الصّلح والسّلام والأمن؛ فإنّه نهض بشعارين ذهبيّين هما الإسلام والإيمان، والإسلام مأخوذ من السّلم، والإيمان

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١٠٧-١١٠.

مأخوذ من الأمن، وهذان الشعاران اللّذان نهض الإسلام بهما إعلام بأنّ هذا الدّين يدعو إلى استقرار الصلح والأمن بين البشر، وقد نزلت في القرآن الشريف آيات محكمات تدعو إلى الصّلح واستتباب السّلام، فقال تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ﴿الأنفال: ٦١﴾. و{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} ﴿البقرة: ٢٠٨﴾.

والسبب في ترغيب الإسلام في الصلح والسّلم أنّ الإسلام دين برهان وتفكير وشريعة تبيان ودليل، والاستفادة منها يحتاج إلى محيط سالم وطمأنينة، والحرب المثيرة للأحقاد والتعصّبات منافية للتوجّه إلى البرهان والتعقّل في أيّ بيان، وقد نبّه عليه السّلام إلى ما في الصّلح من الفوائد القيّمة فذكر أنّ في الصّلح:

١ـ دعة لجنودك: فالحرب متعبة للأبدان منهكة للقوى، فيحتاج الجند إلى دعة واستراحة لتجديد القوى والاقتدار على مقاومة العدى.

٢ـ (وراحة من همومك): فالحرب تحتاج إلى ترسيم خطّة صحيحة تؤدّي إلى الظّفر فإذا حمي الوطيس واحمرّ الموقف من دم الأبطال وارتج الفضاء من العويل والويل لا يقدر القائد من التفكير وترسيم خطط ناجحة، والصّلح يريحه من الهموم ويفتح أمامه فرصة الفكر وترسيم الخطط للظفر بالعدوّ.

٣ـ (وأمنًا لبلادك) فالحرب تثير الضّغائن وتحرّض العدوّ على الإغارة في البلاد وسلب الأمن والرّاحة عن العباد. ثمّ حذّر عليه السّلام من الغفلة بعد الصّلح ووصّى أنْ يكون المسلمون على فطنة من كيد الأعداء؛ لأنّ العدوّ إذا رأى التفوّق لعدوّه في الحرب وأيس من الغلبة عليه يلتجئ باقتراح الصّلح، ثمّ لم يلبث أنْ يفكّر في الخديعة وطلب الظّفر بالمكر والدّهاء من شتّى النواحي ويقارب ليتمكن من درس نقاط الضعف وينتهز الفرصة للهجوم.

س: لِمَ قُلبت الواو تاء في (اتّهم) إذ أصله من (الوهم)؟

(اتّهـم) مشـتقّ مـن وَهِمْـتُ في الحسـاب أَوْهَـمُ وهْمـاً، إذا غلطـت فيـه وسهوت. ووَهَمْتُ في الشيء، بالفتح أَهِمُ وَهْماً، إذا ذهب وَهْمُكَ إليه وأنتَ تريدُ غيره. وتَوَهَّمْتُ، أي ظننت. وأَوْهَمْتُ غيري إيهاماً. والتَوهيمُ مثله[1]. والاسم التُهَمَةُ بالتحريك، وأصل التاء فيه واوٌ. أي (اوتهم، وُهمة) فأما في الفعل فإنّ الواو والتاء لما تقاربا في المخرج وثقلت الواو ابتداء قلبت الواو تاء وأدغمت التاء بالتاء فصار (اتّهم)، وأما التهمة فأصلها بالواو المضمومة وكان حق الواو أنْ تقلب همزة؛ لأنها مضمومة ابتداء كما في أُولى أصلها (وُولى) ولكن لن يزول الثقل بهمز واو (الوُهمة) لاجتماع الهمزة والهاء وكلاهما من حروف الحلق فلجؤوا إلى قلب الواو تاء؛ لأنّها من مخرجٍ قريب من مخرجها، وإنّ الكلم العربي شاع فيه قلب الواو أو الياء تاء كتاء أخت واثنتان وكلتا وتراث وتجاه وتولج وتترى وغير ذلك.

س: في لفظة (دعة) حذف للواو؛ لأنّ الأصل (ودع) فما التّفسير الصوتيّ لهذا الحذف؟ وهل عوّض بالصّامت (التاء) عن الصائت الطّويل؟

سبق أنْ ذكرنا أنّ علّة حذف الواو من صيغة مصدر الهيأة (فعلة) من المثال الواوي هي التخفيف، فـ(دعة) أصلها (وِدعة) بكسر الواو نحو (هبة، زنة، عدة، صفة، صلة، شية) وغيرها، وليست هذه المصادر مأخوذة من صيغة الفَعْل كما ذهب الصرفيّون القدماء الذي قالوا: إن هذه أصلها (الودع، الوهب، الوزن، الوعد، الوصف، الوصل، الوشي) ولكنْ حذفت الواو وعوِّضت بتاء في الآخر، وإنّما رفضنا هذا التوجيه لثلاثة أسباب:

أولها: لا موجب لحذف الواو من الصيغة الخفيفة (الفَعل) وإنّما تحذف الواو فراراً من الثقل وهذه الصيغة لا ثقل فيها.

---

(١) ينظر: الصحاح (وهم).

والسبب الثاني: أنّ اللفظة إذا حصل فيها حذف وتعويض ينبغي أنْ يهجر اللفظ الثقيل من كلام العرب ويبقى اللفظ الجديد الخفيف، وهذا لا يثبت مع هذه الألفاظ؛ إذ نجد الأصل والفرع مستعملين معًا.

والسبب الثالث: وهو الأهم أنّ بين الفعل والعلة فرقًا دلاليًا، وهو أنّ الفعل مصدر صريح والعِلة مصدر هيأة فلا موجب لزعم الصرفيّين القدماء.

المستوى الصرفيّ

س: زن الأفعال الآتية، واذكر أحرف الزيادة فيها، مبيّنًا المعنى الصرفيّ لكلّ صيغة منها.

١- قارب: فاعَل، فعل ماض مزيد بالألف، والزيادة أفادت المشاركة يقال: قربه يقربه قربًا بضم الفاء على الباب الرابع، أي: دنا منه واقترب، وقارب فلان فلانًا: ناغاه بكلام حسن أي: حادثه محادثة حسنة، وقارب في الأمر: ترك الغلوّ وقصد السّداد، وقارب النّهاية: أوشك أنْ ينتهي كأنه شاركها في القرب، وقوله (عليه السلام): قارب ليتغفّل، معناه: قاربه عدوّه بصلحه، فحذف المفعول ومتعلّقه لدلالة السّياق عليه.

٢- يتغفّل: يتفعّل، مضارع من تغفّل على تفعّل، مزيد بالتاء وتضعيف العين، والزيادة أفادت التدرّج، أي: قاربه بصلحه ليطلب غفلته فيظفر به. والغفلة سهو يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ، يقال: غفل عن الشيء غفولًا: تركه وسها عنه، وأغفله غيره والاسم الغفلة، والتغافل والتّغفّل: تعمّده المضي في الغفلة شيئًا فشيئًا، أي إنّ (تغفّله) معناه تخدّعه وتحيّن غفلته أي: سهوه عن الشيء وعدم تيقّظه.

٣- اتّهمْ: افتعل، فعل أمر من اتّهم على زنة (افتعل) مزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت إظهار التهمة أي الجهر بها بعد ما كانت خفية، يقال: وهم يهم على الباب الثاني إذا ذهب وهمه إليه وهو يريد غيره، وأوهمت الشيء إذا أغفلته. ويقال: وهِم في الحساب يوهم على الباب الرابع: غلط،

والوهم تصوّر شيء وتخيّله، وتوهّمت الشيء: تخيّلته، واتّهمت فلانًا، أي: أبديت له التّهمة ورميته بها وهذا هو معنى الإظهار في صيغة افتعل.

٤- ألبسته: ماض مزيد بهمزة القطع، والزيادة أفادت التعدية إلى المفعول الثاني، يقال: لبس الثوب على الباب الرابع لبسًا: استتر به، وألبسه غيره.

٥- استوبلوا: استفعلوا، ماضٍ من استوبل المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة أفادت إيجاد الشيء على صفةٍ، أي إنّهم وجدوا الغدر وبيلًا عليهم فاستثقلوا الغدر لما فيه من سوء العاقبة. والوبيل: الشّديد والثّقيل، من الوابل وهو المطر الشّديد، يقال: وبلت السماء تبل على الباب الثاني: إذا أتت بوابل، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿البقرة: ٢٦٥﴾.

٦- أفضاه: ماض على أفعل، مزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية، وقد ورد هذا الفعل لازمًا، ولم نقف على تعديته إلّا في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، يقال: أفضى الرجل: دخل في الفضاء وهو المكان المتّسع، وأفضى إلى الأرض: مسّها براحته، وأفضى الأمر إلى كذا وصل، وأفضى إلى المكان وصل إليه، وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿النساء: ٢١﴾ كناية عن النّكاح.

٧- يستفيضون: يستفعلون، مضارع من استفاض على (استفعل) مزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة أفادت المبالغة في الفيض، وهو جريان الشيء بسهولة، فاض الماء: كثر حتى سال، وفاض الخير كثر، واستفاض: انتشر، والمعنى ينتشرون في جوار هذه الرحمة الإلهيّة.

٨- تعوّلنّ: مضارع على تفعّلنّ، من عوّل تعويلًا، إذا استغاث واعتمد على غيره، يقال: عالَ يَعُولُ عَوْلًا: جَارَ ومالَ عَنِ الْحَقِّ. وأصله النقصان في الميزان يُقَالُ: عَالَ المِيزانُ إذا ارْتَفَعَ أَحدُ طَرَفيه عَنِ الْآخَرِ؛ وتوسّعوا فيه فقالوا: عَالَ الرجلُ يَعُولُ إذا افْتقر، وعَالَ يَعُولُ إذا كَثُر عِيالُه؛ وقد صرح أمير المؤمنين

في نهج البلاغة بأنّ الفقر وكثرة العيال قرينان فقال: " قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ"[1]، ونظيره قولهم: "العيال سوس المال"[2]؛ ولذا يمكن فهم دلالة الفعل (عال يعول) على الفقر وكثرة العيال معًا؛ لأنّ المحصّل واحد. ومَعْنَى قَوْلِه تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} ﴿النساء: ٣﴾ ذلكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا أي ذَلِكَ أقرب أَنْ لَا تَجُوروا وتَمِيلوا، وَقِيلَ: ذَلِكَ أَدْنى أَنْ لَا يَكْثُر عِيَالكم[3]، والأظهر صرفيًا أنْ يقال: عَالَ الرجلُ يَعُول إذا جَارَ، وأَعالَ يُعِيلُ إذا كَثُر عِيالُه.

ثم توسعوا في المعنى أكثر فاستعمل العول للدلالة على صوت المحتاج فقالوا: العَوْل والعَوْلة رَفْعُ الصَّوْت بالْبُكَاء، والعَوْلُ والعَوِيل: الاِسْتِغَاثَةُ، وأَعْوَلَ الرجلُ والمرأةُ وعَوَّلا: رَفَعا صَوْتَهُمَا بِالْبُكَاءِ وَالصِّيَاحِ؛ والتعويل مبالغة في العويل ومجاز منه؛ إذ يقال: عوّلت على فلان إذا اتّكأت عليه واعتمدت، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مُعَوَّلي عَلَى فُلَانٍ أي اتِّكالي عَلَيْهِ وَاسْتِغَاثَتِي بِهِ.

٩- تستقبل: مضارع على تستفعل من (استفعل) المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة أفادت الصيرورة، يقال: استقبلت فلانًا أي صيّرته قُبُلا لي، والاستقبال ضدّ الاستدبار، والإقبال التّوجّه نحو القُبل، قال تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} ﴿الصافات: ٥٠﴾ والمقابلة المواجهة، واستقبله: واجهه وأقبل نحوه، وأمّا قبل الأمر فمعناه: أخذه عن طيب خاطر قابلًا بها، وثمّة رواية أخرى لـ(تستقبل) هي (تستقيل) وهو مضارع من استقال على استفعل، مزيد بهمزة الوصل والسين والتاء، والزيادة أفادت الصيرورة، أي: صيرورته مقالًا، قال يقيل قيلولة: نام نصف النّهار، والقائلة: الظّهيرة، والقيلولة: النوم فيها {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}

(١) الحكمة (١٤١).

(٢) فقه اللغة وسر العربية ٢٧٢.

(٣) الكشاف ٤٩٩/١.

﴿الفرقان: ٢٤﴾ والمقيل مصدر ميميّ من القيلولة، ومنه أقال الله عثرته، أي: صفح عنه وعفا، وترك ذنبه، واستقاله: صيّره كذلك.

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًا محكمًا، وبيّن المعنى الصرفيّ لكلّ منها؟

١- صُلحٌ: اسم مصدر على فُعل، من أصلح بينهم إصلاحًا وصلاحًا، والمجرّد صلح الشيء صلاحًا: لم يفسد، والصلح هو إزالة النّفار بين الناس، قال تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} ﴿النساء: ١٢٨﴾.

٢- جُنّة: فُعلة، وهي اسم دالّ على كلّ ما استتر به من سلاح، وكذلك السّترة، يقال: استجنّ بجنّة، أي: استتر بسترة، والمجنّ: التّرس، من جنّ عليه الليل وأجنّه جنونًا إذا ستره، قال تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} ﴿الأنعام: ٧٦﴾، وأجنّه: جعل له ما يجنّه نحو: قبرته وأقبرته، وهو دالّ على ستر الشيء عن الحاسّة، وفي الحديث "الصّوم جُنّة" أي: وقاية من الشّهوات، والفرق بين (الجُنّة والجِنّة والجَنّة) أنّ الجُنة بالضم تعني الدرع الواقي الذي يستتر به عند القتال، والجَنّة بالفتح كلّ بستان ذي شجر يُستتر بأشجاره. والجنة بالكسر مجتمع الجِن سُمّوا بذلك لاستتارهم واختفائهم عن أنظار الناس، والجامع لهذه الألفاظ الثلاثة هو الستر والاختفاء.

٣- أهوائهم: أفعال، جمع قلّة مفرده هوى، وهو مصدر من هويه يهواه هوى على الباب الرابع من اللفيف المقرون، بمعنى أحبّ، والهوى: ميل النّفس إلى شهوة، جمع لتنوّع هوى كلّ واحد.

٤- عواقب: فواعل، جمع كثرة على صيغة منتهى الجموع، مفرده عاقبة، اسم لما يأتي آخر الشيء.

٥- حريم: فعيل، صفة للموضع المحرّم الذي لا ينتهك، فحريم البشر هو ما حولها يحرّم على غير صاحبها أنْ يحفر فيه، والحريم من كلّ شيء: ما تبعه

محرم بحرمته من مرافق وحقوق، وحريم المسجد: الموضع المحيط به، وذكر (عليه السلام) أنّهم يسكنون إلى جواره ليأمنوا، من حرم الشيء بضمّ العين: منع، حرمًا بضمّ الفاء وحرامًا ضدّ الحلال، فحريم صفة مشبّهة، مكان حريم أي مقدّم، حرّمه فهو حريم بمعنى محروم من حرم علي وكل ما حرّم فلا ينتهك يوصف بالحريم كالثوب المحرم ونساء الرجل ومرافق الدار وغيرها.

٦- جواره: فِعال، مصدر من جاوره جوارًا ومجاورة؛ لأنّه مائل عنه من الجور وهو الميل، جار عن الطريق، واستجار: طلب جواره.

٧- إدغال: مصدر على إفعال، من أدغل، المزيد بهمزة القطع التي أفادت التعدية، أدغل في الأمر: إذا أدخل فيه ما يخالطه فيفسده، والدغل بفتحتين: الشجر الملتفّ؛ ولذلك هو مكان يخاف فيه الاغتيال، ومنه سمّي الفساد الدغل، ومنه ما رواه الواقدي في (شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٨) وهو قول أبي ذر الغفاري لعثمان بن عفان بن أبي العاص: إني سمعت النبي صلّى اللّه عليه وآله يقول: "إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلًا اتّخذوا مال اللّه دولًا، وعباده خولًا، ودينه دغلًا ".

٨- مُدالسة: مصدر على مفاعلة من دالس الرجل يدالسه دِلاسًا ومدالسة إذا خادعه وخانه، وهو مزيد بالألف التي أفادت المبالغة في الخيانة، من الدّلس وهو اختلاط الظلام، والدّلس الخديعة، ومنه التّدليس في البيع وهو كتمان عيب السّلعة عن المشتري بأنْ يريه الشيء ويعرّفه له بخلاف ما هو عليه، كأنّه خادعه وأتاه في الظلام، والتّدليس في الأسناد هو أنْ يحدّث عن الشيخ الأكبر ولعلّه ما رآه وإنّما سمعه ممّن هو دونه أو ممّن سمعه منه.

٩- خداع: مصدر على فعال من خادعه مخادعة وخداعًا، وهو مزيد بالألف، وأفادت الزيادة معنى المبالغة في الخدع {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} ﴿البقرة: ٩﴾ أي: أولياؤه تفضيعًا لفعلهم، وهو أصلٌ دالّ على الإخفاء، خدعه يخدعه على الباب الثالث

خدعًا، إذا ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والاسم الخديعة، والمخدع بضم وسكون وفتح: الخزانة.

١٠- تجوّز: مضارع من جوز الأمر تجويزًا، على فعّل، مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت الجعل، أي جعله جائزًا مباحًا وسوّغه، من جاز الموضع إذا سلكه، وأجازه: خلّفه وقطعه.

١١- لحن: مصدر من لحن في كلامه يلحن على الباب الثالث، فهو لاحن ولحِن، وهو إمالة الكلام عن جهته الصحيحة أي: هو أداء المقصود بلفظ يحتمل غيره من المعنى كالتورية والتعريض، أي: لا تعتمد على التلاعب في الكلام في عهودك، وعليه {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} ﴿محمد: ٣٠﴾. أي الكلام المورّى به المزال عن جهة الاستقامة والظهور.

واختلفوا[١] في تأويل الآية فمنهم من جعل لحن القول: خطؤه، ومنهم من فسر اللحن بالفطنة والذكاء باستعمال التورية في الكلام والتعريض وأبرزهم الراغب[٢]: اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، وجعل الآية ممّا أزيل عن التصريح وصرفه بالتعريض، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة، قيل للفطن بما يقتضي فحوى الكلام: لحن. وعليه "ولعلّ بعضكم ألحن بحجّته من بعض" أي: أفصح وأقدر على الحجّة. والأولى أنْ يكون المراد هو الفطنة في هذه الآية، والمعنى أنّ لحن القول هو بغض الإمام (عليه السلام) الظاهر على لسان المنافقين؛ لأن لحن القول يعني الميل عن الحق ميلًا يبدو حسنًا للمتلقي باستعمال التورية والتنميق والتزوير فهو ميل خفيٌّ لا ظاهر فيؤنف منه، وبهذا المعنى شاع استعمال اللفظ في الغناء؛ لأنه قول منمّق مزخرف.

---

(١) ينظر: تفسير النكت والعيون للماوردي ٣٠٤/٥.

(٢) ينظر: المفردات (لحن).

١٣- التّوثقة: مصدر على التفعلة من وثّق المزيد بتضعيف العين، يقال: وثّقه توثيقًا وتوثقة نحو التجريب والتجربة، والزيادة أفادت المبالغة في تأكيده.

١٤- انفساحه: مصدر على الانفعال من انفسح على انفعل مزيد بهمزة الوصل والنون، والزيادة أفادت المطاوعة، فسح له المكان يفسح على الباب الثالث فسحًا: وسّعه له فانفسح.

١٥- انفراجه: مصدر على الانفعال أيضًا من انفرج، مزيد بهمزة الوصل والنون، يفيد المطاوعة، فرّج الله الهمّ فانفرج انفراجًا: كشفه.

١٦- تبعته: تبِعة (فعِلة)، اسم يراد به الشيء الذي لك فيه بغية، شبه ظلامة ونحوها أي: ما اتبع به، وكذا التباعة ككتابة، تبعه يتبعه على الباب الرابع تبعًا: قفا أثره ومشى خلفه {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ﴿البقرة: ٣٨﴾، وأتبعه إذا كان قد سبقه فلحق به، قال تعالى: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} ﴿الحجر: ١٨﴾ والتّبيع: التابع وخصّ بولد البعير إذا تبع أمّه، والتَّبَع بفتحتين أيضًا التابع، واحد وجمع {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ} ﴿غافر: ٤٧﴾.

١٧- طَلِبة: فَعِلة، اسم من طالبه مطالبة وطلابًا: إذا طلبه بحقّ، والاسم الطلبة والطّلب، وطلب يطلب على الباب الأوّل طلبًا: الفحص عن وجود الشيء، عينًا كان أو معنى {أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} ﴿الكهف: ٤١﴾.

المستوى النحويّ

س: اذكر المحلّ الإعرابيّ للجمل الآتية، وبيّن السّبب.

١- " دعاك إليه عدوّك": الجملة من الفعل الماضي المبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتعذّر، وفاعله (عدوّك) ومفعوله ضمير الكاف المتصل بالفعل دعاك في محلّ نصب صفة لـ(صلحًا).

٢- " لله فيه رضًا": الجملة الاسميّة من المبتدأ المؤخّر وخبره المقدّم في محلّ نصب حال من (صلحًا) ذلك لأنّ (الصلح) لمّا وصف بجملة " دعاك إليه عدوّك " خصّص واقترب من المعرفة.

٣- "ربّما قارب ليتغفّل": الجملة من ربّما الكافة والمكفوفة وما بعدها في محلّ رفع خبر لـ(إنّ) الحرف المشبّه بالفعل، التي اسمها المنصوب هو لفظة (العدوّ).

٤- "ليس من فرائض الله شيء": الجملة في محلّ رفع خبر (إنّ) قبلها، واسم إنّ هو الضمير المتّصل بها (الهاء)، وتفصيل إعراب هذه الجملة هو أنّ (ليس) فعل ماض جامد ناقص تعمل عمل كان، واسمها (شيء)، وخبرها الجارّ والمجرور (من فرائض)، وإنّما ساغ مجيء المبتدأ نكرة لتقدّم خبره عليه.

٥- "فإنه ليس من فرائض الله عزّ وجلّ شيءٌ الناسُ أشدُّ عليه اجتماعًا من تفريق أهوائهم".

فيها عدة أوجه إعرابية للشراح أفضلها أنْ يقال: (أنّه) حرف مشبه بالفعل والهاء اسمها، (ليس) فعل ماض ناقص، (من فرائض) جار ومجرور متعلق باستقرار محذوف في محل نصب خبر ليس مقدم، (شيء) اسم ليس مرفوع. وجملة (ليس شيء من فرائض الله) في محلّ رفع خبر (إنّ)، (الناس) مبتدأ مرفوع، (أشدّ) خبر للمبتدأ وهو اسم تفضيل، (عليه) جار ومجرور متعلق بالاجتماع بعده، (اجتماعًا) تمييز منصوب، (من تعظيم الوفاء) جار ومجرور متعلق باسم التفضيل (أشدّ) وأفعل التفضيل يكمّل بالإضافة أو لفظة (من)، والجملة الاسمية (الناس أشدّ..) في محل نصب حال من (شيء) أو في محل رفع صفة له.

٦- "لا يجترئ على الله إلّا جاهل" الجملة من (لا) النافية، والفعل المضارع المرفوع بالضّمّة المقدّرة على الياء للثقل، وفاعله (جاهل)، في محلّ رفع خبر (إنّ) واسمها الهاء.

٧- " أفضاه بين عباده": هذه الجملة الفعليّة في محلّ نصب صفة للفظة (أمنًا) الذي هو المفعول الثاني لـ(جعل)، وإعرابها مفصّلًا: أفضاه، فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتعذّر، والفاعل مستتر يعود على لفظ الجلالة، والهاء ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به، و(بين) ظرف مبني مضاف إلى عباده.

٨- " يسكنون إلى منعته" الجملة الفعليّة في محلّ نصب صفة للفظة (حريمًا) المعطوفة على (أمنًا)، والإعراب المفصّل، يسكنون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله.

٩- " تجوّز فيه العلل" الجملة من الفعل المضارع المرفوع وفاعله المستتر ومفعوله (العلل) في محلّ نصب صفة للمفعول به (عقدًا).

١٠- " لزمك فيه عهد الله ": الجملة من الفعل الماضي (لزم) وفاعله (عهد الله) ومفعوله (ضمير الكاف) في محلّ جرّ صفة للمضاف إليه (أمر) في: (ضيق أمر).

١١- " ترجو انفراجه" الجملة من المضارع المرفوع وفاعله المستتر ومفعوله (انفراجه) في محلّ جرّ صفة للمضاف إليه (أمر).

١٢- " تخاف تبعته": الجملة من المضارع المرفوع وفاعله المستتر ومفعوله المنصوب (تبعته) في محلّ جرّ صفة لـ(غدر).

١٣- " فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك" الجملة من الفعل المضارع المرفوع المنفي بـ(لا) النافية، وقبلها فاء التّفريع (الفصيحة)، وفاعله المستتر ومفعوله (دنياك) في محلّ رفع صفة للفاعل (طلبة).

س: اذكر الحالة الإعرابيّة للأفعال الآتية، وعلّل لكلّ منها.

١- "ويستفيضون إلى جواره" يستفيضون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير منفصل في محل رفع فاعل، وهو مرفوع لخلوّه من الناصب والجازم.

٢- " ربّما قارب ليتغفّل " يتغفّل: فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتح، وعامل النّصب هو أنْ المصدريّة الناصبة بعد لام التّعليل، والفعل بعدها في تأويل مصدر يتعلّق بالفعل قارب.

٣- "وأن تحيط بك من الله فيه طَلِبة "، تحيط: فعل مبنيّ للمجهول منصوب بـ(أنْ) المصدريّة النّاصبة، و(طلبة) نائب الفاعل، معطوف على لفظة (عذر)، والمعنى: خير من عذر ومن إحاطة طَلِبة لله بك.

٤- " ولا يدعونّك ضيق أمر "، يدعونّك: فعل مضارع مبنيّ على الفتح لاتّصاله بنون التوكيد الثّقيلة في محل جزم بـ (لا) والفاعل هو لفظة (ضيق) ونون التوكيد لا محلّ لها من الإعراب، والكاف ضمير متّصل في محل نصب مفعول به.

٥- " فحطْ عهدك بالوفاء، الفاء: رابطة لجواب الشّرط، و(حُط) فعل أمر مجزوم من حاط يحوط.

٦- "واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت" اجعل: فعل أمر وفاعله، والمفعول (نفسك)، و(دون) ظرف مبني مضاف، و(ما) موصولة في محلّ جرّ بالإضافة إلى دون، و(أعطيت) ماض مبنيّ على الفتح لاتصاله بتاء الفاعل، صلة الموصول لا محلّ له من الإعراب، ويجوز أنْ تكون (ما) مصدريّة وهي والفعل في محلّ جرّ بالإضافة.

س: أعرب ما تحته خط في هذا المقطع.

المستوى المعجميّ

س: اجتمعت لفظتا العهد والذّمّة في قوله (عليه السلام): "فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمّتك بالأمانة" فما الفرق بينهما إذا ما علمت أنّ العطف يفيد المغايرة؟

إنّ العهد ما كان من الوعد مقرونًا بشرط نحو قولك: إنْ فعلتَ كذا فعلتُ كذا وما دمتَ على ذلك فأنا عليه، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} ﴿طه: ١١٥﴾ أي أعلمناه أنك لا تخرج من الجنّة ما لم تأكل من هذه الشجرة، والعهد يقتضي الوفاء وهو بين طرفين يلتزمان به معا[١]، أما الذمّة فخلافها الأمانة كما في سياق قول الإمام (عليه السلام) لكنّ الذمّة مشتقّة من الذم؛ لأنّ الذمّة والذِّمامُ كلّ عهد يلْزمك الذم إذا ضَيَّعْتَه؛ لأنها تقع من طرف واحد؛ ولذا يسمّى أهلُ العهد بأهلَ الذِّمَّةِ وهم الذين يؤدّون الجزية التزامًا بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم، فإن ضيّعوه لزمهم الذمّ، ورجل ذِمِّيٌّ معناه رجل له عهد إنْ تركه استحق الذم، والعرب تقول: بئر ذَمَّةٌ وذَميمٌ وذَميمةٌ قليلة الماء؛ لأنها تُذَمُّ، وأَذَمَّتْ ركاب القوم إذْماماً أَعيت وتخلفت وتأخرت عن جماعة الإبل ولم تلحق بها كأنها حَمَلَت الناس على ذَمِّها، وبلحاظ فعل الذم سمي العهد والكَفالةُ بالذمّة في كلام العرب؛ لأن الذم كثيرًا ما يكون عاقبة لذلك في عرفهم إذ يتلو هذا التعهّد نقض ونكث فيحصل الذم فالقتال[٢].

س: ذكر الإمام (عليه السلام) لفظتي: التّفرّق والتّشتّت في موضع واحد بقوله (عليه السلام): "مع تفرّق أهدافهم، وتشتّت آرائهم" وهذا يعني أنّ ثمّة فرقًا بينهما، وضّح ذلك.

التشتّت تفريق في انتشار وتبعثر، يقال: شت جمعهم شتًّا وشتاتًا، وجاءوا أشتاتًا أي متفرقي النظام، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٥٧.

(٢) ينظر ك الصحاح (ذمم) والمفردات (ذمم).

أَعْمَالَهُمْ} ﴿الزلزلة: ٦﴾ والتشتت خلاف الألفة فقال تعالى: {وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} ﴿الحشر: ١٤﴾ أي هم بخلاف من وصفهم بقوله {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} ﴿الأنفال: ٦٣﴾، أما التفريق فخلاف الجمع وهو جعل الشيء مفارقًا لغيره. فقوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ﴿البقرة: ١٣٦﴾ معناه لا نجعل الأنبياء مفارقين بعضهم من بعض، بأنْ نؤمن ببعض، ونكفر ببعض(١).

س: وردت الألفاظ: الغدر، الختل، الإدغال، المدالسة، الخداع في (فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، ... وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، ... فَلاَ إِدْغَالَ، وَلاَ مُدَالَسَةَ، وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ) فما المعنى الدقيق لهذه المترادفات؟

١-الغدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به.

٢-الختل: الكُمون للعدو والاختباء له في موضع طلبًا للفجأة وأخذه على غفلة منه، يقال: خَتَلَ الذِّئبُ الصَّيدَ خَتْلاً: تَخفَّى له وكُلُّ خادعٍ فهو خاتِلٌ وخَتُولٌ كصَبُورٍ، والخِتْلُ بالكسر: كُلُّ مَوضعٍ يُخْتَتَلُ فيه مِثْلُ الكِنِّ.

٣-الإدغال من الدَغَلُ وهو الفَسادُ، مثل الدَخَلِ. يقال: قد أَدْغَلَ في الأمر، إذا أَدْخَل فيه ما يخالفُه ويُفسِده. وأصل الدَغَلُ: الشجرُ الكثير الملتفُّ الذي لا يعرف ضارّه من نافعه، فالإدغال هو لبس الحق بالباطل.

٤-المُدالَسَةُ أصلها من الدلس وهو الظلمة وتعني إخفاء عيب الشيء، فكأنَّه يأتيك بالشين به في الظلام وأنت تحسبه زينًا.

٥-الخداع هو التظاهر باجتلاب نفع أو دفع ضرّ، والمراد خلافه ولا يقتضي أنْ يكون بعد تدبّر ونظر وفكر، ألا ترى أنه يقال: خدعه في البيع، إذا غشّه وإنْ كان ذلك بديهة من غير فكر ونظر.

---

(١) ينظر: الصحاح (شتت، فرق).

المستوى البلاغيّ

س: اذكر أبرز الفنون البلاغيّة الواردة في النصّ المتقدّم.

١ـ في قوله (عليه السلام): "أو ألبسته منك ذمّة" استعار لفظ اللبس للدخول في أمان الذّمّة لحاظًا لشبهها بالقميص ونحوه من حيث شدّة الاتّصال، فهذه استعارة تمثيليّة، ومثلها {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} ﴿البقرة: ١٨٧﴾ فجعل التّقوى لباسًا على طريق التّمثيل والتّشبيه.

٢ـ"واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيته" هذه أيضًا استعارة تمثيليّة، استعار لفظ الجنّة لنفسه بلحاظ شبهها بالتّرس ونحوه، فشبّه (نفسك) بالمجنّ الذي يستتر به المحارب، فحذف وجه الشّبه وهو الاستتار، وأبقى لازمه وهو السّتر (جُنّة).

٣ـ" وقد جعل الله عهده وذمّته أمنًا... وحريمًا يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره" استعار (عليه السلام) لفظ الحريم للعهد، وجعل السكون إلى منعته والاستفاضة إلى جواره، ووجه الاستعارة هو الاطمئنان إليه والأمن من الفتنة بسببه فأشبه الحريم المانع، والحريم هو المكان الذي يحرم على أحد انتهاكه.

٤ـ "ولا تعقد عقدًا تجوّز فيه العلل": وهذا كناية عن أمره بإحكام ما يعقد من الأمور؛ لأنّ العلل جمع علّة خلاف الصّحّة، والمراد بها الأحداث المفسدة للعقد.

٥ـ " واتّهم في ذلك حسن الظّنّ " كناية عن الحذر من العدوّ بعد الصّلح، أي: اطرد حسن الظّنّ تجاه العدوّ سواء في حالة الحرب أو السّلم، وخاصّة بعد الصّلح، فلا بدّ أنْ تكون فطنًا من كيد الأعداء؛ إذ قد يلجأ العدوّ إلى الخديعة والمكر والدّهاء فيقارب ليدرس نقاط الضّعف وينتهز الفرصة للهجوم.

٦ـ " ولا تعولّنّ على لحن القول " في لحن القول كناية عن الإيهام في الكلام، والخروج عن ظاهر ألفاظ المعاهدة، وذلك باستعماله التورية والتعريض في أداء المقصود بلفظ يحتمل غيره من المعنى من أجل أنْ ينقضها

إذا طرأت صعوبة على إجرائها، وهذا أمر بالسعي في صراحة ألفاظ المعاهدة، ووضوح نصوصها بعد التأكيد والتوثيق.

٧ـ في النصّ تقديم وتأخير نحو: "لله فيه رضًا" و "فإنّ في الصّلح دعة" وغير ذلك ممّا ذكر في المستوى النحويّ، ولا يخفى أهمّية أسلوب التقديم والتأخير في تأكيد معنى ما قدّم على غيره، والتّنبيه على أهمّيته من تحبيب الصّلح؛ لأنّ مآله لله وهو المقدّم نحو الجملة الأولى، أو التّشويق إلى معرفة ما أخّر نحو الجملة الثانية، ومنه تقديم الجارّ والمجرور على متعلّقه، لإفادة التّخصيص نحو: "وإن عقدت بينك وبين عدوّ لك عقدة" إذ تقدّم (لك) على المفعول به (عقدة) وذلك لإفادة القصر والتّخصيص؛ إذ إنّ العقدة التي عقدها لا تكون إلّا لك دون غيرك.

المقطع الثامن عشر: (حُرمة النفس الإنسانيّة)

قوله (عليه السلام): " إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فإنّه لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنقْمَةٍ، ولاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، ولاَ أَحْرَى بِزَوالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ".

المعنى العامّ[1]

توجّه (عليه السلام) في هذا المقطع إلى علاج الأمراض الخُلُقيّة والجنائية الّتي ابتليت بها الأمّة العربيّة في الجاهليّة العمياء فبادر إلى القول (إيّاك والدّماء وسفكها) إذ كانت العرب في الجاهليّة غارقة في سفك الدّماء ظلمًا وعدوانًا فانقلبت إلى أمّة سفّاكة تلذّذ من قتل النّفوس ويزيدها نشاطًا إذا كان المقتول رجلًا شريفًا وبطلًا فارسًا فتفتخر بسفك دمه وتنظم عليه الأشعار الرّائقة المهيّجة وترنّمها وتغنّي بها في حفلاتها.

وجاء الإسلام مبشّراً بشعار الإيمان والأمن ولكن ما لبث أن ابتُلي بالهجومات الحادّة الّتي ألجأته إلى تشريع الجهاد، فاشتغل العرب المسلمون بقتل النفوس في ميادين الجهاد، حقّا في الجهاد المشروع، وباطلًا في شتّى المناضلات الّتي أثارها المنافقون فيما بينهم أو مع الفئة الحقّة حتّى ظهرت في الإسلام حروب دمويّة هائلة تُعدّ القتلى فيها بعشرات الألوف كحربي الجمل وصفّين. ثمّ بيّن عليه السّلام أنّ القتل إنْ كان خطأ فلا بدّ من الانقياد لأولياء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١١١-١١٣.

المقتول بأداء الدية من دون مسامحة واعتزاز بمقام الولاية، وكلام أمير المؤمنين عليه السّلام يدلّ على أنّ المؤدّب من الولاة إذا تلف تحت يده إنسان في الحدّ فعليه الدية.

المستوى الصوتيّ

س: قال الإمام (عليه السلام): "فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة"، وهنا يعبّر الإمام (عليه السلام) عن الضّرب المفضي إلى القتل بالوكز، وفي التعبير القرآنيّ: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} ﴿القصص: ١٥﴾ فهل يمكن استبدال الوخز بالوكز لأداء المعنى نفسه؟

الفرق بين الوخز والوكز أنّ الوخز يكون بآلة دقيقة كالإبرة وما أشبهها والوكز يكون بآلة صلبة كالعصا والرمح، وجرس الكاف في (وكز) يحاكي الاتّصال الشديد بين الآلة والجسد وفيه مقتلة حتمًا كما في سياق القول في التعبير القرآني والعهد الشريف، أما جرس الخاء في (وخز) فيحاكي رقّة التعامل بين طرف الآلة والجسد كطرف الإبرة مثلًا، واشترك الجذران (وخز ووكز) بأنّ الواو فيهما يحاكي حركة الآلة في الهواء وأنّ الزاي في آخرهما يحاكي نفاذ الآلة في الجسد واختلفا في عين اللفظ فاختلفت دلالتهما تبعًا لذلك.

المستوى الصرفيّ

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًا محكمًا، وبيّن معانيها الصرفيّة.

١- الدّماء: فِعال، جمع كثرة مفرده دم، على زنة (فع)، ولامه محذوفة حذفًا سماعيًّا، وتردّ عند النّسب: دمويّ.

٢- أحرى: أفعل، اسم تفضيل من حرى الشيء يحري على الباب الثاني: قصد حراه، أي: جانبه فهو حريّ أنْ يفعل كذا، أي: جدير وخليق، وتحرّى:

طلب ما هو أجدر بالاستعمال {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} ﴿الجن: ١٤﴾.

٣- نعمة: فعلة، اسم دالّ على هيأة الإنعام، من ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ﴿النحل: ١٨﴾ أي: هيآت النّعمة الواحدة لا يمكن عدّها فكيف بالنّعم كلّها؟

٤- انقطاع: انفعال مصدر من انفعل المزيد بهمزة الوصل والنون، والزيادة أفادت المطاوعة، قطع الشيء فانقطع.

٥- مبتدئ: مفتعل، اسم فاعل من ابتدأ على زنة افتعل المزيد بهمزة الوصل والتاء، والزيادة أفادت المبالغة، بدأ الشيء وابتدأه قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} ﴿السجدة: ٧﴾، وبدأت بكذا وابتدأت: قدّمت.

٦- تسافكوا: تفاعلوا، ماض على تفاعل المزيد بالتاء والألف، والزيادة أفادت التشارك في سفك الدّماء، أي: صبّها وإراقتها قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ﴿البقرة: ٣٠﴾.

٧- تقوّينّ: تفعّلنّ، مضارع من قوّى المزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية، قوي فلان يقوى على الباب الرابع فهو قويّ: ضدّ الضعيف، وقوّاه الله تعالى.

٨- سلطانك: فعلان، مصدر بمعنى قدرة الملك، من سلط يسلط على الباب الخامس سلاطة وسلوطة، أي: القهر والشّدة، وسلّطه فتسلّط، قال تعالى: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ﴿الحشر: ٦﴾. وسلطان الدّم: تبيّغه، وسلطان كلّ شيء: شدّته، والسّلطان: الحجّة والبرهان لما يلحق من الهجوم على القلوب المحقّقة المتفقّهة، قال تعالى: {وَلَا

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} ﴿الإسراء: ٣٣﴾، ثمّ سمّي به الوالي نفسه.

٩- حرام: فعال، مصدر من حرم يحرم على الباب الخامس حرمًا وحرامًا، ضدّ الحلال {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} ﴿الأنبياء: ٩٥﴾ وحرمه الشيء يحرمه على الباب الثاني حريمًا وحرمانًا: منعه، وقد يوصف الشيء بالمصدر من باب المبالغة في الوصف، على نحو: رجل عدل، فيقال: رجل حرام بمعنى محرّم، وكذلك الشهر الحرام، وفي النصّ استعمل المصدر حرام صفة، فقال (عليه السلام): " بسفك دم حرام ".

١٠- قود: بفتحتين، اسم مصدر من أقاده إذا قتل القاتل بالقتيل قودًا، واستقدت الحاكم، أي: سألته أنْ يقيد القاتل بالقتيل، وفي الحديث: من قتل عمدًا فهو قود، فالقود: القصاص، وقتل القاتل بدل القتيل، وقد أقدته به أقيده إقادة. أمّا القَوَد فهو مصدر من قاده يقوده قودًا على الباب الأوّل، وهو نقيض السّوق فهو من أمام، وذاك من خلف، وكذا القيادة والقياد، قاد الفرس مشى أمامه آخذًا بمقوده، وهو أصل يدلّ على امتداد في الشيء، قوِد قوَدًا على الباب الرابع فهو أقود: طال ظهره وعنقه، وسمّي قتل القاتل قودًا؛ لأنّه يُقاد إليه.

١١- سوطك: السّوط فعل، وهو اسم آلة سماعيّ يضرب بها، مأخوذ من الفعل ساط الشيء يسوطه سوطًا على الباب الأول: إذا خلط بعضه ببعض، وسمّي السّوط؛ لأنّه يخالط الجلدة، وهو الجلد المضفور الذي يضرب به {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} ﴿الفجر: ١٣﴾ تشبيهًا بما يكون في الدّنيا من العذاب بالسوط إشارة إلى ما خلط لهم من أنواع العذاب المشار إليه في {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} ﴿النبأ: ٢٥﴾.

١٢- مقتلة: مفعلة، اسم لتكثير الحدث في المكان، نحو: مقبرة ومدرسة ومطبعة، وربّما استعمل الإمام (عليه السلام) هذه الصّيغة من تكثير القتل في

عمليّة الوكز للإشارة إلى إمكانيّة حصوله بأداة واحدة مبالغة على سبيل إثبات هذا الأمر.

١٣- نخوة: فَعلة، اسم مرّة من نخا ينخو: افتخر وتعظّم، ونخا فلانًا: مدحه، وأنخى: زادت نخوته. وتذكر المعجمات أنّ النّخوة مصدر دالّ على الكبر والعظمة لا مصدر مرّة، ويقال: نُخي فلان فهو منخيٌّ على نحو زُهي فهو مزهوّ، ولا يقال: زَها، ثمّ جعلت لمن يتصرّف باعتزاز وفخر ومروءة وحماسة حسب الاستعمال المعاصر، يقال: يدافع عن المظلوم بكلّ نخوة.

١٤- تؤدّي: تفعّل، مضارع من أدّى على فعّل، مزيد بتضعيف العين، والزيادة أفادت التعدية؛ لأنّ المجرّد لازم من قولهم: أدى اللبن يأدي أديًا وأدوًّا: إذا وصل إلى حال الرؤوب عندما يخثر، وهو بين اللبنين ليس بالحامض ولا بالحلو، وأدّاه إلى: يؤدّي تأدية وأداء بمعنى إيصال الشيء إلى صاحبه.

١٥- يفرط: يفعل، مضارع من أفرط مزيد بهمزة القطع التي أفادت المبالغة في التّقدّم، فرط يفرط على الباب الأوّل إذا تقدّم، قال تعالى: {قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى} ﴿طه: ٤٥﴾ أي: يتقدّم، والإفراط: أنْ يسرف في التّقدّم، والتّفريط: أنْ يقصّر في الفرط (سلب التقدّم) {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ﴿الأنعام: ٣٨﴾ أي: ما قصّرنا.

المستوى النحويّ

س: أين جواب الشرط في: (وَإِن ابْتُلِيتَ بخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أو سَيْفُكَ أو يَدُكَ بعُقُوبَة، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَة فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إلى أَوْلِيَاء الْمَقْتُول حَقَّهُمْ)؟

الجواب هو فلا تطمحنّ...، وجملة (فإنّ في الوكزة...) اعتراضية تفسيرية لإفراط السوط واليد والسيف وغيرها مما يفسّر بالوكزة فما فوقها، و(فوقها): ظرف مكان منصوب متعلّق بمحذوف صلة (ما) الموصولة قبلها،

و(فوق) مضاف إلى الهاء، و(ما) الموصولة في محلّ جرّ عطفًا بالفاء (فما) على الوكزة، و(حقّهم): مفعول به منصوب للفعل (تؤدّي) وهو مضاف إلى الضمير (الهاء) المتّصل به والميم حرف للجماعة، والفعل تؤدّي: منصوب بـ(أنْ) المصدرية وعلامة نصبه الفتح الظاهر على الياء لخفّة الفتحة دون الضمّة، والمصدر المؤوّل من أن الناصبة والفعل تؤدّي في محلّ جرّ بـ(عن). و(فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ): نخوة: فاعل مرفوع للفعل (تطمحنّ)، وهو فعل مجزوم بـ (لا) الناهية، وحرّك آخره بالفتح لاتّصاله بنون التوكيد.

س: عيّن ما له محلّ إعرابيّ من الجمل الآتية، مع ذكر المحلّ الإعرابيّ إنْ وجد.

١ـ (ليس شيء أدعى) "الجملة من (ليس) الفعل الجامد الناقص، واسمها (شيء) وخبرها (أدعى) في محلّ رفع خبر (إنّ) التي اسمها الضمير الهاء.

٢ـ "يضعفه" الجملة الفعليّة من الفعل المضارع (يضعف) المرفوع بالضّمّ، وفاعله المستتر يعود على (سفك الدّم)، ومفعوله (ضمير الهاء) المتّصل به العائد على السلطان، جملة لا محلّ من الإعراب؛ لأنّها صلة لـ(ما) الاسم الموصول، و(ما) اسم موصول في محلّ جرّ بـ(من) المدغمة معها، والأصل: من ما.

٣ـ يوهنه: الجملة من الفعل والفاعل والمفعول أيضًا لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها معطوفة على جملة لا محلّ لها من الإعراب.

٤ـ يزيله: الجملة من الفعل المضارع المرفوع بضمّة اللام وفاعله المستتر الذي يعود على (سفك الدّم) ومفعوله (الهاء) العائد على السلطان لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها جملة استئنافيّة، بعد (بل) حرف للإضراب الانتقالي.

٥ـ ابتليت: الجملة من الفعل الماضي المبنيّ للمجهول (ابتُلي) المبنيّ على السكون لاتّصاله بالتاء، وهي نائب الفاعل في محلّ جزم فعل الشّرط المجزوم بـ(إنْ) الشّرطيّة.

٦ـ "فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة" الجملة الاسميّة من إنّ الحرف المشبّه بالفعل واسمها (مقتلة) وخبرها (في الوكزة) في محلّ جزم جواب الشّرط المقترن بالفاء الرّابطة.

س: أعرب ما تحته خطّ في هذا المقطع.

المستوى المعجميّ

س: قال الإمام (عليه السلام): "لأنّ فيه قود البدن" أي: عقوبة القصاص، معلّلًا تحريم العمد على القاتل للمقتول، فلماذا استعمل (عليه السلام) لفظة البدن دون الجسد أو الجسم، وضّح الفروق اللغويّة بين هذه الألفاظ مستعينًا بالأصل المعجميّ المذكور لها.

الْفرق بَين الْجَسَد وَالْبدن[1] هو أَنّ الْبدن هُوَ مَا علا من جَسَد الإنسان؛ وَلِهَذَا يُقَال للدرع الْقصير الَّذِي يلبس على الصَّدْر بدن؛ لِأَنَّهُ يَقع على الْبدن وجسم الإنسان كُله جَسَد، وَالشَّاهِد أَنه يُقَال لمن قطع بعض أَطْرَافه أَنَّه قطع شَيْء من جسده، وَلَا يُقَال شَيْء من بدنه، وَلما كَانَ الْبدن هُوَ أعلى الْجَسَد وأغلظه قيل لمن غلظ من السّمن قد بدن وَهُوَ بدين وَالْبدن الْإِبِل المسمَّنة للنحر ثمَّ كثر ذَلِك حتى سُمي مَا يتَّخذ للنحر بدنه سمينةً كَانَت أو مَهْزُولَة.

المستوى البلاغيّ

س: اذكر أبرز الفنون البلاغيّة المستعملة في النصّ المتقدّم.

١ـ في قوله (عليه السلام): " قود البدن" كناية عن القصاص في قتل العمد، وإنّما ذكر لفظة البدن للدلالة على أنّ القصاص واقع على البدن دون القصاص الماليّ، فالمراد هو قتل القاتل، أي: إزالة حياة بدنه.

---

(١) الفروق اللغوية ١٥٨-١٥٩، ٣٠٣.

٢ـ في قوله (عليه السلام): " أفرط عليك سوطك أو يدك بالعقوبة" كناية عن القتل شبه العمد؛ ولذا نهاه (عليه السلام) عن عدم تأدية الدّية إلى أهل المقتول.

٣ـ " فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة" كناية عن الضّربة غير الشّديدة، وهي الوكزة، (وما فوقها) كناية عن الأقوى من الوكزة، وفي ذلك تأكيد على أنّ هذه الأنواع من الضّرب قلّت أو كثرت تستوجب الدّية فهي قتل محسوب عليه ارتكابه وإنْ لم يتعمّد، فعلى الوالي أنْ يتنبّه على هذا الحكم ولا يتساهل في أرواح النّاس وأداء حقوقها.

٤ـ في قوله (عليه السلام): " ممّا يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ".

أسلوب التدرّج في إثبات ما يحصل لسلطة الوالي إنْ تعسّف وسفك دماء شعبه باستعمال (بل) التي أفادت الانتقال والتّرقي من صفة إلى أخرى هي المراد تأكيد حصولها؛ إذ إنّ الحكم بهذا الأسلوب سينتهي بالزوال بعد مروره بالوهن والضّعف، ومعنى الإضراب في سياق القول هو أنْ يكون ما قبل (بل) مسكوتًا عنه وما بعدها هو الذي يثبت حكمه كقولنا: أنشد الشاعر شعراً بل نثراً.

٥- في قوله (عليه السلام): " فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة... ".

في هذه العبارة استعمال لألفاظ منكّرة، وفي التّنكير دلالة على التّعميم، وفي هذا ترهيب من سفك الدّماء؛ لعموم ما يحصل لدى المخاطب من صور النّقمة والتبعة، فضلًا عن تخويفه من زوال النّعم على الوالي ورعيّته دون تخصيص لنوع معيّن من هذه النّعم، وتأكيد هذا كلّه بشمول حكم الوالي المخاطب ومن قبله ومن بعده من الحكومات بلفظة (مدّة)، أي: انقطاع مدّة كلّ من كان على هذا النّهج في السّفك والتّنكيل بالشّعب.

المقطع التاسع عشر: (وصايا خُلقية)

قوله (عليه السلام): "وَإِيَّاكَ وَالإعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الإطْرَاءِ، فَإِنَّ ذلكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحسانِ الْمُحْسِنِينَ.

وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحسانِكَ، أو التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أو أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإحسانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ سبحانه: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ)

وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أو التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أو اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ، أو الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْر مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أو سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أو أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا (صلى الله عليه وآله) أو فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيكَ فِي عَهْدِي هذَا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا، فَلَنْ يَعْصِمَ مِنَ السُّوءِ وَلاَ يُوَفِّقَ لِلْخَيْرِ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى.

وَقَدْ كَانَ فِيما عَهدَ إلِيَّ رَسُولُهُ (عليه السلام) فِي وَصَايَاهُ: "تَحضيضاً عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"، فَبِذَلِكَ أَخْتِمُ لَكَ مَا عَهِدَ، وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَظِيمِ".

المعنى العامّ[1]

حذّر أمير المؤمنين (عليه السلام) الوالي من الإعجاب بالنفس والغُرور والتمييز العنصريّ بين الناس، فاللّه تعالى بعث نبيّه محمّدًا صلّى اللّه عليه وآله وسلم رحمة للعالمين، لنشر التوحيد وهداية البشر إلى عبادة اللّه وحده تحت شعار (لا إله إلّا اللّه)، وردعهم عن عبادة الأصنام والأنداد الّذين لا ينفعون ولا يضرّون، ورفع الإسلام التمييز العنصري ومحا الامتيازات الزائفة. ففي يوم فتح مكّة قام رسول اللّه على باب الكعبة فقال: لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، صدق وعده، نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كلّ مأثرة أو دم أو مال يُدّعى فهو تحت قدميّ هاتين إلّا سدانة البيت، وسقاية الحاجّ، وقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلّظة: مائة من الإبل أربعون منها أولادها في بطونها. يا معشر قريش: إنّ اللّه قد أذهب عنكم نخوة الجاهليّة وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثمّ تلا هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ﴿الحجرات: ١٣﴾، ثمّ قال: يا معشر قريش، ما ترون أنّي عامل فيكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء؛ ولذا نبّه عليه السّلام على النهي عن أمور ينبغي للوالي تجنُّبها، باعثها الرئيس هو حب الذات وهي:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١١٤-١١٧.

١ـ المنّ على الرّعيّة عند الإحسان إليهم؛ لأنّ المنّ يجلب الأنانية وحبّ بالذات، قال اللّه تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} ﴿البقرة: ٢٦٤﴾.

٢ـ التزيّد في الفعل الناشئ عن تعظيم النفس، فيرى حقيرٌ عملَه كبيرًا وقليلَه كثيرًا فيذهب بنور الحقّ لكونه كذبًا وزورًا.

٣ـ خلف الوعد مع الرعايا، وهو أيضًا ناشئ عن إكبار النفس وتحقير الرعايا فلا يحترم تعهّده معهم، وخلف الوعد وإنْ كان قبيحًا ومذمومًا ولكنّه من الأمراء والولاة أشنع؛ لاشتماله على الزهو والكِبر وتحقير الطرف الآخر، وقد عدّ اللّه خلف الوعد من المقت الكبير فقال تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ﴿الصف: ٣﴾.

٤ـ العجلة في الأمور، وسببها خفّة العقل كما يُلحظ لدى الصبيان وغير المثقّفين من بني الإنسان، وقد رُوى (أنّ العجلة من الشيطان)، والعجلة من الغرائز الكامنة في البشر من ناحية طبعه الحيواني، كما قال اللّه تعالى: {خُلِقَ الإنسان مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} ﴿الأنبياء: ٣٧﴾.

٥ـ الاستئثار، وهو أنْ يجلب كلّ شيء إلى نفسه ويخصّص كلّ ما يناله بنفسه فيتجاوز على حقوق إخوانه ويمنع الحقوق المتعلّقة بماله، والاستئثار ملازم للإنسان المحبّ لذاته. ومردُّه إلى الجهل والفقر اللذين سادا في العرب طيلة قرون الجاهليّة، فنهى عليه السّلام عن ذلك.

٦ـ الغفلة والتسامح في تنظيم أمور الرّعيّة وبسط العدل بينهم؛ إذ يقبح مثل هذا في عيون الناس؛ فإنّ التسامح في أخذ حقّ المظلوم من الظالم مستقبحٌ عُرفًا وشرعًا.

٧ـ الاستكبار والبطش؛ إذ هما من آثار الإمارة والسلطان، فانّ السلطان بطبعه سريع الغضب وشديد الانتقام والحكم على من أساء إليه فوصّاه بقوله عليه السّلام (ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك).

ثمّ بيّن (عليه السلام) للوالي المرجع القانونيّ الّذي يجب عليه العمل به في أمور هي:

١ـ السيرة العمليّة للحاكم العادل الّذي كان قبله، فإنّها محترمة ومرضيّة عند اللّه وعند الناس.

٢ـ السنّة المأثورة الفاضلة الصادرة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بنقل الجماعات أو الثقات.

٣ـ الفرائض المقرّرة في كتاب اللّه في محكم آياته، وشرط عليه في العمل بها بما شاهد من عمله وتطبيق القوانين على موضوعاتها ليأمن من الاشتباه في التفسير وفهم المقصود فلا يخطئ في التطبيق.

المستوى الصوتيّ

س: علّل صوتيًّا إدغام النّون في الميم في لفظتي (عمّا) و(ممّا) في قوله (عليه السلام): "والتّغابي عمّا تعنى به ممّا قد وضح للعيون"؟

الأصل (عن ما) ولمّا اشتركت الميم والنون في صفتي الجهر والرخاوة والغنّة وتقاربتا في المخرج؛ إذ النون شجرية والميم شفوية قلبت النون ميمًا وأدغمت الميم بالميم.

س: تكرّرت صيغة التّحذير (ايّاك) في النصّ، فبأيّ نغمة تؤدّى هذه اللفظة صوتيّا؟

تؤدّى هذه اللفظة وما بعدها بالنّغمة الصّاعدة (فوق العالية) لأنّ المراد بها تنبيه المخاطب على أمر خطير قد يُهلكه وهو في غفلة من أمره والمراد بتكرار أسلوب التّحذير الذي استعمله الإمام (عليه السلام) في الجمل يّاك واعجاب بنفسك وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك، وإيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها) هو تنبيه الحاكم على هذه الأمور التي كثيراً ما يُتناسى العمل بها لأبّهة السلطان وتزلّف الناس حوله، ولا يؤدّي هذا التحذير مراده في إيقاظ الغافل

إلّا بالنّغمة الصّاعدة التي تعيد للوالي صحوة ضميره وتنبّهه نحو حقائق الأمور.

المستوى الصرفيّ

س: زن الأفعال الآتية، واذكر المعاني الصرفيّة التي تؤدّيها:

١- يبطل، تنكّرتْ، استوضحت، تُعنى، احترسْ، ينتصف، تُكثر، تتذكّر، تقدّمَك، تقتدي، شاهدت، استوثقت، تجتهد.

س: زن الأسماء الآتية واذكر معانيها الصرفية:

التّزيّد، أوان، التّساقُط، اللجاجة، أُسوة، أغطية، حميّة، سَورة، سَطْوة، تأخير، المعاد، اتّباع، تسرُّع، فُرَص.

س: اذكر خلاف الصرفيين في وزن (الشيطان).

الشيطان: أمّا فَيعال من شطَن بمعنى تباعد؛ لأنّه مطرود من رحمة الله، يقال: شطنت الدار: بعُدت، أو فَعلان من شاط يشيط بمعنى احترق، فهو مخلوق من النار ومآله إلى النار. والوجه الأول أظهر؛ لأنّ الشيطان مصروف في التعبير القرآني كما في قوله تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} ﴿النساء: ١١٧﴾ فهذا يعني أنه فَيعال ولو كان من (شيط) لكان على (فَعلان) فيمنع من الصرف فضلًا عن ظهور مناسبة اشتقاق الشيطان من معنى البعد عن رحمة الله، أما احتراقه في نار جهنّم فأمرٌ مؤجّل إلى يوم القيامة وتسمية الشيء بحاله الحاضر أولى من تسميته بفعله المؤجّل.

المستوى النحويّ

س: أعرب ما تحته خطّ من النّصّ.

س: استخرج الأفعال المنصوبة الواردة في النصّ، واذكر عامل النصب فيها.

١- ليمحق: منصوب بـ(أنْ) مضمرة بعد لام التعليل.

٢- أنْ تعدّوا: منصوب بـ(أنْ) المصدريّة قبله، والمصدر المؤوّل من أنْ والفعل في محلّ نصب عطف على المنّ، أي: واتّق الوعد المتبوع بخلف بضمّ الفاء.

٣- فتتبّع: منصوب عطفًا على (تعدهم) المنصوب قبله بـ(أنْ) والفاعل مستتر تقديره أنت، و(هم) ضمير مبنيّ في محلّ نصب مفعول به.

٤- يسكن: مضارع منصوب بـ(أنْ) المضمرة بعد حتّى، والفاعل (غضبك)، والمصدر المؤوّل من (أنْ يسكن) في محلّ جرّ بـ(حتّى) وشبه الجملة من الجارّ والمجرور متعلّق بـ (املك)، وكذا إعراب: حتى تكثر همومك.

٥- فتملك: مضارع منصوب عطفًا على (يسكن) والكاف فاعله، والاختيار: مفعوله.

٦- ولن تحكم: مضارع منصوب، وفاعله مستتر فيه، واسم الإشارة (ذلك) مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، وهو منصوب بـ (لن) حرف النفي والنصب.

٧- أنْ تتذكّر: مضارع منصوب بـ (أنْ) المصدريّة الناصبة قبلها، والفاعل مستتر فيه، و(ما) اسم موصول في محلّ نصب مفعول به، و(مضى) صلتها، والمصدر المؤوّل في محلّ رفع خبر للمبتدأ (الواجب).

٨- فتقتدي: مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة؛ لأنه معطوف بالفاء على (أنْ تتذكّرَ)، وفاعله مستتر فيه.

٩- لكيلا تكون: اللام حرف جرّ، (كي) ناصبة، (لا) نافية زائدة، (تكون) مضارع ناقص منصوب، والمصدر المؤوّل من كي وما بعدها مجرور باللام ومتعلّقان بالفعل قبلهما، (لك) متعلّقان بخبر مقدّم محذوف (علّة) اسم تكونن وتقدير (لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ علَّةٌ) هو (لنفي كون العلة مستقرة لك) ومثله في الإعراب قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، والتقدير (لنفي كون الحرج مستقرًا على المؤمنين).

س: عيّن الجمل التي لها محلّ إعرابيّ، والتي ليس لها محلّ.

١-"يبطل الإحسان" الجملة من الفعل المضارع وفاعله المستتر العائد على المنّ، ومفعوله (الإحسان) في محلّ رفع خبر لـ(إنّ).

٢-" يذهب بنور الحقّ" الجملة من الفعل المضارع وفاعله المستتر العائد على التّزيّد، ومتعلّقاتها (بنور الحقّ) في محلّ رفع خبر (إنّ) المحذوف لدلالة العطف عليها، والجملة هي: فإنّ المنّ يبطل الإحسان والتزيّد يذهب الإنصاف.

٣-"يوجب المقت" الجملة من الفعل المضارع وفاعله المستتر العائد على الخلف، ومفعوله (المقت) في محلّ رفع خبر إنّ، على نحو الجملة الثانية.

٤-" كبُر مقتًا عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون" الجملة الفعليّة كلّها في محلّ نصب مقول القول، وتفصيل إعراب الآية هو أنّ فيها إعرابين:

الأول: كبُر: فعل ماض، (مقتًا) تمييز منصوب محوّل من الفاعل نحو: (اشتعل الرأس شيبًا) والأصل (اشتعل شيب الرأس) وكذا التقدير في قوله (عليه السلام) هو (كبر قول المقت)، و(عند) ظرف مبني متعلّق بكبُر، مضاف إلى لفظ الجلالة يتعلّق بمحذوف يعرب صفة للمقت. (أنْ تقولوا) مصدريّة ناصبة، والفعل بعدها منصوب بحذف نون الرفع؛ لأنّه من الأفعال الخمسة و(ما) موصولة في محلّ نصب مفعول القول، (لا تعلمون) لا النافية، وتعلمون: مضارع مرفوع بثبوت النون صلة لـ(ما) لا محلّ له من الإعراب، والمصدر المؤوّل (أنْ تقولوا) في محلّ رفع فاعل للفعل (كبر).

الآخر: المصدر المؤوّل (أنْ تقولوا) في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر خبره جملة كبُر مقتًا، وفاعل (كبر) مستتر.

٥- تنكّرت: الجملة من الفعل الماضي المبنيّ على الفتح لاتّصاله بتاء التأنيث الساكنة، وفاعله المستتر العائد على الأمور في محلّ جرّ بالإضافة، والمضاف هو (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن شرطيّة غير جازمة، وكذلك إعراب: إذا استوضحت.

٦- "تنكشف" الجملة من المضارع وفاعله (أغطية) لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها مستأنفة.

٧- "تقدّمك": الجملة من الفعل الماضي المبنيّ على الفتح، وفاعله المستتر العائد على (من) الموصولة، ومفعوله (الضمير الكاف) المتّصل به لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة (من) الموصولة.

٨- " صلّى الله عليه وآله": الجملة من الفعل الماضي المبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتعذّر، وفاعله (لفظ الجلالة) ومتعلّقاتها، لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها معترضة للدعاء.

٩- " شاهدت": الجملة من الفعل الماضي المبنيّ على السكون لاتصاله بتاء الفاعل لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها صلة (ما) الموصولة قبلها، و(ما) في محلّ جرّ بـ(الباء) والمفعول به محذوف دلّ عليه سياق القول قبله والتقدير: شاهدت شيئًا قبلك، وكذا إعراب "ممّا عملنا به" "عهدت" و"استوثقت" كلها لا محلّ لهما من الإعراب؛ لأنها صلة (ما) الموصولة.

المستوى المعجميّ

س: ذكر الإمام (عليه السلام) لفظة (المقت) التي تفسّر بالبغض، فهل المعنيان مترادفان أو بينهما فرق؟ وضّح ذلك مستعينًا بالأصول المعجميّة للفظين.

البغض نفار النفس عمّا تكره وهو مقترن بالعداوة في التعبير القرآني كما في قوله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ﴿المائدة: ١٤﴾ وهذا يعني أنّ البغض لما له عقل فلا يكون في البهائم ولا في الجمادات، فلا يقال: أبغض هذا الطعام أو هذه الفرس، وتستعمل الكراهة فيما لا يستعمل فيه البغض فيقال: أكره هذا الطعام وأكره هذه الفرس، وأما المقت فهو البغض الشديد للشيء القبيح عرفًا وشرعًا

كنكاح المقت وهو أنْ يتزوج الرجل امرأة أبيه في الجاهلية، قال تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} ﴿النساء: ٢٢﴾، وفي قوله (عليه السلام): "اَلْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ" واءم استعمال المقت وهو أشد البغض في سياق ذكر الإخلاف بالوعد؛ فإنّه أمر قبيح عرفًا وشرعًا لدى كلّ الناس وفي جميع الديانات[1].

س: استعمل (عليه السلام) لفظة (العجلة) في قوله: "إيّاك والعجلة"، وكذلك لفظة (السرعة) في قوله: "عند تسرّع نفسك إلى هواها" فما الفرق بين اللفظين؟

العجلة تعني التقدم بالشيء قبل وقته، وهو مذموم، والسرعة: تقديم الشيء في أقرب أوقاته، وهو محمود، ويشهد للأول قوله تعالى: {وَلَا تَعْجَلْ بِالقرآن مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} ﴿طه: ١١٤﴾، {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ﴿النحل: ١﴾ وللثاني في قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} ﴿آل عمران: ١٣٣﴾.

أما قوله تعالى: {قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} ﴿طه: ٨٤﴾، فمن باب المقابلة بين سؤال الخالق لموسى وجواب موسى {وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي} ﴿طه: ٨٣ - ٨٦﴾ فلفظ العجلة إذن مذمومٌ؛ لأنه في سياق ذمّ قوم موسى لّما أضلّهم السامريّ وعبدوا العجل[2].

---

(١) ينظر: لفروق اللغوية ١٢٩-١٣٠.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٢٠٤.

المستوى البلاغيّ

س: استخرج الفنون البلاغيّة المبرّزة في النصّ المتقدّم.

١- في قوله (عليه السلام): "وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور" في العبارة استعارة مكنيّة؛ إذ شبّه غموض الأمور بالمرأة المغطّاة، وانكشافها بانكشاف غطاء المرأة، ثمّ حذف المشبّه به (المرأة) وأبقى لازمًا من لوازمها وهي (الغطاء)، فكما أنّ المرأة عند زوجها لا تنكشف إلا له فكذلك عند قيام الوالي بأمور باطلة يعمّي عنها ويسترها؛ فإنّه سيُفضح يومًا ويُعرف عمله أمام الخلائق.

٢- " املك حميّة أنفك " في هذه العبارة كناية عن الأنفة والاستكبار معًا؛ لأنّ الإنسان إذا اشتدّ غضبه وغيضه يتحرّك منخراه (ورقتي المنخر) ويزفر زفرات متوالية كأنّ حرارة جوفه المتّقدة من غضبه وتكبّره على أمور رعيّته تخرج من أنفه، وإنّما أريد التّكبّر والغضب معًا؛ لأنّه (عليه السلام) أفرد للغضب عبارة (سورة غضبك) وما يسفر عنها بعبارة (غرب لسانك وسطوة يدك) وكذا ينسب إلى الأنف التكبّر وحده بلا غضب بعبارة: شمخ بأنفه؛ لأنّه إذا تكبّر رفع رأسه، والأنف أوّل الوجه وطرفه يبرز فيه، وكنّي بالأنف عن الرفعة والكبرياء، فيقال: أشمّ الأنف أي: يأبى الذلّ من ارتفاع الأنف عزّة لا تكبّرًا. فالتكبّر على الناس يكون باحتقار الوالي قضاياهم وعدم العناية بمصيرهم الذي عبّر عنه (عليه السلام) بقوله (التغابي عمّا تعنى به) فأمره أنْ يملك هذه الأمور.

٣- في النصّ اقتباس قرآنيّ من قوله تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ﴿الصف: ٣﴾، وهو فنّ جميل، وفي الآية نفسها أسلوب تعجّب غير قياسيّ لتعظيم الأمر في قلوب السامعين وهو أنْ يقولوا ما لا يفعلون، فقولهم هذا هو مقت خالص لا شوب فيه؛ لذا جعل (مقتًا) تمييزًا مفسّرًا لهذا القول.

٤- في عبارة التساقط كناية عن التفريط في أمور الدولة والرّعيّة، وذلك بغضّ النظر عنها إذا حان وقتها فيسامح فيها ويغمض عينيه مع تيسّرها، وربّما كان هذا منه حرصًا على الدنيا ومطامعها، فلا يأخُذ في هذه الأمور حدًّا حاسمًا رعاية لمصلحة ما، وفي قوله "يتساقط فيها" تشبيه بالشخص الغريق الذي يسقط في نهر حتى يبلغ قعره فلا يرى منه شيء، فالوالي لا يرى منه فعل ظاهر وعمل ناجع في هذه القضايا مع إمكان حلّها لديه.

وهذه العبارة يقاربها قوله (عليه السلام): "أو الوهن عنها إذا استوضحت" ولكنّ العبارتين غير مترادفتين؛ لأنّه (عليه السلام) عبّر بالتساقط في الأمور عن الضعف الماديّ للحاكم فهو لا يعمل بالقصاص والعقوبات على مستحقّيها، على حين عبّر بـ(الوهن في الأمور) عن الضعف المعنويّ أي: الإجراءات الاعتباريّة بحقّ القضايا المشكلة للدولة. وفي هاتين الجملتين تحذير منه (عليه السلام) عن التفريط، وكذلك حذّره من الإفراط بعبارتين متقاربتين هما: "العجلة فيها قبل أوانها " وجملة " اللجاجة فيها عند تنكّرها " فنهاه عن استعجال الأمور التي لم تنته بعد، وعن الإصرار في إنجاحها وتكرير الطلب على القيام بها إذا صعبت وتنكّرت ولم تعد يسيرة.

٥- في النصّ ما يعرف بأسلوب الحكيم، وهو يظهر في مواضع منها في تدرّجه (عليه السلام) بذكر ما يجبّ أنْ يقتدى به، تدرّجًا تصاعديًّا إذ أمر الوالي أنْ يعمل بما مضى مبتدئًا بالحكومات العادلة ثمّ الأثر النّبويّ ثمّ العمل بأوامر القرآن الكريم، تشجيعًا منه (عليه السلام) للوالي بالعمل بدستور المسلمين وهو القرآن الكريم إذا ما وجد له واقعًا عمليًّا في حكومات سابقة.

٦- في قوله (عليه السلام): " ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك" كناية عن أنّ الحكم ليس منصبًا تشريفيًّا فيه الغنى والراحة ومتعة الدنيا، وإنّما هو منصب تكليفيّ فيه شقاء على الحاكم؛ لأنه راعٍ في أمّته ومسؤول عنها، فعليه أنْ يوطّن نفسه ليحمل التبعات بالزهد في الدنيا، واستجلاب الهموم لنفسه بأنْ يروّضها على الانصراف عن الملذّات

والتفكير بآخرته فقط، وهذه وصيّة لتزكية نفس الحاكم ودفعه لأنْ يكون من المتّقين، وصفاتهم معروفة ذكرها (عليه السلام) في الخطبة (١٨٨) التي يصف فيها المتّقين.

المقطع العشرون: دعاء الختام

قوله عليه السلام " وَقَدْ كَانَ فِيما عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُهُ (عليه السلام) فِي وَصَايَاهُ: تَحضيضاً عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"، فَبِذَلِكَ أَخْتِمُ لَكَ مَا عَهِدَ، وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ الْعَظِيمِ، ومن هذا العهد وهو آخره؛ وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلاَدِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيهِ رَاغِبُونَ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ كثيراً".

المعنى العامّ[1]

ختم (عليه السلام) كلامه بالابتهال إليه سبحانه، وسأله برحمته التي وسعت كلّ شيء أنْ يوفقه للقيام بحقوقه تعالى وحقوق عباده، ويكون محموداً عنده وعندهم، وأنْ يختم حياته بالشهادة في سبيل اللّه ومرضاته، وقد استجاب سبحانه لدعاء الإمام حيث استشهد بسيف الغدر، وهو في محرابه. أما جميل الذكر فلا تمرّ ثانية من الدهر إلا ويتردّد فيها اسم علي بن أبي طالب بالتعظيم والتقديس نطقًا وكتابة مذ كان وإلى آخر يوم في الدنيا، وفوق ذلك كلّه أنّ الملايين من شيعته في كلّ عصر وجيل يتقرّبون إلى اللّه بالولاء له وبالثناء عليه فعن أم سلمة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يحب عليّاً منافق ولا يبغضه مؤمن)[2]. وقال أبو سعيد الأنصاري: (إنا كنا لنعرف المنافقين - نحن معشر الأنصار - ببغضهم علي بن أبي طالب)[3]، وعن أبي ذر الغفاري، قال: (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١١٧-١١٨.

(٢) صحيح الترمذي، ج ٢ ص ٢٩٩.

(٣)المصدر نفسه.

والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب)[1]. وعن علي عليه السلام: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنْ لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)[2].

المستوى الصوتيّ

س: انمازت خاتمة العهد بالتّوافق في فواصل العبارات، بيّن الأثر الصوتيّ للفاصلة في الكلام معتمداً النصّ المتقدّم.

يسمّى توافق الفاصلتين في فقرتين أو أكثر في الحرف الأخير سجعًا، وهو خاصّ بالنّثر. وفي القرآن الكريم يسمّى توافق أواخر الآي بالفاصلة القرآنية، وفي الشّعر (قافية)، والمراد بالتّوافق هو تشابه أو اتّحاد حروف الفاصلة. وفنّ السّجع من الفنون البديعيّة اللفظيّة في علم البلاغة؛ إذ يعطي رونقًا ونغمة موسيقيّة للكلام، فيكون له أثر حسن في نفس السّامع، غير أنّ السّجع لا يحسن إلّا إذا توافرت فيه عناصر معينّة أولّها عدم التّكلّف، ففي الموروث ترد أسجاع متصنّعة تصاغ فيها نهايات العبارات لأجل الحفاظ على الإيقاع الموحّد دون العناية بالمعنى، وهذا يخالف سجع الأحاديث النّبويّة أو الحِكم أو خطب الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ومناجاتهم.

وترد الفاصلة القرآنيّة تابعة للمعاني وليس العكس، وفضلًا عن عدم تكلّف السّجع لا بدّ من عدم تكرار الكلمات المسجوعة نفسها، وأفضله ما تساوت فقراته في الطّول، أي إنّ الجمل متساوية في عدد كلماتها ومتنوّعة، على نغمة إيقاع متشابهة، ليحصل من ذلك جرس موسيقيّ وإيقاع يجذب انتباه السّامع، ويعطي للتعبير قوّة وتأثيرًا ووضوحًا، ويساعد على ترسيخ

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩، وقال (الحاكم): هذا الحديث صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب حب علي كرم الله وجهه، ج ١ ص ٢٦٢.

الفكرة؛ لذا نجده يستعمل بكثرة في القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف والحِكم والأمثال.

وفي خاتمة عهده (عليه السلام) ثمّة ميل إلى السّجع غير المتكلّف؛ إذ انتهت بعض الجمل المتعاطفة بالصّوت ذاته، وكالهاء والدال وغيرهما كما في قوله (عليه السلام): "بسعة رحمته وعظيم قدرته" وكذا في: " تمام النّعمة وتضعيف الكرامة"، وفي "السّعادة والشّهادة" وفي: "مع حسن الثّناء في العباد، وجميل الأمر في البلاد ". ونلحظ توافق الجمل في عدد كلماتها فضلًا عن نهاياتها، وإنّما ظهر هذا الفنّ في خاتمة العهد دون مقاطع العهد المتقدّمة توافقًا مع المعنى المراد إبرازه في هذه الخاتمة القصيرة، وهو التأكيد على أنّ كلّ ما قدّم من توصيات للحاكم الإسلاميّ جاء لهدفٍ واحد وغاية محدّدة من ابتغاء مرضاة الله؛ لذا توسّل (عليه السلام) بقدرته تعالى ورحمته أنْ يوفّقه وواليه إلى الإخلاص في طاعته، فاستعمل (عليه السلام) صوت الهاء المهتوت الذي فيه من ضعف الصّوت ما يوحي بالمسكنة والحاجة إلى رحمة الله، واستعمل صوت الدّال القوي في توجيه الدّعاء إلى ما يخصّ الرّعيّة وحالها، ولعلّ في تنوّع أصوات الفواصل لفتًا للأذهان نحو تنوّع المعاني من صوت الهاء في خطاب الخالق إلى صوت الدّال مع الرّعيّة ثمّ صوت التّاء في طلب المكافأة على الثّبات على الحقّ والامتثال لأوامر الله سبحانه.

المستوى الصرفيّ

س: زن الألفاظ الآتية وزنًا صرفيًّا محكمًا، مبيّنًا معناها الصرفيّ.

سعة، رغبة، يوفّق، الواضح، خَلْق، تمام، تضعيف، سعادة، شَهادة، السّلام، الطّيّبون، الطّاهرين.

المستوى النحويّ

س: أعرب ما تحته خطّ من النصّ المتقدّم.

س: بيّن نوع الإضافة فيما يأتي:

١ـ "إعطاء كلّ رغبة": (إعطاء كلّ) إضافة غير محضة؛ لأنّها من إضافة المصدر إلى مفعوله الثاني والتقدير: إعطاء الله الناسَ كلّ. و(كلّ رغبةٍ): إضافة غير محضة بمنزلة إضافة الصفة إلى الموصوف؛ لأن (كلّ) بمعنى الصفة المقدمة على موصوفها والتقدير (الرغبة التامّة).

٢-"حسن الثّناء": إضافة غير محضته؛ لأنّها من إضافة الصّفة إلى موصوفها، والتقدير: الثّناء الحسن، وكذلك في: (جميل الأثر، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة) إذ التقدير: الأثر الجميل، النعمة التامة، الكرامة المضاعفة.

٣-"رسول الله" إضافة محضة بمعنى اللام.

المستوى المعجميّ

س: قال (عليه السلام): " وتمام النّعمة، وتضعيف الكرامة "، نجد استعمال لفظة التّمام مع النّعمة على نحو ما نجد في قوله تعالى: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي... " فهل يمكن استبدال الإكمال بالإتمام، ولماذا؟

الْفرق بَين الْكَمَال والتمام هو أنّ الكامل خلاف القبيح والتام خلاف الناقص؛ وَلِهَذَا قَالَ صَاحب النّظم: القافية تَمام الْبَيْت، وَلَا يُقَال: كَمَال الْبَيْت، وَيَقُولُونَ: الْبَيْت بِكَمَالِه أي بَاجتماعه ونظمه الحسن وَالْبَيْت بتَمَامه أي بقافيته، وَيُقَال: هَذَا تَمام حَقك للْبَعْض الَّذِي يتم بِهِ الْحق، وَلَا يُقَال: كَمَال حَقك.

المستوى البلاغيّ

س: اذكر أبرز الفنون البلاغيّة الواردة في النصّ المتقدّم.

١- في قوله (عليه السلام): " إنّا إليه راجعون": قدّم الجارّ والمجرور (إليه) على متعلّقه، وهو اسم الفاعل (راجعون) الذي يعرب خبرًا لـ(إنّ)، وفي هذا

التّقديم سرّ بلاغيّ مهمّ، وهو تخصيص الرّجوع بالله تعالى، أي: التأكيد على أنّ الرجوع إلى الله لا إلى غيره؛ لذلك قدّم الجهة التي ينتهي إليها الرجوع قبل الفعل للتأكيد على كونها وحدها المخصوصة برجوع الخلق. وفي هذا تنبيه من الإمام (عليه السلام) على صدق نيّته في سؤاله الشّهادة لإيمانه بخالقه، وفي رواية أخرى (راغبون) والمعنى قريب لكن رواية الرجوع اقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} ﴿البقرة: ٤٦﴾.

وفي هذه العبارة فنّ آخر هو أسلوب الفصل؛ إذ لم تعطف هذه العبارة على ما قبلها؛ لأنّها بمثابة التّعليل لطلبه (عليه السلام) الشّهادة كأنّه يقول: أطلب الشّهادة ليقيني بك سبحانك مرجعًا للخلائق.

٢-" الإقامة على العذر": في هذه العبارة كنّى الإمام (عليه السلام) عن أسلوبه في إقامة دين الله وهدي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبيّن (عليه السلام) أنّ نهجه في التّعامل مع أمور الحكم هو في استفراغ الوسع والطّاقة في تطبيق شريعة الله، وإنْ قوبل هذا بالجاهلين والحمقى والظلمة، فإنّه يتحرّى معهم سبل الإصلاح قبل أنْ يردّ على هؤلاء النّفر من رعيّته ردًا فيه ما يوهم بالغرابة، وفي حقيقته عمل بما أُوتي من أبواب العلم المحمّديّ؛ لذا فعذره إلى الله تعالى يكون واضحًا لا غبار عليه، وعذره إلى الخلق كذلك. ولّما كانت هذه العبارة باستعمال لفظ العذر الدّالّ على ما يقدّم ليمحو به الإنسان قبحًا صدر منه، يثير بعضهم تساؤلًا في أنّه (عليه السلام) لا ذنب عنده يستلزم تقديم العذر بيّن عليه السلام أنّه عذرٌ لما يظهر للآخرين من أمور مع أصحاب القلاقل والفتنة؛ لذا فهذا العذر يستتبع الخير عند الخلق وعند خالقهم تعالى، ففصّل (عليه السلام) صفات هذا العذر بأربعة أمور: اثنان منها عند الناس بقوله: حسن الثّناء من العباد وجميل الأثر في البلاد، ومع الخالق بقوله: تمام النّعمة وتضعيف الكرامة. فالعُذر اسم من الإعذار إلى الله عن طريق المبالغة في الإتيان بأوامره؛ لذا هو (عليه السلام) قائم على العذر متمكّن منه مهيمن

عليه، بتوسّله إلى الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته أنْ يجعله على هذه الصّورة المجتهدة في الإتيان بأوامره.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين

الفهرست

مقدمة الأمانة ٧
المقدمة ١١
التَّمهيدُ: نَهْجُ البلاغةِ بينَ أنصارهِ ومُعارضيهِ ١٩

القسم الأول: التحليل اللغويّ للخطبة الأولى..........٤١
المقطع الأوّل: الحمد لله ٤٨
المقطع الثاني: صفات الله تعالى وكيفيّة توحيده........... ٦١
المقطع الثالث: بدء خلق الكون ٧٢
المقطع الرابع: خلق السماء ٧٨
المقطع الخامس: في خلق الملائكة ٩٢
المقطع السادس: خلق آدم (عليه السلام) ١٠٥
المقطع السابع: معصية إبليس ١١٨
المقطع الثامن: معصية آدم عليه السلام ١٣٤
المقطع التاسع: اصطفاء الأنبياء من ولد آدم عليه السلام ١٥٣
المقطع العاشر، مبعث النّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ١٦٩
المقطع الحادي عشر: الثقلان............................ ١٨٠
المقطع الثاني عشر: فريضة الحجّ والمغزى منها............... ١٩٠

القسم الثاني: التحليل اللغوي للعهد الشريف ٢٠٣
التمهيد: مالك الأشتر والعهد الشريف، تعريفٌ ووصفٌ ٢٠٥
أولًا: مالك الأشتر (رضي الله عنه)() ٢٠٥
ثانيًا: العهد الشريف............................٢٠٨
المقطع الأول: (في أعمال الحاكم) ٢١٨

المقطع الثاني: (في خصال الحاكم) ٢٣٣
المقطع الثالث: (بين العامة والخاصّة) ٢٥١
المقطع الرابع: أسس اختيار البطانة ٢٧٠
المقطع الخامس: أسس التعامل مع البطانة ٢٩٢
المقطع السّادس: التّقسيم العامّ للمجتمع على طبقات سبع ٣٠٩
المقطع السابع: الطبقة الأولى (الجنود) ٣٣٢
المقطع الثامن: الطبقة الثانية (القضاة) ٣٦٠
المقطع التاسع: الطبقة الثالثة (العمّال) ٣٧٦
المقطع العاشر: الطبقة الرابعة (عمّال الخراج) ٣٩٥
المقطع الحادي عشر: الطبقة الخامسة (الكُتّاب) ٤١١
المقطع الثاني عشر: الطبقة السادسة (التّجّار وذوو الصناعات) ٤٢١
المقطع الثالث عشر: الطّبقة السّابعة (الطّبقة السّفلى) ٤٣٤
المقطع الرابع عشر: تقسيم أوقات الوالي ٤٥٠
المقطع الخامس عشر (الإعلام وأثره في الحكم) ٤٦٤
المقطع السادس عشر: (الحكم الديمقراطيّ) ٤٧٤
المقطع السابع عشر: (السّياسة الخارجيّة) ٤٨٥
المقطع الثامن عشر: (حُرمة النفس الإنسانيّة) ٥٠٢
المقطع التاسع عشر: (وصايا خُلُقية) ٥١٠
المقطع العشرون: دعاء الختام ٥٢٢

الفهرست ٥٢٨